

م. الشيخ
د. سارة
د. أحمد (عمري)
ر. صالح بن دك



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٠٧٢

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القيوين
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فكر والأوب

المُلْتَحَجُ وَالْفَخْرِيُّ

بين

جريس والفكر زدق والأخطل

رسالة مقترنة لنيل درجة

الملاجيشية

في

الأدب العربي



إعداد: ظافر عبد الله الشهري

إشراف الأستاذ الدكتور: نعمان محمد أمين طه

١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

سر سکر و تقدیر

“(*) شكر وتقدير (*) ”

الحمد لله على ما أنعم به على من اتمام هذا العمل ، وأشكره على نعمه
فبشكره تدوم النعم “ لئن شكرتم لأزيدنكم ” (ابراهيم : ٧) .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل الى المسؤولين في جامعة الملك فيصل
بالمنطقة الشرقية وعلى رأسهم معالي الدكتور محمد سعيد القحطاني
مدير الجامعة وسعادة الدكتور خالد عبد الرحمن السيف وكيل الجامعة
للشئون الأكاديمية “ سابقا ” .

كما أتوجه بالشكر الجزيل للمسؤولين في جامعة أم القرى وأخص معالي
مدير الجامعة^{الدكتور} أراشد الراجح وسعادة عميد كلية اللغة العربية الدكتور
عليان الحازمي ، وسعادة وكيل الكلية الدكتور صالح بدوي ، وسعادة
رئيس قسم الدراسات العليا العربية الدكتور حسن باجوده .

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى وعرفانى لأستاذى الكريم المشرف
على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور “ نعمان طه ” فقد كان خير معين
لى بعد الله فبتوجيهاته استنرت وكان بحق المخلص الذى جعل
لى الكثير من وقته وعلمه وفتح لى قلبه وبيته ، فأسأل الله أن يطيل
فى عمره ويمتعه بالصحة .

وأخص بالشكر سعادة الدكتور عبد الرحمن العثيمين عميد مركز
البحث العلمى وأحياء التراث بجامعة أم القرى فقد ساعدني فى الحصول
على بعض المخطوطات والكتب .

كما أشكر الأستاذين الكريمين عضوى المناقشة على تكرمهما بالموافقة
على مناقشة هذا العمل ، وتزويدي بملاحظاتهما البناءة .

فللجميع من الله أجزل المثوبة ،ومني الاعتراف بالفضل لأهله
وشكرهم عليه والله نسأل التوفيق والسداد . ،،،

الباحث

—————

الحق كرمته

(أ)

” المقدمة ”

+++++

الحمد لله ، والشكر لله ، والثناء عليه . والصلاة والسلام على
سيدنا محمد رسول الله صلاة طيبة مباركة وعلى آله وصحابه ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد :

فان من أهم مقومات الحضارة الانسانية لأى أمة من الأمم
أن تعتمد على تراثها ، وأن تحافظ عليه وتداوم على تجديده
بالدراسة والبحث تستقى منه مقومات فكرها لحاضرها ومستقبلها . وليس
بخاف على ذوى البصر والبصيرة أن اللغة العربية وآدابها وعطاء
الاسلام وترجمان القرآن الكريم . ومن هنا كانت العناية بها وفهمها
وتذوقها شعرا ونثرا من أهم الوسائل التى تصل المسلم بدينه وتعرفه
على مقاصد كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم .

ولقد كانت للأمة العربية شخصيتها الأدبية التى ميزتها عن
غيرها من أمم الأرض قاطبة فكان واجبا على أبنائها أن يحافظوا
على مقومات هذه الشخصية لتبقى متميزة بفنها الأدبى من خلال
اللغة العربية وآدابها ويكون نتاجها الفنى قديما وحديثا حلقة
متواصلة الأطراف محكمة النظم ، لذا كانت عناية الباحثين - من
أبناء أمتنا ومتذوقى آدابنا الأصيلة - بالأدب العربى شعرا ونثرا
على مر العصور الأدبية .

وليس لقائل أن يقول : ان المجال قد ضاق بالدراسات

الأدبية الحديثة ، وأن أدبنا القديم ورواده قد أخذوا نصيبهم كاملاً من الدراسة والبحث فما تزال هناك مخطوطات كثيرة في شتى صنوف المعرفة العربية قابعة في المكتبات العامة والخاصة لم تحقق حتى الآن ولا تزال هناك جوانب كثيرة لم تدرس ولم تأخذ نصيبها كاملاً من عناية الباحثين والمهتمين بالتراث العربي .

ومن هذا المنطلق بدأت الفكرة تراودني منذ البداية الى أن أحصر جهدي في جانب من جوانب الأدب القديم . ولقد رأيت أن الأدب والشعر بخاصة لا يزال ميدان البحث فيه واسعاً وعندئذ توجهت بفكري الى قمة الشعر الأموي ورواده " جرير ، والفـرزـدق والأخطل " ، فأردت أن أدرس بشيء من التفصيل غرضين من أغراض شعرهم ، وهما " المديح والفخر " وكان من وراء هذا الاختيار عدة أسباب لعل منها :

أنه قد دار صراع بين النقاد القدامى حول الشعراء الثلاثة مما أدى الى تعدد الآراء النقدية (١) وإصدار الأحكام الجزئية دون دراسة شعرهم دراسة مفصلة ، فحاولت أن أعيش في دوحة أدبهم أتطلى مافيه من جمال فني يكشف عن جوانب مضيئة في شعرنا العربي القديم ، وأن أحاول أن أملأ الفجوة التي تركوها بحكم أدبي نقدي قائم على التحصيل والدراسة المتأنية الشاملة .

وقد رأيت أن احياء الأدب القديم بالدراسة والبحث واجب

(١) انظر على سبيل المثال : العمدة لابن رشيق (١ : ٩٧) .

(ت)

حتى تفرضه طبيعة الانتماء ،وحاجة المبدعين اليه ليكون مسددا للمحدثين فى نتائجهم الفنى ما دفعنى الى اختيار هذا الموضوع .

وكذلك أيضا ما اشتهر بين النقاد القدامى من اقذاع الشعراء الثلاثة وما عرفوا به من فحش القول مما جعل النشء ينصرفون عن أدبهم وقد حجبت عنهم منابع الشعر الرائعة والتعبير الصادق ،لذا أردت أن أدلى بدلوى فى محاولة لتقريب تلك الروائع من قلوبهم بهذا العمل ،وقد ران على قلوب كثير من الباحثين المسلمين وطغمة من المستشرقين أن شعر جرير والفرزدق والأخطل ما هو الا أشاب تملىء بالأقذاع وبينها وبين ديننا الحنيف حجاب صفيق فكان من دوافع هذه الرسالة محاولة ازالة هذا الحجاب الواهى واظهار أدب الثلاثة فى صورته المشرقة التى تحوطها هالة من نور الاسلام .

وقد دفعنى أيضا الى صنعى فى هذه الرسالة ماتواتبرت عليه الآراء قديما ،والدراسات حديثا من أن فخر الفرزدق ،ومديح الأخطل ونسيب ،وهجاء ورثاء جرير قد صار كل منها المثل الأعلى والاكليل الذى يعطو هامة صاحبه ،فكان لابد من التثبت من صحة هذه الرؤى فى ضوء النقد الحديث .

أما منهجى فى هذه الدراسة فقد بدأت فيه بجمع مايمكن جمعه من المصادر والمراجع القديمة والحديثة وبدأت أقرأ كل مايتعلق بالشعراء الثلاثة بالاضافة الى قراءة تاريخ العصر الأموى وماحدث فيه من تقلبات سياسية واجتماعية ،وأدون كل فكرة تلوح لى

(ث)

يمكن الاستفادة منها . وقد حاولت أن يكون هذا المنهج استقرايا تاريخيا لكل النصوص سواء في دواوين الشعراء أم غيرها من المصادر وتحليل هذه النصوص متذوقا لما امتلأت به من روائع في محاولة مني لتذوقها أدبيا جماليا يظهر ما يمكن فيها من حقائق تتصل بالتاريخ الأدبي لتقويم المديح والفخر عند الشعراء الثلاثة .

وقد حاولت في منهجي هذا دراسة الجزء لأصل الى الكل فكان منهجي يقوم على الانتقال من الفردى الى العام ومن الجزئى الى الكلى ، لايمانى أن الدراسة الفردية هي أصل كل بنيان أدبي (١) . ومن هنا استطعت أن استقرى كل جزئيات المديح والفخر عند الشعراء حتى وصلت فى النهاية الى الموازنة الشاملة بينهم فى كافة الأغراض ، اذ أن نتاج الشاعر يكمل بعضه بعضا واقتطاع الأجزاء أشبه بمحاولة دراسة خصائص كائن حي من خلال فحص أجزاء مقطعة منه فهذه المحاولة بعيدة عن النهج السوى مالم تفضى فى النهاية الى دراسة الكل . (٢)

وقد قسمت هذا البحث الى مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة تشتمل على أهم النتائج وبعض الجداول الاحصائية عن غرض المديح ثم قائمة المصادر والمراجع والفهارس . وقد تحدثت فى التمهيد عن

(١) انظر مناهج الدراسة الأدبية فى الأدب العربى - شكرى فيصل :

٢٢١ - ٢٢٩ .

(٢) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢١٧ - ٢١٨ .

(ج)

المديح والفخر فى اللغة ، وفرقت بينهما . كما تحدثت عنهما
فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام .

أما الباب الأول : وهو الدوافع النفسية والاجتماعية التى أدت
الى ظهور الغرضين عند الشعراء الثلاثة ، فقد جعلته فى ثلاثة
فصول قدمت بحديث عن المؤثرات النفسية والاجتماعية التى تؤثر
فى الفرد ، وما يمكن للبيئة أن تحدثه فى شخصية الفرد من مؤثرات
اجتماعية وغيرها . وجعلت هذا مدخلا لدراسة هذا الباب حيث
تحدثت عن هذه الدوافع فأفردت لكل واحد من الثلاثة فصلا مستقلا .

وفى الباب الثانى : وهو دراسة تاريخية موضوعية لغرضى
المديح والفخر لدى الشعراء الثلاثة فقسمته الى ثلاثة فصول ، درست
الغرضين من هذا المنطلق عند كل شاعر فى فصل خاص به . وقد
حاولت بقدر الامكان أن أتبع مراحل تطور هذين الغرضين عند كل
شاعر مبينا موضوعات مديحهم وفخرهم وما فيها من الصور الفنية .

أما الباب الثالث : وهو أثر الاسلام فى نتاج الشعراء الثلاثة
فقد جعلته فى ثلاثة فصول يسبقها مدخل تحدثت فيه عن الحياة
الاسلامية وأثرها فى الشعر الأموى .

أما الفصل الأول فقد حاولت أن أتبين فيه مدى تأثير الأخطل
بالبيئة الاسلامية . وفى الفصلين الثانى والثالث تتبعت أثر الاسلام
فى مديح وفخر كل من الفرزدق وجريير .

وفى الباب الرابع : وهو دراسة فنية لغرضى المديح والفخر

لدى الشعراء الثلاثة فقد قسمته أيضا الى ثلاثة فصول . درست فى الفصل الأول الفن التعبيرى فى مديح وفخر الأخطل ، وخصصت الثانى والثالث بالفرزدق وجربير . وقد حاولت أن استقرئ كثيرا من النصوص الشعرية لبيان كثير من الملامح الفنية عندهم من خلال تحليل هذه النصوص وتذوقها تذوقا أدبيا جماليا .

أما فى الباب الخامس والأخير : وهو النقد الذى دار حول الشعراء الثلاثة فقد جعلته فى ثلاثة فصول .. عرضت فى الفصل الأول لأهم آراء النقاد القدامى فى الثلاثة ثم ناقشتها .. وفى الفصل الثانى تتبعت دراسات المحدثين حولهم وحاولت التركيز على هذه الدراسات المتخصصة التى تناولت كل شاعر على حدة . وفى الفصل الثالث عقدت موازنة بين الشعراء الثلاثة فى ضوء النقد الحديث حيث عمدت الى استجلاء أهم السمات الفنية والموضوعية فى جميع الأغراض عند كل شاعر فلم أقصر هذه الموازنة على المديح والفخر فحسب لأن منهجى الذى اختططته يلزمنى أن أخلص فى هذه الموازنة الى الكل بعد أن تتبعت جزئيات كثيرة فى الأبواب السابقة ، أفقت بى الى هذه الموازنة الكلية .

وبعد هذا ختمت البحث بأهم النتائج التى توصلت اليها وأردفتها ببعض الجداول الإحصائية فى المديح عند كل شاعر تبين عدد الممدوحين والقصائد والأبيات وأخيرا ذيلت صنعى بقائمة المصادر والمراجع والفهارس .

ولا أدعى لنفسى الكمال فأنا طالب علم ومهما حاول الدارس

(خ)

الالمام بجوانب موضوع من موضوعات أدبنا العربي ،فستظل هنساك
جوانب أخرى تحتاج الى الدراسة والبحث ،ولكننى حاولت
بكل ماتوفر لى من جهد بشرى وماوقع تحت يدى وبصرى من مصادر
ومراجع أن أتناول موضوعى هذا بدقة واستقصاء بقدر ماأسعفتنى
به الجهد مستمدا من الله تعالى العون والقوة فعليه توكلت
واليه أنيب .

تَهْيِـدُ الْمَدِيحِ وَالْفَخْرِ

- فِي اللَّفْظَةِ
- وَالْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ
- وَعَصْرُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ

• • تمهيد • •
+++++

* المديح والفخر في اللغة والعصر الجاهلي وعصر *
صدر الاسلام

يحسن بنا أن نقوم بتعريف المديح والفخر حتى يكون لهذين
الغرضين صورة واضحة في أذهاننا ثم نلح بما كنا عليه في
الجاهلية وصدر الاسلام .

فالمديح : نقيض الهجاء وهو حسن الثناء على الجليل
الاختياري قصدا . (١)

ومادة هذه الكلمة تدور في المعاجم حول الاستلاء والشعب . ففي
اللسان وغيره من كتب اللغة العربية (وامتدحت الأرض وتمدحت
اتسعت ، وتمدح بطنه لغة في اندح اذا اتسع ، وتمدحت خواصر
الماشية أي اتسعت شبعاً) (٢) .

فكان الممدوح في رأيي يوصف بكل ما يدل على الغنى والوفرة
في المال أو الشجاعة ، ومن ثم السيادة التي تستحق الثناء ، ومن
هنا أخذت الدلالة الفنية وهي المعروفة غرضاً من أغراض الشعر .
ويرجح الدكتور " نعمان طه " أن المدح ربما كان من المتح

(١) أنظر : التعريفات - لعلي بن محمد الجرجاني ٢٠٧ .

ومعجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب ٣٤٣ .

(٢) أنظر : الصحاح ، واللسان ، والقاموس المحيط ، وتاج العروس
وأساس البلاغة ، والمعجم الوسيط (مادة مدح) .

الذى يدور حول استقاء الماء من البئر ففتح البئر استقى منها
الماء . (١)

وقد يكون فى هذا أقرب دلالة على ما شاع بين العرب لغويا
وفنيا من دلالات حسية للفظ المدح .

أما الفخر : فقد دار معناه فى معاجم اللغة حول دلالة
حسية هى النخلة العظيمة الجفع الغليظة السعف ، أو الناقصة
العظيمة القليلة اللبن ، ومن هنا جاءت الدلالة المعنوية ، وهى
مباهاة الفرد وتعظيمه على غيره بالمكارم والمناقب من حسب ونسب
الى غير ذلك من السجاياء النبيلة الحسية والمعنوية ، أما فى
المتكلم نفسه أو فى آباءه وعشيرته أو فى قبيلته الكبرى التى ينتسب
اليها . (٢)

والمدح والفخر ينبعان من منبع نفسى واحد ، وهناك خيط
رفيع يكاد يفرق بين هذين الغرضين أو يكاد يكون وصلة بينهما :
فالافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به ذاته
وقومه ويتناول على غيره بذلك . وكل ما حسن فى المديح حسن
فى الافتخار ، وكل ما قبح فى أحدهما قبح فى الآخر .

ولقد تتبعنا من عنى بالتفريق بين هذين الغرضين فوجدت

(١) جرير حياته وشعره د . نعمان طه ٢٢٠ - ٢٢١ الطبعة
الثانية .

(٢) أنظر اللسان وغيره من معاجم اللغة (مادة فخر) ،
والتعريفات ١٦٥ .

أن رأى " ابن رشيق " أدق الآراء وأكثرها موضوعية ، وهو ما ذهبت إليه هنا . (١) ووجدت أن ابن قتيبة لم يفرق بين هذين الغرضين بل جعل كلا منهما مديحا . (٢) ويرى أبو هلال العسكري أن الرثاء والفخر داخلان فى المديح أيضا وفرق بينهما من حيث الثناء على الميت باستخدام الماضى بينما المديح باستخدام الفعل فى الحاضر فقال :

(والفرق بينهما وبين المديح أن تقول كان كذا وكذا وتقول فى المديح هو كذا وأنت كذا ... (٣)) .

ويحسن بنا قبل التعرض للكلام عن الغرضين فى العصر الجاهلى أن نتعرض لأقسام الشعر فى دراسات النقاد العرب القدامى والمحدثين . أما النقاد الغربيون (٤) فلعلهم لم يهتموا إلا بتقسيم الشعر الى تمثيلى وملحمى وغنائى . ولعلهم أعرضوا عن الأفاضة فى تقسيم الشعر الغنائى وبيان موضوعاته كما فعل النقاد العرب فيما بعد حينما بدأ تسجيل ذلك أبو تمام المتوفى ٢٣١ هـ فى كتابه " الحماسة " فجعل أغراض الشعر عشرة (٥) .

أهمها وأولها وأخطرهما فى نظره هو ما قدم به لهذه الأغراض وجعله عنوانا لمختاراته وأعنى به غرض الحماسة إذ أورد من بينها المديح ويقع سادسا . أما الفخر فلم ينص عليه ولعله فعل ذلك لأن

(١) أنظر العمدة - لابن رشيق - ١٤٣/٢ - ١٤٤ .

(٢) أنظر عيون الأخبار - لابن قتيبة - ٢٧٥/١ وما بعدها .

(٣) الصناعتين - لأبى هلال العسكري - ١٣٧ .

(٤) ومن هؤلاء النقاد على سبيل المثال " أرسطو " فى كتابه

(فن الشعر) تحقيق وترجمة الدكتور شكرى محمد عياد .

(٥) أنظر ديوان الحماسة ٣٦/١ (طبعة جامعة الأمام) .

الغرض الأول وهو الحماسة يتضمّن ويشتمل عليه .

أما قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ فقد جعل أبواب الشعر ستة (١) أولها المديح والهجاء ، وبعد أن تكلم عن هذه الأبواب حاول ردها كلها الى هذين الغرضين وقد تابعه أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ فقصر الشعر على أبواب خمسة (٢) جعل في مقدمتها أيضا المديح والهجاء ثم أتبعها الوصف والتشبيب والمراثي وتطرق الى ابتداء النابغة الذبياني للاعتذار فجعله سادس أغراض الشعر وان لم يطرقه كثير من الشعراء .

أما في الأندلس فقد وسع ابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦ هـ الدائرة فجعل موضوعات الشعر تسعة هي النسب . المديح . الافتخار . الرثاء . الاقتضاء . الاستنجاز . العتاب . الوعيد . والانذار . الهجاء . الاعتذار . (٣) وهكذا جعل باب المديح تاليا للنسب والافتخار ثالثا .

وفي العصر الحديث يطالعنا الدكتور " يحيى الجبوري " بتقسيم لأغراض الشعر فيجعلها ستة هي : الغزل ، والحماسة ، والرثاء ، والهجاء ، والوصف ، والحكمة . (٤) ضاربا صفحا عن المدح والفخر ولعله فعل ذلك اقتداءً بأبي تمام الذي رأى - فيما نظن -

(١) أنظر نقد الشعر ٩١ . (مكتبة الكليات الأزهرية) .

(٢) أنظر ديوان المعاني - لأبي هلال العسكري ٩١/١ .

(٣) أنظر العمدة ١١٣/٢ - ١٨٠ . (طبعة دار الجيل بيروت) .

(٤) أنظر الشعر الجاهلي خصائصه وقنونه د. يحيى الجبوري ٢٢٩

- ٤١٢ . (مؤسسة الرسالة ط "ع") .

أنهما يسريان سريانا واضحا في أم أبواب مختاراته ألا وهو غرض
" الحماسة " .

ويحاول الدكتور " شوقي ضيف " أن يزيد على الباحثين
والنقاد القدامى رأى " بروكلمان " المؤرخ الألماني المشهور
للأدب العربي وهو الربط بين الشعر والسحر (١) وجعل التقرب
الى الآلهة في العصور الأولى للانسانية هو مصدر ما انبثق عن
الشعراء من شعر أو ما نطلق عليه " تعويذات " يتقربون بها
الى الآلهة حيناً لترضى عنهم . وهذا هو المصدر الأول للمدح .
أو يخيفون بها أعداءهم وهذا هو المصدر الأول للهجاء والفخر .
ويحاول الدكتور شوقي ضيف الاحتجاج لرأى " بروكلمان " الذى
يعتنقه ويأخذ به بقوله : (٢)

" ويظهر أنه كانت لاتزال في نفوسهم بقية من هذه الصلة
بين الشعر ودعاء الآلهة يدل على ذلك أكبر الدلالة ما جاء
فى القرآن الكريم من كثرة الربط بين الشعر والسحر وتعويذ الكهنة
فقد كانوا يرمون الرسول فى بدء دعوته تارة بأنه شاعر وتارة ثانية
بأنه كاهن وتارة ثالثة بأنه ساحر * وقالوا ان هذا الا سحر
مبين (٣) * ثم يستشهد بعدة آيات أخرى .

أما هذا الذى أورده " بروكلمان " وشايعه عليه دكتور

(١) انظر تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " ٤٤/١ - ٥٥ .
(٢) العصر الجاهلى د . شوقي ضيف ١٩٦ . (دارالمعارف) .
(٣) سورة الصافات / ١٥ .

شوقى ضيف من علاقة بين السحر والشعر وتعويذات الآلهة
 وأنها أصل للشعر فهو كلام مبهم غامض يعوزه الدليل المقنع
 الذى افتقدناه عند " بروكلمان " وشوقى ضيف وهذا ما يراه
 الدكتور نعمان طه فى كتابه (جرير حياته وشعره (١)) وأما
 الزعم بأن الشعر فى الأصل تعويذات للآلهة كان يقدمها الشاعر
 فهو زعم أقرب الى لغة الأساطير التى تستهوى الخيال أكثر مما
 تنفع العقل والواقع الحسى للانسان هذا المخلوق الذى سرى
 فى دمه منذ خلقه الله ميل الى التعبير عما فى النفس تعبيراً
 ساذجاً فى أول عصور الانسانية الأولى ثم أخذ يتدرج ويتطور
 نحو الكمال حتى وصل الى ما وصل اليه - فهو مع أنشائه يشاركه
 فى ذلك أنواع شتى من الطيور والحيوانات - يملأ أذنيها بلغسة
 حلوة معسولة لعلها مقدمة للغريزة النوعية فهذا هو الغزل . ويملاً
 أذنى الفتى من بنى جلدته بلغة جميلة معسولة لكى ينال رقه فهدا
 هو المديح ، وهكذا القول فى بقية أغراض الشعر الغنائى . وهو
 مانراه تفسيراً لهذه الأغراض تفسيراً نابعا من نفس الانسان وحاجته
 إزاء أفراد جنسه الذين يهفو قلبه اليهم ، ويحاول التقرب منهم
 لتحقيق غاية مادية حسية هى فى أبسط صورها بإيجاز شديد
 شهوة البطن والفرج

أما الربط بين الشاعر والساحر فى خيال الجاهليين
 وهو الربط الذى ورد فى آيات من القرآن الكريم (٢) . وحاول

(١) أنظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه ٢١٣ - ٢٢٠ .

(٢) أنظر مادة (سحر) فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

الدكتور " شوقي ضيف " أن يتخذ منه دليلا على رأى " بروكلمان " فى أصل الشعر ومنبعه فلا يجوز فى رأينا أن يتخذ دليلا على ربط الشعر بالتعاونذ وإنما هو دليل على أن قوة تأثير الشعر فى النفوس لا تقل عن تأثير السحر فيها أى أن للشعر تأثيرا فنيا مثل تأثير السحر ولا عجب فى ذلك فقد قال - صلى الله عليه وسلم - أن من البيان لسحرا (١) . وبهذا اعتقد الجاهليون أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ساحر شاعر يسحر الناس بشعره أى بقوة بيانه . ومن هذا ينتقض الاستدلال بآيات الله الكريمة على مارتاه الدكتور شوقي ضيف وحاول به مشايعة " بروكلمان " ومن سار على دربه فى محاولة رد الشعر فى عصور الانسانية الأولى الى مايتصل بالانسانية الجاهلية وآلهتها وطقوسها ومعتقداتها (٢) .

وبعد هذه اللحة السريعة لأقسام الشعر فى كتابات النقاد نعرض للمديح والفخر فى العصر الجاهلى . فحينما نستقرئ غرض المديح فى العصر الجاهلى نجده ينصب على سادات القبائل حينما يجد الشاعر مطلبه ومبتغاه أو يريد الوصول الى كسب مادى يحظى فيه بكرم وفادة أو طيب اقامة .

وقد شرق الشعراء وغربوا قاصدين الملوك والأشراف - يمدحونهم ويشيدون بآثارهم ومواقفهم وانتصاراتهم البطولية ففى

(١) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث حيث يورد الحديث فى البخارى ومسلم وسنن الدارمى ، والترمذى وسنن أبى داود ، والموطأ وأحمد بن حنبل .

(٢) أنظر جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٢١٣ ومابعدها . ٢١٣ ومابعدها .

الحروب وغيرها لينالوا بذلك الغنم الوفير الذى يؤمن لهم حياة كريمة .

ويظهر أن بعض الحكام كانوا يتخذون من الشعراء وسيلة للدعاية لهم وتأييد سياستهم كما فعل الفساسنة الذين كثر حولهم الشعراء يمجدونهم ويشيدون بفضلهم وقوتهم ويكسيونهم هالة من التعظيم فى نفوس الأمم المجاورة والمعاصرة لهم (١) .

ولاشك أن المدح قد نبع استجابة لما يطوى فى النفس البشرية من حب وولع بالاشارة بها وقد عبر عن عذا النابغة أروع تعبير حينما أشاد بالنعمان معتذرا (٢) .

كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرَهُمْ فِي سُكْرِ ذَلِكَ أَذْ نَبُؤُوا
وقد قالت العرب (اللهى تفتح اللها) (٣) ولقد كان غالب المدح فى العصر الجاهلى صادقا فى مضمونه اذ كان أغلب الشعراء آنذاك لا يمدحون الرجال الا بما يرون فيهم من الخصال الحميدة ويلمسون فيهم من شجاعة وكرم يؤيد هذا قول عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى وصفه لزهير : انه لم يكن يمدح الرجل الا بما يكون للرجال . (٤) وفى هذا القول دلالة على المدح الصادق بالاعتقاد الصادق بتمتع الممدوح بالشجاعة أو كمال العقل أو العفة

-
- (١) أنظر العصر الجاهلى د . شوقي ضيف ٢١١ - ٢١٢ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١٧ .
(٣) أنظر اللسان (لها) . وأساس البلاغة للزمخشري مادة (لهو)
(٤) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ٩٥ .

أو السخاء وهى من أبرز صفات الرجال . وقد ظل الشعراء
ينعتون بمدوحهم بهذه الصفات من بداية عصور الشعر العربى
وحتى الآن .

وقد تفنن الشعراء فى مديحهم فامتدحوا الانسان بوصف
خلقه ومعرفته بالأمور وقياسها بمقياسها الصحيح ، ومدحوا
بالحياء ، والسياسة ، والكفاية ، والعلم ، والحلم (١) .

ولقد كان الشاعر فى الجاهلية لسان القبيلة الناطق باسمها
ويرى أن عليه واجبا فى مجتمعه القبلى تجاه سادات قومه وفرسانهم
فأطلق لسانه بالثناء عليهم وامتد هذا الثناء الى غيرهم ممن
يأتون احسانا وتكون لهم فضائل ومكرمات دون النظر الى القبائل
التي ينتسبون اليها حتى أصبح المدح من الأبواب المستقلة فى
الشعر الجاهلى يشيد بفضائل الجاهلية بعيدا الى حد " ما "
عن التكسب والتزلف هدفه اظهار الحب والشكر والاعجاب بالمدوحين
أيا كانوا . (٢)

وبعد زهير بن أبى سلمى ، والنابغة الذبياني ، وأمية
ابن أبى الصلت ، وبشر بن أبى خازم ، وحسان بن ثابت الأنصارى
من أشهر المداحين فى الجاهلية (٣)

(١) المصدر السابق ٩٦ - ١١٣ .

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربى - حنا الفاخورى ٦٠ - ٦١ .

والشعر فى الأدب العربى على ضوء التصور الاسلامى للدكتور

شوقى عبد الحليم حماده ٩٧ . (مكتبة النهضة المصرية) .

(٣) أنظر أدب ما قبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية - محمد عثمان

أما الفخر فى العصر الجاهلى فلم يكن أقل من المديح
 شأنه فهو أحد التيارات التى تسرى فى الحماسة (١) لأن العربى
 بطبعه شجاع مقدام يتطلع دائما الى الفضائل والمثل العليا
 ويتباهى بالخصال الحميدة ، والسجايا النفسية الطيبة ، ويفتخر
 بانتماؤه القبلى ويزهو بأفعاله العظيمة فهو معتد بنفسه مفتخر
 بأصلته ومناقبه ومناقب قومه . لذا كان موضوع فخره مكارم الأخلاق
 وشرف النسب وبيض الفعال (٢) ولم يخرج فى محيط فخره عن ذاته
 وقبيلته وما يتصل بهذه الذات وهذه القبيلة من فروع وأخاذ (٣) .

والعربى ذو نفس أبية يلذ له الحديث عن نفسه وخصاله
 وأفعاله وهو شجاع كريم صاحب مروءة ونجدة يتحلى بصفات كانت
 فى مجملها تشكل روابط متينة تربطه بمجتمعه كالحفاظ على العهد
 وحماية الجار واجارة المستغيث ولذلك كان مدار الفخر فى الجاهلية
 حول الحديث عن النفس وانتماء الشاعر الى القبيلة وتأكيدها هذا
 الانتماء ، ومحاولة الارتفاع بمستوى الشاعر من خلال ارتفاعه بمستوى
 قبيلته والحديث عن طيب المنبت والأصل العريق للشاعر ، وكثرة
 المال ، والولد ، والعدد ، والعدة ، والانتصارات فى الغارات .

ومن العرف المؤكد أن الحديث عن النفس واطراءها
 والتباهى بخصالها وأفعالها يعد من باب الغرور ، وهو مذموم

(١) أنظر الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د . يحيى الجبورى ٣٠٠ -

٣٠١ .

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربى - حنا الفاخورى - ٦٠ - ٦١ .

(٣) أنظر أدب ما قبل الاسلام - محمد عثمان على - ١٠٨ - ١١٢ .

الا فى الشعر فانه مستساغ مقبول . وقد أشار ابن رشيـق الى هذا بقوله : (ليس لأحد من الناس أن يطرى نفسه ويمدحها فى غير منافرة الا أن يكون شاعرا فان ذلك جائز له فى الشعر غير معيب عليه (١)) .

وأصدق الفخر فى الجاهلية مدار حول الفضائل النفسية والخصال الحميدة بعيدا عن الاغراق فى التباهى بالأمر المادية والتعالى بالأحساب والأنساب . وهى أمور كثر الفخر بها فى العصر الجاهلى وربما كانت محمودة حينذاك وهى عمدة الشاعر وعدته فى ذلك العصر ، اذ لم تكن هناك ضوابط للشعر تحد من الاغراق فى ذكر هذه الصفات والتعالى بها على الناس . وهى أمور وضع لها الاسلام ضوابط ومقاييس أوقفت الشعراء عند حدودهم كما سنرى فيما بعد - ان شاء الله - .

وبصفة مجملة نقول : ^{مفهوم} كان ~~كان~~ قصائد الفخر فى الجاهلية حول الشجاعة والبأس ومنع الجارات واجارة المولى ، واطعام الفقراء واکرام الضيف ، وبذل المال وإيثار الآخرين (٢) ، واقتحام حومات الوغى بقوة وبسالة ، وبذل الروح رخيصة فى سبيل الحفاظ على وحدة القبيلة وشرفها وكرامتها وقد افتخروا كذلك بشرب الصبأ .

(١) العمدة - لابن رشيـق ٢٥/١ .

(٢) أنظر الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه د . يحيى الجبورى

وكثير من شعراء الجاهلية كانوا يجمعون بين الفروسية والشاعرية (١) فكان فخرهم ينطلق من أنفـس قـوة لا تهاب الموت ولعل من هؤلاء الشعراء الفرسان حاتما الطائي ، وعنترة العبيسي ، وعمر بن معديكرب ، وعمر بن كلثوم ، والحارث بن حلزة وغيرهم . (٢)

أما المديح والفخر في عصر صدر الاسلام فقد جاء الاسلام والانسانية ترسـف في قيود العبودية والظلم ، والعرب حينئذك يعيشون حياة جاهلية وثنية مادية . فكان عصر النبوة والخلفاء الراشدين قمة شامخة عبر بالعرب من على مشارف جزيرتهم الى العالم حاملين معهم أعظم هدية للبشرية جمعاء ليكونوا رسل هداية ورواد أسلوب متفرد جديد في الحياة التي شعت منها مبادئ النهضة المباركة مضيئة لدروب الحضارة الانسانية فيما بعد ، ولازال العالم بأسره يتفيا ظلالها حتى الآن وكانت هذه النهضة منطلقا لفكر راق وأدب متميز صدره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والنهج الراشدي . ومن الطبيعي أن يحدث القرآن الكريم تغييرا واضحا في الفكر والأدب ، ويضع للثقافة الانسانية منهجا يرتاده من هداه الله للحق وسلمت روحه للايمان بعيدا عن جفوة الجاهلية وغلظتها ، واغراقها في المبادئ التي لاتعرف سوى العرقية والحزبية والنفعية (٣) لينطلق الأدب من قاعدة صلبة ويسير

(١) أنظر الشعر في الأدب العربي على ضوء التصور الاسلامي

للدكتور / شوقي عبد الحليم حمادة ٩٩ .

(٢) أنظر أدب ما قبل الاسلام - محمد عثمان علي - ١٠٨ - ١١٢ .

(٣) أنظر الأدب العربي في الجاهلية والاسلام - عمر رضا كحالة ٨٩

(المطبعة التعاونية دمشق) .

فى عوالم فسيحة ترسم للمجتمع صورة واضحة للحياة والكون فى آفاق الدين الاسلامى .

وحيثما نتحدث عن غرضي المديح والفخر فى عصر صدر الاسلام فانه لابد وأن يكون لهذه الحياة الجديدة أثرها الواضح العميق فى نفوس العرب بعامة وهم الذين أظلمهم هذا الدين والشعراء منهم بصفة خاصة وهم الذين كان لهم شرف الصحبة للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ولخلفائه الراشدين . فقد تشربت نفوس هؤلاء بالايمان الصافى وأصبحت أسنتهم مقيدة عن قول الفحش فكان واجبا على الشاعر المسلم أن يكون ملتزما بمنهج القرآن الكريم لا يتعدى حدوده فى مديحه وفخره : فقد ولى عصر التمدح والفخر بالأحساب والأنساب ليحل محل ذلك التمدح والفخر بالدين الجديد ، والسبق اليه والتصديق برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - والدعوة الى الله وبيان محاسن الاسلام ، واطهار عدالته الاجتماعية فبعد أن كان الشعر الجاهلى ظلا لحياة الصحراء بعكس جفوتها ، محصور الأغراض فى الوقوف على الأطلال ومناجاتها وبكاء الحبيبة الطاعنة ، ووصف الناقة والبعير ، والمها والجياد وفى مدح السادات والعظماء ورؤساء القبائل وفى الفخر بالنفس أو القبيلة والزهو بمعركة كان النصر فيها حليف الشاعر وقبيلته ، وفى تحريض القوم على الأخذ بالتأثر (١) وغيرها من الأمور الدنيوية التى تحركها شهوات النفس وجذوة الجاهلية . أصبح هذا الشعر فى

(١) نظرات فى الشعر الاسلامى والأموى - ظافر القاسمى

٢ . وما بعدها . (دار النفائس) .

ظل الحياة الجديدة وسيلة من وسائل الدعوة الى الله وتبصير
الناس بدينهم الجديد الذى يكفل لهم الحرية والوحدة والمساواة،
وهكذا تجنب الشعراء القيم الجاهلية القديمة واستمسكوا بقيم
اسلامية جديدة فى ظل عدالة سماوية لاتفرق بين أبيض وأسود
أو عربى وأعجمى الا بمقياس واحد هو تقوى الله عز وجل * يا أيها
الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
ان أكرمكم عند الله أتقاكم (١) *

ومن هنا أصبح للشعراء الذين تمكن الاسلام من نفوسهم
منهج واضح فى الشعر بعمامة والمديح والفخر بخاصة . فكان
لشعراء المدينة خط متميز فى نهجهم الشعرى عن شعراء مكة
الذين لما يتمكن الاسلام من نفوسهم بعد حتى تحولوا بعد فتح
مكة ونهجوا نهج شعراء المدينة . وكان من بركات هذا الدين
الحنيف أن تحول الفخر الذى كان بين الأوس والخزرج بسبب
السيادة القبلية والمطالب المادية الى تفاخر اسلامى بينهم وبين
قريش وحلفائها فى سبيل الدين الجديد (٢) . مما أدى الى توسيع
أفق الشعر والسمو بغايته فى ظل الاسلام الذى وقف منه موقفاً
طبيعياً واضحاً مؤيداً للشعر الذى ينسجم مع دعوته وأهدافه
ناهيا عن أى قول يؤدى الى فحش واقتذاع أو تعال بنسب أو حسب
وأصبح المديح لله وللرسول وللأمة الاسلامية كما تحول الفخر من
قبلى جاف الى اسلامى يسمو بالدين الحنيف والانتماء اليه والثأر

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) الأدب العربى فى الجاهلية والاسلام - عمر رضا كحالة ٨٤ .

ومنهم الخلفاء الأربعة كانوا يناون بجانبهم عن سماع المديح وحسبنا محاولة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - منع حسان من انشاد شعره فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وافحام حسان له (١) ولما يراه الصحابة والمسلمون من التناول فى التفاخر من سمات الجاهلية .

وخلاصة القول : أن المديح قد اختط فى هذا العصر منحى دينيا بحثا اذ سجل الشعراء لرسولهم الكريم الصفات التى وصفه بها القرآن الكريم ومدحوا صحابته الأجلاء بالمعاني الاسلامية وقد جاء فى شعرهم ومضات الصدق الفنى نظرا لأنهم يصدرين فيه عن حب وايمان لصاحب الرسالة ولصحابته ، ولعامة المسلمين فلم يكن الغرض ماديا وانما كان احتسابا عند الله وذودا عن حياض الاسلام لا يقصدون من وراءه التكسب ونيل الجوائز انما مشاركة فى الدعوة الى الدين الجديد والذود عنه باللسان والسيف معا . (٢)

ولكن الدكتور شوقى ضيف يرى أن السمات والخصائص الفنية للمديح فى العصر الاسلامى لم تتغير كثيرا عنها فى الجاهلية وأن حسانا وغيره يعدحون الرسول الكريم بالشجاعة والسعة فى الكرم والتصدى للمعتدين ، والوفاء بالعهود لأنما يعدحون ملكا من ملوك الأرض أو سيدا من ساداتها لم تكن له سمة النبوة ، وقد استشهد

(١) أنظر الأغاني ١٤٣/٤ - ١٤٤ . (مصور عن طبعة دار الكتب) .

(٢) أنظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام - د . عبد الله

على رأيه هذا بلامية كعب بن زهير التي نظمها في مدح
الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما جاءه معذرا ومسلما ..
يقول الدكتور شوقي ضيف . (١) (لولا ما جاء في القصيدة من
قوله :

أنبت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيط وتفصيل
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيف الله مسلول^(٢)

لما عرفنا أنها في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم - ولتبادر
الينا أنها في مديح سيد من سادات القبائل ..) .

والحقيقة أن حسان بن ثابت كان ينافح عن الدعوة الإسلامية
بلغته يفهمها المشركون فقد ورد أنه كان يهجو قريشا ثلاثة نفر
من الأنصار يجيبهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله
ابن رواحة فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام
ويعيرانهم بالمثالب ، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم
إليه فكان في ذلك الزمان أشد عليهم قول حسان وأهون شيء عليهم
قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم
قول ابن رواحة . (٣)

وأما مالحظه الدكتور شوقي ضيف على لامية كعب من السمات

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي د . شوقي ضيف ١٦ - ١٧ .

(٢) أنظر هذه القصيدة في جمهرة أشعار العرب ٦٣٢ - ٦٤١ .

(٣) الأغاني ١٦ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

الجاهلية فان كعبا قالها حينما وفد على الرسول مسلما ومعتذرا ولم تتشرب نفسه روح الاسلام وقد هدّب الاسلام فيما بعد من شعره . ومن هنا يمكننا القول بأن الاسلام قد حوّل المديح الى صورة جديدة فى أغلب سماته وخصائصه وأفكاره وموضوعاته . فقد كان شعر المديح قليلا الا أنه يمتاز بصدق اللهجة والابتعاد عن الكذب وهذا فى حد ذاته توجيه اسلامى رائع . وبالجملّة فإن الباحث المصنف لا يستطيع أن يغمض عينيه عما ظهر به المديح فى هذا العصر وقد ارتدى ثوبا تظهر عليه مخايل الجدة اذ ارتسمت عليه ملامح تتلخص فى قلته وصدق معانيه ولهجته وابتعاده عن التكسب والتزلف . وظهرت فيه أفكار لم تكن موجودة قبـل كالمديح بالتقوى والورع والسبق الى الاسلام ، والهجرة وصحبة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والقرب منه ، والجهاد فى سبيل الله والشجاعة ، والكرم والجود وغير ذلك من السجايا النبيلة وقد اختص الشعراء رسولهم بفيض من نتاجهم لا يقصدون من وراءه الا المثوبة من الله وتعميق محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم - ولخلفائه من بعده (١) ورضائهم التام بالدين الجديد الذى ارتضاه الله للبشرية جمعاء (٢) .

(١) أنظر الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام - د . عبد الله الحامد

(٢) لم أورد أمثلة على ما ذكرت لأنها أكثر من أن تحصى هنا ولا يتسع المقام لذكرها فى هذا التمهيد الموجز . ولمن أراد ذلك الرجوع لها فى أبوابها فى كتب الأدب القديمة والحديثة .

أما الفخر في عصر صدر الاسلام فقد تغيرت صورته وكان هذا التغيير طبيعيا بعد أن صقل الاسلام مواهب الشعراء وأمدهم بفيض غزير من القيم الروحية ، والمعاني السامية ، وإن كان شعراء مكة وغيرهم الذين لم يدخلوا في الاسلام قد استمروا في الرضوخ لحق الجاهلية وقد شاب بعض شعر حسان شوب من نزعة جاهلية اقتضاها الوقوف أمام استعلاء قرشي جاهلي مما اضطر بعض شعراء المسلمين الى أن يقابلوه بمثل قولهم حتى يخضدوا شوكتهم .

وبطبيعة الحال فإن الفخر في عصر صدر الاسلام قد تغيرت صورته بالنسبة لشعراء المسلمين تدريجيا في بداية الأمر (١) .

وبالنسبة لجميع الشعراء بعد أن دانت الجزيرة كلها للإسلام . وقد كان الشاعر يتجاوز حدود المعقول في فخره ويغرق في امتداح نفسه وقبيلته صنيع عمرو بن كلثوم الذي صور تغلب قبيلته تخر لها الجبابر ساجدين (٢) . وهكذا كان الفخر دائما يطل برأسه في الجاهلية فجاء الاسلام وقد أطاح برووس الشياطين وكل ما يمت إلى فخر الجاهلية بصلة ورسم للشعراء عوالم كانت بداية لتحول كبير في أغراض الشعر العربي من حيث الموضوعات التي طرقها الشعراء لتستقيم هذه الموضوعات مع القيم الجديدة والأخلاق العالية التي يدعو إليها الاسلام ، فالقرآن قد أمد الشعراء بمادة زاخرة من المعاني والصور الخيالية الابداعية استمدوها فسرت في

(١) كما هو الحال بالنسبة لعبد الله بن رواحة الذي أخذ يفتخر

بالاسلام ويعير قريشا بالكفر من أول وهلة وهذا يدلنا على

تأصل الاسلام وتعمقه في نفسية المسلمين حينذاك .

(٢) في معلقته المشهورة - أنظر شرح المعلقات السبع - للزوزني -

شعر ينطق بالحيوية والعفة والصدق ، واتخذ الفخر فى هذا العصر منحى جديدا ينسجم مع ما تتطلبه الحياة الجديدة وما يدعو اليه الاسلام من مثل عليا وقيم رفيعة فأصبحت أمام الشاعر صور شتى يستمد منها مفاخرة ويتعالى بها . وتمثلت هذه الروافد فى القيم النبيلة التى يدعو اليها كالسبق الى الاسلام والهجرة النبوية المشرفة ، والجهاد فى سبيل الله ومشاركة المسلمين فى حومات الوغى وايواء الأنصار للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللمهاجرين ، والعمل الصالح والتقوى الى غير ذلك من الأمور التى تتفق مع منهج الاسلام الخالد .

الباب الأول

الدّوافع النفسية والاجتماعية
التّأدّت إلى ظهور الفرّضين
عند الشعراء الثلاثة .

وفيه مدخل وثلاثة فصول :

مدخل لدراسة هذه الدّوافع

الفصل الأول : الأخطل

الفصل الثاني : الفرزدق

الفصل الثالث : جرير

• • الباب الأول • •

مدخل

الى دراسة الدوافع النفسية والاجتماعية التى أدت الى ظهور
الغرضين عند الشعراء الثلاثة

يؤكد علماء النفس أن شخصية الفرد تنمو وتتطور داخل
الاطار الاجتماعى والثقافى ، والسياسى الذى يعيش فيه ، ويتفاعل معه
فقد يولد الانسان مزودا بأنواع شتى من الاستعدادات الجسميـة
والعصبية ، والنفسية تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئة
المادية والاجتماعية والثقافية . (١)

والانسان كما يقال ابن بيئته فهى تؤثر فيه سلبا وإيجابا
وتنعكس مفاهيمها عليه فى سلوكه الانسانى ، تغذيه بأفكاره
ومفاهيمها ، ويغذو على ترابها ويستظل بمسائها (٢) .

لذا كان لزاما على الباحث حينما يدرس شخصيـة من
الشخصيات من خلال فنها أن يدرسها من زوايا معينة من أهمها
البيئة التى نشأت فيها هذه الشخصية ، وتغذت بمفاهيمها ، وقيمها
وما اتصل بها من ظروف سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية الى غير
هذا . ولكى يكون البحث مصورا لأبعاد تلك الشخصية
وانعكاسات تصرفاتها على الآخرين ومدى تفاعلها مع الأحداث والوقائع

(١) أنظر علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية د . مصطفى فهمى :

٣٩٥ ، والمدخل الى علم النفس - عبد الله عبد الحى موسى :

٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) أنظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ١٧ .

التي تدور في المجتمع المحيط بها فانه لا بد من القاء الضوء ولو بصورة موجزة على النواحي السياسية والاجتماعية التي تكتنف صاحبها . ولا ريب أن لتلك الأحداث عظيم الأثر في نفسية الشعراء الثلاثة الذين يدور حولهم بحثنا هذا والذين عرفوا بشعراء العصر الأموي .

هذه البيئة السياسية والاجتماعية التي عاش في كنفها هذا المثلث هي بيئة الأمويين الذين حملوا معهم ماضيا عريقا ومجسدا مؤثلا منذ الجاهلية ظهر ذلك كله في منافستهم الشديدة على تبوء الصدارة في المسرح السياسي . (١)

ولذا فانه حينما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم — هاديا ومبشرا لم يكن الأمويون من السابقين اليه ، لأنهم رأوا أنفسهم أحق بالملك والزعامة ظنا منهم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يريد الحكم والسيادة على العرب . اذ لم يفهموا في بادئ الأمر حقيقة هذه الدعوة في سماحتها وعدلها أو أن العناد الجاهلي قد زاد رؤوسهم شموخا . ورأوا كذلك أنه لم يتبعه - صلى الله عليه وسلم - الا الضعفاء وقلة من الناس فلم

(١) كان بنو أمية في الجاهلية أصحاب تجارة وأسفار ومن خلال هذه الأسفار والأموال ازدادوا معرفة بالقبائل في أطراف الجزيرة العربية واكتسبوا شهرة وخبرة ودراية في معاملة الناس . بالاضافة الى مكانتهم وشرفهم في قريش ، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أنكروا أن يكون هذا في بني هاشم ورأوا أنهم أحق بذلك فلم يسلموا حتى عام الفتح .
أنظر الأخطل شاعر بني أمية - للدكتور سيد غازي : ٤٨ .

يدخلوا فى الاسلام الا بعد فتح مكة ، وقد أدرك - صلى الله عليه وسلم - بحكمته وبعد نظره مالهذا البيت من مكانة فى نفوس العرب فأراد أن يعالج الموقف علاجا نفسيا اذ جعل دار زعيمهم أبى سفيان يوم فتح مكة دار أمان لمن دخلها فى قوله المشهور (١) الا أن هذه النزعة الى السيطرة من قبل بنى أمية وتشوقهم الى الحكم قد بدأت تطل برأسها منذ أن تولى سيدنا عثمان - رضى الله عنه - الخلافة بعد استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اذ رأى بنو أمية أن بضاعتهم وهى الحكم قد ردت اليهم بعد أن حرموا من ذلك وتقدمهم غيرهم أيام النبى والراشدين (٢) وأنه صار لزاما عليهم الحفاظ عليها . وقد كان سكوتهم أولا فى خلافة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - حفاظا على وحدة الأمة وعدم الخروج على الجماعة ، ولأن شخصية عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد حسنت الموقف عندما بايع أبا بكر بالخلافة ثم توالى الأحداث وظهرت هذه النزعة قوية عنيفة حينما قرر = على = رضى الله عنه - عزل ولاية عثمان ومنهم معاوية الذى لم يعتل لهذا الأمر وطالب بدم عثمان وشهر أسلحته فى وجه = على بن أبى طالب = كرم الله وجهه - على مدى خمس سنوات كانت الحرب سجالا بينهما ، وانتهت بفوز معاوية بالخلافة وتأسيس

-
- (١) أنظر السيرة النبوية - القسم الثانى (ج ٣ - ج ٤) ٤٠٥ .
 (٢) أنظر جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٤٨ - ٤٩ .
 ودراسات فى نقد الأدب العربى من الجاهلية الى نهاية القرن
 الثالث الهجرى للدكتور - بدوى طيبانه : ٧٦ . (الانجلوالمصرية)

الدولة الأموية سنة (٤٠ هـ) نتيجة لحنكته السياسية وتمرسه فى حكم الشام مدة طويلة ، وتخاذل أعوان " على " وانقسامهم عليه الى طوائف .

ومن هنا بدأ معاوية وخلفاؤه من بعده يوطدون الدولة الأموية ويثبتون أركانها ، ويعملون جاهدين على وحدة الأمة واجتذاب الشعراء والاغداق عليهم للاشادة بسياساتهم وسيروتهم فى الدولة وعراقة نسبهم لعلمهم التام بأنهم أخذوا الخلافة عنوة ثم جعلوها وراثية فيهم ، وأن بعضا من فقهاء المسلمين لا يقرونهم على عملهم هذا (١) .

وقد يشفع لهم نجاحهم فى اتساع رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات وحفاظهم على هذا التراث الضخم الذى خلفه لهم صفوة المجاهدين من الصحابة والتابعين وجموع المسلمين .

وقد أدرك الأمويون خطورة الشعر فأخذوا يسيطرون على العقلية الجماعية للناس بواسطة هؤلاء الشعراء الذين يعدون بمثابة وسائل الاعلام فى عصرنا الحاضر .

وفى وسط هذه الأحداث الهامة فى تاريخ الدولة الإسلامية كان الشعراء الثلاثة يعيشون جوانب الصراع المتلاحقة ويرون بأعينهم تبديدها المؤسف لصفوف المسلمين .

(١) كابن الزبير ، وابن عمر وغيرهما . وقد حيكت تهم كثيرة ضد معاوية - رضى الله عنه - ملئت بها كتب التاريخ ، وأغلب الظن أنها بعيدة عن الصحة ينبغى الاحتياط والتثبت قبل تقبلها .
أنظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د . ابراهيم شعوط : ٢٦٥ ٢٧٦ . (دار الشروق) .

ومن الطبيعي أن يكون لها آثارها النفسية والاجتماعية على
شعراء العصر خاصة جريرا والفرزدق والأخطل . (١)

(١) وهم الذين يعدون ذؤابة الشعر الأموى .

الفصل الأول

الأخطل

* * الفصل الأول * *

+++++

* * الأخطل * *

لم يكن الأخطل (١) فى أول حياته شاعر مديح وفخر على الرغم من أنه سليل شعراء فحول يعدون من رواد الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام . (٢) وربما كان للعوامل النفسية والاجتماعية التى أحاطت به حينذاك أثرها الواضح فى حياته وفى ابتداءه الشعر هجاء اذ لم يكن فى نشأته الأولى من الأسباب والدوافع ما يجعله يتجه الى المديح والفخر فانصرف الى الهجاء يروضه لسانه وينهش به من يعاديه ، وكان فى أول حياته وحيد أمه التى كانت تدله وتلقبه دويلا (٣) وتخفى عليه فيضا من حنانها وحبها حتى اذا توفيت أو طلقت من أبيه وجد نفسه فى يد امرأة غريبة لاترعاه . بمثل ذلك القلب الحنون لأمه (٤) فانقلب الحب والحنان فى حياته الى ذل وحرمان مفتقدا شعور الأم ، ولهفتها ، ورأفتها ، ورأى أنه أصبح منبوذا من الأسرة والقبيلة .

(١) أنظر ترجمة الأخطل فى الكتب التالية (ابن سلام : ٤٦١/١ - ٥٠٢ ، والشعر والشعراء : ٤٨٣/١ - ٤٩٦ ، والأغاني : ٨ / ٢٨٠ - ٣٢٠ ، ونوادر المخطوطات : ٢٩٠ / ٢ ، ٣١٧ ، وتاريخ الاسلام : ٣٣٧/٣ - ٣٣٩ ، ونهاية الأرب : ٢٦/٣ - ٧٧ ، والمؤتلف : ٢١ ، والموشح : ٢١١ - ٢٢٦ ، والاشتقاق : ٣٣٨ ، وخزانة الأدب : ٤٥٩ / ١ ، والأخطل شاعر بنى أمية والأخطل الكبير ، وغيرها من كتب الأدب والتراجم القديمة والحديثة) .

(٢) الأخطل الكبير د . قباوة : ٣٧ .

(٣) الدويل : الحمار الصغير لا يكر أنظر الصحاح (دبل) .

(٤) الأغاني : ٣٠١ / ٨ - ٣٠٢ .

فزوجة أبيه تذيبه مرارة الحرمان وتفضل أبناءها عليه وأبوه ينتهره ويضربه لتعرضه لهجاء الناس (١) ، والقبيلة ترى أنه هجا شاعرها والمقدم فيها " كعب بن جعيل التغلبي (٢) " فلم يبق له حينئذ هدف يقصده بمدح ولا ما يعتز به فيفتخر . ومن هنا كان في أول حياته وقبل اتصاله بالأمويين منطويا على نفسه في أغلب الظن متقبضا عن الناس (٣) ، ولم يعرف اصطناعة المديح والفخر قبل هذا التاريخ . ولعل من المفيد جدا أن ندرس بشيء من التفصيل تلك الأحداث والعلاسات التي هيأت للأخطل أن يصل الى قصر الخلافة ، والتي أثرت في نفسيته حتى قال عنه جرير حينما سأله ابنه عن أشعر الناس في الاسلام فأجابه بأن الفرزدق نعمة الشعر وأن الأخطل يجيد مدح الملوك . فكيف ارتقى هذا الشاعر من حالة النبذ والظلم ليصبح شاعر الملوك (٤) يجيد مدحهم ويفتخر بهم ويضع من قدر أعدائهم ؟

لم تكن المعارك بين بنى أمية والمناوئين لهم مقصورة على استخدام السلاح والنزال في حومة الوغى بل كان للشعر دور في هذه المعارك إذ أصبح سلاحا يستخدمه كل فريق فحميت ناره

- (١) أنظر الأغاني : ٢٨٠/٨ - ٢٨١ .
- (٢) كعب بن جعيل التغلبي - شاعر مغلبي في أول الاسلام أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به وكانا معه ويعد شاعر معاوية وأهل الشام .
- أنظر طبقات فحول الشعراء : ٥٧٢ / ٢ .
- (٣) أنظر الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوي : ١٩ .
- (٤) طبقات فحول الشعراء : ٦٤/١ - ٦٥ .

بين كل من عبد الرحمن بن حسان (١) شاعر الأنصار وعبد الرحمن ابن أم الحكم^(٢) شاعر الأميين في مهاجمة متبادلة تجاوزها عبد الرحمن ابن حسان - كما تشير الروايات - الى التشبيب بابنة معاوية^(٣) فأثار بذلك حفيظة يزيد ليطلب من كعب بن جعيل هجاء الأنصار والرد على شاعرهم ولكنه امتنع ودله على الأخطل الذي تصدى لهم بالهجاء - قبحه الله - قائلا : (٤)

ذهبت قريش بالسماحة والندى واللوم تحت عمام الأنصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بنى النجار

وقد أثارت هذه القصيدة غضب الأنصار ونقمة الناس على الأخطل وبخاصة أن هذا الشاعر النصراني قد تبجح بهذا الهجاء تحت حماية ابن الخليفة يسدده الى الأنصار ذوى المكانة المرموقة والتاريخ المشرق لدى جميع المسلمين . وعلى الرغم من قلة أبيات هذه القصيدة فإنها فجرت الحقد الدفين في نفسية هذا الشاعر وأضرابه من النصارى ليزرع الفرقة والتناحر في صفوف المسلمين في محاولة منه لتفتيت وحدتهم وإثارة العصبية الجاهلية التي كاد أن يدفنها الاسلام ويقضى عليها بين القبائل ، وهى سابقة ماكان لشاعر مهما

-
- (١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى شاعر ابن شاعر كان مقيما في المدينة وتوفى فيها وفي تاريخ وفاته خلاف والراجح أنه توفى سنة ١٠٤ هـ / أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٦٤/٥ - ٦٥ .
- (٢) انظر ترجمة عبد الرحمن بن أم الحكم في الأعلام : ٣٥٥/٣ .
- (٣) ان صحت هذه الروايات .
- (٤) طبقات فحول الشعراء : ٤٦٣/١ ، والأغاني : ١٠٩/١٥ -

أوتى من قوة البيان وبذاءة اللسان أن يجرؤ على الولج فيها
لمغبة مخاطرها وما يتمتع به الأنصار من فضل وكرم ، وقد استشاط
النعمان بن بشير زعيم الأنصار غضبا فدخل على معاوية حاسرا
عمامته قائلا له قولته المشهورة :

" أترى لؤما يامعاوية ؟ فقال معاوية : لا ، بل أرى كرما
وخيرا . ماذا ؟ قال : زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمامتنا
قال : أوفعل ؟ قال : نعم . قال : ما حاجتك فيه ؟ قال :
لسانه . قال : ذاك لك (١) " وكان هذا الخبر بمثابة الصاعقة
على الأخطل فلجأ الى يزيد طالبا منه الحماية والنجدة فحملاه
ومنعه عنه الحكم بطريقة أو بأخرى . (٢)

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٦٣/١ ، والأغانى : ١٠٨/١٥ .

(٢) قيل فى سبب طلب يزيد من كعب بن جعيل هجاء الأنصار كى
ينتصر لعبد الرحمن بن الحكم وكان عبد الرحمن بن حسان قد هجاه
وقيل انه ثار لما شب ابن حسان بأخته أو عمته . وقيل ان
معاوية هو الذى طلب من كعب هجاء الأنصار وأنه رفض ودله
على الأخطل فتكون حيلة مدبرة من معاوية وابنه غير أن هذا
بعيد اذ بقى الأخطل مكروها من معاوية ولم نظفر بقصيدة
واحدة فى ديوانه يمدح بها معاوية اذا استثنينا بعض الأبيات
المتفرقات حينما يمدح أحد أبنائه . ولعل عدول معاوية عن
تنفيذ حكمه ضد الأخطل حاجة بنى أمية الى لسان هذا الشاعر
فى هذه الحقبة من الزمن . أما كعب بن جعيل فيعد شريكا
للأخطل فالدال على الشر كفاعله .

أنظر الأغانى : ١١٩/١٥ ، وأدب السياسة فى العصر الأموى
أحمد الحوفى : ٢٥٦ .

والهجاء والهجاءون د . محمد محمد حسين : ٢٨ .

عندئذ أخذ يدبج المدائح لبني أمية وولاتهم ينافح عن حكمهم ، ويظهر فضلهم للناس وأحقيتهم وأهليتهم للخلافة .

ولاشك في أن هذا ما يريده بنو أمية من الشعراء إذ أصبح الشعر السياسى أقوى ضروب الشعر صوتا فى عهدهم وسياسة يتبعونها لتثبيت ملكهم واكسابهم مزيدا من التعظيم والتمجيد (١) . وكان معاوية أسبق الخلفاء الى انتهاج هذه السياسة عندما أراد أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد إذ لم يجد بدا من اتخاذ الشعراء سلاحا لانجاح هذه الخطوة (٢) ، فأخذ يقربهم ، ويغدق عليهم مما جعلهم يتزاحمون على قصور بني أمية وولاتهم حتى أصبح لهم فى كل مصر شعرا (٣) ، وكان الأخطل من الشعراء المقربين من بـسـلاط الخلفاء على الرغم من أنه لم يكن شاعرا سياسيا يجيد غرضى المديح والفخر فى أول حياته . كما أنه لم يكن هو الساعى من تلقاء نفسه الى بني أمية لأنه لم يكن يتصور وصوله فى يوم من الأيام الى قصور الخلفاء ، بل يرى ذلك بعيدا بالنسبة له . إذ هو المنبوذ من قبل أسرته وقبيلته نتيجة لتصرفه المشين معهم ، وهو لم يصل الى المكانة المرضية لدى قبيلته فضلا عن الخلفاء كما أن نصرانيته تقف حاجزا قويا لا يمكنه من الوصول الى هدفه

(١) أنظر أدب السياسة فى العصر الأموى - د . أحمد الحوفى

: ٢٥٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٥٧ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٨ .

بسهولة . (١)

ولذلك فان الفرصة قد واثته وعليه أن يحسن استغلالها
عندما طلبه يزيد لهجاء الأنصار فلم يتردد ولم يطلب من يزيد
سوى الحماية مما يترتب عليه بعد فعلته الشنيعة . ولا يهمه بعد
ذلك أيا من الناس يهجو وأيا يسلط عليهم لسانه البذئ فهو طوع
الأمير الذي أدخله التاريخ من أوسع أبوابه ، ولقد كانت هذه الحادثة
من أقوى العوامل النفسية والاجتماعية لاتجاه الأخطل الى المديح
والفخر (٢).

فمن شاعر هجاء مغمور في ربوع تغلب النصرانية في أرض
الجزيرة الفراتية الى شاعر بلاط مدو صوته يظهر على المسرح
السياسي وتذيع شهرته في الآفاق فأخذ يجوبها قاصدا بني أمية
وولاتهم يمدحهم ويمجدهم ، ويفخر بقبيلته وبوقفته معهم مستغلا
بذلك تعاطف الخلفاء والولاة معه ليهجو أعداء قبيلته وبين أنهم
أعداء للخلافة كذلك ، ويفتخر بتغلب في حضرة الخليفة أو والي
كلما سنحت له الفرصة فلا تكاد توجد له قصيدة في مدح خليفة
أو وال الا ويعرض فيها بأعداء قبيلته وخاصة القيسيين ويفخر بتغلب
وكانه بذلك يذكر الخليفة بعظم ما قدمه لـ

(١) بقيت تغلب على نصرانيتها بعد فتح الجزيرة ، ولم يسلم من
أبنائها الا عدد يسير فبقيت نصرانية الأخطل رادعا له ففى
كثير من الحالات عما يريد .

أنظر دائرة المعارف الاسلامية : ٣٢٨/٥ - ٣٢٩ .

(٢) أنظر هذه الحادثة مفصلة في طبقات فحول الشعراء : ٤٦١/١ -

التغلبين (١) . وهذه الظاهرة تدلنا دلالة واضحة على المعاناة النفسية التي كان يعانيها الشاعر لما حدث لقبيلته من محن وانتكاسات ووقوفها على الرغم من ذلك كله صامدة في وجه الأعداء مؤيدة للخلافة ومن هنا استطاع الأخطل اجتياز الحدود الضيقة حدود الفردية والقبيلة ليجد مكانه بين وجهاء المجتمع لأنه يدرك تماما مكانته المهزوزة لدى الناس وضعف موقفه منذ تجرأ على هجاء الأنصار واغضب المسلمين فلا بد له من تدعيم هذه المكانة المهزوزة عله يظفر باحترام فريق من الناس وتقدير المجتمع فاتجه الى مديح الخلفاء والولاة مفاخرا بقبيلته تغلب ، وقد نال مبتغاه فأصبح سيدا ورجلا ملهما يتكفل بالديات واصلاح ذات البين ويتحمل الحملات ليحقق الدماء^(١) ، وأصبحت كلمته مسموعة لدى العلامة والخاصة نتيجة لافساح الخلفاء والولاة له في مجالسهم ، واتخاذهم شاعر بلاط وقد وطد العزم على أن ينأى عن الفقر الذي صلى به ردحا من الزمن وكان يفتن الى بعده عن رقة جرير وعدم استطاعته اللحاق به في رقة غزله ولا يستطيع تقمص كبرياء الفرزدق والا صارت يداه صفرا من المال الذي هو عصب الحياة اذن فلن يجد طلبته من رفد مادي ومعنوي الا في مديح الملوك ولا مانع من أن يفتخر بقبيلته ضمنا في هذا المديح ومن هنا يمحو تلك الاستكانة التي حاولت أن تجربها في عروقه امرأة أبيه وأخيرا طمع في أن يرفع من شأن قبيلته تغلب النصرانية التي تعيش في بحر متلاطم يسيطر عليه المسلمون سيطرة

(١) انظر : الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوي : ٤٥ .

(٢) انظر الأخطل الكبير - د . فخر الدين قباوة : ٢٢٠ - ٢٢١ .

تامة ، ويهجو أعداءها من منطلق قوى فلا غرابة اذن أن يجسود
مديحه وفخره ويقف الى جانب الأمويين داعية لسياستهم ورافعا
من شأنهم ، ولم يذهب هذا هدرا لديهم بل كافأوه اذ رفعوه
مكنا عليا لم يصل اليه شاعر مسلم ولم ينافسه عليه أحد طوال
حياته فيما نعلم -

واذا عرفنا هذا فلا غرابة في أن نرى عبد الملك بن مروان
يفضله على جرير ويأبى أن يستمع الى مدحة جرير الحائية (١) في
أول الأمر بل يبقى منصتا للأخطل حتى اذا ما انتهى من مدحته
قال عبد الملك : (ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق
أنك أشعر العرب (٢)) وإذا قد عرفنا هذا أيضا فلا غرابة في
أن يرى أغلب النقاد أن الأخطل يجيد مديح الملوك وهذا ماسنراه
عند حديثنا عن الملامح الموضوعية لغرضي المديح والفخر عند الشعراء
الثلاثة في باب لاحق - ان شاء الله - .

(١) ونعني بمدحة جرير حائيته المشهورة التي يقول فيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُونِ رَاحٍ

أما قصيدة الأخطل التي شغلت عبد الملك عن الاستماع الى
جرير فهي رائيته المشهورة والتي مطلعها :

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَّاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ

(٢) الأغاني : ٦٦/٨ - ٦٧ ، ٢٨٧ - ٢٨٨ شعر الأخطل : ١٩٢/١

وديوان جرير : ٨٧/١ .

الفصل الثاني

الفكر زدق

” الفصل الثانى ”

+++++

” الفرزدق ”

لقد كان للظروف النفسية والاجتماعية التى اكتنفت هذا الشاعر^(١) منذ نعومة أظفاره أثرها الواضح فى شخصيته فنشأ معتزاً بنفسه مياهاً بطيب منبته وكريم نسبه ووقف مفاخرها بنفسه وأسرته وفيلته - وحق له ذلك - فهو من قبيلة عريقة وأسرة لا تقل عنها عراقية فقبيلته تميم احدى قبائل مضر الكبرى (٢) ، وهى قوية صخمة تعتد

(١) وأسمه همام بن غالب بن صعصعة بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيدمنا ابن تميم بن مر بن طابخة .

ويرجح الدكتور شاكراً الفحام أنه ولد فى خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى حدود سنة (٢٠ هـ) وكانت وفاته سنة (١١٤ هـ) وترجمته فى الكتب التالية : (طبقات فحول الشعراء : ٢٨٩/١ - ٢٧٤ ، والشعر والشعراء : ٤٧١/١ - ٤٨٢ ، والمؤتلف : ٢٥٠ ، ونوادير المخطوطات : ١٧٠/٢ ، ١٨٢ ، ٢٩٠ ، ٣٥٦ ، والموشح : ١٥٦ - ١٨٦ ، ومعجم الشعراء : ٤٦٥ - ٤٦٨ ، والسمط : ٤٤/١ ، والاشتقاق : ٢٣٩/١ - ٢٤٠ ، والأغاني : ٢٧٦/٢١ - ٤٠٤ ، وأمالى المرتضى : ٥٨/١ - ٦٩ ، وابن خلكان : ٢/ ١٩٦ - ٢٠١ ، والياقنى : ٢٣٨/١ - ٢٤٢ ، والمعاهد : ١/ ٤٣ - ٤٥ ، والخزانة : ١١٧/١ - ٢٢٣ ، وانظر الفرزدق - د . شاكراً الفحام ، وغيرها من الكتب القديمة والحديثة فى الأدب والتراجم .)

(٢) جاء الاسلام وتميم تحتل دياراً كثيرة وتخالط بقاعاً عدة / أنظر معجم ما استعجم : ٩٠/١ ، ٣١٢ ، وصفة جزيرة العرب : ٢٨١ ، ومادة (تميم) فى دائرة المعارف الاسلامية .

بكرتها وقوتها يوم أن كانت لغة القوة هي المسيطرة والفيصل قبل بزوغ شمس الاسلام وظهور النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت هذه القبيلة ببطونها وكثرتها في العدد والعدة وتوالى حروبها وغاراتها من أقوى قبائل العرب وأشدها علواً ومفاخرة ، وقد أتاح لها مجدها وشرفها أن تحوز مكارم جمّة حتى أنهم حينما يوازنون بين قبائل مضر يجعلون تميمًا في مقدمتها وعليها تعتمد . (١)

وأما أسرته الدنيا فهي ترجع الى دارم وهي أسرة عريقة حلت من تميم ذؤابتها وتبوات سنام مجدها وإليها انتهى شرفها (٢) . ويعد بيت عبد الله بن دارم وأخيه مجاشع أحد بيوت أربعة انتهى إليها شرف الجاهلية ومجدها فكثرت فيهما الأشراف والسادات أصحاب المآثر والمكارم ، والأجواد الذين لا يطاؤون جوداً ، وكان منهم قائد تميم وجرارها " زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم " وبقيت القيادة والقضاء فيهم حتى انتهت الى غالب والد الفرزدق وخاله الأقرع بن حابس المجاشعي وهو آخر من قضى منهم بعكاظ في الجاهلية حتى جاء الاسلام . (٣) وما زاد الفرزدق شرفاً وفخراً يتناول به على الملوك والأشراف أنه لا يوجد بينه وبين عدنان أب مجهول وقد أشار الى هذا بقوله (٤) :

كَمْ فَيَّ مِنْ مَلِكٍ أَغَرَّ وَسُوقَةٍ حَكَمَ بِأُرْدِيَةِ الْمَكَارِمِ مُحْتَبَى
وَلِذَا عَدَدَتَ وَجَدْتَنِي لِنَجِيَّةٍ غَرَاءَ قَدْ أَدَّتْ لِفَحْلٍ مُنْجِبِ

(١) انظر الاصابة : ٤٣١/٣ ، والعقد الفريد : ٣٣٢/٣

(٢) انظر الفرزدق للدكتور شاکر الفحام : ١٠٩ .

(٣) الأغاني : ١٢٨/١٩ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٣٥/١ .

ونشأ الفرزدق سليل هذا المجد التليد يتجاذبه من كل مكان .
فجده لأبيه صعصعة بن ناجية المجاشعي اشتهر برجاحة عقله وسعة
خلقه فهو الذي افتدى المؤودات في الجاهلية فقد ورد أنه ما
سمع بمؤودة إلا افتداها حتى جاء الاسلام وقد فدى مائة وقيل
أربعمائة (١) .

فسبق بذلك الى عمل خير لم يشاركه أحد فيه من أشـراف
العرب في الجاهلية . وقد أصهر الى حابس المجاشعي (٢) مما
أمد الشاعر بكثير من معاني الفخر والسمو ، ووفد على الرسول - صلى
الله عليه وسلم - وقص عليه كيفية افتدائه المؤودات وقد أسلم وحسن
ورسخ الاسلام في أعماقه فلم يكن أحد من عرب البادية الأشـراف
أحسن منه ديناً وقد حاز شرف مجاشع في الجاهلية والاسلام . (٣)

أما جده لأمه فهو قرظة الضبيّ من بني ضبة ، وهو من
سادات قومه ، وكثيراً ما فاخر الفرزدق بأخواله . وأنه أخذ الشعر
من قبلهم (٤) .

وأما أبوه فهو غالب بن صعصعة من أجود الناس وأكرمهم
وأشرفهم . (٥) وقد عاش الفرزدق في أسرة متماسكة مترابطة قوامها
الحب والاحترام بين أفرادها ، وشيبتها الكرم والوفاء وحب المعالي
فنعم مع أخيه وأخته برعاية أبيهم وتأثروا بخلقـه الحسن وفضائله

(١) النقااض : ٢٦٤-٢٦٥ ، ٤٣٨ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

(٢) أنظر الفرزدق - د . شاكـر الفحام : ١١٠ .

(٣) الأغاني : ٣٩٦/٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٧٩/٢١ - ٢٨١ .

(٥) المصدر السابق : ٢٨١/٢١ - ٢٨٢ .

المثلى وبأهوا به وأحلوه من أنفسهم المقام الأسمى . (١)
وانعكست تلك الحياة المترابطة التى عاشها على نفسيته
فكان فخره ومديحه صدى واضحا لتطلعاته الساقية الى العلا والمجد
منطلقا من بيئة اجتماعية راسخة الجذور ممتدة الى أعماق التاريخ
المشرق ففاخر ومدح ، وكان يتمتع بتراث شعري عظيم يغذيه مجد
لم تتوافر مقوماته لشاعر آخر ولغة فصيحة فلم يتكسب بمديحه (٢) ولم
يتصنع فى فخره فجاءت كلماته جزلة ومعينة بليغة . وقد أتاحست
هذه المكارم وهذا التاريخ للفرزدق مجالا رحبا فى الابداع الفنى
والاعتزاز بالنفس والنسب الرفيع حتى ليقول مخاطبا الخليفة سليمان
ابن عبد الملك : (أنا من قوم منهم أوفى العرب وأسود العرب
وأجود العرب ، وأحلم العرب وأفرس العرب وأشعر العرب (٣) .)
والفرزدق وان بدأ الشعر هجاء إلا أن هذا الهجاء كان ممزوجا
بالفخر بنفسه والتباهى بمكانته المرموقة التى جعلت منه سيدا فى
قومه يجير ويغيث ويتحمل الحملات وينفق بلا حساب مقتديا بأبيه
غالب الذى كان ذا باع طويل فى الكرم والسخاء . وكان الفرزدق

(١) معجم الشعراء : ٤٨٦ .

(٢) لم يتكسب الفرزدق فى بداية الأمر بمديحه لأنه كان فى غنى
ووفرة إلا أنه فى أواخر حياته قد ألحف بالسؤال ، ولعل هذا
كان نتيجة لكبر سنه وفراغ يده من المال ، لكن غرر مدائحه
لم يتكسب فيها البتة بخلاف الأخطل وجريز اللذين ما انفكا
يلحقان بالسؤال فى كل مدائحهما .

(٣) العقد الفريد : ٥٤/٢ - ٥٥ .

يفخر بأبيه الملوك ويتعالى عليهم حتى جعل قبره مستغاثا يلاذ به
لينهض الشاعر للنجدة والغاثة . (١) وقضاء الحاجات .

وكان الفرزدق والمجد صنوان يتوق الى بلوغ المعالى فى
قومه ، وقد قاده طموحه وكبرياؤه الى مفاخرة الملوك ففاخر معاوية
وطلب منه رد ميراث الحتات . (٢) قائلا :

أبوك وعمى يامعاوى أورثا تراثا فيحتاز التراث أقاربـه
وقد أثارت هذه القصيدة وغيرها زياد بن أبيه والى العراق آنذاك
فجد فى طلب الفرزدق لتأديبه غير أن الشاعر لم يمكن من نفسه
اذ بدأ حياة التنقل والهرب سنة ٥٠ هـ . ولم يكن يعيل لبنى
أمية ولا يودهم ، فهو غير محتاج لعطائهم ، ومكانته فى نظـمـه
تضاهيهم علوا ورفعة فهو سيد جواد فاضل وجيه عند الناس ، وهو
ضالع فى هواه مع بنى هاشم يمدح أحياءهم ويؤين موتاهم ، ويهجو
بنى أمية وأمرأهم ، كمعاوية بن أبى سفيان وهشام بن عبد الملك
وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف ، وابن هبيرة وخالد القسـمـرى
وغيرهم (٣)

وقد عاش الفرزدق فى المدينة فارا من البصرة فنعم بما فيها

(١) أنظر ديوان الفرزدق : ٨٥/١ - ٨٦ .

(٢) كان قد وفد على معاوية وفد من تميم فيهم الحتات بن يزيد
المجاشعى الذى مات فى وفادته ، وكان معاوية قد أمر له بمال
فحبسه بعد موته مما دعا الفرزدق الى مفاخرة معاوية وطلب منه
رد الميراث وقد فعل معاوية .

(٣) انظر : أمالى المرتضى : ٦٧/١ - ٦٨ .

(٤) أنظر معجم الشعراء : ٤٨٧ ، والفرزدق - محمود حقى : ٣٣

من دعة العيش ، والجمال الحسى والمعنوى ، فراقته الحياة هناك
 مما جعله بعد ذلك يكرر الرحلة اليها . وخلال هذه الفترة من
 الزمن التى ظل فيها الشاعر مشردا نجده لا يمدح الا اعترافا
 بجميل وشكرا على فعل حسن وهذا فعل الشعراء السادة الكبار
 أمثال امرئ القيس وغيره والفرزدق يرى أنه أسى من التردد على
 أبواب السلطان ولذلك نجده لا يتقرب من بنى أمية ولا يخطب
 ودهم لأنه ليس فى حاجة الى عطائهم حتى ولو أدى به الأمر الى
 التشرد والاعتراب . (١)

وحينما استتب الأمر لهم ، واستقرت الأوضاع رأينا الفرزدق لا
 ينبى متهاقنا على أبوابهم لكنه على الأقل يمسك عن هجائهم ثم
 يمدح بعض خلفائهم بقصائد معدودة . وخصوصا سليمان بن
 عبد الملك الذى كانت تربط الفرزدق به علاقة حسنة .

وبهذا عاش الفرزدق فى جو مفعم بالعلا والمحامد والفخار
 كل هذا زاده شعورا بشخصيته الطاغية التى تصعب على التهافت
 أمام مديح الملوك واستجدائهم حتى فى أحلك الظروف (٢) لأن
 نفسه تواقة الى العلا ولأن بيئته الاجتماعية قد أمدته بفيض غزير
 من الأنفة واحترام الذات . فهو شريف وابن شريف ، ويجب أن
 يبقى كذلك . كل هذه العوامل قد أثرت فى نفسيته وجعلت منه
 شاعر فخر ومديح يعد بهما قمة شامخة فى سماء الشعر العربى
 لأن الروافد الاجتماعية التى ورثها حددت له المسار الصحيح

(١) انظر : الفرزدق د . شاعر الفحام : ١٢٤ .

(٢) انظر أمالى المرتضى : ١/٥٨-٦٣ .

الفصل الثالث

حریر

" " الفصل الثالث " "

+++++

* * جرير * *

لم تكن البيئة الاجتماعية والدوافع النفسية التي أدت إلى ظهور المديح والفخر عند جرير (١) كذلك التي نشأ فيها الفرزدق والأخطل وإن كان جرير والفرزدق ينحدران من قبيلة تميم الكبرى التي يشرف الانتماء إليها (٢) إلا أن جريرا ينتسب في " ينسى كليب " وهي أسرته الدنيا مما أفقده الثقة في تبوء مكانة سامية في يربوع التي تتفرع منها " بنو كليب " (٣) فضلا عن تميم التميمي

(١) وأسمه : جرير بن عطية بن الخطفي بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

ويرجح الدكتور " نعمان طه " أن تكون ولادته بين سنتي (٣٠-٣٣هـ) وأن وفاته كانت سنة (١١٤هـ) ، وترجمته في الكتب التالية :

(ابن سلام : ٣٧٤/١ - ٤٥١ ، والشعر والشعراء : ٤٦٤/١ - ٤٧٠ ، والأغاني : ٨/١ - ٨٩ ، ونوادر المخطوطات : ٢١ - ٢٩٠ ، والمؤتلف : ٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب : ٧١٢ - ٧١٩ ، والموشح : ١٨٧ - ٢١٠ ، وابن حزم : ٢٢٥ - ٢٢٦ ، واليانعي : ٢٣٤/١ ، وابن العماد : ١٤٠/١ - ١٤١ ، والعيني : ٩١/١ - ٩٢ ، والخزائن : ٧٥/١ - ٧٧ .

وجرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه وغيرها من كتب الأدب ، والتراجم القديمة والحديثة .

(٢) انظر : البداية والنهاية - لابن كثير : ٦٠/٩ .

(٣) انظر معجم الشعراء : ٧١ .

تنضوى تحتها يربوع ويطونها .

ومن هنا أصبح الشاعر يحس ضعة قبيلته التي لم يرد لها اسم فى الجاهلية اذ لم يذكر النسابون والمؤرخون لكليب هذه مواقع تذكر غير يوم (جدود (١)) بين بكر وبنى ربيع فلم تهب كليب لنجدة بنى ربيع وقد استنجدوا بهم فكان هذا التخاذل من أسرة الشاعر سببا فى الخزى والعار لبنى يربوع . (٢) .

ومن أجل هذه الضعة كان جرير يستمد رافده القوى فى الفخر من انتسابه فى النهاية الى تميم ، وقد تجلى هذا واضحا فى هجائه للرأعى النميرى (٣) وفخره عليه بقوله :

إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

(١) انظر أخبار هذا اليوم فى أيام العرب فى الجاهلية - تأليف

محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره : ١٧٨ - ١٨٣ .

(٢) أنظر النقائص (طبعة الصاوى م : ٣٢/٢ - ٣٣ .

(٣) وهو عبید بن حصین بن معاوية من بنى نعيم ويكنى أبا جندل ، عاصر الفرزدق وجرير والأخطل وعده ابن سلام فى طبقتهم الأولى من الاسلاميين ، هجاء جرير لأنه مال مع الفرزدق ، وسمى الراعى لأنه كان يصف راعى الابل فى شعره . ومن جيل شعرة قوله :

كَأَنَّ الْعُيُونَ الْمَرْسَلَاتِ عَشِيَةً شَأْبِيبُ دُمُعٍ لَمْ تَجِدْ مُتَرَدِّدَا
مَزَايِدُ خَرَقَاءِ الْيَدَيْنِ مَسِيفَةً أَخْبَتْ بِهِنَّ الْمَخْلَفَانِ وَأَخْفَدَا

انظر ابن سلام فى طبقاته : ٥٠٢/١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤١٥/١ ، وكتاب الراعى النميرى - عصره حياته شعرة للدكتور محمد نبيه مجاب .

الآن أسرة جرير بقيت مغمورة لم يظهر فيها فوارس يذكرون ،
ولا أماجد يقصدون ، يهيد هذا مارواه بعض المؤرخين : (أنه
حينما نزل الحطيئة في بني كليب رهط جرير قالت له ابنته : تركت
الثروة والعدد ونزلت في بني كليب بعير الكباش (١) .

هذا هو رأى ابنة الحطيئة في قوم جرير ، فما هو رأى جرير
نفسه كشاعر يتوق الى الظهور والشهرة ؟ وما هو رأى الشعراء
الآخرين كذلك ؟ وماذا بقى لجرير من الشرف في هذه الأسرة ؟
فجده حذيفة بخيلا وقع في أسر الهذيل التغلبي في يوم (ارباب)^(٢)
وبقى في الأسر حتى استوهبه عمرو بن عقفان اليربوعي من خاله
الهذيل فوهبه له (٣) .

وأبوه عطية كان رجلا مضعوفا (٤) وضعفا ، ويبدو أن عطية
قد ورث البخل عن أبيه حذيفة فقد أورد صاحب الأغاني قصة طريفة
تدل على شدة بخل الرجل (٥) ، ولم يكن لجرير أخوال يعتز بهم

(١) الكامل في التاريخ : ٣٣٦/١ .

(٢) أخبار هذا اليوم في كتاب جرير حياته وشعره للدكتور نعمان
طه : ٩٥ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ٧٨ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٦٤/١ .

(٥) وتتلخص هذه القصة في أن رجلا قال لجرير : من أشعر الناس
قال جرير : قم حتى أعرفك الجواب ، ثم جاء به الى أبيه عطية
وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وأخذ يمص ضرعها ، فصاح به جرير
قائلا : أخرج يا أبت ، فخرج شيخ دسم الخلقة واللبن يسيل على
لحيته . فقال جرير : ألا ترى هذا الرجل انه أبى كان =

اذ ترجع خثولته فى كليب نفسها كما ترجع اليها خثولة أبيه .
 ان جريرا وقد نشأ فى هذه الأسرة الهابطة الوضيعة وقد
 تفتقت فيه روح الشعر لايجد أمامه وهو يريد أن يشق طريقه الى
 العلا إلا منحنى واحدا وهو أن يجند نفسه بطلا يدافع عن قبيلته
 الدنيا كليب ويسمو بها عن طريق شعره ، وأن يجعل لها مزايا ،
 وسمات لم تكن لها فى الأصل ليفخر بها ويمدح من يشاء وهو فى
 الحقيقة يسير فى طريق صعب وشاق لا يرتاده إلا الواثق من نفسه
 المتمكن من فنه . وهو وإن لم يفخر بكليب علانية لكن ظهوره فيها
 يعد كسبا لها ورفعة لشأنها (١) ولقد ساعده على ارتياد هذا
 الطريق والتمكن فى المديح والفخر عدة عوامل نفسية واجتماعية :
 فحياته الأولى بدوية يلفها الغموض ولكنه نشأ فقيرا راعيا
 شأنه فى ذلك شأن أبناء البادية الذين امتزجت حياتهم بحياة
 الصحراء والحيوان . تربى هذا الشاعر فى هذا المناخ يبرى
 نطاح الكباش ورماح الحمير ونزاء التيوس (٢) يتمم فى خلوتهم ،
 ويناجى نفسه فى الصحراء وراء العاشية لاشأن له بالناس حتى اذا
 ماتعرض بنو الخطفى لهجاء "غسان السليطى" أخذته الحمية ، وانبرى
 يذود عنهم ويدافع عن أعراضهم ولما يتجاوز الحادية عشرة من

= يشرب من ضرع العنز مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه
 لبن ثم قال للرجل : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا ثلثين
 شاعرا فغلبهم جميعا . أنظر الأغانى : ٤٩/٨ .

(١) من تاريخ الأدب العربى - طه حسين : ٦٥٣/١ .

(٢) نوايح الفكر العربى جرير - محمد ابراهيم جمعة : ٢٨ .

(١) . عمره بعد

ومن هنا بدأ قول الشعر هجاء كصاحبه ، وبدأ التحامه بالشعراء ولم يكد هذا الصبي يفصح عن قول الشعر حتى وجد أسرته كلها شعراء أباه وجده ثم جاء هو وأبنائه وأحفاده فأصبح بيته من بيوت الشعر فى الاسلام . (٢) ولكن مافائدة الهجاء لهذا الشاعر الفقير طالما أنه لايرفع من شأنه ولا من شأن قبيلته ولا يدربحاً عليه خصوصاً وأن الشعراء أصبحوا يتهافتون على أبواب الخلفاء والأمراء والولاة يمدحونهم ويحضون بأعطياتهم . عندئذ أدرك جرير أنه لا طائل مادياً ولا معنوياً من قول الهجاء ، وأصبح يزداد شعوراً بعظم رسالته تجاه رهطه مدركاً أن الشعر شعور ووجدان والتزام قوى فى خدمة ذاته ومجتمعه أمام الشعراء الذين ينهشونه من كل جانب وهو يراهم يظفرون بالجوائز من الخلفاء وينعمون بالعطايا والهبات فما عليه إلا أن يشق طريقه نحو الشهرة وأن يجيد فنّ المديح بالمقام الأول ، والفخر تالياً للقضاء على روح الفقر والنفس اللذنين يكتنفان حياته ، ويتقرب من الخلفاء ومدحهم لينال أعطياتهم الوفيرة . (٣) وبخاصة بعد أن استقر الأمر لبنى أمية ، وهدأت الأمور فأخذوا يجزلون العطايا للشعراء ويجذبونهم الى بلاطهم ولعلـه

(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ١٢٧ ، ١٥٢ .

(٢) العمدة لابن رشيق : ٢٣٦/٢ .

(٣) ولذلك رأيناه ينبرى فى أول مدحة قالها فى عبد الملك بسن مروان أول من اتصل به من البيت المروانى بالسؤال والطلب

بهذا يرفع من شأن رهطه المغموين لأن ظهوره فيهم غنية لهم
- لو كانوا يعلمون - لينتشلهم من هاوية الضياع الى مسـرح
الحياة الكريمة .

ومن هنا نستطيع أن نقول : ان الدوافع النفسية والاجتماعية
التي دفعت جريرا الى المديح والفخر - وان كان مديحه أكثر
من فخره - عوامل ذات شقين .

دوافع معنوية : وهى شعوره بالنقص نتيجة لضعة أصله وقصور
نسبه عن الأشراف ودماة خلقه وقصره ومابه من غنة ، وضعف بنيته
نتيجة لولادته ولما يكتمل بعد اذ ولدته أمه لسبعة أشهر (١) ، كل
هذه الأمور ولدت عنده الشعور بالنقص فكان لابد ازاء هذا من
التمكن عند الخلفاء والأمراء والولاة بالمدح والتعالى بالفخر حتى ولو
كان مصطنعا ليرفع من روحه المعنوية ويتمكن عند عامة الناس وخاصتهم
ودوافع مادية حسية وتتخلص فى الأوصاف التى ذكرنا آنفـسا
ومايعانيه الشاعر من الفقر والفاقة ومحاولة القضاء على هذا الفقر
الذى لازمه طويلا وبالتالى الرفع من شأن تلك الأسرة الخاملة
" كليب " (٢)

= الصريح :

أَغْنِنِي يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي بِسَبِّ مَنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَا حِ

ديوان جرير : ٨٩/١ .

(١) الأغاني : ٥٠/٨ .

(٢) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ١١٤ .

ونتيجة لهذه الأمور مجتمعة أخذ الشاعر يجود فنه تجويدا

فجاءت عباراته قوية ومعانيه عميقة حتى قال عنه خصمه الفرزدق :

(... قاتله الله فما أحسن ناحيته وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجراء قارحا ، وقد قال بيتا لأن أكون قلته أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس (١) .)

وهكذا صمم جرير على تغيير حياته ليصبح من الشعراء

المعدودين فسلست معانيه ، وتمكن من ناصية اللغة حتى اكتمل عوده ، عندها أخذ يفد على الخلفاء مع شعراء عصره مادحا ولا يتردد في التكسب بشعره مظهرا حاجته لأن رغبته في الثراء والتخلص من قيود الفقر الذى رزح تحته فترة من الزمن كان ذلك من أقسى الدوافع التى أذكت قريحة المديح عنده ودفعته الى الوقوف بأبواب السّارة وسؤالهم العطاء .

ومن هنا كان مديحه صدى لما فى نفسه من تطلعات الى

أفق الحياة الرحب ليجد نفسه وقد سد فاقته وتداعت له العطايا والهبات وودع حياة الفقر والبؤس الى غير رجعة .

أما فخره فانه لم يقصد اليه قصدا ، وإنما ساقه الى ذلك

(١) الأغاني : ١١/٨

يقصد الفرزدق قول جرير فى معرض هجائه للراعى النميرى وفخره

بتسم :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا =

ملرآه من فخر الفرزدق واغراقه في هذا الغرض فجاراه في ذلك
ليطامن من كبريائه (١) وقد طور هذا الفخر تلك النقائص التي
كانت سجلا حافلا لنتاج الشعراء الثلاثة في ذلك العصر .

(١) وقد قال جرير نفسه : (والله لولا ما شغلني من هذه الكلاب
لشبيت تشبيها تحن منه العجوز الى شبابها حين الجمال الى
عطنه .) . العقد الفريد : ٢٢/٧ .
(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٣٥٧ .

الباب الثاني

دراسة تاريخية موضوعية
للمديح والفخر عند الشعراء الثلاثة
وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الغرضان لدى الأخطل

الفصل الثاني: الغرضان لدى الفرزدق

الفصل الثالث: الغرضان لدى جرير

الفصل الأول

الغرضاء
لدى
الأخطل

" الفصل الأول "

+++++

* * الغرضان لدى الأخطل * *

=====

ونبدأ هنا بالمديح فعلى الرغم من أن اتصال الأخطل بالأمويين بدأ في خلافة معاوية - رضى الله عنه - الا أننا لم نجد له شيئا يذكر في مديحه باستثناء بعض الأبيات المتفرقات التى قد تأتى في أثناء مديحه لأبنائه أو مارواه أبو حاتم السجستاني عن العتبى للأخطل في معاوية (١)

تَسْمُو الْعَيْنُ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ مَعْطَى الْمَهَابَةِ نَافِعٌ ضَرَّارٍ
وَتَرَى عَلَيْهِ إِذَا الْعَيْنُ لَمَحَتْهُ سِيمَا الْحَلِيمِ وَهَيْبَةِ الْجَبَّارِ

ويبدو أن تطاول الأخطل في هجاء الأنصار قد أغضب "معاوية" فهدد بقطع لسانه مما جعله يتحاشى العثول بين يديه مادحا ، فمكث بعيدا عن مجلسه مكفيا بمجالسة يزيد الذى وجد عنده بغيته فمدحه كأول شخصية من بنى أسية بأربع قصائد (٢) تمثل فترة زمنية في حياة الأخطل كان فيها متأرجحا بين الخوف والرجاء وكانت بداية لشعر المديح عند الأخطل .

(١) العقد الفريد : ٣٨/١ .

(٢) بالاضافة الى مقطوعة وبيتين مفردين حفظها لنا ديوانه فى

مديح يزيد . انظر شعر الأخطل: ١/١٦٦، ٢٩٢، ٢٠٢، ٣٠٢، ٩٣ .

وانظر مطالع هذه القصائد فى الجدول الملحق رقم (٢) .

قصيدته (الطللان) لانجد نصيب المديح فيها الا خافتا قليلا لايتعدى ثلاثة أبيات فقد أنشدها تحت ظروف متقلبة وغير مستقرة فجاءت معانيها محصورة في شفاعه يزيد له ولم يخرج فسى هذه المدحة عن موضوع هذه الشفاعه . (١)

فَلَوْلَا يَزِيدُ ابْنُ الْإِمَامِ أَصَابَنِي قَوَارِعُ (٢) يَجْنِيهَا عَلَى لِسَانِي
وَلَمْ يَأْتِنِي فِي الصَّحْفِ إِلَّا نَذِيرُكُمْ وَلَوْ شِئْتُمْ أَرْسَلْتُمْ بِأَمَانِي
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِي نَصِيبِينَ طَائِعًا وَلَا السَّجْنَ حَتَّى يَمْضِيَ الْحَرَمَانِ

ولايتناول في هذه القصيدة حادثة الأنصار ، وانما يكفى بالاشارة الى هذه القوارع التي يجنيها عليه لسانه مضمنا جريمته هـذه الأبيات .

أما في قصيدته الأخرى الرائية (دمنة الدار) فاننا نجده يمدح بنى حرب بعامة وقد أجمع الرواة على أنه قالها في مديح يزيد وان كنا لانجد له اسما فيها بل يركز على مديح بنى حرب وما " يزيد " الا واحد منهم . (٣)

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا أَضْحَى بِعَمَّةٍ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ
وَبِالْهَدْيِ إِذَا اخْمَرْتُ مَذَارِعَهَا فِي يَوْمِ نَسْكَ وَتَشْرِيقِ وَتَنْحَارِ

(١) شعر الأخطل : ٢٩٨/١ .

(٢) قوارع : جمع قارعة وهى النازلة الشديدة . اللسان : (قرع) نصيبين : يفتح النون وكسر الصاد والباء - موضع في الشام .

(٣) شعر الأخطل : ١٧١/١ .

وَمَا بَزَمَزَمَ مِنْ شُمُطٍ مُحَلَّقَةٍ وَمَا بِيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ (١) وَأَبْكَارٍ
لَأَلْجَأْتَنِي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجَلًّا وَمَوْلَتَنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارٍ
الْمُنْعِمُونَ بَنِي حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ بِي الْمَنِيَّةُ وَاسْتَبْطَأَتْ أَنْصَارِي
بِهِمْ تَكْشَفُ عَنْ أَحْيَائِهَا ظُلَمٌ حَتَّى تَرْفَعَ عَنْ سَمْعٍ وَأَبْصَارٍ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَا زَرَهُمْ عَنِ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

ولا تخرج أفكار هذه القصيدة وموضوعها عن تصوير حاله وقد
أحدثت به المصيبة وتخلى عنه أنصاره فتملكه الخوف ، لكن بنى حرب
تداركوه وأنقذوه مما حل به ، وقد ألحف فى هذا المدح بالقسم
وأغرق فى إيراد الألفاظ الدينية كمكة ، والمدينة ، والحجب ، والأستار
والنسك ، والهدى ، وزمزم . ليتخذها وسيلة الى قلوب المسلمين
فتكون شفيعة له عند آل حرب ، وكبيرهم معاوية الخليفة فيؤمنه
ويغيثوه ، وإلا فلماذا يذكر هذه المقدسات مع أنه لا يعتقد بها ؟ .

ولا يزال هول الوعيد يلاحق الشاعر فى هذه الحقبة من الزمن
فيقول فى قصيدته الدالية (فاصعدا) مادحا يزيد (٢) :

وَإِنِّي غَدَاةَ اسْتَعْبَرْتُ أُمَّ مَالِكٍ لَرَأِي مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَتَهَدَّأَ
وَلَوْلَا يَزِيدُ ابْنُ الْمُلُوكِ وَسَيِّئُهُ تَجَلَّلَتْ حِدْبَارًا مِنَ الشَّرِّ أَنْكَدَا
وَكَمْ أَنْقَذْتَنِي مِنْ جُرُورِ حِيَالِكُمْ وَخَرَسَاءَ لَوْ يُرْمَى بِهَا الْفِيلُ عَرْدَا

فهو يتخذ من ضعف نفسه وقلة حيلته وسيلة للشناء على مددحه الذى

(١) العون : جمع عوان - المرأة التى كان لها زوج وقيل هى الشيب .

أنظر اللسان (عون) .

(٢) شعر الأخطل : ٣٠٥/١ .

تداركه قبل أن يهلك ويستطرد في العديح قائلا : (١)

وَدَافَعْتُ عَنِّي يَوْمَ جَلَّقَ غَمْرَةٌ وَهَمًّا يُنْسِنِي السَّلَافَ الْمُهَوَّدَا
وَبَاتَ نَجِيًّا فِي دِمَشْقَ لَحِيَةٍ إِذَا عَصَّ لَمْ يَنْمِ السَّلِيمُ وَأَقْصَدَا
يُخَفِّتُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى مِنَ الْوَجْهِ إِقْبَالَ أَلَحٍّ وَأَجْهَدَا

فيحشد في هذه الأبيات كثيرا من الألفاظ ذات الدلالة الحسنية من الحدبار الى الفيل الى البئر الى الحية التي ان لدغت لسم يبرا لديغها وفي هذه الألفاظ من المعنى ما يهول عظم المصيبة التي أحاطت به مؤكدا هذا المعنى من خلال قوله في نفس المدوح : (٢)

أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتُ عَنِّي عَظِيمَةً وَأَذْرَكْتُ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
وَأَطْفَأْتُ عَنِّي نَارَ نَعْمَانٍ بَعْدَمَا أَغْدَّ لَأَمْرٍ عَاجِزٍ وَتَجَسَّرَدَا
وَلَمَّا رَأَى النُّعْمَانُ دُونِي ابْنَ حُرَّةٍ طَوَى الْكُتْحَ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْنِي وَعُودَا

وقبل أن يهنيء مدوحه بولاية العهد يمتدح معاوية بالقوة فلا تزعمه الأحداث فهو أصلب قريش عودا وأكثرهم عفة ووفاء ، وأشدهم عزما وحزما في كل الأمور ، ولعله أراد بهذه التوطئة أن يبين أن الخليفة لا يقدم على عمل إلا بعد تدبر وروية وأن اختياره " يزيد "

(١) شعر الأخطل : ٣٠٦/١ .

(٢) جلق : بكسر الجيم وتشديد اللام وكسرهما اسم موضع بالشام وكانت

احدى منازل أمراء الفساسنة من بني جفنة .

انظر دائرة المعارف الاسلامية (جلق) .

(٣) شعر الأخطل : ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

لولاية العهد لم يكن أمرا مرتجلا ليرد بذلك على من رفضوا البيعة

ليزيد بولاية العهد فيقول : (١)

وَمَا وَجَدْتُ فِيهَا قُرَيْشٌ لِأُمْرِهَا أَعَفَّ وَأَوْفَى مِنْ أَيْبِكَ وَأَمَجُّدَا
وَأَصْلَبُ عُوْدًا حِينَ ضَاقَتْ أُمُورُهَا وَهَمَّتْ مَعْدُ أَنْ تَخِيْمَ وَتَحْمُودَا
وَأَفْرَى بِزُنْدِيهِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ غَدَاةَ اخْتِلَافِ الْأَمْرِ أَكْمَى وَأَصْلَدَا

ثم ينتقل الى تهنئة يزيد بولاية العهد فيقول : (٢)

فَأَصْبَحْتَ مَوْلَاهَا مِنَ النَّاسِ بَعْدَهُ وَأُخْرَى قُرَيْشٍ أَنْ يَهَابَ وَيُحْمَدَا

ويرد ف بالقسم ليؤكد فضل يزيد : (٣)

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى يَدَ الدَّهْرِ سَيِّئُهُ غَدَاةَ السَّيَالَى (٤) مَا أَسَاغَ وَزَوَّدَا

ولقد كان لعمل يزيد الكبير تجاه الشاعر من شفاعته فيه أثر كبير فلا تخلو قصائد المدح التي خصه بها من ذكر هذه الشفاعة والمبالغة في شكره مبينا عظيم جميله وأنه لن ينساه أبد الدهر الى أن يموت ويدعو له : (٥)

أَمَّا يَزِيدُ فَانْتَى لَسْتُ نَاسِيَهُ حَتَّى يُغَيِّبَنِي فِي الرَّمْسِ مَلْحُودُ
جَزَاكَ رَبُّكَ عَنْ مُسْتَفْرِدٍ وَحِدٍ نَفَاهُ عَنْ أَهْلِهِ جُرْمٌ وَتَشْرِيدُ
مُسْتَشْرِفٍ قَدْ رَمَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَأَنَّهُ مِنْ سَمُومِ الصَّيْفِ سَفُودُ

وفى هذه الأبيات يصور ضعفه الشخصي وسوء حاله حينما

(١) شعر الأخطل : ٣٠٨/١ .

(٢) شعر الأخطل : ٣٠٩/١ (٣) شعر الأخطل : ٣١١/١ .

(٤) السّيالي : اسم موضع . وقد ورد البيت برواية أخرى هي : =

صدر أمر الخليفة بقطع لسانه اذ أصبح وحيدا بعيدا عن أهله بسبب جرمه فقد رماه الناس كلهم بأبصارهم فأصبح منبوذا بينهم ويكرر اعترافه بجميل يزيد فيقول : (١)

قَمَا يَزَالُ جَدَا نِعْمَاكَ يَمْطُرُنِي وَلِنْ نَأَيْتَ وَسَيِّئَ مَنَّاكَ مَرْفُودُ

ويعد الكرم والأمان من أهم الصفات التي نعت بها الأخطل مدوحه في هذه الفترة لأنها كانت فترة ابتلاء له بقطع لسانه فلجأ الى يزيد بمدحه ويطلب منه الحماية والأمان . ويركز على التشبيه الاستطرادي (٢) ليقارن بين الفرات في فيضانه وكرم مدوحه (٣)

وَمَا زِيدٌ يَعْلُو جَزَائِرَ حَامِرٍ	يَشْقُ إِلَيْهَا خَيْرَانَا وَفَرَقَدَا
تَحَرَّزَ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةِ بَعْدَمَا	كَسَا سَوْرَهَا الْأَعْلَى غَنَاءَ مُنْضَدَا
يَقْمَصُ بِالْمَلَّاحِ حَتَّى يَشْفَهُ الْ	حِدَارُ وَإِنْ كَانَ الْمُشِيحُ الْمُعْوَدَا
يَمْطُرِدِ الْآذَى جَوْنٍ كَأَنَّمَا	زَفَا بِالْقَرَاقِيرِ النَّعَامِ الْمُطَرَّدَا
كَانَ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حَجَرَاتِهِ	أَبَارِقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ لَصْرَخَدَا (٤)
بِأَجُودَ سَيِّبًا مِنْ يَزِيدٍ إِذَا غَدَتْ	بِهِ بُخْتُهُ يَحْمِلُنْ مُلْكًا وَسُودَدَا

وتتكرر هذه الصورة عنده في مديحه لعبد الله بن معاوية (٥)

الذي يمتدحه الأخطل بالشجاعة والاقادام والكرم فيشبهه بالبازي الذي

(٣) فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى مَدَى الدَّهْرِ سَيِّئِهِ غَدَاةَ اللَّيَالِي مَا أَسَاغَ وَزَوَّدَا

شعر الأخطل : ٩٧/١ .

(١) شعر الأخطل : ٩٨/١ .

(٢) أي الذي يجعل فيه المشبه به صورة مكونة من عناصر عدة .

(٣) شعر الأخطل : ٣١٠/١ - ٣١١ . (٤) دياف وصرخدا : اسم لقريتين

(٥) شعر الأخطل : ٤٤٣/٢ - ٤٤٤ .

ينقض على سائر الطيور فيتركها خاشعة لا تتحرك . (١)

بَارَ تَظَلُّ عِتَاقُ الطَّيْرِ خَاشِعَةً مِنْهُ وَتَمْتَصِعُ الْكِرْوَانُ (٢) وَاللَّبَدُ
وَلَوْ يُجْمَعُ رَفْدُ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَمْ يَرْفِدِ النَّاسُ إِلَّا دُونَ مَا رَفَدُوا
قَالِ الْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تَفْتَقَدُ

وهكذا فان عطايا الناس كلهم لو جمعت لم تواز عطايا بنى أمية
وان سلامة الممدوح هي التي ترفرف ظلالتها على المسلمين ولو
أودى لهلكوا .

ولقد كان لبعض الولاة في عهد آل حرب نصيب من مدائح
الأخطل اذ امتدح عباد بن زياد وأخاه سلما كلا بقصيدة
واحدة (٣) فيقول في مدح عباد : (٤)

إِلَيْكَ أَبَا حَرْبٍ تَدَا فَعَنَ بَعْدَ مَا وَصَلْنَا لَشَمْسٍ مَطْلِعًا بِغُرُوبِ
إِلَى مُسْتَقَلٍّ بِالنَّوَائِبِ وَأَصِلِ الْ قَرَابَةَ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ وَهُوَ بِ
وَمَا أَرْضُ عِبَادٍ إِذَا مَا هَبَّتْهَا بِحُزْنٍ وَلَا أَعْطَانَهَا بِجُدُوبِ
رَبِيعٍ لِهَيْلَاكِ الْحِجَازِ إِذَا ارْتَمَتْ رِيَّاحُ الثُّرَيَّا مِنْ صَبَا وَجَنُوبِ
وَطَارَتْ بِأَكْنَافِ السُّيُوتِ وَحَارَدَتْ عَنِ الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ كُلِّ حُلُوبِ
إِلَيْهِ أَشَارَ النََّاظِرُونَ كَأَنَّهُ هَلَالٌ بَدَأَ مِنْ قُتْمَةٍ وَعُيُوبِ

(١) شعر الأخطل : ٤٤١/٢ ، ٤٤٨٠ .

(٢) الكروان : طائر أغبر بعظم الدجاجة الا أنه أسبط وأطول عنقا وأطول

رجلين ، وجمعه " كروان " أنظر الانصاح في فقه اللغة : ٨٨١/٢ .

(٣) انظر مطالع هذه القصائد في الجدول رقم (٢) الملحق بالبحث .

(٤) شعر الأخطل : ٢٦٣/١ - ٢٦٥ .

وَلَوْلَا أَبُو حَرْبٍ وَفَضْلُ نَوَالِهِ عَلَيْنَا أَذَانَا دَهْرُنَا بِحُطُوبِ
حَبَانِي بِطَرْفِ أَعْوَجِيٍّ وَقَيْنَةٍ مِنَ الْبُرْبُرِيَّاتِ الْحَسَانِ لَعُوبِ
وَحَمَالٍ أَثْقَالٍ وَفَرَاخٍ غَمْرَةٍ وَغَيْثٍ لِمَجْلُومِ السَّوَامِ حَرِيبِ
كَرِيمٍ مُنَاخِ الصَّيْفِ لَاعَاتِمِ الْقَرَى وَلَا عِنْدَ أَطْرَافِ الْقَنَا بِهَيْبِ
كَثِيرٍ بِكَفَيْهِ النَّدَى حِينَ يُعْتَرَى عَشِيَّةً لَا جَافٍ وَلَا يَغْضُوبِ
عُرُوفٍ لِحَقِّ السَّائِلِينَ كَأَنَّهُ بِعَقْرِ الْمَتَالِي طَالِبٌ بِذَنْبِ

ففى هذه القصيدة نجد تراحما كبيرا بين الأفكار فالممدوح متفرد بحمل النوائب الثقال عن الناس وهو كريم تفيض يداه جودا ، وأرضه ليست غليظة ولا وعرة ومنازلها ليست مقفرة خالية ولكنها تفيض جودا فهو غيث وربيع للمعدمين الذين يرزحون تحت وطأة رياح الثريا تلك التى تنذر بالمحل والفقر ويصف بمدوحه بأنه كريم معطاء اذا اشتد الشتاء فزلزل جوانب السيوت وانقطع لبن الناقاة الحلوب فاذا اشتد البرد وضافت الحال عندئذ تجد الناس ينظرون اليه كأنه هلال ظهر بعد ظلام شديد كانوا يتخبطون فيه فلولاه لعضهم الدهر بنوائبه . وقد اتخذ من صيغ المبالغة وسيلة لتعظيم هذا الممدوح والزيادة فى ايضاح الصورة الفنية فيرى أنه حمال أثقال فَرَاخٍ للشدائد كثير بكفيه الندى فير هبوب لحرب ولا يرى غضوبا اذا ما استحثّ للندى ، وهو عروف لحق السائلين ثم يختم صيغ المبالغة الخمسة بصورة لطيفة حين يجعله أشبه فى جنونه واندفاعه فى عقر المتالى بطالب ثار .

ويقول فى مدح سلم (١) :

(١) شعر الأخطل : ٦٠٥/٢ .

نَفْسِي فِدَاءُ أَبِي حَرْبٍ غَدَاةَ غَدَا
مُخَالِطُ الْجِنَّ أَوْ مُسْتَوْحِشٌ فَسْرِقُ
عَلَى مَذْكُورَةٍ تَرْمِي الْفُرُوجَ بِهَا
غَوْلُ النَّجَاءِ إِذَا مَا اسْتَعْجَلَ الْعَنْقُ

فهو يفدى مدوحه بنفسه وهو قد جد في السير اليه فقد بات يهيم
في الفياقى مخالطا للجن من هموم أثقلته فخافها وسيبثها فور وصوله
الى المدوح ويستمر في مقطع طويل يصور فيه حالته وحالة راحلته
في هذه الرحلة المضنية حتى ألقى عصا الترحال ، ثم يقول : انه
بعد هذا السير كله لا يخاف نصبا لأن وجهته انسان لا يلجأ
المستغيث به الى غيره . (١)

إِلَى أَمْرِي لَا تَخْطَاةَ الرِّفَاقُ وَلَا
جَدْبِ الْخَوَانِ إِذَا مَا اسْتَبْطِئَ الْمَرْقُ
صَلْبُ الْحَيَازِيمِ لَا هَذَرِ الْكَلَامِ إِذَا
هَزَّ الْقَنَاءَ وَلَا مُسْتَعْجِلُ رَهْقُ
وَأَنْتَ يَا ابْنَ زِيَادٍ عِنْدَنَا حَسَنٌ
مَنْكَ الْمَلَاءُ وَأَنْتَ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ
وَأَلْمُسْتَقِلُّ بِأَمْرٍ لَا يَقُومُ لَهُ
غَسٌّ مِنَ الْقَوْمِ رِعْدِيدٌ وَلَا فَسْرِقُ (٢)
وَأَنْتَ خَيْرُ ابْنِ أُخْتٍ يُسْتَطَافُ بِهِ
إِذَا تَزَعَزَعَ قَوْقُ الْفَيْلِقِ الْخَرِقُ
مَوْطَأُ الْبَيْتِ مَحْمُودٌ شَمَائِلُهُ
عِنْدَ الْحَمَالَةِ لَا كَزُّ وَلَا وَهْقُ

فالمدوح هنا مقصد المحتاجين لأنه كريم خوانه ليس بجذب صلب
الصدر قوى القلب كناية عن شجاعته لا يخلط كلامه بساقط ، مستقل
بأمره يضبط الأمور بنفسه ليس ضعيفا في عقله أو رأيه ولا خائفا
فزعا وهو خير من يدير الأمور بحزم وفطنة عندما يتزعزع الأمر ويخفق

(١) شعر الأخطل : ٦١٠ / ٢ - ٦١١
(٢) المستقل بالأمر : الذى يستبد به . والغس : الرخو الضعيف فى عقله ورأيه .
والفرق : الخائف الشديد الفزع .

قائد الجيش وتضطرب الرايات وكذلك فهو ليس بسئ الخلق ولايخيل
اذ هو كريم ذو شمائل محمودة يتحمل الحملات ويلبى طلب أصحاب
الحاجات .

هذه أهم القصائد التى خص بها الأخطل بنى حرب وعالمهم
وهى نابعة من صلته الوثيقة بهم غير أنه عندما تنازل معاوية بن
يزيد عن الخلافة واشتعلت نار الفتنة وعت الأمصار الاسلامية لم
يستطع الشاعر وقتئذ أن يتخطى الجزيرة الفراتية الى الشام فأثر
الاقامة فى ربوع تغلب (١) ريثما تستقر الأمور .

وعندما تولى عبد الملك بن مروان (٢) الخلافة وقضى على
الفتن انبرى الأخطل ثانية يجدد عهوده لبنى أمية فمدح عبد الملك
بثلاث قصائد (٣) كان صوت السياسة ظاهرا واضحا فيها فاذا ما
استعرضنا مثلا رائيته (آخر الدهر) وجدناها مزيجا من الغزل
والهجاء ، والوصف ، والفخر بينما نجد نصيب المديح التقليدى فيها
قليل جدا تغلب عليه صفة الالحاح فى طلب العطاء الكثير ، ويستغل
حادثة الصلح مع قيس فيركز عليها ليكشف نوايا القيسيين أمام

(١) انظر الأخطل شاعر بنى أمية - د . سيد غازى : ٨٧ .

(٢) عبد الملك بن مروان بن الحكم تولى الخلافة سنة (٥٦هـ) بعد
موت أبيه مروان . وكان عبد الملك من أعظم الخلفاء ودهاتهم

فقيها واسع العلم أديبا ناقدًا توفي سنة (٦٨هـ) .

انظر ابن الأثير : ١٩٨/٤ ، والطبرى : ٥٦/٨ ، وميزان الاعتدال :
٦٦٤/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٤٦/٤ ، وغيرها من كتب التراجم
والتاريخ والأدب . (٣) انظر مطالع هذه القصائد فى الجدول رقم

(٢) الملحق بهذا البحث .

الخليفة . (١)

أَعْنَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِلٍ وَحَسَنَ عَطَاءٍ لَيْسَ بِالرَّيْثِ النَّزِيرِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا بِنَا إِلَى صَلَاحٍ قَيْسٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ مِنْ فَقْرٍ
فَإِنَّكَ قَيْسُ يَا ابْنَ مَرْوَانَ بَايَعْتُ فَقَدْ وَهَلَتْ (٢) قَيْسُ إِلَيْكَ مِنَ الذُّعْرِ
عَلَى غَيْرِ إِسْلَامٍ وَلَا عَنْ بَصِيرَةٍ وَلَكِنَّهُمْ سَيَقُوا إِلَيْكَ عَلَى صُغْرِ (٣)

وهذه الأبيات تتضمن مدحا غير مباشر يكمن فى خضوع قيس
للأمويين أدلاء . ومن هنا غلبت الصبغة السياسية على هذه
الأبيات كما نرى فى بيانه لنوايا القيسية وأنهم لم يبايعوا عن اختيار
بل دفعوا الى ذلك دفعا ثم يعود لذكر الخليفة بما أظهره
التغلبين من بطولات فى ركاب الأمويين . (٤)

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسِيرُهَا (٥) تَخَبُّ الْمَطَايَا بِالْعَرَانِينَ مِنْ بَكْرِ
بِرَأْسِ امْرِئٍ (٦) دَلَّى سُلَيْمًا وَمَا مَرَا وَأُورِدَ قَيْسًا لَحْزِيًّا حَدْبٍ غَمْرٍ
فَأَشْرَيْنَ خَمْسًا ثُمَّ أَصْبَحَ غُدْوَةً يُخَبِّرُنَ أَخْبَارًا أَلَذَّ مِنَ الْخَمْرِ

(١) شعر الأخطل : ١٨٩/١ .

(٢) وَهَلَتْ : أى نزعت اليك عن خوف .

(٣) يريد أنهم لم يبايعوا عن عقيدة وإيمان وهداية لكنهم دفعوا الى ذلك دفعا وسيقوا اليه صاغرين .

(٤) شعر الأخطل : ١٩٠/١ - ١٩١ .

(٥) نَسِيرُهَا : أى نسوقها أى أنهم يسوقون الى الخليفة رؤساء بكر
وأسيادها أسارى .(٦) هو عمير بن الحباب بن جعدة السلمى رأس القيسية فى العراق وقد
قتله بنو تغلب .

وكما نلاحظ فان شخصية الخليفة بقيت متوارية وراء هذا التيار
السياسى الذى يسرى فى أبياته وبالتالى فانه يمكننا أن نقول ان
فن المديح فى هذه القصيدة جاء سياسيا أكثر منه شخصا بينما
تعاضد فخره وهجاؤه . (١)

ولكن عبد الملك يبدو أكثر ظهورا فى القصيدة الثانية وهى
بائيتة التى يقول فيها : (٢)

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَّلْتُهَا	عَلَى الطَّائِرِ السِّمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
إِلَى مُؤْمِنٍ تَجَلَّوْا صَفِيحَةً وَجْهَهُ	بَلَابِلٍ تَغْشَى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ
مُنَاجِ ذَوَى الْحَاجَاتِ يَسْتَمْطِرُونَهُ	عَطَاءَ كَرِيمٍ مِنْ أَسَارَى وَمِنْ نَهَبِ (٣)
تَرَى الْحَلَقَ الْمَازِيَّ تَجْرَى فُضُولُهُ	عَلَى مُسْتَحْفِ بِالنَّوَائِبِ وَالْحَرْبِ
أَخُوهَا إِذَا شَالَتْ عَضُوضًا سَمَالَهَا	عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذُلُولٍ وَمِنْ صَعْبِ (٤)
إِمَامٌ سَمَا بِالْخَيْلِ حَتَّى تَقْلَقَلَتْ	قَلَائِدُ فِى أَعْنَاقٍ مُعْلَمَةٍ حُدْبِ (٥)

وقد ابتدأ المدح مخاطبا الخليفة وبينما أنه ساق مطاياها الى
فنائها الواسع لأن فيه الخير ويمتدحه بحسن الايمان والعطاء من
الغنائم لذوى الحاجات الذين ينتجعون داره وكان هذا العطاء

(١) انظر الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوى : ١٠٦ .

(٢) شعر الأخطل : ٤٣/١ - ٤٤ .

(٣) النَّهَبُ : الغنيمة .

(٤) الْعَضُوضُ : الشديدة .

(٥) الْحُدْبُ : جمع حدباء وهى الدابة التى بدت عظام رأس وركبها

من الهزال . (اللسان / حدب) .

مطر لأنه من كريم ويصفه بالشجاعة وأنه مستقل بالحرب وقادر عليها
إذا دارت رحاها أدارها مشبها هيجان الحرب بشولان الناقة حين
تنهيا للضراب فهو يركب الحرب على كل حال من حالاتها وهذا
منتهى الشجاعة ويصفه كذلك بالامامة وأنه من كثرة حروبه ومدأومته
عليها قد أتعب خيله فأصابها الهزال حتى تقلقت القلائد ففى
أعناقها ، ويستمر فى تصوير هذه الخيل ليصل من خلال هذا التصوير
الى امتداح عبد الملك بالكر والفر فيقول : (١)

شَوَاحِصُ بِالْأَبْصَارِ مِنْ كُلِّ مَقَرَبٍ أَعْدَّ لِهَيْجَانِ أَوْ مُوَافَقَةِ الرُّكْبِ
سَوَاهِمَ قَدْ عَاوَدَنَ كُلَّ عَظِيمَةٍ مُجَلَّلَةَ الْأَشْطَانِ طَيِّبَةَ الْكَسْبِ
يُعَانِدُنَ عَنْ صُلْبِ الطَّرِيقِ مِنَ الْوَجَا وَهَنَّ عَلَى الْعِلَاتِ يَرْدِينَ كَالنُّكْبِ (٢)
إِذَا كَلَّفُوهُنَّ التَّنَائِي لَمْ يَكْزَلْ غَرَابٌ عَلَى عَوَجَاءٍ مِنْهُنَّ أَوْ سَقَبِ (٣)

فهذا الانهاك والهزال اللذان لحقا بالخيال انما هما نتيجة
لطول بقائها فى الحرب فقد دأبت على القتال ، وتمرست به ، وهو
بهذا يعظم المدح من خلال تعظيمه لخيله ، ويمتدح عبد الملك
بغزواته المتكررة للروم ويركز هنا على وصف الخيل فيقول : (٤)

-
- (١) شعر الأخطل ٤٤/١ - ٤٥ .
(٢) يُعَانِدُنَ : أى يعدلن ولا يذعن . الْوَجَا : التعب الذى يصيب
خوافرهم الحفا . عَلَى الْعِلَاتِ : أى على مختلف الأحوال .
النُّكْب : الموائل وهي التى تشكى مناكبها
(٣) يقصد بالغرَاب : الفارس الأسود .
(٤) شعر الأخطل : ٤٥/١ - ٤٦ .

وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ غَزْوَةٌ
 يُطَرِّحُنَ بِالذَّرْبِ السَّخَالَ كَأَنَّمَا
 بَنَاتُ غُرَابٍ لَمْ تَكْمُلْ شَهْوَرُهَا
 وَلَئِنْ لَهَا يَوْمَيْنِ يَوْمٌ إِقَامَةٌ
 غَمُوسٌ الدَّجَى تَنْشَقُّ عَنْ مَضْرَمٍ
 بَعِيدَةٌ آثَارِ السَّنَابِكِ وَالسَّرْبِ (١)
 يُشَقِّقْنَ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ (٢)
 تَقْلُقُنَ مِنْ طُولِ الْمَقَاوِزِ وَالْجَذْبِ
 وَيَوْمًا تَشْكِي الْقَضَّ مِنْ حَدِّ الدَّرْبِ (٣)
 طَلُوبِ الْأَعَادِي لَا سَوْومٍ وَلَا وَجِبِ (٤)

فالمدوح يسعى بخيله الى الروم وهذه الخيل تقتحم السبل
 النائية فى كل سنة ونتيجة لهذه الغزوات المستمرة أصبحت هذه
 الخيل تضع أولادها قبل الأوان من شدة الاعياء . وهو يريد بهذه
 الصورة أن يصل الى شجاعة الخليفة واقدامه .

ثم يعود للمدح المباشر فيقول : (٥)

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي قُرَيْشٌ تَعَطَّفَتْ
 وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ
 وَلَكِنْ رَأَى اللَّهُ مَوْضِعَ حَقِّهَا
 إِلَى صُلْبِهَا لَيْسَ الْوَسَائِظُ كَالصَّلْبِ (٦)
 لَا بُيُصَ لَا عَارِيَ الْخِيَانِ وَلَا جَذْبِ
 عَلَى رَعْمٍ أَعْدَاءٍ وَصَدَّادَةٍ كُذْبِ

(١) السَّرْبُ : الطريق .

(٢) سَخَالَ : جمع سخله وهى أولاد الضأن . والأسلاء : المناديل التى

تغشى الوليد اثر ولادته . أنظر أمالى المرتضى : ٣٤٣/١ .

وَالْعَصَبُ : الثياب المصبغة .

(٣) الْقَضُّ : الحصى الصغار .

(٤) غَمُوسٌ : أى أنها تسير الليل كله . والمتضرم : الذى يتسعر فيه لهيب

الحماسة . وَالْوَجِبُ : الجبان .

(٥) شعر الأخطل : ٤٧/١ ، ٤٩٠ ، ٥١٠ .

(٦) الْوَسَائِظُ : الزوائد وأحدها وشيطة ، والمعنى أن الأهل الشريف ليس =

قُرُومَ أَبَوِ الْعَاصِي غَدَاةً تَخْمَطُتْ دِمَشْقُ بِأَشْبَاهِ الْمُهَنْدَةِ الْجُرْبِ
يَقُودُونَ مَوْجًا مِنْ أُمِيَّةٍ لَمْ يَكِرْثْ دِيَارِ سُلَيْمٍ بِالْحِجَازِ وَلَا الْهَضْبِ

فالممدوح ذو أصل عريق أحاط به نسب قريش الكريم من كل جانب فهو كريم ابن كريم جعل الله الخلافة فيهم ففدت سلطتهم مستمدة من سلطة الله لأنه رآهم موضع ثقة فقد قادوا أمواجاً كبيرة من الجند في الشام حينما أحاطت بدمشق جحافل الأعداء بخيولهم التي تشبه الأبل المطلبية بالقطران ، وهنا يريد أن يعود لشارة عبد الملك على قيس متخذاً من هذا المنعطف السياسي وسيلة لازدياد كراهية بني أمية للقيسين .

على أن أجمل ما نظمه الأخطل في عبد الملك هي رأيته (غير) التي أطربت عبد الملك كثيراً ومن أجلها لقب الأخطل بشاعر بني أمية . (١) وهذه المدحة تعد من غرر قصائد الأخطل في المديح وقد استهلها بالمقدمة الغزلية التي بلغت سبعة عشر بيتاً ثم ولج من ذلك إلى المديح المباشر للخليفة قائلاً : (٢)

إِلَى أَمْرِي لَا تُعَدِّينَا نَوَافِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ
الْخَائِضِ الْغَمَرِ وَالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

لقد عمت عطايا الممدوح الشاعر ، وكأنها كانت حبساً عليه

(=) كاللاحق الدنيء النسب .

(١) انظر الأغاني : ٢٨٨/٨ .

(٢) شعر الأخطل : ١٩٦/١ - ١٩٧ .

لاتتعداه الى غيره كما يمدحه بالشجاعة والاقدام ، ولم يطرق الشاعر هذا المعنى مباشرة بل اتخذ من الكناية سبيلا للوصول الى مقصده فالخليفة يخوض الماء الكثير الذى قلما ينجو من يخوضه ، ويقابل بين هذه الشجاعة وشدة تقواه اذ أن العرب يعتقدون أن انحباس المطر يكون نتيجة لغضب الله لكن عبد الملك لشدة صلته بالله أصبح الناس يطلبون السقيا به لأن الله يستجيب له لتقواه ، ويعود ليتخذ من الفرات أيضا صورة يقابل بينها وبين كرم مدوحه : (١)

وَمَا الْفُرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ فِي حَافَتَيْهِ وَفَى أَوْسَاطِهِ الْعُشْرُ (٢)
وَدَعْدَعَتْهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ وَأَضْطَرَبَتْ فَوْقَ الْجَاجِئِ مِنْ آذِيٍّ غُدُرُ
مُسْحَنَفَرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ تَسْتَفِرُّهُ مِنْهَا أَكَافِيفٌ فِيهَا دُونُهُ زَوْرُ (٣)
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُكَ وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهِرُ

ان هذه الصورة التشبيهية المبالغ فيها تحمل وجهى شبه هما الكرم والعطاء والوسامة والعظمة . وكل هذه المشاهد المحسوسة التى رسمها للفرات ليست بأجود سيبا من عبد الملك ولا بأحسن وسامة وعظمة منه . ويوازى فى مدحه لعبد الملك بين معانى التقوى كالتقرب من الله وبين المعانى الفاضلة الأخرى كالأجود

(١) شعر الأخطل : ١٩٧/١ - ١٩٨ .

(٢) حَوَالِيَهُ : أمواجه . الْعُشْرُ : نوع من الشجر العظيم .

(٣) الْمُسْحَنَفَرُ : السريع الجرى بامتداد ومضاء . وَالْأَكَافِيفُ :

هو ما يكف به الماء عن الجرى .

وَزَوْرُ : أى ميل .

والكرم والبطولة فهذا المدح يخوض معركة كبيرة يسيطر خلالها
ملحمة رائعة تنم عن الشجاعة والاقدام (١)

مَقْدَّمُ مَا تَنِي أَلْفٍ لِمَنْزِلَةٍ مَا لَانَ رَأَى مِنْهُمْ جِنَّ وَلَا بَشَرُ

فالصورة هنا موزنة في الغلو لكنها تخفق بأجواء الملحمة
خفوقا وهي تأخذ غلوها من صفة هؤلاء الجند الذين يقودهم عبد
الملك فهو جيش خارق مروع ليس من الجن ولا من البشر بل أعظم
من الجنسين وليس هناك أسمى من الجن والبشر الانسي الا الملائكة
وهذه مبالغة موزنة في الغلو أوصلت الشاعر الى هذا المعنى . ثم
يستمر في امتداحه بالشجاعة مستكملا المعاني السابقة : (٢)

يَغْشَى الْقَنَا طَرِيبُهَا وَيَهْدِيهَا	مُسَوِّمٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ وَالْقَتَرُ
حَتَّى تَكُونَ لَهُ بِالْطَّفِّ مَلْحَمَةٌ	وَبِالْثَوْبَةِ لَمْ يُنْبِضْ بِهَا وَتَرُ
وَتَسْتَبِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَّالَتَهُمْ	وَيَسْتَقِيمُ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعْرُ
وَالْمُسْتَقِلُّ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ وَقَدْ	كَانَتْ لَهُ نِعْمَةٌ فِيهِمْ وَمَدَّ خَرُ

فيمارح هنا بين الصورة الحسية والمعنوية اذ يوميء الى مقتل مصعب
ابن الزبير (بالطف) وقبل هذا يشير الى بعض الاصلاحات التي
يقوم بها الخليفة وان كان في حالة حرب فهو يبني القناطر اذا
كان في ذلك مصلحة عامة ويهدمها لنفس الغرض . وفي ذكره

(١) شعر الأخطل : ١٩٩/١ .

(٢) شعر الأخطل : ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

لأماكن بعينها في هذا المديح (كالطف ، والثوبة ..) انما يريد أن يصل الى نسبة النصر في الأحداث التي جرت في هذه الأماكن الى مدوحيه الذي يتفوق دائما في معاركه مع أعدائه وأعداء المسلمين قاطبة . ومن هنا استقامت له الأمور ثم يعطى الأخطل لتتبع أصول مدوحيه العريقة فيقول مشيدا ببني أمية : (١)

فِي تَبَعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا	مَا إِنْ يُوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ (٢)
تَعْلُو الْهَضَابَ وَحَلَّوْا فِي أَرْوَمَتِهَا	أَهْلُ الرِّبَاءِ وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا (٣)
حَشَدٌ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُوا الْخَنَا أَنْفُ	إِذَا أَلَمَتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
وَأَنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ	كَانَ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرٌ (٤)
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يَنْصُرُونَ بِهِ	لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَفِرٍ (٥)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ	وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا (٦)
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يَسْتَقَادَ لَهُمْ	وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدَرُوا (٧)
لَا يَسْتَقِيلُ ذَوُو الْأَصْفَانِ حَرْبَهُمْ	وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَسِرٌ
هُمْ الَّذِينَ يَبَارُونَ الرَّيَّاحَ إِذَا	قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا (٨)
بَنِي أُمَيَّةٍ نَعْمَاكُمْ مَجَلَّلَةٌ	تَمَّتْ فَلَا مَنِيَّةَ فِيهَا وَلَا كَدَرٌ

(١) شعر الأخطل : ٢٠٠ / ١ - ٢٠٢ .

(٢) التَّبَعَةُ : هي من أجود الشجر . يعصبون بها : أي يلازمونها .

(٣) حَلَّوْا : أي نزلوا . أَرْوَمَتِهَا : أي أصلها .

(٤) تَدَجَّتْ : أي أظلمت ، والمظلمة الكرب .

(٥) أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا : أي حظا .

(٦) لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ : أي لم يبطروا فيه . (٧) شمس : أي عسر .

(٨) قَتَرُوا : أي ضاق عيشهم نتيجة القلة والفقر .

لقد امتدح عبد الملك بعراقته التي تضرب في أعماق التاريخ — وهذه الأبيات تعد بحق خير ما تفقت به قريحة الأخطل الشعرية في هذا الغرض لأنها تضمنت معاني وأفكارا غاية في القوة والعظمة صورت هؤلاء القوم بأنهم أعز الناس وأكرمهم وأقدرهم على الحرب وأحلمهم وأصبرهم الى غير هذه المعاني العظيمة . وقد جعل من سواهم يقصرون عنهم في النسب فنبتهم يعلو كل نبت وكل هضبة ثم يدقق في ترتيب أفكار هذه المدحة فيجعل بنى أمية أفضل قریش ثم يجعل القرشيين أفضل الناس فكان بنى أمية في نظر الأخطل صفوة الصفوة . ولعمري ان هذه المعاني بعيدة المعنى عميقة المدلول . ولقد تجلى ابداع الأخطل في هذه القصيدة وظهرت عاطفته فعبّر عما يريد مجسدا معانيه بالصور الحسية والمعنوية ، ومركزا على الأحداث التاريخية مستمدا معانيه من واقع الحياة السياسية والاجتماعية والدينية ليصوغها أفكارا تنطق بعظمة هؤلاء الممدوحين وفي مقدمتهم عبد الملك الذي أوسع للأخطل كرما وجودا وتقريبا واشادة .

وبعد وفاة عبد الملك اتصل هذا الشاعر بالوليد (١) ومدحه

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٦٨هـ) وكان مهتما بالفتوحات الاسلامية فاتسعت الخلافة الاسلامية في عهده وشملت بلادا كثيرة لم تتجاوزها بعده ولا قبله كما كان ولوعا بالبناء والعمران وغير هذا من شئون الدولة توفى سنة (٩٦هـ) بعد خلافة دامت حوالي ثمان وعشرين سنة (٢٨هـ) .
انظر سير أعلام النبلاء : ٣٤٧/٤ - ٣٤٨ .

وقد شاخ فتى تغلب وتقدمت به السن ، ولم يكن الوليد ذا ولع بالشعر أو مقبلا عليه مثل أبيه وإنما كان منشغلا بأمر المسلمين ، ومهام الفتوح التى اتسعت فى عهده (١) اتساعا لا نظير له فى التاريخ ومع هذا لم نجد فى مدائح الشعراء له ما يشير من قريب أو بعيد الى هذه الفتوح ومنها على سبيل المثال فتح الأندلس الذى يعد أعظم حدث فى تاريخ الدولة الاسلامية .

ولقد كان للوليد موقف من النصارى اذ شدد عليهم الجزية وهدم بعض بيعتهم وحولها الى مساجد . (٢)

ومن الطبيعى أن يكون لهذه العوامل وغيرها (٣) أثر واضح فيما انبثق عن الأخطل من مدائح لبنى أمية بعامة والوليد بخاصة بعد موت عبد الملك وأن تنحسر عاطفته ويكاد يجف نبع تلك المعانى

(١) انظر تاريخ الاسلام د . حسن ابراهيم حسن : ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

(٢) انظر تاريخ الطبرى : ٤٩٦/٦ ، ومروج الذهب للمسعودى :

١٢٥/٣ - ١٦٧ ، والبداية والنهاية - لابن كثير : ٧١ - ٧٠/٩ ، ومابعدها .

(٣) كان لاستقرار الأمور للوليد بعد أن هدأت العاصفة السياسية

وانصرافه لمهام الفتوح والاصلاحات أثر فى ضعف مكانة الأخطل لديه فلم يعد يأبه بدعاية شاعر نصرانى ، فقرب غيره

من شعراء المسلمين .

كما يرى الأستاذ محمد محمد حسين فى كتابه الهجاء

والهجاءون فى صدر الاسلام : ١١٦ - ١١٧ .

التي كانت تسير في موكب من الصور الفنية المتلاحقة الرائعة وقد نلمس هذا التراجع من خلال قصائده التي خص بها الوليد والتي يتجلى في أغلبها القسم كمدخل للمديح وكأنه يحسن في نفسه شيئا يباعد بينه وبين مدوحه فيريد أن يؤكد إخلاصه بهذا القسم إذ نجده في البائية (والخطب) يقسم برب الكعبة والستور ، والحجب ، والحجاج بأن الوليد أنقذه من المخاطر التي كانت تحيق به وآمنه من الخوف . كما يقسم في مدحة أخرى بمن تساق له الهدايا إلى الكعبة على نجابة خيل المدوح وأصالته وثباته في القتال كما يقسم أيضا في مدحة ثالثة بأنه الحبيب الذي نذرت له دماء البدن في الحرم أن الوليد أنقذه .

وبهذه النفس المتأرجحة بين الرجاء والمنع يظهر الأخطل أمام الوليد متضعض الشخصية فاقدا لمكانته السالفة عند بني أمية ضعيف العزيمة فيعوض عن هذا كله بالاكثار من صيغ القسم إذ يقول مادحا للوليد : (١)

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ	بِاللَّهِ رَبِّ سُتُورِ الْبَيْتِ ذِي الْحُجُبِ
وَكُلَّ مُوفٍ بِنَذْرٍ كَانَ يَحْمِلُهُ	مُضَرَّجٌ بِدِمَاءِ الْبَدَنِ مُخْتَضِبٌ
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي	وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنَاجَاتِهِ هَرَبِي

(١) شعر الأخطل : ٢٤٤/١

أَتَيْتُهُ وَهَمُومِي غَيْرُ نَائِمَةٍ أَخَا الْحِذَارِ طَرِيدَ الْقَتْلِ وَالْهَرَبِ (١)
فَأَمَّنَ النَّفْسَ مَا تَخْشَى وَمَوْلَهَا قَدَّمَ الْمَوَاهِبَ مِنْ أَنْوَاعِ الرَّغَبِ (٢)

فهو ينسب ولايته الى الله ليخلع عليه الصفة الدينية (خليفة
الله .. أمين الله ..) .

وفى هذه الأبيات وجدناه يشخص الهموم فينسب اليها الأرق
(.. وهمومي غير نائمة ..) مع أنها لاتنام ولا تستيقظ لكنه
وحد بين الهموم وصاحبها تعبيرا عن قوة أرقه وعظيم مصيبتيه
وكثيرا مانجده يركز على الصفات الدينية في مديحه كقوله : (٣)

خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِسُنَّتِهِ الْغَيْثُ مِنْ عِنْدِ مَوْلَى الْعِلْمِ مُنْتَجِبِ

فقد بالغ في هذا المديح حتى خرج به عن مضمون الدين فأهل
السنة لا يقرون مثل هذا لأن السقيا انما تطلب من الله وحده دون
واسطة .

وفى معرض مديحه للوليد بالشجاعة والمجد يعتدح بنى أمية
وأنه لا عديل لهم في حلمهم وعفوهم مقابلا بين هذا المعنى وبين
شدة بطشهم وغضبهم فهم ملوك حلوا من الناس في أعلى منزلة
لا تساميا منزلة غيرهم ورثوها من سابق الدهر أبا عن أب .
فيقول : (٤)

حَتَّى تَنَاهَى إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ عِزُّ الْمُلُوكِ وَأَعْلَى سُورَةِ الْحَسَبِ

(١) يحاذر القتل : أى يهرب منه كالطريد .

(٢) قَدَّمَ الْمَوَاهِبَ : كثير العطاء ويقصد بالأنواع هنا : العطاء . والرغب : الكثيرة
الواسعة .

(٣) شعر الأخطل : ٢٤٥ / ١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٥٢ / ١ - ٢٥٣ .

بِيضٌ مَّالَيْتُ لَمْ يُعَدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ فِي كُلِّ مُعْظَمَةٍ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ
 الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَطْيَبِينَ ثَرَى وَالْأَحْمَدِينَ قَرَى فِي شِدَّةِ اللَّزْبِ (١)
 مَا إِنْ كَاخْلَامِهِمْ حِلْمٌ إِذَا قَدَرُوا وَلَا كَبُطْشِهِمْ بَطْشٌ لَدَى الْغَضَبِ
 وَهُمْ ذُرَاعِبِدْ شَمْسٍ فِي أُرُومَتِهَا وَهُمْ صَمِيمُهُمْ لَيْسُوا مِنَ الشَّدَبِ (٢)
 وَكَانَ ذَلِكَ مَقْسُومًا لِأَوْلِيهِمْ وَرِاثَةً وَرِثُوهَا عَنْ أَبِي فَابٍ

وقد يعتمد في مديحه للخلفاء الى تعظيم خيلهم فخيّل
 الوليد في نظره قد وصلت الى مشارف لم تبلغها خيل قبلها (٣) :

وَمَا بَلَغَتْ خَيْلُ أَمْرِي كَانَ قَبْلَهُ بِحَيْثُ انْتَهَتْ آثَارُهُ وَمَحَارِبُهُ

ويجسد للخليفة أثناء مدحه له همومه وهموم قومه بنى تغلب ومايعانونه
 ليعين للوليد ماحل بهم فيقول (٤) :

وَإِنَّا مَعَشَرٌ نَابَتْ عَلَيْنَا غَرَامَاتٌ وَمُعْضَلَةٌ كَكُودٍ (٥)
 وَغَضَّ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ حَتَّى تَغْيِرَ بَعْدَكَ الشَّعْرُ الْجَدِيدَ (٦)

ولا يخرج مابقي من مدائح الأخطل للوليد عن هذا النسق الذي
 يلغى الالاحاق في طلب النجدة والمساعدة له ولقومه مؤكدا ضعفه وقلته

(١) شِدَّةُ اللَّزْبِ : أى شدة القحط .

(٢) الْأُرُومَةُ : أصل الشجر ، وَالشَّدَبُ : ما يشذب من الشجر فيسقط

ويهمل .

(٣) شعر الأخطل : ٢٩٠ / ١ - ٢٩١ .

(٤) شعر الأخطل : ٢٤٠ / ٢ .

(٥) الْمُعْضَلَةُ : المصيبة الشديدة . وَالْكُودُ : الصعبة .

(٦) يقصد بتغير الشعر : أنه شاب .

حيلته من خلال عبارات القسم الكثيرة التي تظهر في أغلب مدائحه
للوليد (١) ولا أجد من الضروري تتبع بقية مدائح الأخطل فـ
الوليد لأنها تكاد تكون صورة مكررة لبعضها ليس فيها ما يجسد
المعاني والأفكار في صور تختلف عما ذكرت لأنه في هذه الحقبة
بالذات بعد أن خلاص إلى الوليد قد احدوب ظهره من الكبر (٢)
فهو في مقام الضراعة والاستعطاف وطلب العطاء فلا مندوحة إذا من
تعظيم مدوحه ونعته بالكرم وكثرة العطاء ليناله شيء من رفد الوليد
بعد أن هدأت عاصفة السياسة واستقرت الأمور لبنى أمية وعندها
لم يدم للأخطل نفوذه السابق في بلاط الأمويين ، فقد أخذ النصارى
يفقدون ما كانوا يتمتعون به من مكانة وعندئذ تزعزعت منزلة الأخطل
لدى الوليد وتقلص سلطانه (٣) وقد خص الأخطل بعض الأمراء من
بنى أمية والولاة والقادة والأشراف ، والقبائل بمدائح تتفاوت فيما
بينها من حيث قوة المعاني وتدفعها وتربط أفكارها وانسجام موضوعها
مع مكانة كل مدوح ، ومن هؤلاء على سبيل المثال - بشر بن
مروان (٤) - فقد اتصل به الأخطل ومدح

(١) أنظر مثلاً شعر الأخطل : ٢٧٠، ٢٢٢/١ - ٢٧١ .

(٢) ربما كان يرسل قصائده للموليد في دمشق ويبقى في الجزيرة بعد أن تقدمت به السن وبلغ من الكبر عتيا . ولم يك بدعا في هذا فقد روى عن جرير أنه فعل ذلك في شيخوخته .

(۳) انظر الهجاء والهجاءون في صدر الاسلام - د. محمد محمد حسين

• 11Y- 117 :

(٤) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي - =

بـخمس قصائد (١) جاءت في مضمونها أقوى من مدائحه في الوليد لأنه اتصل به في عهد أخيه عبد الملك بن مروان يوم أن كانت منزلة الأخطل عند بني أمية بعيدة عن يد المتناول ، وقد امتدح بشرا بالكرم والشجاعة وكثرة العطاء وعراقة نسبه ، وهي معان درج على امتداح بني أمية بها فهو من أبناء الملوك . (٢) :

يُعَازِمُونَ أَبَا الْعَاصِي وَهُمْ نَفَرٌ فِي هَامَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ دُونَهَا شَذَبٌ^(٣)
 بِيَضٍ مَصَالِيَتْ أِبْنَاءُ الْمُلُوكِ فَلَنْ يُذَرِكَ مَا قَدَّمُوا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ
 إِنْ يَحْلُمُوا عَنْكَ فَالْأَخْلَامُ شِيَمَتُهُمْ وَالْمَوْتُ سَاعَةٌ يَحْمِي مِنْهُمْ الْغَضَبُ
 كَانُوا مَوَالِي حَقَّ يَطْلُبُونَ بِهِ فَأَذْرَكُوهُ وَمَا مَلُوا وَلَا لَغَبُوا
 إِنْ تَكُ لِلْحَقِّ أَسْبَابٌ يَمْدُ بِهِهَا فَقِي أَكْهَمِ الْأَرْسَانَ وَالسَّكَبُ^(٤)

(=) من أمراء بني أمية تولى امرة العراق لأخيه عبد الملك سنة (٧١هـ) كان كريما ممدحا يغرى بين الشعراء كما كان يحب سماع الشعراء وتوفي سنة (٧٥هـ) . انظر : تاريخ الطبري : ١٦٤/٦ - ١٦٩ والبخلاء/للجاحظ : ٤٢٥ .

- (١) انظر هذه القصائد في شعر الأخطل : ١/٨٤ ، ٣١٣ ، ٣٣٨ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ومطالعها في الجدول رقم (٢) الملحق بهذا البحث
 - (٢) شعر الأخطل : ١/٨٤ - ٨٥ . ولا شك أن هذا من أقوى ضروب المدح السياسي الذي نما في العصر العباسي فيما بعد
 - (٣) الشذب : الشوك والعشر .
 - (٤) الأرسان : جمع رسن وهو ما كان من الأزمة على الأنف .
 والسبب : هو الحبل . وما يتوصل به الى غيره .
- انظر معجم البستان للشيخ عبد الله البستاني : ١/١٠٣٨ .
 المطبعة الامريكانية بيروت ١٩٢٧ م .

وكعادته يشيد ببني أمية كما نلاحظ هنا ويتهم من يعادونهم
بأنهم جهلاء لأن الأمويين اقتعدوا من قريش سنام المجد فلا أحد
يسامهم ، ويختص بشرا بمدح مباشر فيقول في قصيدة أخرى : (١)

إِنِّي دَعَانِي إِلَى بَشْرِ فَوَاضِلُهُ	وَالْخَيْرُ قَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مُتَّبِعُ
يَا بَشْرُ لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ	أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَيَّ الْأَزْلَمُ الْجَذَعُ (٢)
أَنْتُمْ خِيَارُ قُرَيْشٍ عِنْدَ نِسْبَتِهِمْ	وَأَهْلُ بَطْحَائِهَا الْأَثَرُونَ وَالْفَرَعُ
أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ	إِذَا الْمُلُوكُ عَلَى أَمْثَالِهِ اقْتَرَعُوا
لَيْسُوا إِذَا طَرَدُوا يَنْمِي طَرِيدُهُمْ	وَلَا تَنَالُ أَكْفُ الْقَوْمِ مَا مَنَعُوا

وكثيرا مانجده يمتدحهم بأنهم خيار قريش وهو معنى يكاد يطرقه
كل الشعراء فالكرم والأصالة والشجاعة من الأمور التي يجد فيها
الشاعر متسعا لقوله فيكثر من ترديدها في شعره وقد لسنا هذا

كثيرا عند الأخطل فهاهو يمتدح بشرا كذلك بالشجاعة (٣)

أَخُو الْحَرْبِ مَا يَنْفَكُ يُدْعَى لِعَصْبَةٍ	حُرُورِيَّةٍ أَوْ أَعْجَمِيَّةٍ يُقَاتِلُ (٤)
مُعَانٍ بِكَيْفِهِ الْأَعْنَةَ أَشْعَلَتْ	لِكُلِّ عِدَى نِيرَانِهِ وَقَنَابِلُهُ (٥)

(١) شعر الأخطل : ٣٦٥/١ - ٣٦٦ .

(٢) الْأَزْلَمُ الْجَذَعُ : الشديد الكثير البلياء الفتى وهو يريد بالأزلم

هنا الدهر ، والجذع الذي لا يهرم .

(٣) شعر الأخطل : ٣٤٧/١ - ٣٤٨ ، وانظر مثل هذا المعنى كذلك

في شعر الأخطل : ٣١٨/١ .

(٤) الْحُرُورِيَّةُ : فرقة من الخوارج .

(٥) مُعَانٍ : أى ملازم للخيل . وَالْقَنَابِلُ : جمع قنبلة وهى الجماعة من

الخيل .

أَبَحَّتْ حُصُونُ الْأَعْجَمِينَ فَأَسْكَتْ
بِأَبْوَابِهَا مِنْ مَنْزِلِ أَنْتَ نَازِلُهُ
ضُرُوبُ عِرَاقِيبِ الْمَطِيِّ كَأَنَّمَا
بِيَّارِي جُمَادَى إِذْ شَتَا أَوْخَايِلُهُ

كما يمتدحه بالكرم فيشبهه بالفرات : (١)

إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا
وَلَنْ شَهْدَ أَجْدَى فَيْضُهُ وَجَدَّ أُولُهُ (٢)
وَلَنْكَ حِصْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَنْ نَبِيَّ
بِأَسْبَابِ حَبْلٍ مِنْكُمْ مَا أَزَايِلُهُ (٣)

وبهذا نجده يتخذ من عناصر الطبيعة أدوات لجسد معانيه ويرسم صورة وكأنه مخترع مبدع . وقد اتصل الأخطل بكثير من الولاة ومدحهم ، ومنهم خالد بن أسيد (٤) ، وعبد الله بن سعيد بن العاص (٥) وغيرهما ، لكنه في مدائحه لغير بنى أمية نجده يبتعد عن الصيغة السياسية ويركز على الكرم والشجاعة وحسن العطاش . وهكذا تكاد تكون كل مدائحه في بنى أمية متماثلة مع بعضها بينما نجد مدائحه في غيرهم تختلف من حيث الحضور السياسي فتكاد تتماثل هي الأخرى مع بعضها ومن خلال استقراءنا تاريخيا وموضوعيا لمدائح الأخطل في بنى أمية وغيرهم من الأمراء والولاة يمكن أن نجمل خصائص هذه المدائح من حيث الأفكار فنقول :

لقد برزت النواحي السياسية في مديحه لبنى مروان أكثر من

(١) شعر الأخطل : ٣٤٨/١ .

(٢) شَهْدَ : أى شَهِدَ - انظر ماورد في هذه الكلمة من لغات

في الكتاب : ٢٧٩/٢ ، والمخصص : ٢٢٢/١٤ . (٣) أَزَايِلُهُ : أفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .

(٥) عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص . / انظر : جُمهرة الأَنساب : ٨٠-٨١

ذى قبل وبخاصة عندما مدح عبد الملك والوليد بينما افتقدنا
 معانى البطولة والشجاعة فى مديحه ليزيد بن معاوية الذى طغت
 عليه الموضوعات الجانبية الاستطرادية فحظيت المقدمات بنصيب الأسد
 من القصيدة فى مدائحه لبنى سفيان مع أنه كان يفترض العكس
 بالنسبة ليزيد الذى حماه وأمنه وأغدى عليه ، وفتح له قصور بنى أمية
 فقد جاءت معانيه خافتة الصوت لم تكن من القوة بحيث تشكل صورا
 تنطق بالعظمة وتنبيء عن عاطفة صادقة تجاه يزيد ولكنه اقتصر فى
 معانيه على ذكر حماية يزيد له . وإذا كان هناك من تعليل
 لقلة أبيات المديح التى خصه بها وقلة معانيها وعدم رقيها الى
 مستوى مدائحه فى عبد الملك فانه يكمن فى مصاحبته ليزيد فى
 شبابه بعيدا عن سمة الملك وهيبة الامارة فزال الحجاب بين الشاعر
 وهذا الممدوح ، ولاشك أن فى الشباب مافيه من النرق والطيش
 عندئذ لم يدخل فى روع الأخطل دخول البطولة فاقتصرت مدائحه
 له على الثناء بجميله وكرمه ، بالإضافة الى أن تجربة الأخطل الأولى
 فى المديح قد انطلقت من هنا ، بينما حشد لعبد الملك كثيرا من
 صور البطولة ومعانى القوة والعظمة وتضاءلت نفسه أمام الوليد وضعفت
 قريحته ومنزلته فى آن واحد ، وأما مدائحه فى بشر فقد جاءت فى
 أيام مجده فجودها ورسم له فيها صورا من البطولة والكرم وأصاله
 المنبت . وأما مدائحه فى الولاة من غير بنى أمية فقد اقتصر
 على الاشادة بكرمهم وحسن عطائهم وقيادتهم فى الحروب وابتعد
 فيها عن الجانب السياسى ما استطاع الى ذلك سبيلا .

واذ قد انتهينا من الدراسة التاريخية والموضوعية للغرض الأول وهو المديح فاننا نولى وجهنا الآن شطر الغرض الآخر لندرسه : ألا وهو الفخر .

ويحسن قبل الخوض فيه أن نقدم بين يدي الموضوع بما يجليه عند الأخطل . فقد عاش هذا الشاعر في طفولته وشبابه واقعا مريرا فاذا ما اتصل بالأمويين في خلافة معاوية فلعله بـدا يرسم لنفسه خطا متميزا يجتاز من خلاله الحدود الضيقة ليصل الى الذروة ، فأصبح سيدا في تغلب وزعيما يصلح ذات البين ويتحمل الحملات ويتكفل بالديات حقنا للدماء ومسحا للشحناء . (١)

وقد تخطى صيته قبيلته تغلب التي تبوأ فيها مكان الزعامة وأصبحت له دار للضيافة يقصده فيها القاصدون وأصحاب الحاجات (٢) وكان من الطبيعي أن يكون لهذه المكانة السامقة أثرها الواضح في نفسيته وأن تكون مددا لا ينضب معينه في مفاخره بالاضافة الى مكانة تغلب ونسبها العربي الأصيل . ومع أنه لا توجد لديه روافد اسلامية له أو لقومه فهم نصارى يعيشون في وسط اسلامي كبير ، ولهذا فقد اتخذ من القبيلة ومن نفسه منطلقا لفخره ومركزا لنقائضه مع خصمه جرير .

(١) انظر طبقات فحول الشعراء - لابن سلام : ٤٨٤/١ ، والأغاني :

٣٠٣/٨ و٣١٩ ، والموشح : ٢١٤ ، والهجاء والهجاءون —

د . محمد محمد حسين : ٨٣-٨٧ .

(٢) انظر الأغاني : ٣١٨/٨ .

وقد غلبت الناحية القبلية على جل فخره وكأن حبه الشديد
 والتحامه بقبيلته قد فرضا عليه أن يكون ابنها البار ، ولسانها
 الناطق بعد أن وجد أبواب الخلفاء مفتوحة له فرأى أن أقل واجب
 عليه أن يفاخر بتغلب ويبين موقفها من الخلافة لأن هذه القبيلة
 النصرانية في حاجة الى من يرفع اسمها بين القبائل وعند الخلفاء
 ولذا انبرى يشيد بطولة قومه ويعظمهم ، وينوه بكرمهم وحمايتهم
 للجار ، ونجاية خيلهم التي أضفى عليها الكثير من نعوت الجلال
 والعظمة ، ولم يسرف كثيرا في الفخر الشخصي ، ولعل ديانته قد
 كبته بعض الشيء في هذه الناحية . (١) فاتجه لأمجاد قومه دونما
 اغراق في امجاده الخاصة كما سنرى في الصفحات التالية - بآذن
 الله - ونبدأ بالحديث عن الجانب القبلي في فخر الأخطل .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) أنظر الأغاني : ٣٠٦/٨ .
 ودراسة عن " نقائص جرير والأخطل " للدكتور عبد المجيد
 المحتسب : ٤٩٦ .

أما الفخر القبلى عند شاعر بنى تغلب فقد انطلق فيه من واقع عريق الجذور فتغلب ليست بالقبيلة الهينة الشأن لكنها صاحبة أمجاد ولها أيامها المعروفة فى الجاهلية . ولذا فإن الأخطل فى فخره القبلى يدوى صوته بمفاخر قبيلته ويشرف بانتماؤه إليها فيتغنى بأمجادها وكان لهذا الانتماء الجياش فى وجدانه المالك لروعه أثر فى تزويده بالمعانى والصور .

وقد اتخذ الفخر القبلى عنده مرتكزين أساسيين : مرتكز الشجاعة والاقدام ، ومرتكز الضيافة والكرم ، وهما أساس الفخر القبلى التقليدى منذ الجاهلية .

أما الشجاعة فإن تغلب فى نظره قوية لا أحد يجاريها أو يتمكن منها بل هى التى تتمكن من الأعداء وتتركهم صرعى فيفتخر بهذا قائلا : (١)

نَصَبْنَا لَكُمْ رَأْسًا فَلَمْ تَكْلِمُوا بِهِ	وَنَحْنُ ضَرْبُنَا رَأْسَكُمْ فَتَصَدَّعَا
وَنَحْنُ قَسَمْنَا الْأَرْضَ نِصْفَيْنِ نِصْفَهَا	لَنَا وَنَرَامِي أَنْ تَكُونَ لَنَا مَعَا
بِتَسْعِينَ أَلْفًا تَأَلَّهِ الْعَيْنُ وَسَطَهُ	مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الطَّرَامَةِ تَدْمَعَا (٢)
إِذَا مَا أَكَلْنَا الْأَرْضَ رَعِيًّا تَطَلَّعَتْ	بِنَا الْخَيْلُ حَتَّى تَسْتَبِيحَ الْمُضَعَا

فهو يفاخر بواقع تغلب بين أعدائها فقد عجز هؤلاء الأعداء عن منازعة التغلبيين فيما تمكن منهم بنو تغلب ومثلوا بهم غاية التمثيل ،

(١) شعر الأخطل : ٥٥١/٢ .

(٢) تَأَلَّهِ الْعَيْنُ : أى تتحير ، والطَّرَامَةُ : السحابة .

ويتجلى فى هذا الفخر تطلعه الى الغلبة والتفوق اذ نصف الأرض
لهم ويطمعون فى النصف الآخر وفى هذا ما ذكرنا بفعال "كليب" (١)
فى الجاهلية مما كان سببا فى اشتعال حرب البسوس .

وتبدو نزعة الاستيلاء مهيمنة على معظم فخره القبلى وكأنه
لاهم لتغلب سوى التوسع فى اراضى الغير . (٢)

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا حَصُونَ بِأَرْضِنَا	إِذَا الْحَرْبُ أَمَسَتْ لَأَقْحًا أَوْتَلَقَّ
وَإِنَّا لَمَمْدُودُونَ مَا بَيْنَ مَنِيَجٍ	فَغَافِ عُمَانَ فَالْحِمَى لِي أَفْيَحُ (٣)
وَإِنَّ لَنَا بَرَّ الْعِرَاقِ وَحَسْرَةً	وَحَيْثُ تَرَى الْقَرْقُورَ (٤) فِي الْمَاءِ يَسْبَحُ
وَإِنْ ذَكَرَ النَّاسُ الْقَدِيمَ وَجَدْتَنَا	لَنَا مَقْدَحًا مَجْدٍ وَلِلنَّاسِ مَقْدَحُ
بِنَا يُعَصِّمُ الْجِئْرَانُ أَوْ يُرْفَدُ الْقِرَى	وَتَأْوِي مَعْدًى فِي الْحُرُوبِ وَتُسْرَحُ
ذَوِي يَمَنِ إِلَّا تَثَرْنَا لِنَصْرِنَا	نَدْعُ بَارِقَاتٍ مِنْ سَرَابٍ تَضْحَضُ
فَإِمَّا مَقَامٌ صَادِقٌ كُلُّ مَوْطِنٍ	وَأَمَّا بَيَانٌ فَالْصَّرِيمَةُ أَرْوَحُ

(١) كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة التغلبى . سيد بكر وتغلب
فى الجاهلية - أحد من تشبهوا بالملوك فى السلطة بلغ من
هيئته أنه كان يحمى مواقع السحاب وكان لا يورد أحد مع ابله
ولا توقد نار مع ناره ، ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبى أحد
فى مجلسه وهو أخو مهلهل بن ربيعة ، وخال امرؤ القيس قتلته
جساس بن مرة البكرى الوائلى فتار حرب السوس أطول حرب عرفت
فى الجاهلية / أنظر الأمالى للقالى : ١٢٩ / ٢ - ١٣٤ .

(٢) شعر الأخطل : ٧٥٠ / ٢ - ٧٥٢ .

(٣) مَنِيَج : مدينة قريبة من حلب . وَغَاف : موضع فى عمان يكثر فيه
الشجر ، وَالْأَفْيَحُ : الأوسع . (٤) الْقَرْقُور : السفينة العظيمة .

تَرَوْا أَنَّنَا نَجْزِي إِذَا هِيَ أَبْهَمَتْ بِصَمَاءَ يُلْفَى بَابِهَا لَيْسَ يُفْتَحُ (١)
مَصَالِيْتُ نَضْطَنَعُ السَّيُوفَ مَعَاذَةً لَنَا عَارِضٌ يَنْفِي الْعَدُوَّ وَيَرْجِعُ (٢)

وقد اعتمد في هذا الفخر على الأفكار الحسية التي تجسد المعنى أعظم تجسيد . ويبدو هنا وكأنه يريد أن يضع مصورا للحدود السياسية التي تسيطر عليها تغلب فيحدد في شيء من التفصيل تلك الديار التي تناثر التغلبيون فيها فسيطروا عليها وبذلوا حياتهم في سبيل العز والمجد فهم لا يزالون يضرمون نار الحرب في كل مكان مخوف دليل شدتهم وشجاعتهم . (٣)

فَقُلْ لِلنَّاسِ إِن هُمْ فَاضَلُونَا يَعْدُوا وَمِثْلَهُنَّ لَهُمْ جُلَالًا .
أَلَسْنَا مِنْ دِمَشْقَ إِلَى عَمَّانٍ مَلَأْنَا الْبَرَاحِيَاءَ حِلَالًا .
وَدِرْجَلَةَ وَالْفَرَاتَ وَكُلَّ وَادٍ إِلَى أَنْ خَالَطَ النِّعَمُ الْجِبَالَ .
وَنَحْنُ الْمُوقِدُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ ضَرَامَ الْحَرْبِ تَشْتَعِلُ اشْتِعَالًا .

ويفتخر بالأرقام (٤) ذلك الحى من تغلب الذى له مكان الصدارة فيها مصورا شجاعتهم وأنهم فلقوا هامات العدو . (٥)

-
- (١) الصَّمَاءُ : الداهية الشديدة . وَأَبْهَمَتْ : أى اشتدت .
(٢) الْعَارِضُ : السحاب يعرض فى الأفق ، واستعارة هنا للجيش العظيم ، وَيَرْجِعُ : أى يغلب .
(٣) انظر مجلة الشرق العدد ٤٣٣/٦ ، والعدد ٤٧٥/٧ .
(٤) الْأَرَاقِمُ : جشم ، ومالك ، وعمرو ، وشعلبة ، ومعاوية ، والحارث . بنو بكر بن حبيب بن عمرو - انظر المعارف لابن قتيبة : ٩٦ .
(٥) نقائض جرير والأخطل : ١٧٨ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ .

ألم تعلموا أن الأرقام فُلقت جماجم قيس بين ودان والحضر
زحف الأرقام بالمجاز لوردها كالسيل سال بأبطحيه سيول

ويفتخر بقومه فيأتي بأحداث يسردها سردا تعداديا ويربط بين
أحداث هذا السرد التعدادي بحرف العطف (الواو) و " قد "
التحقيقية . (١)

وَطَحَنَ حَائِرَةَ الْمُلُوكِ بِكَكَلٍ	حَتَّى اخْتَذَيْنَ مِنَ الدَّمَائِ نَعَالًا (٢)
خَزَرَ الْعَيْنِ إِلَى رِيَّاحٍ بَعْدَ مَا	جَعَلَتْ لِيَضَّةً بِالسَّيْفِ ظِلَالًا
وَلَقَدْ دَخَلْنَ عَلَى شَقِيقِ بَيْتِهِ	وَلَقَدْ رَأَيْنَ يَخْدُ نَضْرَةٍ خَالًا
وَلَقَدْ سَمَا لَكُمْ الْهُذَيْلُ (٣) فَنَالَكُمْ	بِإِرَابٍ حَيْثُ تُقَسِّمُ الْأَنْفَالَ
وَلَقَدْ عَظَفْنَ عَلَى فِزَارَةٍ عَظْفَةً	كَرَّ الْمَنِيعِ وَجَلْنَ ثُمَّ مَجَّالًا
وَلَقَدْ وَقَعْنَ عَلَى الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا	وَلَقَدْ قَتَلْنَ ثَقِيفَهَا وَهَمَلًا
وَسَقَيْنَ مِنْ عَادِينَ كَأْسًا مُرَّةً	وَأَزَلْنَ جَدَّ بَنِي الْحُبَابِ فَرَا لَا
وَقَتَلْنَ مَنْ حَمَلَ السَّلَاحَ وَغَيْرَهُمْ	وَتَرَكَنَ فَلَهُمْ عَلَيْكَ عِيَالًا

ان هذه الأبيات كما نرى يكثر بها التكرار والسرد وذكر الوقائع
وتضخيمها واحاطتها بهالة عامة من الانفعال الحماسي فذكر أعلاما
من أعداء تغلب ومواقع بعينها كان النصر فيها لهم على أعدائهم

(١) نقائض جرير والأخطل : ٧٦ - ٨١ .

(٢) حَائِرَةُ الْمُلُوكِ : يعنى مجتمعهم ويقصد عمرو بن هند الذى قتله
عمرو بن كلثوم .

(٣) الْهُذَيْلُ : من بنى حرقة وهو : ابن هبيرة التغلبى ، وإِرَاب : ماء
لبنى رياح . انظر : نقائض جرير والأخطل : ٧٧ .

وتوجد فى هذه الأبيات بعض الومضات التصويرية التى ترقى بها الى درجة مقبولة من درجات الفن الشعرى بعد أن ضمن السياق اشارة معنوية الى قصة " عمرو بن كلثوم " الذى قتل عمرو بن هند " وكذلك " عصم بن النعمان التغلبى " الذى قتل " شرحبيل بن الحارث " (١)

وقد امتدح قومه بأنهم " خزر العيون " هذه الصفة التى لا عيب فيها ، وقد أشار فى شىء من الإيجاز الى ما وقع بينهم وبين بنى ضبة فأصابوا منهم الشىء الكثير وقد دخلوا على شقيق الضبى وامراته (٢) " فى بيته وقد غزوه بجيش جل فرسانه من الأرقام ليسوا بعزل ولا أكفال بل سلاحهم كامل وهم متمرسون بركوب الخيل والثبات على دوابهم فى المعارك . ويفتخر بأن قومه مصاليت شجعان أقوياء يستأصلون جرثومة الشر أينما وجدت : (٣)

لَقَدْ عَلِمْتُ هَذِي الْقَبَائِلُ أَنَّنَا مَصَالِيْتُ جَدَّامُونِ أَخِيَةِ الشَّقْبِ (٤)

وفيتخر بأنهم فضلوا الناس بخصال عديدة منها الكرم ، وحماية الجار والشجاعة الى غير ذلك من الخصال الطيبة (٥)

فَضَّلْنَا النَّاسَ أَنَّ الْجَارَ فِينَا يُجِيرُ وَأَيُّ جَارٍ يَسْتَجَارُ

(١) عصم بن النعمان - ابن مالك بن عتاب أبو حنش وهو ابن عم عمرو بن

كلثوم - الشاعر المعروف - قاتل شرحبيل بن الحارث الملك آكل المرار

انظر جعبرة الأنساب لابن حزم : ٣٠٤ .

(٢) شقيق من بنى ضبة ونضرة امراته ، وقد أغار الهذيل على بنى ضبة فأصاب

فيهم وسبوا منصور بنت شقيق . انظر النقائض : ٧٧ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ٩٨ (٤) أَخِيَةِ الشَّقْبِ : أى الأصل الثابت / النقائض

٩٨ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٨ .

وَأَنَا نُطْعِمُ الْأَضْيَافَ قَدَّمَ إِذَا الْعَذْرَاءُ أَخْرَجَهَا الْقَتَارُ (١)
وَأَرْسَلْنَا لَضَارِبُونَ إِذَا لَقِينَا كِبَاشَ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمَتْ نِزَارُ (٢)
نُدَافِعُ فِي الْكَرْبَةِ عَنْ بَنِينَا وَنَعْلَمُ أَنَّ جُبْنَ الْقَوْمِ عَارُ
بِضَرْبٍ لَا كَفَاءَ لَهُ وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ لَهُ شَرَارُ (٣)

فهو يتغنى بمآثر قومه في معرض فخره فهم سادة ملوك يعز بهم الجار حتى يجبر المطاردين ، وأن الأضياف تقصدهم في أيام الشدة والجذب ، ويطولاتهم لا يجهلها أحد في أيام الصراع والقتال ، وهاهو ينضوى تحت قبيلته تغلب ويميل معها حيث مالت شأنه في فخره القبلى كله ، ويفخر ببكر وتغلب معا مجسدا ما في نفسه من حب وولاء لهاتين القبيلتين الشقيقتين :

وإذا سما للمجد فرعا وائل واستجمع الوادى عليك فسالا (٤)
وهو يريد بفرعى وائل هنا : بكر وتغلب ، ثم يأتى بجواب الشرط في البيت الثانى فيقول :

كُنْتُ الْقَذَى فِي لَحِّ أَكْدَرْمَزِيدٍ قَذَفَ الْأَثَى بِهِ فَضَلَ ضَلَالَا .

وهو يتغنى بهذه الخصال الحميدة كثيرا ويزججها في مفاخره مصورا تلك المكارم التى يحظى بها التغلبيون . (٥)

(١) التعبير هنا بإخراج القطار للعدراء إنما هو كناية عن القحط ، والقتار هوربح اللحم المشوى / انظر : نقائض جرير والأخطل ١٢٨ ، والمصباح المنير (قَتَرَ) . (٢) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .
(٣) لا كفاء له : أى لا مثيل له وله شرار مثل شرار النار المتطاير / نقائض جرير والأخطل ١٢٨ . (٤) المصدر السابق : ٨٢-٨٣ .
(٥) شعر الأخطل : ٥٤٩/٢ .

وَلِنَا لَقَوَادُونَ لِلْأَمْرِ قَوْمَنَا
يَكُونُ بِنَا مَيِّمُونَهُ وَأَشَائِمُسُهُ
وَلِنَا لَجَزَاوُونَ بِالْخَيْرِ أَهْلُسُهُ
وَبِالشَّرِّ حَتَّى يَسَامَ الشَّرَّاسَائِمُسُهُ

ويهتز وجدان الأخطل لصلابة قومه وشدة صمودهم للأعداء وقد أطر به
هذا الصمود وهذه الشدة . (١)

إِذَا لَانَ الصَّفَا عَنْ طُولِ نَحْسَتِ
فَإِنَّ صَفَاةَ تَغْلِبَ لَا تَلِيْسُنُ
إِذَا قُذِفَتْ بِنَا الْجُلْمُودُ عَنْهَا
وَأَطَّتْ صَخْرَةٌ فِيهَا زُبُونُ (٢)
فَقَبْلَكَ رَامَهَا الْجَبَّارُ فِينَا
فَكَانَ لَنَا وَلِلْجَبَّارِ دِيْسُنُ (٣)

فمهما ألت بالتغلبين من أحداث فانهم لا يلينون لها ، ولقد يلين
الصخر الأصم من دونهم ومهما تألب عليهم الأعداء فانهم سيرتدون
خائبين . ويستمر في فخره بأن قومه يقتحمون على الجيابة دورهم
بجيوشهم الكثيفة اللابسة للدروع والخوذ فلا أحد ينال منهم منالا
لعلو مجدهم وشجاعتهم . (٤)

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ أَغْلَقَ يَابَسُهُ
نَسِيرُ وَنَكْمُو الدَّارِعِينَ الْقَوَانِسَا
فَمَنْ يَأْتِنَا أَوْ يَعْتَرِضُ لِمَطْرِيقِنَا
يَجِدُ أَثَرًا بَقَاً وَعِزًّا خَنَابِسَا (٥)

(١) شعر الأخطل : ٥٦٣/٢ .

(٢) أَطَّتِ الصَّخْرَةُ : أى صوتت . وَزُبُونُ : جمع زين وهو القطع والدفع .

(٣) المراد بالذَّين هنا : الحال .

(٤) شعر الأخطل : ٥٧٨/٢ .

(٥) الْبَقَا : يريد به هنا الواسع الضخم ، وَالْخَنَابِسُ : الشديد
الرفيع ، وَالْقَوَانِسُ : جمع قونس وهو أعلى البيضة ، وَأَرَادَ هُنَا
البيضة نفسها .

كما يفتخر بأنه تغلبى الأصل لنا عوده فى أفناء هذه القبيلة وهزه
كرم عريق ، وقد شبه أصله الكريم بشجرة عظيمة نمت وأينعت وأنه
لا يتسامى على أجداده أحد فى الفضل والسؤدد ، ويشيد كذلك
ببكر فيقول : (١)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ عُوْدِي تَغْلِبِي نَضَارُ هَزَهُ كَرَمٌ فَطَالَا
فَسَلْنِي بِالْكَرَامِ فَإِنَّ قَوْمِي كِرَامٌ لَا أُرِيدُ بِهِمْ بِدَالَا
وَقَوْمِي تَغْلِبُ وَالْحَيُّ بَكْرٌ فَمَنْ هَذَا يُوَارِثُنَا فَضَالَا

كما يتسامى فى فخره القبلى هذا فيصور قومه بأنهم أصحاب حلم
وأخلاق ، وأنهم ليسوا ذوى طيش وجهل وهذه صفات ينبغي على
الانسان الكريم أن يصونها ويتحلى بها . ويستمر الأخطل فى فخره
فيصف هيئة قومه وأنهم يلبسون الثياب الفاخرة فلا يقترون على أنفسهم
لأنهم كرماء وأنهم يخرسون من يتقول عليهم وهم أصحاب العسدد
والعدة والأحلام الثقال ويشبههم بالبحر فى فيضانه .

واذ قد ملكوا على الناس هذه الصفات فلا أحد يساميهـم
ويعادلهم الا قريش لأن منها الخلفاء فهم الذين يكافئون تغلب . (٢)

(١) هذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

قَفَا يَا صَاحِبِي بِنَا أَلَمَّا عَلَى دِمْنٍ نَسَائِلَهَا سُؤَالَا

لم يذكرها محقق شعر الأخطل د . فخر الدين قباوة .
وقد وُجِدَتْ هذه القصيدة فى نسخة جديدة من ديوان الأخطل ببغداد
ونسخة أخرى فى يد العلامة القانونى " أوجينيو غرينى " فى مدينة ميلانو
وهذه القصيدة تتألف من اثنين وستين بيتا ، أغلبها فى الفخر .

انظر مجلة المشرق العدد ٦ ص ٤٣٣ ، والعدد ٧ ص ٤٧٥ .

(٢) انظر مجلة المشرق ٤٣٣/٦ ٤٧٥/٧٠ .

تُصَانُ حُلُومُنَا وَتَرَى عَلَيْنَا
فَكَمْ مِنْ قَاتِلٍ قَدْ قَالَ فِينَا
وَسَلَّ عَنَّا فَإِنْ تَنْظُرْ إِلَيْنَا
فَمَنْ يَعْدِلُ بِنَا إِلَّا قُرَيْشٌ
ثِيَابُ الْخَزَّ تَبْتَذُلُ ابْتِذَالًا
فَلَمْ تَتْرُكْ لِذِي قَيْلٍ مَقَالًا
تَرَى عَدَدًا وَأَحْلَامًا ثَقَالًا
أَلَسْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ النِّعَالًا

وقد أغرق في البيت الأخير غياض إلى حد غير مقبول حينما جعل تغلب خير من وطئ النعال ، وهو مع نشوة الفخر قد نسي نفسه وقبيلته ومن يكونون فليسوا خير الناس بل هم من أزدل البشر لأنهم رجز لم يدخلوا في الاسلام الذي يطهر القلوب من أدرانها ويخلص العبودية لله وحده لاشريك له . فكيف يكونون خير الناس؟

ويختص خيل قومه بنصيب كبير من فخره ليجسد بالتالي شجاعتهم واقدامهم ، فيصور بشيء من التهويل والتفضيل خيلهم وقد ضمرت وهزلت من الطراد فيقول : (١)

وَطِمْرَةٌ (٢) أَثَرُ السَّلَاحِ بِنَحْرِهَا وَتَخَالُ فَوْقَ لَبَانِهَا جِرْيَالًا
قُبَّ الْبُطُونِ (٣) قَدْ انْطَوَيْنَ مِنَ السَّرَى وَطِرَادِ هُنَّ إِذَا لَقَيْنَ قِتَالًا
مِلْحَ الْمَتْنِ كَأَنَّمَا أَلْسَتُهُمَا بِأَلْمَاءٍ أَذْ يَبْسُ النَّضِيجُ جِلَالًا
وَلَقَلَّ مَا يَلْقَيْنَ إِلَّا شُرْبًا (٤) يَرْكَبْنَ مِنْ عَرْضِ الْمَنِيَّةِ حَالًا

ففي هذا الفخر يتسامى بهذه الخيل إلى درجة عليا من الشجاعة

-
- (١) النقائص : ٧٥ - ٧٧ .
(٢) الطِمْرَةُ : فرس أنثى وثابة وهي الطويلة القوائم وهي من الخيول الجياد
(٣) أي جمع قباء وهي الضامرة .
(٤) الشرب : أي الضمر .

والاقدام فهي لكثرة ارتيادها لبيادين القتال أصبحت مضرجة نحورها
بالدماء وكأنها قد صبغت باللون الأحمر وهي ضامرة قد انتابها
الهزال لكثرة سيرها ولكنها متمرسة بالجوع الشديد لأنها في قتال
مستمر في الليل والنهار مع الأعداء . ويصور شدة الكفاح الذي
قامت به هذه الخيل من خلال تمثيله للعرق الذي نضح وتصيب
منها فهي خيل لا تلقى الا ضامرة ، وهذه صورة مطولة للخيل وقد
تضرجت نحورها بالدماء وضمرت بطونها وبدأ هزالها الى آخر
هذه الصورة الحسية التي يريد من خلالها تصوير شجاعة قومه .
وقد شبه خبيها بخيب السباع فهي تبدو في جريها وكأنها معجبة
بنفسها لأنها جياد أصيلة .

ويمضي في فخره ممجدا القوة محتفلا بها وكان سناك الخيل
تقرع أذنه فيطرب وينتشى لخييل قومه قائلا : (١)

إِنَّا لَنَقْتَادُ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى نَحْوُ الْعِدَى بِمَسَاعِرِ أَبْطَالِ (٢)
وَنَسِيرُ فِي الشَّغْرِ الْمَخُوفِ فَجَاجُةُ سَلَاهِبٍ جَرْدِ الثَّنُونِ طِيَوَالِ (٣)
خُوصٍ كَأَنَّ شَكِيمَهُنَّ مُعَلَّاتُ بِقَنَا رُدَيْنَةَ أَوْ جُدُوعِ أَوَالِ (٤)
مِنْ كُلِّ أَدْهَمٍ كَالْغُرَابِ سَوَادُهُ طَرْفٍ وَأَحْمَرُ كَالْأَدِيمِ نُسَالِ (٥)

(١) شعر الأخطل : ٦٩٤/٢ - ٦٩٧ .

(٢) الْوَجَى : أن يشكو الفرس باطن حافره ، والمساعر : جمع مسعر
وهو الفارس الذي يوقد النار للحرب .

(٣) السَلَاهِبُ : جمع سلهب وهو الفرس الطويل الجسم ، وَالْجُرْدُ :

جمع أجرد وهو الخفيف الشعر . (٤) أَوَالِ : اسم قرية بالبحرين
(٥) الْأَدْهَمُ : الأسود ، والطرف الكريم ، وَالْأَدِيمُ : الجلد المديوغ ، ونُسَالِ :
أي سريع .

- يُسْقَى الرَّبِيعُ يَصَانُ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْضُ الْعِشَارِ وَقَارِصُ الْأَشْوَالِ (١)
 وَدَنَا الْمُعَارِلَهَا فَهِنَّ شَكَاوَزِبْ خَلَلَ الْمَطْيَى كَأَنَّهِنَّ مَغَالِي (٢)
 يَمْشِينَ إِذْ طَالَ الْقِيَادُ عَلَى الْوَجَى نَحْوُ الْعَدُوِّ وَكَشِيَةِ الرَّثْبَالِ (٣)

وهنا نجد أنه يصور خيل قومه في موقف حماسي معظمًا صفاتها وخصائصها التي تبرز الصفة البطولية لتغلب ، فهم يسرون بها في الأماكن الطويلة المظلمة ، ويدقق في وصف هذه الخيل معظمًا فخره بهذا الوصف فيصورها غائرة العين كأن حديدًا فيها معلقة بالرمح أو بجذوع النخل إذاً . فهي شامخة باستمرار . وهي خيسول أصيلة ذات سهيل مجلجل إذ يخرجون بها في الصباح للغارة وكلها نشاط وقوة وهي تتفاوت في ألوانها فبعضها أسود وبعضها أحمر وجميعها جرد أعدتها تغلب للحرب فأكرمتها وسقتها اللبن الصافي المحض فهي عندما تهم بالغارة تبدو خفيفة كالسهم والأسود في سرعة انقضائها .

(١) المَحْضُ : هو اللبن الخالص . والعشار : جمع عشاء وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر ولما تضع . وهنا يريد النواق التي وضعت حملها لأن العشار يطلق على النوق الحوامل إذا وضع بعضها وبعضها لم يضع . والقارص : الحامض من لبن الابل والأشوال : جمع شول وهي الناقة قل لبنها بعد نتاجها بستة أشهر .

(٢) يريد بالمغالي : السهام .

(٣) الرثبال : من أسماء الأسد والذئب .

ويزيد من فخره أن قومه يصونون هذه الخيل ويكرمونها—
وينزلونها من أنفسهم منزلة الأهل فهي خيل مقربات نجية أصيلة (١)

إِذَا مَا الْخَيْلُ ضَيَّعَهَا رَجَالُ	رَبَطْنَاهَا فَشَارَكْتَ الْعِيَالَا
نُقَاسِمَهَا الْمَعِيشَةَ إِذْ شَتَوْنَا	وَنَكْسُوهَا الْبَرَاقِعَ وَالْجِلَالَا
نَصُونُ الْخَيْلَ مَا دُمْنَا حُضُورَا	وَنَحْذُوهُمْ فِي السَّفَرِ النَّعَالَا
وَنَبْعَثُهُنَّ فِي الْفَارَاتِ حَتَّى	يَقُودَ الْفَحْلَ صَاحِبُهُ مُذَالَا
وَكُلَّ طِمْرَةٍ جَرْدَاءٍ تَرْدِي	تَرَى الْأَضْلَاعَ بَادِيَةً هُرَالَا
أَصَابَتْ مِنْ عُرَاةِ الْقَوْمِ جَهْدَا	يُعْرِقُ مِنْ جُزَارَتِهَا الْمَحَالَا (٢)
إِذَا مَلَّتْ قَوَارِسُنَا وَكَلَّتْ	عِتَاقُ الْخَيْلِ زِدْنَاهَا كَلَالَا
جَنَائِبُنَا الْعِتَاقُ لَهَا صِهْيَءٌ	بِأَيْدِينَا يُعَارِضُنَ الْبَغَالَا (٣)
إِذَا نَادَى مُنَادِينَا رَكِبْنَا	إِلَى الدَّاعِي فِطْرُنَ بِنَا عِجَالَا
فَهَنَّا إِلَى الصَّبَاحِ مُجْلَحَاكُ	بِنَا يُعْمِنُ إِمْعَانًا رِسَالَا (٤)
عَوَابِسُ بِالْقَنَا مُتَوَاتِرَاتُ	تَرَى الْأَبْطَالَ يَعْطُونَ النَّهَالَا (٥)
بِهَا زِلْنُ عَوَائِبَ مَنْ سَوَانَا	وَأَحْرَزْنَا الْقَرَائِبَ أَنْ تُنَالَا

-
- (١) انظر مجلة المشرق العدد ٤٣٣/٦ والعدد ٤٧٥/٧ .
 (٢) الْجُزَارَةُ : السدان والرجلان والعنق لأنها تستبقى للجزار ولا تدخل في العياسرة .
 (٣) الْجَنَائِبُ : جمع جنيبة وهي الخيل يتجنب ركوبها الا في القتال .
 (٤) التَّجْلِيح : السير الشديد . والرسال : جمع رسله وهي الفرس النشيطة السريعة العدو .
 (٥) مُتَوَاتِرَاتُ : أى متابعات .

والأخطل في هذه الأبيات يفخر بأنهم يكرمون الخيل ويجعلونها
 في بيوتهم كعبيالهم مما يدل على حبهم الكبير لها وفروسياتهم وشجاعتهم
 فقد قاسموها المعيشة وكسونها أجمل الأكسية صيانة لها ورعاية
 وقت السلم حتى اذا ما استعرت نار الحرب أذاقوها ألوانا من التعب
 وكلفوها الكثير من الجهد فهي معدة لهذا ، ويستطرد في وصف
 الخيل التغلبية مما يعكس شجاعتهم وشدة بطشهم وسرعة نجدتهم
 وتمرسمهم بالقتال فقد قادتهم هذه الخيل الى النصر فقتلوا الأعداء
 وسبوا النساء مستحضرا صورة أخرى للخيل التغلبية فيقول : (١)

وَأَوْلَادُ الصَّرِيحِ مَسْوَمَاتٍ	عَلَيْهَا الْأَزْدُ عُضْفًا وَالنَّمَارُ (٢)
شَوَازِبَ كَالْقَنَاقِدِ كَانَ فِيهَا	مِنَ الْغَارَاتِ وَالْغَزْوِ اقْوَارُ
ذَوَابِلُ كُلِّ سَلْهَبَةٍ خَنُوفٍ	وَأَجْرَدَ مَا يُثَبِّطُهُ الْخَبَارُ
فَاتَرَزَ لَحْمَهُ التَّعْدَاءُ حَتَّى	بَدَتْ مِنْهُ الْجَنَاحُ وَالْفَقَارُ
وَقَدْ قَلَقَتْ قِلَادَةُ كُلِّ غَوِجٍ	يُطِفِّنُ بِهِ كَمَا قَلَقَ السَّوَارُ
تَرَاهُ كَأَنَّهُ سِرْحَانٌ طَلَّ	زَهَاهُ يَوْمَ رَائِحَةِ قِطَارُ

فصور الخيل هنا تصويرا يومياً بأنهم رجال حرب وقد تساممت
 وتعاضمت بطولاتها الشبيهة بالمعاناة الانسانية فهي متحفزة للقتال
 تخوضه بجلد وصلابة قد أعيأها الكر والفر حتى هلكت وذاب لحمها
 وتقلقلت أعنتها ونتاجت أضلاعها ..

(١) شعر الأخطل : ٢٨١/١ - ٢٨٢ .

(٢) الصَّرِيحُ : فحل تنسب اليه النجائب من الخيل ، والمسومات : الملمات ،
 والأزد : الأسد جمع أسد وأراد بنى أسد بن ربيعة ، والغضف : جمع أغضف
 وهو الكثير الوبر ، والنمار : جمع نمر ، وأراد بنى النمر من ربيعة .

ورغم هذه الصورة المتناهية فى الضعف والهزال التى رسمها
لها فأنها لاتزال تنقض كالأسود .

وحيثما نتبع فخر الأخطل بخيل قومه نجد أنه قد صورها
صورتين متباينتين . فهى فى الأولى ضامرة هزيلة أعيها السير
والتعداء الى القتال ، وفى الثانية عظيمة حببية حلت من نفوسهم
محل عيالهم يسقونها اللبن الخالص ولا يقترون عليها حبا وكرما
منهم لها ومع هذا فهم لا يبالون براحتها وقت القتال اذ يركبون بها
الوعر والخطر وقد أعدوها لذلك فهى ضامرة كالسهم لا تحفل بالتعب
والاعياء . مفتخرا بأن هذه الخيل قد قادتهم الى النصر المؤزر
فسبوا نساء الأعداء بينما بقيت نساؤهم فى مأمن من السبي (١)

بِهَا نَلْنَا غَرَائِبَ مِنْ سِوَانَا وَأُخْرَزْنَا الْغَرَائِبَ أَنْ تَنَالَا
وَمَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَنَا ابْنُ أُخْتٍ بِمُرْدَقَةٍ عَلَيْهَا الْقِدْحُ جَالَا
تَنَاضَلْنَا وَحَلَّ النَّاسُ عَنَّا فَمَا قَامَتْ لَنَا قَيْسٌ نِضَالَا

وبقدر مايفتخر بشجاعة قومه المتمثلة فى الكر والفر ، وامتطائهم صهوات
الجياد النجبية لخوض المعارك ، وما أضفاه على هذه الخيل من صور
البطولة والعظمة - نجده كذلك يقرن هذه الشجاعة بكرمهم المتناهى
فى العظمة فيدعى أن قومه فاقوا جميع الناس فى الضيافة . (٢)

أَلَسْنَا نَحْنُ أَقْرَاهُمْ لِضَيْفٍ وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا حِبَالَا (٣)

(١) انظر مجلة المشرق العدد ٤٣٣/٦ ، ٤٧٥/٧ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عَقَدُوا حِبَالَا : أى أعطوا عهدا .

وَأَجْبَرَهُمْ لِمَخْتَبِطٍ فَقِيرٍ بِخَيْرِ حِينٍ قَسَوَبَ ثُمَّ نَالَا
 كِرَامُ الرُّقْدِ (١) لَا نُعْطِي قَلِيلًا وَلَا نَنْبُو لِسَائِلِنَا اِعْتِلَالًا
 سَلِ الضَّيْفَانِ لَيْلَةَ كُلِّ رِيحٍ تَلَفَ الْبَرْكَ (٢) عَازِمَةً شَمَالًا
 أَلَسْنَا بِبِائِقَرَى نَمْشِي إِلَيْهِمْ سِرَاعًا قَبْلَ أَنْ يَضَعُوا الرِّحَالَ
 فَمَا نَجْفُوا الضِّيَافَةَ إِنْ أَقَامُوا وَلَا الْجِيرَانَ إِنْ كَرِهُوا زَوَالَ
 وَتَكْرِمَ جَارِنَا مَا دَامَ فِينَا وَتَتَبَعَهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ مَالَا

وهو فى هذا الفخر يعتمد على صيغة التفضيل التى تنم عن
 الاطلاق وهذه فى الواقع عاطفة جانحة من الشاعر نحو قومه فهم فى
 نظره " الأوفى ، والأقرب " وهم من أكثر الناس نجدة للطارئ الغريب
 الذى ينتجع ديارهم فينال نوالهم ، وهذه المعانى ليس فيها ابتكار
 ولا جدّة ، ولكنها معان مطلقة يحاول من خلالها تصوير هذا
 الكرم من خلال حبهم للضيف فهم لا يتعللون بالعلل والأعذار حرصا
 على مالهم ويخلا به ولكنهم يبذلونه رخيصة ، يشهد بذلك الضيفان
 أنفسهم فهم ينتجعون ديار تغلب طلبا للقربى فى الوقت الذى تشتد
 فيه الرياح الشمالية الباردة ، وهذا المعنى مطروق منذ القدم ، ويرى
 أن قومه لا يقتصرون على اكرام ضيفهم مادام حالا ومقيما عندهم
 بل انهم يراعون كذلك جواره عندما يرحل عنهم فهم يتبعونه الاكرام
 أينما حل وارتحل .

ويقول فى صورة أخرى معظما هذا الكرم : (٣)

(١) الرُّقْدُ : العطاء والاعانة .

(٢) الْبَرْكَ : جمع برك وهى الابل القيمة .

(٣) شعر الأخطل : ١٠٧/١ - ١٠٨ .

وَلَقَدْ عَلِمْتَ إِذَا الْعِشَارُ (١) تَرَوَّحَتْ هَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُهُنَّ شَمَالًا
تَرْمِي الْعِضَاءَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثُلْجِهَا حَتَّى يَبِيَّتْ عَلَى الْعِضَاءِ جُفَالًا
أَنَا نَعَجِّلُ بِالْعَيْطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ الْعِيَالِ وَنَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

فيقرن هنا بين الكرم والشجاعة وأنهم يفضلون الضيف على الأهل والولد ، ومع ذلك فالشجاعة ديدنهم فهم يفتكون بالأبطال .

ومن الحاحه في الكرم واقتخاره بأن قومه كرماء يصف تلك الابل التي أعدوها للضيفان فهي محبوسة في مرابطها لاتتعداها تحسبا لعقرها لضيف يطرق في أية ساعة .

وَمَحْبُوسَةٌ فِي الْحَيِّ ضَامِنَةُ الْقِسْرِى إِذَا اللَّيْلُ وَأَفَاها بِأَشْعَتْ سَاغِبِ (٢)
مُعَقَّرَةٌ لَا تُنْكِرُ السَّيْفَ وَسَطَهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعْسٌ لِحَالِبِ
مَرَازِيحٍ فِي الْمَأْوَى إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا تُطِيفُ أَوَابِيهَا بِأَكْلَفَ شَالِبِ (٣)
إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا الرِّيحُ لَمْ تُنْفَتِلْ لَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ شَهَبَ الذُّرَى وَالْغَوَارِبِ
إِذَا مَا الدَّمُ الْمُهْرَاقُ أَضْلَعَ حَمْلَهُ وَنَابَ رَهْنَاهَا بِأَغْلَى النِّوَابِ
إِذَا مَا بَدَأَ بِالْغَيْبِ مِنْهَا عَصَابَةٌ أَوَيْنَ لَهُ مَشْيَ النِّسَاءِ اللَّوَاغِبِ
يُطِيفُنَ بِزَيَافٍ كَأَنَّ هَدْيَ ثَرَهُ إِذَا جَاوَزَ الْحَيْزُومَ تَرْجِيْعُ قَاصِبِ
تَرَدُّ عَلَى الظَّمِّ الطَّوِيلِ نِطَافُهَا إِذَا شَوَتْ الْجُوزَاءُ وَبَقِيَ الْجَنَادِبِ

-
- (١) الْعِشَارُ : جمع عشراء الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر ،
تَرَوَّحَتْ : أى رجعت في العشى ، الرثال : جمع رأل وهو ولد النعام .
(٢) شعر الأخطل : ٣٣٤/١ ، والأشعث الساغب : الجائع .
(٣) " المرازيح " الثقال في مباركتها . " والأوابي " بكارتها التي أبت أن تلتج في عامها .

كَأَنَّ لَهَا فِي بِلَاعِيْمٍ جَنَّةٍ وَأَشْدَاقَهَا الْعُلْيَا مَغَارُ الثَّعَالِبِ^(١)
 إِذَا كَمْ يَكُنْ إِلَّا الْقَتَادُ تَجَزَّعَتْ مَنَاجِلُهَا أَصْلُ الْقَتَادِ الْمَكَالِبِ^(٢)
 تُحَطِّمُهُ تَحْتَ الْجَلِيدِ قُوَّسُهَا إِذَا قَنَّعَ الْمَشَى أَكْفَ الْحَوَاطِبِ
 كَانَ عَلَيْهَا الْقَسْطَلَانِي مُخْمَلًا إِذَا مَا اتَّقَتْ شَفَانَهُ بِالْمَنَازِبِ^(٣)

فهذه الابل المرازح لها ثلاث خصائص تكمن في احتباسها في الحى وقيامها في المأوى وليس في العراء وثقل لحمها فهي تعلق وتترك في أماكنها تحسبا لأى طارئ ، وهى من أبكار الابل تأنف مواقعمة الفحل . وعقر الابل للضيغان خاصة لا توجد الا عند العرب وهذا منتهى الكرم الأصيل ، وهذه الابل أعدتها تغلب نفيسة غالية تؤدى بها الديات وتفتدى بها الأرواح . وقد رسم الأخطل لها صورتين متغايرتين وقد جره الى هذا التغاير في التصوير ما عرف عنه من الاستطراد فقد صورها فى الأولى محبوسة فى الحى تعلق بعيدة عن الفحل وهى من الأبقار تفتدى بها الديات . أما الصورة الثانية فتكمن فى كونها فى مرعاها ملتفة حول فحلها .

إِذَا مَا بَدَا بِالْغَيْبِ مِنْهَا عَصَابَةٌ أَوْ يَنْ لَهُ مَشَى النَّسَاءِ اللَّوَاغِبِ
 ومهما يكن من أمر هذه الابل فهى معدة للقرى وهى مصدر فخر للشاعر كما نرى .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

- (١) اللها : جمع لهاة ، وهى اللحمه المشرفة على الحلق .
 (٢) مَنَاجِلُهَا : أى أنيابها .
 (٣) الْقَسْطَلَانِي : نوع من القطف منسوبة الى قسطله فى الأندلس ، والشفان : الريح الباردة ذات الندى .

أما الفخر الشخصى عند الأخطل فيبدو أن نصيبه قليل جدا
إذا ما قيس بفخره القبلى حتى انه عندما يفتخر بنفسه لا يتناسى أن
يشير الى ذروة تغلب التى ينتمى اليها : (١)

وَلَيْتَى لَمِنْ عَلِيَاءٍ تَغْلِبِ وَأَيْلٍ لِأَطْوَلِهَا بَيْتًا وَأَثْبَتَهَا أَصْلًا
أَنَا الْجَشِمِي (٢) الرَّحْبُ فِي الْحَيِّ مَنْزِلًا إِذَا احْتَلَّ مَضْهُودٌ بِمُضْنِيَّةٍ هَزَلًا
وَعَمَّايَ نِعَمَ الْمَرْءِ عَمَّرُوا وَمَالِكَ وَشَعْلَبَةَ الْمُؤَلَّى بِمَنْظُورَةٍ فَضْلًا (٣)
وَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءَ تَغْلِبِ أَنْتَبِي نَضَارُ وَلَمْ أَنْتَبْ بِقَرْقَرَةٍ أَثْلًا (٤)
وَلَيْتَى يَوْمًا لَا مُضِينَعُ ذِمَارَهَا وَلَا مُفْلَتِي هَاجَ هَجًا تَغْلِبًا بَطْلًا (٥)

انه يفتخر بمجده وسؤدده ، لأنه يحل من تغلب علياءها ، ويقيم فى
أرفع بيوتها ، وهو من أشرافها ، اذ أنه أرحب الناس منزلا للضيف
الطارئ الذى أخذ منه الاملاق مأخذا ، ولا غربة فى هذا فأعمامه
هم الذين يفيضون على الناس ، ويغدقون الأموال . وشبه أصله
بالشجر الصلب الذى ينبت فى أعالى الجبال والذى رسخ عوده فى
أعماق الأرض ، فهو الحامى الذمار يدافع عن قبيلته ضد أى شخص
يتعرض لها بالهجاء بطلا واقتراء .

(١) شعر الأخطل : ٤٣١/٢ - ٤٣٢ .

(٢) نسبة الى جشم من الأرقام " والمضهود " العقهور ، " والمضنية " -
المرضة .

(٣) هم " عمرو ومالك ، وشعلبة " من الأرقام . بنو بكر بن حبيب .

(٤) " الأفناء " أى الفروع . و " النضار " ما نبت فى الجبل ويكون خشبه
صلبا . و " القرقرة " الأرض اللينة ، و " الأثل " شجر لا ثمر له ولا شوك

(٥) الذمار : العرض وكل ما يجب على الانسان حمايته .

ولذلك فان أشد الشعراء لا يستطيع أن يقف في وجهه بل انهم
حينما يرونه يهربون خوفا منه . (١)

إِذَا الشُّعْرَاءُ أَبْصَرْتَنِي تَغْلِبْتُ مَقَاحِيْمَهَا وَأَزَوَّرَ عَنِّي فُحُولَهَا

ويفتخر بأنه رزين فليس بالخفيف الذي يستخف لما يطرأ من الأمور
العارضة ، وأنه عندما يصيبه الدهر بمصائبه فانه لا يشكو ولا يتضجر (٣)

وَمَا يَزِدُّ هَيْنِي فِي الْأُمُورِ أَخْفَهَا وَمَا أَضْلَعْتَنِي يَوْمَ نَابَ ثَقِيلُهَا
وَلَكِنْ جَلِيلُ الرَّأْيِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَكْرَمُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ جَلِيلُهَا

وقد ترد في فخر الأخطل الشخصي بعض الأسماء : " كجشم ، والهذيل
وأبيه غوث " يقول متفاخرا بجشم : (٤)

إِذَا هَبَطْنَ مَنَاخًا يَنْتَطِحْنَ بِهِ أَحْلَهْنَ سَنَا مَا عَافِيَا جُشْمٍ
تَرْعَاهُنَّ خَافَ أَقْوَامٌ وَإِنْ أَمِنُوا وَفِي الْقَبَائِلِ عَنْهُ غَيْرُنَا كَرَمٍ

كما يفتخر بالهذيل الذي أغار على بني رباح بن يربوع في يوم ارباب (٥)

وَلَقَدْ سَمَا لَكُمْ الْهُذَيْلُ فَنَالَكُمْ بِأَرْأَبٍ حَيْثُ يُقَسَّمُ الْأَنْفَالَا .

كما يفتخر بأبيه غوث قائلا : (٦)

(١) شعر الأخطل : ٦٢٦/٢

(٢) مَقَاحِيْمَهَا : جذعانها والجذعان جمع جذع وهو الشاب الفتى من الخيل
وقد شبه الشعراء هنا بالخيل .

(٣) شعر الأخطل : ٦٢٦/٢ . (٤) شعر الأخطل : ٤٧١/٢ .

(٥) نقائص جرير والأخطل : ٧٧ . (٦) شعر الأخطل : ٧٤٩/٢

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ فِدَاءً لِعَوْنٍ حَيْثُ أَسُوا وَأَصْبَحُوا
فَعَوْنٌ فَتَى الْغُلَبَاءِ تَغْلِبَ لِلنَّدَى إِذَا عَى أَقْوَامٌ لِسَامٍ وَقَرَدُ حَوَا

ويتسامى فى هذا الفخر الشخصى ليصل الى عمرو بن كلثوم التغلبى
قاتل عمرو بن هند ، وكذلك عزم بن النعمان التغلبى قاتل شرحبيل
ابن الحارث (١) فيقول مفاخرًا فى معرض هجاء بنى كليب (٢)

أَبْنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمِّي اللَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَكَا الْأَغْلَالَ

ويفتخر بكرمه الشخصى فيأتى بصورة فنية مطولة حيث يقول : (٣)

وَمُسْتَنْجِحٌ بَعْدَ الْهَدُوءِ دَعْوَتُهُ بِصَوْتِي فَاسْتَعَشَى بِنِضْوٍ تَزْغَمَا (٤)
فَجَاءَ وَقَدْ بَلَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ سَحَابَةٌ مُسَوِّدَةٌ مِنَ اللَّيْلِ أَظْلَمَا
وَفِي لَيْلَةٍ لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ ضَيْفَهَا إِذَا نَبَّهَ الْمَبْلُودُ فِيهَا تَغْمُغَمَا (٥)
فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَاصْطَلَى أَضَاءَتْ هِجَفًا مُوحِشًا قَدْ تَهَشَّمَا (٦)
فَنَبَّهْتُ سَعْدًا بَعْدَ نَوْمٍ لِطَارِقٍ أَتَانَا ضَعِيلًا صَوْتُهُ حِينَ سَلَمَا (٧)
فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا ذَخِيرَةَ مَالِكٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ لَاقَى لَبُوسًا وَمُطْعَمَا
فَقَالَ أَلَا لَا تُجْشِمُوهَا وَإِنَّمَا تَنْحَنَحُ دُونَ الْعُرْعَاتِ لِتَجْشُمَا (٨)

(١) انظر نقائص جرير والأخطل : ٧٣-٧٤ .

(٢) المصدر السابق : ٧٣ .

(٣) شعر الأخطل : ٥٩٩/٢ - ٦٠٠ .

(٤) النَّضْوُ : بغير أضناه السفر . تَزْغَمَا : ضعف رغاؤه .

(٥) الْمَبْلُودُ : الثقل البليد . وَالتَّغْمُغُمُ : الكلام الضعيف غير المفهوم

(٦) الْهَجَفُ : الجافى الغليظ . (٧) سَعْدٌ : غلام للأخطل .

(٨) الْعُرْعَاتُ من الابل الذى أدخل للاصطلاء من البرد وغشيها الدخان

فأسودت أعناقها .

وَإِنِّي لَحَلَالٌ بِي الْحَقُّ أَتَّقِي إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَنْ أَتَجَهَّماً
إِذَا لَمْ تَذُدَّ أَلْبَانَهَا عَنْ لُحُومِهَا حَلَبْنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمًا

وهذه الصورة الفنية الرائعة حقا هي من أجود الصور القصصية النادرة ، ولعلها تكون الوحيدة في فخر الأخطل يبين من خلالها حالة ذلك الضيف الذي أدركهم واصطلى نارهم في تلك الليلة الهادئة . ثم يصور هذا الضيف وقد بدا غليظا متهشم الوجه قد ألف الإقامة في الأمكنة الموحشة وقد نبه الأخطل سعدا ليقوم بحق الضيافة لهذا الضيف الذي يكاد يفقد صوته من شدة الاعياء فأكرمه ثم زوده بتلك الابل لتكون عوناً له .

ويستمر في توضيح الصورة التي تتم عن كرمه فيقول : انــــه يحلب للأضياف حتى اذا لم تف ألبانها بالغرض حلبها بسيفه لحما ناضجا للأضياف دون أن يتجهم بل يبقى فرحا مسرورا . وغاية ما هنالك أن الأخطل لم يطل في فخره الشخصي ، ولم ينطلق فيه من نفسه متشعبا بالمعالي والمحامد فهو نصراني ، والفخر بالصليب ليس شرفا له لأن النصرى آنذاك أقلية يعيشون وسط مجتمع اسلامي كبير . ومن هنا لم يبق للأخطل ميدان فسيح ينطلق فيسه ويفتخر سوى كرم قومه وشجاعتهم التي ضخمها وأغرق في غلوائه بعض الأحيان . وكذلك كرمه الشخصي وشجاعته ، والفخر بأبيه غوث قــــى حالات نادرة ، أما الصليب والنصرانية فلم نجد له فخرا بهما سوى بيتين اثنين فقط حيث يقول في هذا : (١)

(١) شعر الأخطل : ٧٤٤/٢ - ٧٤٥ .

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعًا وَمَا رَ (١) سَرْجِسَ وَسَمًا نَاقِعًا
وَأَبْصَرُوا رَايَاتِنَا لَوَامِعًا كَالطَّيْرِ إِذْ تُسْتَورِدُ الشَّرَائِعَا

أما الخمر : فقد افتن في وصفها وافتخر بها كثيرا وشربها —
ولعلها قد طغت على فخره الشخصى فأكثر من التغنى بها وباح بما
يكفه لابنة الحان من حب ووفاء وقد رأى بعض الباحثين المحدثين
أنه كان يفاخر بالصها يزوجها أنعاما مرسلة ويسترسل فى وصفها (٢)
والواقع أن الأخطل النصرانى قد أباحت له ديانته أن يصرح
بشرب الخمر ويوصفها فى أى مكان شاء فأكثر من ذلك حتى سيطر
سلطانها على نفسه ، وأصبحت معشوقة له يسرف فيها القول ، وينكر
على من ينكر عليه شربها . وهو يعرف أنها ليست مدار فخر بل
منقصة ومذلة ، ولذلك أحبها وقربها من نفسه ، ولم يفخر بها كما
يظن البعض فأصبح شعره فيها شعر حب ووفاء وليس فخرا واعتزازا .
وقد كانت متنفسا له يلقي لنفسه العنان فى أن تعبر التعبير
الحر غير المقيد وبخاصة اذا وازنا موقفه النفسى من وصف الخمر
بمواقفه الأخرى فى الفخر وغيره تلك المواقف التى كان يشعر فيها
بضالة نفسه وبكبت مشاعره اذا ما أراد أن يطلق لها العنان فتصطدم
بشخصيات الخلفاء القوية التى سرعان ما كانت تردده الى صوابه والى

(١) "مار" لفظة سريانية تعنى السيد . و"سَرْجِس" هو قدس كانت
تتشفع به تغلب .

(٢) انظر الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمه الفنية - د . عبد الحليم

مكانته الحقيقية في مجتمع إسلامي كبير .

ونستطيع أن نستلهم ذلك من خلال الحوار الذي دار بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان عندما أراد أن يخرج عن طوره في بيته المشهور :

فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمُلْكِهَا يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَارٌ وَمَزْحَلٌ

وعندها صفعه الخليفة بتساؤله القوى : الى أين يا ابن اللخناء ؟ . .
فاستدرك الأخطل بسرعة وثاب الى رشده بقوله : الى النصار
يا أمير المؤمنين (١) وبهذا التخليص اللبق من الأخطل استطاع
أن يرجع الى حجمه الحقيقي ويتجنب إيقاع الخليفة به .

xxxxxxxxxxxxxxxx

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٨٥/١ .
وأمالى المرتضى : ٢٦٧/١ .

ومن خلال استعراضنا لمفاخر الأخطل وجدنا أنه يفتخر فى معرض مديحه لبنى أمية لكنه يخفف نغمة الفخر حتى تتلاشى ، وكأنه يمتن عليهم وقوفه هو وقبيلته فى صف الخلافة .

وقد تبدو معانى فخره صورة لمعانى القدماء فالشجاعة والكرم وقتل الملوك والأبطال معان مطروقة ليست من ابتكار الأخطل وحده كما نجده يفتخر برجالات قومه كعمرو بن كلثوم التغلبي ، والسفاح التغلبي ، والهديل بن هبيرة كما افتخر بانتصارات قومه على قيس عيلان وتغنى بهذه الانتصارات كثيرا وبخاصة نقائضه مع جرير . وقد جاءت صورة الفنية سواء فى فخره القبلى أم الشخصى مستمدة من البيئة تبدو عليها سمة الوصف المجرد للأشياء بعيدا عن الغوص فى أعماق الصورة ومداخلها . ولذلك كان وصفه تقليديا لما كان عليه شعراء الجاهلية كما رأينا من قبل .

وإن لم يعدم فخره كله من لفتات فنية موحية إلا أنها ليست من الكثرة بحيث تمكننا من الحكم على فخره بالعمق والاستقصاء لدقائق الصور . وإن كان فى وصفه لبعض الأشياء يبدو متعمقا وبخاصة مايتصل ببيئته المحيطة به .

الفصل الثانی

الغرضاء

لدى

الفكرز دق

” الفصل الثانى ”

+++++

*** الغرضان لدى الفرزدق ***

أما المديح فقد مرت ثلاث مراحل أساسية فى حياة الشاعر، ولعل المرحلة الأولى هى مرحلة بدء المديح وانبثاقه من نعمة الفرزدق اذ لم يكن يدفعه الى هذا الغرض آنذاك فقر أو حاجة وانما كانت نظرته الى ما حوله نظرة المتعالى الذى ليس فى حاجة الى استجداء الخلفاء، والأمراء، والولاة، غير أنه وجد نفسه مندفعاً الى المدح يزجيه لمن كانت لهم عليه منة، فهو كريم يأسره المعروف وكما قال الحكيم الجاهلى :

اللها تفتح اللهى ..

وهذه المرحلة تمثلها أشعاره فى عيسى بن خصيلة السلمى (١) وقبيلة بكر بن وائل، وقد وجد عند الجميع الأمن والضيافة الحسنة فى أثناء رحلته من العراق الى المدينة . (٢)
وحيثما نستقرى معانى هذه المدائح نجدها لا تتعدى الشكر

(١) وهو من بنى بهز وقد آوى الفرزدق حينما جد زياد فى طلبه اذ مكث عنده ثلاث ليال ثم أعطاه ناقة أرحبية ليركبها الى الشام . انظر الطبرى ٢٤٤/٥ .

(٢) استعدى قوم زياداً على الفرزدق وزعموا أنه هجاهم ، فأرسل فى طلبه فهرب ميمما وجهه شطر المدينة حيث واليها سعيد بن العاص وكان ذلك حوالى سنة (٥٠ هـ) .

أنظر: طبقات فحول الشعراء : ٣٠٤/١ ، والعقد الفريد : ١٤٧/٦

لمن أنعموا عليه مشيدا بما فعلوه معه ، ولعل هذه الحادثة - وهى خروجه من العراق - كانت سببا مباشرا لاتصال الفرزدق بالأمصار ، والخروج من حيز القبيلة والبادية (١) وهو الحيز الضيق الى مجال أوسع وأرحب وهو أكناف معظم الخلافة الاسلامية .

أما المرحلة الثانية : فهى مرحلة النضج والكمال لمدائح الفرزدق .

فبعد أن وطد بنو أمية الخلافة وسطوا نفوذهم على رقعة كبيرة من العالم القديم منذ بداية عهد عبد الملك بن مروان كثر الأشراف وتعددت البيوتات وتدفق المال فى أيدي الناس ، وكان لهذه الطفرة المادية والاستقرار الأمنى أثر فى نهوض شعر المديح فى ذلك العصر فاتخذ الشعراء قصور الخلفاء وبيوت الأشراف قبلة لهم يولونهم مدائحهم ويفتنون فى عرض تلك المدائح وما الفرزدق إلا واحدا من هذا العدد الكبير من الشعراء الذين قصدوا الخلفاء ، والأمراء ، والولاة ، وغيرهم من الأشراف وعليه القوم ومدحهم ، ويعد من هؤلاء الحجاج بن يوسف (٢) ،

-
- (١) انظر كتاب الفرزدق للدكتور شاكى الفحام : ٤٠٠ .
 (٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى أبو محمد ، ولد فى الطائف سنة (٤٠ هـ) تولى اماره مكة والمدينة والطائف فى خلافة عبد الملك بن مروان ثم العراق اذ مكث أميرا عليه عشرين سنة وتوفى سنة (٩٥ هـ) . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٣٤٣/٤ .

وابن عمه الحكم بن أيوب (١) ، وعبد الرحمن بن شيبة (٢) ، وعليه رأسهم عبد الملك بن مروان ومن كان في عصره من الرجال الفضلاء والقادة الكبار ، فقد مدح العباس بن الوليد (٣) ، وعمر بن هبيرة الفزاري (٤) ، وعبد الرحمن بن سليم الكلبي (٥) ، وهلال بن

- (١) الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي أمير وهو ابن عم الحجاج قتل في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة (٩٧هـ) .
 أنظر تهذيب ابن عساكر : ٣٨٩/٤ .
- (٢) عبد الرحمن بن شيبة بن أم الحكم بن عثمان الثقفي استخلفه عبد الملك بن مروان سنة (٦٩هـ) على دمشق عندما خرج لبعض غزواته ، ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوفي في خلافة عبد الملك حوالي سنة (٦٩هـ) .
 أنظر الاعلام للزركلي : ٣١٢/٣ .
- (٣) العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أمير من كبار القادة توفي حوالي سنة (١٣١هـ) .
 انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٨٨-٨٩ .
- (٤) عمر بن هبيرة الفزاري أمير من الدهاة الشجعان تولى عدة أمارات في عهد عمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك مدحه الفرزدق وهو في السجن فأثنى عليه ، وشار إلى الشام وطلب الأمان من هشام بن عبد الملك فأمنه مسلمة ورضي هشام - توفي سنة (١١٠هـ) .
 الاعلام : ٦٨/٥ - ٦٩ .
- (٥) عبد الرحمن بن سليم الكلبي . قائد شجاع من قواد الحجاج أنظر الطبري : ١٤١/٦ ، ٣٤٩ ، ٥٨٤ ، ٦٠٥ .

أحوز المازنى (١) وهريم بن أبى طحمة المجاشعى (٢)، والمسـور
بن عمر بن عباد (٣). وقد أكثر من مدح الولاة والأشراف والقبائل
فأخذ يمدح من يراه حقيقا بالمدح، ولم يتهافت كغيره من شعراء
عصره فى هذه المرحلة على أبواب الخلفاء والولاة.

ويلغ الفرزدق ذروة الكمال والنضج بهذا الغرض ابتداءً من
مدائحه للوليد وسليمان ومسلمة (٤) أبناء عبد الملك. وقد تجلست في
مدائحه هذه سمات الفتوة وتعالى المزهو بنفسه والمعتز بنسبه إذ لم
نجد يمدح إلا الكريم الجدير بالمدح مبتعدا عن التكسب

(١) هلال بن أحوز التميمى من بنى مازن قائد شجاع -

انظر الطبرى : ٦٠٢/٢ .

(٢) هريم بن أبى طحمة المجاشعى . من فرسان تميم وسادات بنى

مجاشع قائد شجاع لا يشق له غبار .

انظر تاريخ الطبرى : ٦/٣١٤، ٤٤٣، ٤٤٤، ٥١٣، ٥٤٠، ٥٨١ .

٥٩٠ .

(٣) المسور بن عباد من سادات أهل البصرة الممدحين .

جمهرة الأنساب : ٢٠٧ .

(٤) سليمان بن عبد الملك تولى الخلافة بعد موت الوليد سنة

(٩٦هـ) فسار على نهج أخيه وأحسن إلى الناس وفك الأسرى

وأخلى السجون، كان عاقلا فصيحاً توفى سنة (٩٩هـ) .

ومسلمة بن بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من قواد

وأمرأ بنى أمية له فتوحات مشهورة مات فى الشام سنة

(١٢٠هـ) .

انظر السعوى : ١٢٧/٢ ، والأعلام : ٢٢٤/٧ .

والاستجداء . (١)

وَمَاسَاقَهَا مِنْ حَاجَةٍ أَجَحَفَتْ بِهَا إِلَيْكَ وَلَا مِنْ قِلَّةٍ فِي مَجَاشِيعِ
وَلَكِنَّهَا اخْتَارَتْ بِلَادَكَ رَغْبَةً عَلَى مَا سِوَاهَا مِنْ شَايَا الْمَطَالِعِ
فهو لا يزال يشعر بشخصيته الطاغية ، ويتناسى من حوله حتى ولو
كان الخليفة ، ولا يتردد في أن يخاطبه بصيغة الأمر تلك الصيغة
النابعة أصلا من نفسية تشعر بعظمة الانتماء وطيب المحتد ويطلب
الاغاثة ليس لضعفه وإنما لكرمه وتفرد بهزامة الشعر في عصره .

أَغْنَى بِكُنْهِى فِي نِزَارٍ وَمُقْبَلَسَى فَإِنِّى كَرِيمُ الشَّرْقَيْنِ وَشَاعِرُهُ (٢) !!

وهذا يخالف تلك النبذة المتباهة عند جرير في قوله : (٣)
أَغْنَى يَأْفِدَاكَ أَبَى وَأُمَى بِسَبِّبِ مِنْكَ إِنَّكَ ذَوَّارْتِيَا

فنجد مدح الفرزدق قد تحول الى فخر وتحول هذا الفخر الى طلب
صريح بصيغة الأمر يؤكد عراقة الشاعر وأصالة انتماؤه .

ونلاحظ على مدائحه في هذه المرحلة أنها بقيت محتفظة
بطابع الجزالة والقوة وتنوع المعانى ، وتدققها ، والافتنان في الصور
وهذا ما جعلنا نطلق عليها مرحلة النضج والكمال .

وكانت المرحلة الثالثة : مرحلة الذبول والتراجع ليس في الجزالة
والقوة ، وإنما في مسألة انحسار الوضوح عن معانيه وتداخل العبارات
الناتج عن كثرة التقديم والتأخير .

(١) ديوان الفرزدق : ٣٩٣/١ .

(٢) من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك . ديوان الفرزدق :

٢٤٨/١ - ٢٥١ . (٣) ديوان جرير : ٨٩/١ .

ولعلها سمة غالبية على شعر الفرزدق لكنها لم تظهر جلية واضحة إلا في مدائح الطور الأخير (١) عندما أخذت الصور وتنوع المعانى تقل شيئا فشيئا على مر الزمن وتقدم السن بالشاعر وتغير الحال ، فحلت المبالغة محل الصور الموحية ، وتراجعست العاطفة المتدفقة ، وكان العبقرية الشعرية التى تألقت زمنا طويلا أصابها بعض الخمول والذبول ، فأى غموض وعدم وضوح أكبر منه فى قوله : (٢)

وَكُنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ حِينَ أَنَا هُمْ رَسُولُ هُدَى الْآيَاتِ ذَلَّتْ رِقَابُهَا
لَكُمْ أَنَّهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَوَّخَتْ لَكُمْ مِنْ ذُرَاهَا كُلَّ قَرَمٍ صَعَابُهَا

وتمثل هذه الفترة مدائحه فى يزيد بن عبد الملك وأخيه هشام وابنه الوليد بن يزيد وغيرهم من رجال عصرهم .

وعلى ضوء هذه المراحل الثلاث ستكون دراستنا لغرض المديح عند الفرزدق - ان شاء الله - ذلك الشاعر الذى اشتهر فى عرف النقاد بالتعقيد وكثرة التقديم والتأخير (٣) ، وهذه سمة بارزة فى شعره بصفة عامة ، لكننا حينما نبحث فى مكونات اللغة الشعرية

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاكر الفحام : ٤١١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٥٨/١ .

(٣) كانت هذه الشهرة نتيجة لتبع اللغويين والنحاة لما فى شعره من تقديم وتأخير وتدوينهم بعض المآخذ على هذا الشاعر وقد اشتهر بمداخلة الكلام فكان ذلك سببا فى اعجاب أصحاب النحو به كما يقول ابن سلام فى طبقاته : ٣٦٤/١ .

عنده نجد شاعرية فذة قد لا يبلغ شأوه فيها شعراء عصره أوحتسى
من جاءوا بعده .

ففى المرحلة الأولى عندما بدأ شعر المديح كان يعتمد الى اختيار
المعاني السهلة الواضحة التى تعتمد على الحقيقة أكثر مما تعتمد
على المجاز ويتجلى هذا فى مدائحه لعيسى بن خصيلة السلمى
بقوله : (١)

فَتَى الْجُودِ عِيسَى ذُو الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى إِذَا الْعَالُ لَمْ تَرْفَعْ بِخَيْلًا كَرَائِعُهُ

فالمعنى هنا واضح سهل لم يزد الشاعر على أن نسب المدوح
للجود والمكارم والندى . . .

ويقول فى قصيدة أخرى حول هذا المعنى (٢) :

فَنِعْمَ الْفَتَى عِيسَى إِذَا الْبُزْلُ حَارَدَتْ وَجَاءَتْ بِصُرَادٍ مَعَ اللَّيْلِ بَارِدِ (٣)
نَتْنُهُ النَّوَاصِي مِنْ سُلَيْمٍ إِلَى الْعُلا وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ بَيْنَ نَصْرِ وَخَالِدِ
بِحَقِّكَ تَحْوَى الْمَكْرَمَاتِ وَلَمْ تَجِدْ أَبَا لَكَ إِلَّا مَا جِدَّا وَابْنِ مَا جِدِ
وَأَنْتَ الَّذِى أَمْسَتْ نِزَارٌ تَعْسُدُهُ لِدَفْعِ الْأَعَادِي وَالْأُمُورِ الشَّدَائِدِ

(١) ديوان الفرزدق : ٢٠٤ / ٢ - ٢٠٥ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١٦٧ / ١ .

(٣) حاردت : أى ذهبت ألبانها . والمراد بالبزل : النياق
والصراد : ريح باردة مع ندى . وقيل سحب بارد ليس فيه
ماء .

انظر اللسان (حرد ، صرد) .

فهو يصفه بالكرم والجود في الليالي الباردة المحملة مشيدا بأجداده
وأنهم حووا المكرمات ويوصل هذه المعاني الى ذهن المدوح بالفاظ
سهلة تجسد أفكار الشاعر وعاطفته تجاه مدوحه نتيجة لما قدمه له
من عون ويثني عليه فيقول : (١)

سَأْتِنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَأَعُدَّه إِذَا الْقَوْمُ عَدَّ وَافْضَلَهُمْ فِي الْمَشَاهِدِ
نَمَّاكَ مُغِيثٌ ذَا الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا إِلَى خَيْرٍ حَتَّى مِنْ سُلَيْمٍ وَوَالِدِ

فهو يعده لقاء ما قدم له - أن يباهى بهذا المعروف ويذكره له
على طول الأيام وفي أوساط الناس ، ثم يشيد بجده المدوح وقبيلته
ووالده بهذا الأسلوب البسيط السهل ، ويستمر في رحلته معرجا
على قبيلة بكر بن وائل فيجد عندهم الضيافة وطيب الوفادة فيمدحهم
بقوله : (٢)

تَبَعْتُ جَوَارًا فِي مَعَدٍّ فَلَمْ تَجِدْ لِحُرْمَتِهَا كَالْحَيِّ بَكْرٍ بِنِ وَاثِلِ
أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً يَعْقِدُ وَنَهَا وَخَيْرًا إِذَا سَاوَى الذَّرَى بِالْكَوَاهِلِ
وَسَارَتْ إِلَى الرُّوحَاءِ خَمْسًا فَأَصْبَحَتْ مَكَانَ الثَّرَيَّا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاسِلِ (٣)

فيصفهم بالبر والوفاء والخير في وقت الشدائد ويمتدحهم بهسذه
الصفات كما يمتدحهم بالشجاعة وأنهم خير الناس ، مستخدما بعض

(١) ديوان الفرزدق : ١٦٢/١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٩٥/٢ .

(٣) الخمس : يقصد بها خمس ليال أي أنه سار خمسة أيام بلياليها .

والروحاء : موضع بين الحرمين على بعد ثلاثين أو أربعين ميلا
من المدينة .

العبارات التي تزيد المعنى جمالا فيقول : (١)

إِلَى الصَّيْدِ مِنْ أَبْنَاءِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ أُنِيختَ لَبُونِي عِنْدَ خَيْرِ الْمَنَاهِلِ
إِلَيْهِمْ فَأَمِيهِمْ فَإِنِّي وَجَدْتُهُمْ حِجَازًا لَمْ يَخْشَى اصْطِفَاقَ الزَّلَازِلِ

ونجد الفرزدق ينطلق في هذا الغرض مشيدا بفضل بكر وقد زاد المعنى جمالا تعبيره بالمجاز كما نرى في الشطر الثاني من البيت الثاني ، والذي بدأه بصيغة الأمر فكأنه لا يعرف على ظهر البسيطة من هو خير منهم فأمر مطيته بالتوجه اليهم فوراً .

ويستقر به المطاف عند سعيد بن العاص (٢) وكنا نتوقع أن نجد للفرزدق قصائد عدة يمدحه بها لما له عليه من أياد بيضاء فقد آمنه من زياد . ومع هذا فلم نجد في ديوانه المطبوع سوى قصيدة واحدة فقط أغلبها في مدح بني أمية عامة ولم يكن نصيب سعيد منها إلا بيتين أو ثلاثة (٣) ، ليست من القوة والجزالة بحيث تصور لنا شخصية سعيد الذي آمن الشاعر .

وكل ما هنالك أن المقربين من الفرزدق نصحوه أن يلجأ إلى بني أمية هرباً من زياد ، وما هو يفصح عن هذا بقوله : (٤)

فَقَالَ لِي الَّذِي يَعْنِيهِ شَأْنِي نَصِيحَةَ قَوْلِهِ سِرًّا وَقَالَا

(١) ديوان الفرزدق : ٩٥/٢ .

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٤٤٤/٣ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٦٩/٢ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٦٩/٢ - ٧٠ .

عَلَيْكَ بَنَى أُمِّيَّةً فَاسْتَجَرَهُمْ وَخَذَ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حَبَالَا
فَإِنْ بَنَى أُمِّيَّةً فِي قُرَيْشٍ بَنَوْا لِبَيوتِهِمْ عَمَدًا طَوَالَا
فَرَوَّحَتْ الْقُلُوصَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا لَشَاةٌ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا (١)

وتتضمن هذه الأبيات مدحا مباشرا لبنى أمية ، ويشير الى أنه يعم راحلته شطر سعيد في المدينة بعد أن حمى النهار ، واشتدت القيلولة .

والفرزدق ذو النفس الأبية المتعالية ليس من السهل أن يجرد لسانه لمدح الناس لأنه يرى نفسه أحق بالمدح ، ولكن قدره ساقه الى هذا الطريق فلا بد أن تظهر عظمة تلك النفس ويكون شعره صدى لها .

ومن هنا نجد الفرزدق في هذه المرحلة لا يزيد على أن يشكر من أنعموا عليه ، ويشيد بفضلهم بعيدا عن التشبيهات والاستعارات الكثيرة لأنه لا يتكلم من واقع تجربة طويلة في هذا الغرض كالفخر مثلا .

ومن خلال تتبعنا لشعر المديح عند الفرزدق في هذه المرحلة تتراءى لنا عدة سمات منها :

أن هذه المدائح تعد أول ما صدر عن الفرزدق في هذا الغرض حيث مدح عيسى بن خصيلة السلمى وقبيلة بكر بن وائل وهو

(١) يريد أنه يعم وجهه شطر سعيد في وقت القيلولة في حر شديد .
والشاة : يريد بها الثور الوحشى .

فى طريقه الى سعيد بن العاص والى المدينة من قبل معاوية بن أبى سفيان ومدحه له بعد أن استقر به المطاف عنده ، وكذلك الجزالة والوضوح فى الألفاظ والمعانى اذ لم يكن مديحه عسيرا ولم يشع فيه الغريب وكان بعيدا عن التعقيد الذى اشتهر به الفرزدق فيما بعد كذلك تظهر لنا هذه المدائح جانبين هامين من جوانب نفسية الفرزدق :

أما أولهما فنفسية الفرزدق الشاب النشط الذى يحس من نفسه هذه القوة وهذا النشاط اذ لم نره يبكى على فراق أهله وعشيرته ووطنه .

وأما ثانيهما فخوفه ووجهه الذى ظهرت به هذه النفس فى حضرة سعيد بن العاص فهو يبرر خطأه كالخائف أو المتهم المائل فى قفص الاتهام وهو يحاول أن يدافع عن نفسه واطهارها بالمظهر الذى لا تستحق عقابا عليه ، وكأنه يقول : ما فعلت هذا إلا دفاعا عن النفس وردا على الأعداء ، ويصور هذا الضعف وهذا الوجـل بقوله : (١)

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمَنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسِبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالًا
وَلَكِنِّي هَجَوْتُ وَقَدْ هَجَتْنِي مَعَاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالًا

(١) ديوان الفرزدق : ٧٠/٢ .

وكان من نتيجة هذا الهجاء أن رفعوا أمره الى زياد فُلج فى طلبه فهرب الى سعيد بن العاص بالمدينة كما علمنا من قبل .

انظر العقد الفريد : ١٤٧/٦ .

فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحْلَ قَتْلِي فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَا
وَإِنْ تَكْ فِي الْهَجَاءِ تُرِيدُ قَتْلِي فَلَمْ تَدْرِكْ لِمَنْتَصِرٍ مَقَالَا

محاو لا أن يبرر ما فعل بمنطق قوى يسوقه فى أسلوب جزل يمتزج فيه الضعف النفسى بقوة الالباء ولا ينسى فى ختام هذه الشكوى أن يشيد ببنى أمية مرة أخرى ، ويمتدحهم مدحا مباشرا يتضمن أفكارا واضحة ومعانى حقيقية . ويشيد بسعيد ويشبهه بالهلال وأنه شجاع مقدم فيقول : (١)

تَرَى الشَّمَّ الْجَاحِجَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا
بَنِي عَمِّ الرَّسُولِ وَهَطَ عَمَّارُو وَعُثْمَانُ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالَا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلالَا
ضُرُوبٌ لِلْقَوَانِسِ غَيْرَ هِلالٍ إِذَا خَطَرَتْ مُسَوِّمَةٌ رَعَالَا (٢)

هذه أبرز السمات التى يمتاز بها شعر المديح عند الفرزدق فى مرحلته الأولى عندما بدأ يطرق هذا الغرض .

أما المرحلة الثانية فهى مرحلة النضج والكمال لشعر المديح عند الفرزدق وتبدأ هذه المرحلة بمداخلة فى الحجاج وابن عمه الحكم بن أيوب بعد عودة الشاعر من المدينة واستقراره فى العراق

(١) ديوان الفرزدق : ٦٩/٢ - ٧١ .

(٢) لم يختص سعيدا وحده بالمديح بل أرسل الكلام عاما يشمل بنى أمية كلهم لكى يصل هذا الى أسماع من ولوه فيتخذ عندهم مكانا وجوارا .

اثر موت معاوية . (١)

ولقد شهد الفرزدق ما حدث في العراق من أحداث جسام
وأخيرا خضوع الاقليم كله لبنى أمية وتولى الحجاج امارته من قبل
بنى مروان ، ومن هنا انطلق الفرزدق في مدح الحجاج قبل أن
يمدح الخليفة . (٢)

ولقد نتساءل لماذا مدح الحجاج في البداية ؟ ولعل الاجابة
على هذا التساؤل تكمن في قوة شخصية الشاعر التي حالت بينه
وبين الاسراف في تملق الخلفاء ، وقد أبى أن يذهب الى دمشق
أيام عبد الملك وابنه الوليد . (٣) في الوقت الذي كان فيه الأخطل
وجريز متهافتين على أبواب بنى أمية (٤) .

وليس معنى هذا أن الفرزدق قد مدح الحجاج بدافع
الجبين والخوف لكن شخصية الحجاج الطاغية جعلت كل الناس يتقون
شره فهو لا يعاقب بالسجن ولا بالقول بل يجعل من السيف فيصلا
بينه وبين أى شخص يريد أن يعاقبه بأى شبهة كانت (٥) ومن أجل

(١) كان ذلك في سنة (٧٥هـ) أثناء ولاية الحجاج على العراق .

انظر الكامل - لابن الأثير : ١٨٤/٤ .

(٢) كان من الطبيعي أن يمدح الحجاج قبل الخليفة لأنه أحكم السيطرة
على العراق وكان أقرب الى الشاعر موطنا من الخليفة بالاضافة الى
الأسباب الأخرى المذكورة هنا .

(٣) وقد صرح بذلك أثناء مدحه لسليمان بن عبد الملك .

انظر ديوانه : ٢٦٤، ٢٦٢، ٧٦/١ .

(٤) انظر من تاريخ الأدب العربي - د . طه حسين : ٦٤٩/١ - ٦٥٠ .

(٥) المرجع السابق : ٦٤٨/١ .

هذا فلا يلام الفرزدق في مدحه للحجاج (١) ، وهو لا يمدحه لقاء
معروف أسداه اليه ، ولكنه يمدحه بتحفظ فيزن ألفاظه قبل النطق
بها ، وربما كان الحجاج يعرف أن هذه المدائح من باب النفاق
والتزلف ليس إلا (٢) لأنها تخلو من العاطفة الصادقة التي تهز
الوجدان وتبعث في النفس أريحة ، وإنما قوامها الخوف الذي بدأ
يسيطر على الناس من هذا الرجل الذي أصبح كل يخافه حتى
الفرزدق وهو ابن الأكرمين - يقول : (٣)

لَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ أَرَى الْمَوْتَ مَقْبِلًا لَيَأْخُذَنِي وَالْمَوْتُ يَكْرَهُ زَائِرُهُ
لَكَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ أَهْلُونَ رَوْعَةً إِذَا هُوَ أَغْضَى وَهُوَ سَامٍ نَوَاطِرُهُ

فوصفه في اغضائه بالموت فكيف به ناظرا متأملا يقظا . ثم زاد المعنى
عمقا حينما نزهه عن الاغضاء فقال : " وهو سام نواظره " وكان المعنى
يناقض ماسبق لكنه وایاه ينبعان من منبع واحد ذاك هو تدقيق
الشاعر في تحديد جوانب معناه حتى لا يقع السامع في وهم .

وفي اطار هذا الخوف وهذا التخطيط بدأ الفرزدق هذه
المرحلة بمدائحه في الحجاج فصوره شخصا مرهوب الجانب هيمنت
سيطرته على الأحياء وملكت سطوته قلوب الناس بالرعب والوجل (٤).

(١) ربما كان خوفه السابق من زياد هو الذي دفعه أن يخطب ود الحجاج
بهذا المدح .

(٢) يفيد كلامنا هذا أن الفرزدق ما كان يمدح الحجاج الا ارضاء للوليد
وليس حبا فيه - انظر العقد الفريد : ٢٨٨/٥ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٥١/١ . (٤) ديوان الفرزدق : ١٣٧/٢ .

إِذَا وَعَدَ الْحَجَّاجُ أَوْهَمَ اسْقَطَتْ
 لَهُ صَوْلَةٌ مَنْ يُوقَهَا أَنْ تُصِيبَهُ
 وَلَمْ أَرَ كَالْحَجَّاجِ عَوْنًا عَلَى التَّقَى
 وَمَا أَصْبَحَ الْحَجَّاجُ يَتْلُو رَعِيَّةً
 وَكَمْ مِنْ عَشَى الْعَيْنَيْنِ أَعْمَى فَوَّادُهُ
 بِسَيْفٍ بِهِ لِلَّهِ تَضْرِبُ مِنْ عَصَاسِي
 شَفِيتَ مِنَ الدَّاءِ الْعِرَاقَ فَلَمْ تَدْعُ
 مَخَافَتَهُ مَا فَى بَطُونِ الْحَوَامِلِ
 يَعِشُ وَهُوَ مِنْهَا مُسْتَخَفًا الْخَصَائِلِ (١)
 وَلَا طَالِبًا يَوْمًا طَرِيدَةً تَابِلِ (٢)
 بِسِيرَةٍ مُخْتَالٍ وَلَا مَتَضَّائِلِ
 أَقَمْتَ وَذِي رَأْسٍ عَنِ الْحَقِّ مَائِلِ
 عَلَى قَصْرِ الْأَعْنَاقِ فَوْقَ الْكَوَاهِلِ
 بِهِ رِيَّةٌ بَعْدَ اصْطِفَاقِ الزَّلَازِلِ

وبهذه المعانى القوية المعبرة امتدح الحجاج فأى خوف يغشى
 الانسان ويهتزله كيانه أكبر من أن تسقط الحوامل ما فى بطونهم من
 من أجنة ؟

وبلاغة هذه المعانى مقتبسة من القرآن الكريم حينما صور يوم
 القيامة وما ينتاب الناس فيه من هلع وفزع * يوم ترونها تذهل
 كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها . . (٣) * ومعانى
 الشاعر وأفكاره فى هذه الأبيات عديدة منها الحقيقى ومنها المجازى
 فالحجاج له صولة من لم تصبه فهو آمن ! وهو عون على التقى
 لا يسأل الناس ولا يطلبهم ، أما المعنى الأكثر عمقا فيمكن فى
 قوله :

(١) الواحدة خصلة وهى العضلة . وأراد بمستخف أنه لا ترتعد عضلاته
 خوفا .

(٢) التابل : هو صاحب الحقد والعدواة والثأر ، اللسان (تيل) .

(٣) سورة الحج : الآية (٢)

وَكَمْ مِنْ عَشَى الْعَيْنَيْنِ أَعْمَى فَوَادُهُ أَقَمْتُ وَذِي رَأْسٍ عَنِ الْحَقِّ مَائِلِ

فكان الحجاج جاء الى العراق وبه كثير من المنحرفين الذين
أعشى لله أبصارهم وأعمى قلوبهم وأمال رؤوسهم عن الحق فقومها
الحجاج بسيف الله ثم يشبهه بالطبيب الذي يحسن تشخيص الداء
للمريض ويتابعه حتى يشفى . !

والفرزدق في هذا المديح يبتعد عن التكسب والاستجداء
مصورا عظمة شخصية الممدوح أروع تصوير من خلال تصويره للمجتمع
العراقي قبل مجيء الحجاج اليه ومافيه من المنحرفين والمتمردين (١)

وَكَانُوا كَذِي دَاءٍ أَصَابَ شِفَاءَهُ طَبِيبٌ بِهِ تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ دَاخِلِ
كَوَى الدَّاءَ بِالْمَكْوَاةِ حَتَّى جَلَا بِهَا عَنِ الْقَلْبِ عَيْنِي كُلِّ جِنٍّ وَخَابِلِ

فأهل العراق مرضى ، والحجاج طبيب يحسن العلاج بالكي ، والكي
الذي يحسنه يزيل حتى عيون الجن ويشفى المرضى من جميع
أمراضهم .

ولكن مرض أهل العراق معنوى ومعرفة الحجاج بالطب ليست
بالكي وإنما بالسيف فجاء الشاعر بهذه الصورة ليجسد شغب أهل
العراق وقوة الحجاج في إخضاعهم مسترسلا في بيان عيوب

(١) الديوان : ١٣٧/٢ .

(٢) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو الطرف اللين من الضلع مما
يلى البطن .

انظر المعجم الوسيط : ٤٧٨/١ .

الولاية السابقين : (١)

وَكَمَا بِأَرْضِ يَابْنَ يَوْسَفَ لَمْ يَكُنْ يَبَالِي بِهَا مَا يَرْتَشَى كُلُّ عَامِلٍ
يَرَوْنَ إِذَا الْخَصْمَانِ جَاءَ إِلَيْهِمْ أَحَقَّهُمَا بِالْحَقِّ أَهْلُ الْجَعَائِلِ

وفي هذا تصوير دقيق لحياة العراق قبل مجي الحاج الـ
فالولاية يرتشون والناس تموج بهم فوضى وعدم استقرار والحق غير
موجود والكاسب للدعوى من تكون جعبته ملوثة للوالى من فضول
العال غير أن الحاج اجتث هذه المظاهر وقضى عليها فهو صارم
لا تطلب الحاجات عنده بالعطاء والهدايا والرشى . (٢)

وَمَا تُبْتَغَى الْحَاجَاتُ عِنْدَكَ بِالرَّشَى وَلَا تُقْتَضَى إِلَّا بِمَا فِي الرِّسَائِلِ

فيمتدحه بما قام به من بسط للأمن وقضاء على الفتن والفساد .
وبمثل هذه المعانى الجزلة والأفكار المتنوعة يسير الفرزدق فى
امتداح الحاج والحكم بن أيوب (٣) وتظهر رقة الشاعر فى اختيار
معانيه وألفاظه حتى غدت مدائح صورة صادقة لشخصيته المتمردة
ونفسيته الجافية ومزاجه البدوى الحاد .

واللافت للنظر أن هذا الشاعر بقى متباعدة عن بلاط الأميين
بدمشق ، ولعل تباعده هذا ناتج عن احساسه العميق بشرفه وأنه

(١) ديوان الفرزدق : ١٣٧/٢ .

(٢) الديوان : ١٣٧/٢ .

(٣) انظر مثلاً ديوان الفرزدق : ٨٢/١ ، ٣٤٩ ، ٤١٧ -

يضاهيهم في هذا الشرف حتى اذا جاء عهد سليمان بن عبد الملك وفد على دمشق وقد أسن (١) وان كان قد مدح بني أمية فانما كان يرسل مدائحهم ويبقى في العراق . (٢)

وأول خليفة مدحه الفرزدق هو عبد الملك بن مروان اذ خصه

بقصيدة ومقطوعة وبعض الأبيات المتفرقات . (٣)

ويبدو الفرزدق في مديحه لعبد الملك متأثرا بالسياسة اذ لم يجد بدا من السير في ركاب بني أمية حيث يقول في مدح الخليفة (٤)

يُرِيدُ مَجْمَعَ حَاجَاتِ الْأَرَاكِيبِ	يَا أَيُّهَا الرَّكَّابُ الْمَرْجَى مَطِيَّتَهُ
بِالنَّصْحِ وَالْعِلْمِ قَوْلًا غَيْرَ مَكْذُوبٍ	إِذَا أَتَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ
جِهَادَهُمْ بِضَرَابٍ غَيْرِ تَذْيِيبٍ	مُجَاهِدٍ لِعُدَاةِ اللَّهِ مُحْتَسِبٍ
سَاقًا شِهَابٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَصْبُوبٍ	إِذَا الْحُرُوبُ بَدَتْ أَنْبَاءُهَا خَرَجَتْ
وَصَاحِبُ اللَّهِ فِيهَا غَيْرُ مَغْلُوبٍ	فَالْأَرْضُ لِلَّهِ وَلَا هَا خَلِيفَتُهُ

(١) انظر تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي للدكتور يوسف خليف

: ١٨٤ .

(٢) انظر كتاب الفرزدق " للدكتور شاکر الفحام : ٤٠٣

(٣) انظر هذه القصيدة والمقطوعة والأبيات المتفرقات في ديوانه : ٢٢/١ ،

٢٣ ، ١٣٥ ، ١٧٧ - ٢٦/٢ ، ٢٥٥ .

ويرى الدكتور شاکر الفحام أن أول خليفة وفد عليه الفرزدق هو الوليد بن عبد الملك ولكن ما أشرنا اليه هنا ينقض هذا الرأي :

انظر " الفرزدق : ٤٠٣ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢٣/١ .

وحينما نتأمل هذه المدحة نجد الشاعر يعتمد الى اثبات الحقائق وكأنه لا يريد أن يقرع سمع الخليفة الا بحقائق ثابتة واضحة للعيان (١) . فالخليفة مجاهد للأعداء وهو محتسب هذا العمل عند الله ، والأرض له سبحانه ولاها عبد الملك ومده بعون منه وتوفيق . ولا يتورع وهو يمدح عبد الملك أن يصب غضبه على ابن الزبير تملقا للخليفة وارضاء لبني أمية فيقول : (٢)

بَعْدَ الْفَسَادِ الَّذِي قَدْ كَانَ قَامَ بِهِ	كَذَّابُ مَكَّةَ مِنْ مَكْرٍ وَتَخْرِيْبِ
رَأَمُوا الْخِلَافَةَ فِي غَدْرٍ فَأَخْطَأْهُمْ	مِنْهَا صُدُورٌ وَفَازُوا بِالْعَرَاقِيبِ
كَانُوا كَسَالِفَةً حَقَقَاءَ إِذْ حَقَّقَنْتُ	سِلَاحَهَا فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبِ

وكان الفرزدق قد وجد متنفسا هنا فعاد الى غرضه الذي يحسنه قبل المديح وهو الهجاء ليصبه على ابن الزبير مع أنه لم يصبه بأذى لكن السياسة تفعل الأعاجيب ، وما كان ينبغي للفرزدق نعت ابن الزبير بهذا (٣) .

(١) وهذا ضرب من التصوير الفني الكامن في الصورة التقريرية التي لا تحوى تشبيها أو مجازا وانما تجسم المعنى بحقائق ثابتة .
انظر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي للدكتور نصرت عبد الرحمن : ١٣ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٤/١ . وفي هذا المدح تبدو نغمة السياسة واضحة
(٣) ربما يرجع هجاء الفرزدق لابن الزبير - بالاضافة الى ارضاء الخليفة - الى نقمته عليه منذ أن قضى للنوار عندما هربت اليه فهم يقتل الفرزدق لولا أن قبلته زوجا . انظر شرح مقامات الحريري : ٣٦٨/١ .

ثم يعود ثانية لمدح عبد الملك فيقول : (٢)

دَعَا لِيَسْتَخْلَفَ الرَّحْمَنُ خَيْرَهُمْ	وَاللَّهُ يَسْمَعُ دَعَايَ كُلِّ مَكْرُوبٍ
فَانْقَضَ مِثْلَ عَتِيقِ الطَّيْرِ تَتَبَعَهُ	مَسَاعِرُ الْحَرْبِ مِنْ مُرْدٍ وَمِنْ شَيْبٍ
لَا يَعْلفُ الْخَيْلَ شَدَّ وَدَا رَحَائِلُهَا	فِي مَنْزِلٍ بِنَهَارٍ غَيْرِ تَأْوِيلٍ
تَغْدُو وَالْجِيَادُ وَيَغْدُو وَهَوْنِي قَتَمٍ	مِنْ وَقَعِ مُنْعَلَةٍ تَزْجِي وَمَجْنُوبٍ
قِيدَتْ لَهُ مِنْ قُصُورِ الشَّامِ ضَمْرُهَا	يَطْلُبُنَّ شَرْقِيَّ أَرْضٍ بَعْدَ تَغْرِيبٍ

فقد شبه الخليفة بالطائر القوي الذي انقض على فريسته بقوة وسرعة كما شبه جيش عبد الملك بالذئاب المسعورة . فالخليفة مثل عتيق الطير وجيشه مثل الذئاب والطير عادة يعشق العلو ويعيش في القمم والذئاب تعيش في الأدوية والكهوف فهذه الصورة الحسية تنبئ بعلو مكانة الخليفة وشرف منزلته فهو مستمر في الحرب واخماد الأعداء اذ أن خيله في سير طول النهار لا تتوقف جاءت من قصور الشام الى العراق بعد أن أنهت مهمتها في المغرب . فهو يعلفها الجد والتشمير في طلب العدو . ويستمر في مديحه لعبد الملك (٢)

فَأَصْبَحَ اللَّهُ وَلِيَّ الْأَمْرِ خَيْرَهُمْ	بَعْدَ اخْتِلَافٍ وَصَدْعٍ غَيْرِ مَشْعُوبٍ
تَرَاثَ عُثْمَانُ كَانُوا الْأَوْلِيَاءَ لَهُ	سِرْبَالُ مُلْكٍ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مَسْلُوبٍ
يَحْمِي إِذَا لَيْسَ وَالْمَادِي مُلْكُهُمْ	مِثْلَ الْقُرُومِ تَسَامَى لِلْمَصَاعِبِ
قَوْمَ آبُوهُمْ أَبَوُ الْعَاصِي أَجَادَ بِهِمْ	قَرْمٌ نَجِيبٌ لِحَرَابٍ مَنَاجِيبِ

(١) ديوان الفرزدق : ٢٤/١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٥/١ - ٢٦ .

قَوْمٌ أَثِيْبُوا عَلَى الْإِحْسَانِ إِذْ مَلَكُوا وَمِنْ يَدِ اللَّهِ يُرْجَى كُلُّ شَيْءٍ

والشاعر يعتمد الى انتقاء اللفظة المصورة لتغدوا فى كلامة موحية تحمل من المعنى مالا تطيقه جملة بأكملها تكون بعفدها صورة تشير الخيال وتشغل الفكر فهاهو يختار صيغة المبالغة (حراب) لامتداح عبد الملك بأنه شجاع ينتمى لأسرة لا يظام من استجار بهم حلوا من الناس محل الذؤابة .

ويأتى بعد عبد الملك ابنه الوليد فيقصده الشعراء ويمتدحونه وكان الفرزدق واحدا من أولئك حيث مدحه بست قصائد ومقطوعة (١) ولقد كانت مدائحه فى الوليد أكثر من مدائحه فى أبيه ولعل هذا راجع الى أن نفسه قد تمرست هذا الفن وانصهرت مع الشعراء الآخرين الذين ملأوا الدنيا بمدح الخلفاء ، فلم يكن له بد من أن يسلك هذا المسلك متجاهلا خفايا تلك النفس التى ما فتئت تنوق الى العلا والمجد . يقول فى الوليد : (٢)

أَلَمْ يَكُ جَهْلًا بَعْدَ سِتِّينَ حِجَّةً	تَذَكَّرَ أُمَّ الْفَضْلِ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ
أَلَسْنَا بِمَحْقُوقِينَ أَنْ نُجْهِدَ السُّرَى	وَأَنْ يَرْقِصَ التَّالِي لَنَا وَهُوَ مُتَعَبُ
إِلَى خَيْرٍ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ أَمَانَةٌ	وَأَوْلَاهُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُكَذَّبُ
تُعَارِضُ بِاللَّيْلِ النُّجُومَ رِكَابُنَا	وَبِالشَّمْسِ حَتَّى تَأْفَلَ الشَّمْسُ تُذَابُ

(١) انظر هذه القصائد والمقطوعة فى الديوان : ٢٨٣، ٧٩/١ .

٢٤٨ - ١٢٦/٢ ٢٤٣، ١٤٩، ٢٠٩ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٧٩/١ .

أُنِيختَ وما تَدْرِي أَمَا فِي ظُهُورِهَا مَنِ الْقَرَحِ أَمْ مَا فِي الْمَنَاسِمِ أَنْقَبُ (١)
 حَلَفْتُ بِأَيْدِي الْبُذُنِ تَدْمِي نُحُورُهَا نَهَارًا وَمَا ضَمَّ الصَّفَاحَ وَكَكَبَ (٢)
 لَأُمُّ أَتْنَا بِالْوَلِيدِ خَلِيفَةً مِنَ الشَّمْسِ لَوْ كَانَ ابْنُهَا الْبَدْرُ أَنْجَبُ

وأول ما نلاحظه على هذه القصيدة أنه بدأها بالاستفهام التقريرى
 ليثبت حقيقة واقعة هي أنه تجاوز الستين ، وأنه من الجهل بعد
 هذا العمر الطويل الذى اشتعل فيه الرأس شيئا أن يتذكر أم
 الفضل التى نص عليها ، وكان ذاك الشباب الطاغى والفتوة التى
 عاشها قد آذنتاه بالرحيل . ثم يدخل الى غرضه وهو الممدح
 بالاستفهام التقريرى أيضا ليقرر حقيقة لا ينكرها الا جاحد ، وهى
 أن الوليد خير من تحت السماء أمانة وأولاهم بالحق ، وأحراهم
 بأن تشد اليه الرحال . ويبين فى تصوير اخبارى محكم أن
 ركبهم واصلت الليل والنهار سيرا لتصل فى النهاية الى ساحة
 الوليد ثم يقسم بأن تلك السيدة الفضلى التى أنجبت الوليد
 أنجب من الشمس فيما لو كان البدر ابنها ، فقد استلهم الشاعر
 هذه الصورة الفنية مما يحيط به بصره من مظاهر الكون فى أسلوب مـ
 لا يستطيع مثله الا الشعراء الكبار حيث قرن بين أم الوليد والشمس
 ثم أفاض فى المبالغة حتى أن الشمس لو كانت أنجبت البدر
 لكانت أم الوليد أنجب منها . ويسترسل فى المديح فيقول : (٣)

(١) أنقب : أى أرق .

(٢) الصفاح : جبال تتأخم نعمان ، وككب : جبل بعرفات .

(٣) الديوان : ٨٠ / ١ - ٨١ .

تَصْعَدَ جَدًّا بِالْوَلِيدِ إِلَى التَّسْوِي
أَرَى الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ أَصْبَحَا
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُرْجَى كَرَامَةٌ
وَمَا دُونَ كَفِّكَ أَنْتَهَاءٌ لِرَاغِبٍ
أَرَى كُلَّ جَدٍّ (١) دُونَهَا يَتَصَوَّبُ
يَمْدَانِ أَعْنَاقًا إِلَيْكَ تَقَرَّبُ
بِكَفِّكَ أَوْ يَخْشَى الْعِقَابَ فَيَهْرُبُ
وَلَا لَعْنَاهُ مِنْ وَرَائِكَ مَذْهَبُ

ونجد الشاعر هنا يبالغ الى درجة عليا في التعبير فيذكر أنه يرى الجن والانس يتقربون الى الوليد ويمدون اليه أعناقهم زيادة ففى تعظيمه وهيبته ، وهذا المعنى يذكرنا بعمر وبن كلثوم التغلبي الذي جعل الجبابرة تخضع لتعظيمهم . وهذه الرؤية التي يراها الفرزدق مجازية فمن المستحيل رؤية الانس والجن معا لأن نظر الجن مما لا يحيط به نظر الانسان لكن مبالغة الشاعر في المديح اقتضت هذا السياق . وبين أن هؤلاء الجن والانس جميعا اما أن ينالهم كرامة من كفى الوليد وهذا ما يرجون ، أو يصيبهم عقاب فيهربون وهذا من باب المجاز أيضا فالجن لا يريدون من الوليد كرامة ولا يخافون منه عقابا . فجاء بهذا المعنى من خلال المقابلة بين شطرى البيت التالى :

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا يُرْجَى كَرَامَةٌ بِكَفِّكَ أَوْ يَخْشَى الْعِقَابَ فَيَهْرُبُ
كما أن فى شطر هذا البيت الثانى مجاز بالحذف والتقدير (أو يخشى العقاب من كفىك فيهرب) .

(١) ليس معنى جدّ هنا الحظ والآ لكان المدح أقل قيمة من الجد الحقيقى .

ويقول مادحا الوليد أيضا : (١)

خَيَارَ اللّٰهِ لِلْإِسْلَامِ إِنَّا
سَتَحْمِلُنَا إِلَيْكَ مُبَلَّغَاتٌ
لِنَأْتِيَ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ حَيًّا

إِلَيْكَ نَشْدُ أَنْسَاعَ الصَّدُورِ
يَطَّانَ دَمًا مُكَدَّحَةُ الظُّهُورِ
تَحُلُّ إِلَيْهِ أَحْنَاءُ الْأُمُورِ

ثم يقول :- (٢)

وَلَكِنْ يَنْتَجِعُنْ بِنَا فِرَاتًا
هَمَّا فِي رَاحَتِكَ إِذَا تَلَاقَى
بِهِمْ ثَبَّتَ رَحَى الْإِسْلَامِ قَسْرًا
تَوَارَثَهَا بَنُو مَرْوَانَ عَنْهُ
رَجَاكَ الْمَشْرِقَانِ لِكُلِّ عَانٍ
وَكُنْتَ جَعَلْتَ لِلْعَمَّالِ عَهْدًا
فَمَنْ يَأْخُذُ بِحَبْلِكَ يَجُلُ عَنْهُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفِي

وَنِيْلًا يَطْمُؤَانِ عَلَى الْبُحُورِ
عِبَابُهُمَا إِلَى حَلَبٍ غَزِيرِ
وَضَرْبٍ بِالْمِهْنَةِ الذَّكُورِ
وَعَنْ عَثْمَانَ بَعْدَ ثَأْنٍ كَبِيرِ (٣)
وَأَرْمَلَةٍ وَأَصْحَابِ الثُّغُورِ
وَفِيهِ الْعَاصِمَاتُ مِنَ الْفُجُورِ
عَشَا عَيْنِيهِ مِنْكَ بَيَاضُ نُورِ
بَعْدَ لِيَدَيْكَ أَدْوَاءَ الصَّدُورِ

فيستهل هذه القصيدة ببيان فضل بني أمية وأنهم خيار أهل
الاسلام ، وأن الوليد خير أهل الأرض ثم يصفه بالفرات والنيل
كرما .

وَلَكِنْ يَنْتَجِعُنْ بِنَا فِرَاتًا وَنِيْلًا يَطْمُؤَانِ عَلَى الْبُحُورِ

(١) الديوان : ٢٨٣/١ - ٢٨٦ .

(٢) الديوان : ٢٨٣/١ - ٢٨٦ .

(١) الثأني : الجهاد .

وهذا من أبرز مظاهر التفنن في دقة المعنى وهو في هذه الأبيات لامتداح الوليد يعرض صورة من صور الظلم والاضطهاد التي حلت بالعراق من قبل الولاة السابقين وكان المجتمع قد فوضه للحديث عن آلامه وآماله فهو يجسد روح الشاعر الاجتماعي الذي يصور حياة قومه ويدافع عن شرفهم وأحسابهم وكأنه ينطق بلسان قومه اذ يقول مخاطبا الخليفة ومقدما شكوى المجتمع العراقي :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ تَشْفِي	يَعْدِلُ يَدَيْكَ أَدْوَاءَ الصَّدُورِ (١)
فَكَيْفَ بِعَامِلٍ يَسْعَى عَلَيْنَا	يَكْلِفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ
وَأَنْتَى بِالْأَدْرَاهِمِ وَهِيَ مِنَّا	كَرَافِعِ رَاحَتِهِ إِلَى الْعَبُورِ
إِذَا سَقْنَا الْفَرَاخَ لَمْ يَرُدَّهَا	وَصَدَّ عَنِ الشَّوْهَةِ وَالْبَعِيرِ
إِذَا وَضَعَ الشَّيَاطُ لَنَا نَهَارًا	أَخَذْنَا بِالرَّبَا سَرَقَ الْحَرِيرِ
فَأَدْخَلْنَا جَهَنَّمَ مَا أَخَذْنَا	مِنَ الْإِرْبَاءِ مِنْ دُونِ الظُّهْرِ
فَلَوْ سَمِعَ الْخَلِيفَةُ صَوْتَ دَاعٍ	يَنَادِي اللَّهَ هَلْ لِي مِنْ مُجِيرِ
وَأَصْوَاتِ النِّسَاءِ مُقَسَّرَنَاتٍ	وَصَبِيَّانِ لَهْنٍ عَلَى الْحُجُورِ
إِذَا لِأَجَابَهُنَّ لِسَانُ دَاعٍ	لِدِينِ اللَّهِ مَغْضَابِ نَصُورِ
أَمِينَ اللَّهُ يَصْدَعُ حِينَ يَقْضَى	بِدِينِ مُحَمَّدٍ وَبِهِ أُمُورِ

وهنا تظهر هذه اللوحة الفنية الرائعة اذ عرض لما حل بمجتمعه من الظلم والقهر في أسلوب بليغ واضح ومؤثر ، وقد أضفى على معانيه لونا من التأثير في النفس حيث شبه الخليفة بطبيب يكون

على يديه شفاء الصدور مما بها من الغل وشبه العدل الذى يأتى
على يديه بالدواء الناجع ثم يأتى دور الاستفهام الانكارى اذ ينكر
أن يكون الخليفة راضيا عما يفعله الولاة من تكليف الناس مالا
يطيقون ، وكأنه يريد أن يقول للخليفة مارأيك فيمن يكلف الرعية
مالا يطيقون .

فَكَيْفَ يَعامِلُ يَسْعَى عَلَيْنَا يَكْلِفُنَا الدَّرَاهِمَ فِي الْبُدُورِ

ومن أين لنا هذه الدراهم وهى بعيدة عنا بعد الجوزاء فالناس
فى فقر والولاة يكلفونهم مالا يستطيعون ، ويبين فى أسلوب مؤثر
أن ماحل بالناس دفعهم الى التعامل بالربا ، وأن هذا الربا
سيؤول بهم الى جهنم لأنه محرم بنص الكتاب والسنة . * وأحل
الله البيع وحرم الربا * (١)

ويصور نساء مجتمعه وحالتهن المؤلمة وقد قرن وصيانتهن على
حجورهن يتألم الجميع من الجوع ثم يؤكد أن الخليفة لو رأى هذا
المنظر لأجاب غضبا لدين الله الذى لا يقر هذه الأشياء .

وقد عمد الشاعر هنا الى اتخاذ الصور الحقيقية التى تدل على
ماحل بالمجتمع من الظلم فالوالى حينما يأتى اليه شخص بشاة
أو بغير صدقة يرفضها ليأخذ مقابلها دراهم ومن لم يأت بذلك
فقد أعدت له الشياطين التى تجعله والحالة هذه يقدم على الربا
لتسديد ما فرض عليه ، وهذه الأفكار التى يجسدها الفرزدق فى
مديحه للوليد انما هى أفكار حقيقية تعكس صورة الوضع الاجتماعى
للمجتمع .

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٥) .

ولعل هذا من أخص ما يميز مدائح الفرزدق في الوليد تصويره
البارع لحالة المجتمع الذي يعيش فيه وما حل به من ظلم ومن أناة
فالشاعر ينهض بهذه المهمة ليوصل الى سمع الخليفة شكاة الناس
ويصور حالهم كما مر معنا .

ويمثل هذا التفنن في الأفكار والقوة في المعاني والتدقيق
في الصور تكون بقية مدائح الفرزدق في الوليد . (١)

xxxxxxxxxxxxxxxx

(١) انظر الديوان : ٢٤٨/١ - ٢٤٩ - ١٤٥/٢ .

ومن خلفاء الدولة الأموية سليمان بن عبد الملك الذى لم تدم خلافته أكثر من أربعة أعوام ، وقد اتصل به الفرزدق ومدحه بأرقى قصائده وزاد من فرط حبه له أن وفد عليه وأنشده شعره ولم يكن وفد على خليفة من قبل كما أشار هو الى ذلك بقوله : (١)

تَرَكْتُ بَنَى حَرْبٍ وَكَانُوا أَيْمَّةً وَمُرَوَّانَ لَا آتِيهِ وَالْمُتَخَيَّرَا
أَبَاكَ وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ أَرَادَنِي لِفَعْلٍ خَيْرًا أَوْ لِيُؤْمِنَ أَوْجَرَا
فَمَا كُنْتُ عَنْ نَفْسِي لَأَرْحَلَ طَائِعًا إِلَى الشَّامِ حَتَّى كُنْتُ أُنْتَالُ مُؤَمَّرَا

وبهذه النفسية المندفعة فى حب الخليفة سليمان كانت غرر مدائح الفرزدق بعد أن تمرست نفسه مديح الخلفاء فاخصه بسبع قصائد وثلاث مقطوعات . (٢) كانت كلها مليئة بالصور الخيالية التى تملأ النفس أريجية ، وكأنها تبت الحياة فى الكلمات والعبارات التى انتقاها الشاعر : (٣)

فَلَمَّا أَتَانِي أَنَّهَا ثَبَّتَ لَهُ بِأَوْتَادِ قَرَمٍ مِنْ أُمِّةٍ أَزْهَرَا
نَهَضْتُ بِأَكْنَافِ الْجَنَاحَيْنِ نَهْضَةً إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَرَعًا وَعَنْصَرَا
فَحَبَّكَ أَغْشَانِي بِلَادًا بَغِيضَةً إِلَيَّ وَرُومِيَا بَعْمَانَ أَقْشَرَا
فَلَوْ كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ حَلَّ مُقْبِلًا بِإِحْدَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَحْمَرَا
حَيِّيتُ بِأُخْرَى بَعْدَهَا إِذَا تَجَرَّمْتُ مَدَاهَا عَسَتْ نَفْسِي بِهَا أَنْ تُعَمَّرَا

(١) القصيدة فى الديوان : ١٩٦/١ .

(٢) هذه القصائد والمقطوعات فى ديوانه ١٩٦/١ ، ٢٦١ ، ٢٩١ ،

٣٣٣ - ٧١/٢ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٧٣ .

(٣) الديوان : ١٩٢/١ .

إِذَا لَتَغَالَتْ بِالْفَسَلَةِ رَكَابُنَا إِلَيْكَ بَنَّا يَخْدِينَ مَشْيَا عَشْنُرَا

ولقد جاءت الاستعارة أجمل ما تكون في قوله :

فَلَمَّا أَتَانِي أَنهَا ثَبَّتَ لَهُ بِأَوْتَادِ قَرَمٍ مِنْ أُمِيَّةٍ أَزْهَرَا

اذ شبه ثبات الخلافة لسليمان بالبيت الذى تضرب أوتاده فى أعماق الأرض لتثبيته ، كما شبه بنى أمية بالأوتاد القوية الثابتة جذورها فى بطن الأرض ، ويصور نفسه تصويراً دقيقاً حينما اتجه لسليمان وكان الخبر جاءه فجأة فنهض من مكانه مسرعاً لمقابلة الخليفة وتهنئته :

نَهَضْتُ بِأَكْتافِ الْجَنَاحَيْنِ نَهْضَةً إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَرَعَاً وَعَنْصَرَا

وقد أكد هذه النهضة بالمفعول المطلق " نهضة " لكنه بالغ فى الشطر الثانى فوصف سليمان بأنه خير أهل الأرض فرعاً وعنصراً .

ونجد الشاعر هنا يعتمد الى اختيار الألفاظ القوية المعبرة التى تزيد المعنى قوة ، تلك الألفاظ النابعة من ذاتية الشاعر المتمرس حبّ البادية ، ولكنه مع هذه النفسية البدوية الجسافة قد حباه الله قريحة متوقدة فلم يكن غريباً عليه أن نجد فى البيت الواحد أوالبيتين عنده الكثير من الصور الفنية الخصبة التى تفسح للخيال أن يتمثل مايريد به الشاعر من صنوف المديح .

يمثل هذا قوله : (١)

فَحُبُّكَ أَغْشَانِي بِلَاداً بَغِيضَةً إِلَى وَرُؤْيَا بَعْمَانَ أَقْشَرَا

فلو كنت ذا نفسين إن حلّ مُقبلاً
بأحداهما من دونك الموت أحمرًا
حييت بأخرى بعدّها إذ تجرّمت
مداها عست نفسى بها أن تعمراً

ان اختيار الشاعر لهذه الألفاظ والمعاني القوية الجزلة كما نرى تعطى فكرته بعدا أعمق ومفهوما أبلغ لدى القارئ أو السامع ، فكلمة " أغشاني " تعطى من الأيحاء مالا تعطيه جملة يأكلها فهذا الحب للممدوح جعل الشاعر يستسهل الصعب ويستلذ المر حتى تلك البلاد البغيضة لديه صارت حبيبة الى نفسه - وبغضه لهذه البلاد ليس لها ذاتها وانما لأهلها نتيجة للعلاقة التى كانت تربط الشاعر بهم - أما وقد جاء سليمان فان الفرزدق حتى لو كانت له نفسان ماتت احداهما والأخرى تنازع فانه سيبقى حيا بهذه النفس طالما بقى سليمان ، وهذا تعبير فيه من العجاز مما يجعله يحمل من المعنى الموحى الذى يدل على سعة مفهوم الشاعر لغرضه وسعة ثقافته العربية وتمكنه من فنه الشئ الكثير فهى صور فيها من العمق والاستقصاء للمعنى مالا يطيقه فيض من الألفاظ والمعاني مالم تكن على هذا النسق وهذا الترتيب .

ومديح الفرزدق لسليمان بن عبد الملك تتجلى فيه روعة الخيال وصدق العاطفة وبلاغة الصور الفنية التى جادت بها قريحة الشاعر لتعبر عن نفسية غمرها حب الخليفة اذ وجد الشاعر عنده مالا يريده لمجتمعهم ، فقد أطلق سليمان الأسرى وأعطى المحتاجين ، وخلص العراق من ظلم الحجاج الذى خلفه بعد وفاته ورسف فيه المجتمع العراقى طوال العهد السابق متهما الحجاج بالظلم وقهر

الناس ، وهذا يؤكد ماقلناه من أنه ماكان يمدح الحجاج
الآ اتقاء لشره ..

يقول في مدح سليمان أيضا : (١)

هَلَمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَدْلِ عِنْدَنَا	فَقَدْ مَاتَ عَنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ خِبَالُهَا
فَمَا أَصْبَحَتْ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ فَقِيرَةٌ	وَلَا غَيْرُهَا إِلَّا سُلَيْمَانُ مَالُهَا
يَمِينُكَ فِي الْأَيْمَانِ فَاصِلَةٌ لَهَا	وَحَيْرُ شِمَالٍ عِنْدَ خَيْرِ شِمَالِهَا
فَأَصْبَحَتْ خَيْرَ النَّاسِ وَالْمُهْتَدَى بِهِ	إِلَى الْقَصْدِ وَالْوَثْقَى الشَّدِيدِ حِبَالُهَا
يَدَاكَ يَدَ الْأَسْرَى الَّتِي أَطْلَقْتَهُمْ	وَأُخْرَى هِيَ الْغَيْثُ الْمَغِيثُ نَوَالُهَا
وَكَمْ أَطْلَقْتَ كَهَاكَ مِنْ قَيْدٍ بَائِسٍ	وَمِنْ عُقْدَةٍ مَاكَانَ يُرْجَى انْحِلَالُهَا
كَثِيرًا مِنَ الْأَسْرَى الَّتِي قَدْ تَكَنَعَتْ	فَكَكَّتْ وَأَعْنَقَا عَلَيْهَا غِلَالُهَا
وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ أَوْتَادَ دِينِنَا	كَمَا الْأَرْضُ أَوْتَادَ عَلَيْهَا حِبَالُهَا
وَأَنْتُمْ لِهَذَا الدِّينِ كَالْقِبْلَةِ الَّتِي	بِهَا إِنْ يَضِلَّ النَّاسُ يَهْدَى ضَلَالُهَا

هذه المقطوعة مليئة بالأفكار والمعاني الصادرة عن عاطفة
متأججة ، فالعدل مقرونا بالاسلام عند الخليفة سليمان ، ونتيجة
لوجود هذا العدل فقد مات عن أرض العراق ما حل بها من الظلم
والاضطهاد ، وسليمان هو المال لكل الأنفس الفقيرة والمحتاجة يمينه
فاصلة في الايمان وشماله خير شمال ، وبهذا رسم الشاعر مدحتيه
هذه فوصف مدوحه كذلك بالكرم ، وهداية الناس الى الطريق المستقيم

(١) الديوان ٢/ ٧٦ .

وقد نظم الفرزدق هذه القصيدة في مدح سليمان وهجاء
الحجاج .

وأن احدى يديه تمتد بالعفو لتطلق الأسرى ، وأما الأخرى
فتشبه الغيث المنهمر والناس ينظرون نوالها ، وعلى يديه تفك
القيود ، وتقضى حوائج الناس . وتزداد قوة المعنى وبراعة التصوير
فى قوله :

وَجَدْنَا بَنَى مَرَّوَانَ أَوْتَادَ دِينِنَا كَمَا الْأَرْضُ أَوْتَادَ عَلَيْهَا جِبَالُهَا
وَأَنْتُمْ لِهَذَا الدِّينِ كَالْقِبْلَةِ الَّتِي بِهَا إِنْ يَضِلَّ النَّاسُ يَهْدَى ضَلَالُهَا

إذ يصف بني مروان بأنهم أوتاد الدين ، ويشبههم بالقبلة التى
يجتمع المسلمون فى استقبالها ، وقد وفق الشاعر الى هذا التشبيه
الذى أضفى على المعنى هبة وجلالا . (١) وقد تجلت عبقرية
الفرزدق الشعرية فى مديح سليمان فكانت له روائع تجلت فيها
عظمة الشاعر وطول نفسه وافتنانه فى الصور المعبرة كقوله : (٢)

وَأَلَى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنْتَ أَرَوَى الْهَضَابِ بِهِ مِنَ الدُّعْرِ
وَتَرَجَعَ الطُّرْدَاءُ إِذْ وَثِقُوا بِالْأَمْنِ مِنْ رَثِيلٍ (٣) وَالشَّحْرِ
أَوْكَلَتْ دَائِرَةً كَانَ بِهَا قَارًا وَلَيْسَ سَفِينُهَا يَجْرِي

(١) لأنه بهذا يركز على قيمة القبلة الروحية عند المسلمين فالكعبة رمز
لاتجاههم الى الله وتوحيدهم جميعا على ملة واحدة فأراد أن يأخذ
من هذا المعنى فكرة توحيد الأمة ووجوب اتباع الامام انطلاقا من قوله
تعالى : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى
الْأَمْرِ مِنْكُمْ * الآية ٥٩ من سورة النساء . فكان طاعة الخليفة من
طاعة الله سبحانه ، وهذه عقيدة المسلمين .

(٢) الديوان : ٢٦١ / ١ .

(٣) رثيل : ملك من ملوك الترك . أنظر الطبرى : ٣٢٢ / ٦ .

أَوَكَلَّ صَادِقَةً إِذَا طَلِبَتْ مِنْ دُونِهَا الرِّيحُ الَّتِي تُذَرِّي
تُصَيِّ الرِّيحَ بِهَا وَقَدْ لَغِبَتْ أَوَكَلَّ صَادِقَةً عَلَى الْفَتْرِ (١)

والشاعر قد اعتنى كما نرى بتصوير شخصية الممدوح تصويرا يظهر من خلاله عظمة سليمان وقوته وأنه مد مظلة الأمن حتى شملت الطرداء الذين أخافوهم طغاة الأرض ، وكذلك حيواناة الفلاة أصبحت آمنة مطمئنة في عهد سليمان :

وَالِى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَتْ أَرَوَى الْهَضَابِ بِهِ مِنَ الذُّعْرِ
وَتَرَجَعَ الطُّرْدَاءُ أَذْ وَثِقُوا بِالأَمْنِ مِنْ رَثِيلٍ وَالشَّعْرِ

حتى المصيبة ثبتت في مكانها ولم تعث في الأرض فسادا بعد أن تولى سليمان الخلافة ، فهي تشبه السفينة الراسية التي وضع فيها أثقال لتثبيتها في مكانها .

وقد صور الشاعر هذه الأشياء ليخلص بالتالى الى امتداد سليمان فيقول :

أَوَكَلَّ دَائِرَةً كَانَ بِهَا قَارًا وَلَيْسَ سَفِينُهَا يَجْرِي
أَوَكَلَّ صَادِقَةً إِذَا طَلِبَتْ مِنْ دُونِهَا الرِّيحُ الَّتِي تُذَرِّي
تُصَيِّ الرِّيحَ بِهَا وَقَدْ لَغِبَتْ أَوَكَلَّ صَادِقَةً عَلَى الْفَتْرِ

ولقد بلغ من براعة الفرزدق أن معانيه قد تحمل صورا واقعية حدثت بالفعل وقد تكون كناية تحمل من المعنى الشيء الكثير

(١) نلاحظ في هذا المديح عمق المعاني وقوتها وبراعته في تصوير هذه الشخصية العظيمة .

(١) نفى قوله :

كُنَّا نَنَادِي اللَّهَ نَسْأَلُهُ	فِي الصُّبْحِ وَالْأَسْحَارِ وَالْعَصْرِ
أَنْ لَا يَمِيتَكَ أَوْ تَكُونَ لَنَا	أَنْتَ الْإِمَامُ وَوَالِي الْأُمُورِ
فَأَجَابَ دَعْوَتَنَا وَأَنْقَذَنَا	بِخِلَافَةِ الْمَهْدِيِّ مِنْ ضُرِّ
يَا بَنِ الْخَلَائِفِ لَمْ نَجِدْ أَحَدًا	يَبْقَى لِحَزِّ نَوَائِبِ الدَّهْرِ
إِلَّا الرُّوَاسِيَّ وَهِيَ كَأَنَّكَ	كَالْعَيْنِ وَهِيَ سَرِيعَةُ الْمَرِّ

نجد كثيرا من المعانى الحقيقية والمجازية على السواء ، فالله أنقذهم بخلافة سليمان من الضر الناتج عما خلفه الحجاج وولاته على العراق من الظلم والاستعباد ، فهذه المعانى الحقيقية والمجازية قد تزامنت وجاءت معا فى هذه الأبيات مما زاد فى عمق المعنى . وتمكن الشاعر من استيفاء غرضه بمثل هذه الصور الجميلة .

(٢) وقوله كذلك :

جَعَلَ إِلَهَ لَنَا خِلَافَتَهُ	بِرَّ الْقُرُوحِ وَعِصْمَةِ الْجَبَرِ
كَمْ حَلَّ عَنَّا عَدْلُ سُنَّتِهِ	مِنْ مَغْرَمِ ثَقْلٍ وَمِنْ إِصْرِ
كُنَّا كَزَرْعٍ مَاتَ كَانَ لَلَّهِ	سَاقٍ لَهُ حَدَبٌ مِنَ النَّهْرِ
عَدْلُوهُ عَنْهُ فِي مَغْوَلَةٍ	لِلْمَاءِ بَعْدَ جَنَانِهِ الْخُضْرِ (٣)

(١) الديوان : ٢٦٢/١ .

(٢) الديوان : ٢٦٤/١ .

(٣) عدلوه فى مغولة : أى فى أرض بعيدة عنه حتى مات .



أَحْيَيْتَهُ بِعُبَابٍ مِّنْثَلِيمٍ وَعَلَاءُ مِنْكَ مُفَرِّقُ الدَّبْرِ
أَحْيَيْتَ أَنْفُسَنَا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَّا الْفَنَاءَ وَنَحْنُ فِي دُبْرِ

فهو يشبه حالهم قبل مجيء سليمان بالزرع الميت الذي كان يسقى من النهر حتى يرتوى لكنه منع عنه الماء فمات وذبل ثم جاء سليمان وأعادته إليه فنما واخضر وعادت له النضارة والجمال ، والتعبير بأحياء النفس يدل على هول ما حل بهم في العهد الماضي وعظم ما قدمه سليمان لهم بعد أن آلت إليه الخلافة فكأنه أعاد لهم الأمل في الحياة بعد أن طوح بهم الظلم :

أَحْيَيْتَ أَنْفُسَنَا وَقَدْ هَلَكْتَ وَجَبَرْتَ مِنَّا وَاهِي الْكَسْرِ

فأحياء النفس بعد هلاكها يعد جبرا للكسر ، ولأن هذا الجبر جزء من الإحياء ، ومع أنه يتبادر إلى الذهن عند ذكر الإحياء أنه لا لزوم لجبر الكسر ، لكن ذكره هنا نوع من أنواع التأكيد ، وهذه صورة حسية فأحياء النفس أحياء عام لا يمكننا من معرفته لأننا نجعل أساسا كنه النفس : * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (١) أما جبر الكسر فهو حسي مادي وليس ذكره تزييدا بل تأكيدا للمعنى عندئذ جاء ذكره للحسي المادي بعد المعنوي .

ولقد بدأ الفرزدق صانعا ماهرا يحسن التأتى لفكرته حين يختار لها مثل هذه المعاني الموحية التي لا تكلف فيها وكأنه لم

يقصد اليها قصدا .

ولو استرسلت في تعداد الصور الخيالية في هذه القصيدة ،
وغيرها وما تضمنته هذه المدائح من معانى وأفكار وصور لطال حصرها
لأن هذه المرحلة تمثل فترة النضج عند الشاعر في هذا الغرض
نتيجة لصدق العاطفة ناحية سليمان حبا وولاء ، وما أجملها من
عاطفة صادقة وصور موحية في مثل قوله : (١)

بَعَثَ إِلَهُ لَهَا وَقَدْ هَلَكَتْ نُورَ الْبِلَادِ وَمَاطَرَ الْقَطْرِ
يَرْجُونَ سَبِيلَكَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَالنَّيْلِ فَاضٍ عَلَى قُرَى مِصْرَ

فهو يشبهه بالنور الذى أضاء أرجاء البلاد فى تشبيه بليغ مؤثر
وبالمطر الذى ينزل على الأرض فيحييها بعد موتها ، كما يشبهه
كذلك بالنيل فى تدفقه وما يحمله من بشار الخير لقرى مصر
وهذه صورة حسية مأخوذة من الطبيعة التى تكتنف الانسان ، كما
نجد يشبهه بضوء القمر حينما تتضاءل معه الكواكب .

إِلَى بَدْرِ لَيْلٍ مِنْ أُمِّهِ ضَوْءُهُ إِذَا مَابَدَا يَعْشَى لَهُ كُلُّ كَوْكَبٍ (٢)

وهو قريب من قول النابغة يمدح النعمان بن المنذر ويعتذر اليه (٣) :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالنَّجُومُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

ولمن أراد المزيد من هذه الصور الجميلة الرجوع الى ديوان الفرزدق
وبخاصة مدائحه لسليمان فانها قمة لشعر المديح فى هذه المرحلة (٤) .

(١) الديوان : ٢٦٦/١ (٢) الديوان : ٢٢/١ .

(٣) ديوان النابغة : ٢٨ .

(٤) انظر ديوان الفرزدق : ٢٤٨/١ - ٢٤٩ - ١٤٥/٢ .

أما عمر بن عبد العزيز (١) - رضى الله عنه - فلم يكن بعد أن تولى الخلافة ممن يغترون بمدح الشعراء ويتطلعون إليه ، بخلاف ما كان عليه غيره من خلفاء بنى أمية وأمرائهم ، وإنما كان يسير على نهج الراشدين فى سيرته وحكمه وورعه وتقواه ، والمحافظة على مال المسلمين (٢) .

وبناء على هذا الاتجاه قل مدح الشعراء له ، ولم نعثر فى ديوان الفرزدق الأعلى قصيدتين فقط يمدح بهما عمر (٣) .
ومنها قوله : (٤)

لَمَّا تَفَرَّقْ بِي هَمِّي جُمِعْتُ لَهُ	صَرِيمَةٌ لَمْ يَكُنْ فِي عَزْمِهَا خَوْرٌ
فَقُلْتُ: مَا هُوَ إِلَّا الشَّامُ تُرْكِيهِ	كَأَنَّمَا الْمَوْتُ فِي أَجْنَادِهِ الْبَغْرُ
أَوْ أَنْ تَزُورَ تَمِيمًا فِي مَنَازِلِهَا	بِمَرَوْ وَهِيَ مَخُوفٌ دُونَهَا الْفَرَرُ
أَوْ تَعْطِفَ الْعَيْسَ صُغْرًا فِي أَرْزَمِهَا	إِلَى ابْنِ لَيْلَى إِذَا الْبُرُوزَى بِكَ السَّفَرُ
فَعَجَّثَهَا قَبْلَ الْأَخْيَارِ مَنَزَلَةً	وَالطَّيِّبِي كُلِّ مَا التَّائِثُ بِهِ الْأُزُرُ
مِثْلُ النَّعَائِمِ يُزَجِّينَا تَنْقَلِبُهَا	إِلَى ابْنِ لَيْلَى بِنَا التَّهْجِيرِ وَالْبُكُورُ
سَيَرُوا فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَّاكُمُ	وَيَادِرُوهُ فَإِنَّ الْعُرْفَ مُتَدَرُ
وَيَادِرُوا يَا ابْنَ لَيْلَى الْمَوْتَ إِنَّ لَهُ	كَفَيْنِ مَا فِيهِمَا بَخْلٌ وَلَا حَصْرُ

-
- (١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم - أبو حفص - الخليفة الصالح والملك العادل خامس الخلفاء الراشدين ، ولد سنة ٦١ هـ ، وتولى الخلافة سنة ٩٩ هـ بعهد من سليمان بن عبد الملك ، ومآثره وصفاته لا تخفى
توفى سنة ١٠١ هـ - / سير أعلام النبلاء : ١١٤/٥ - ١٢٧ - والأعلام : ٥٠ / ٥٠ .
- (٢) ظاهرة التكسب وأثرها فى الشعر العربى - د . درويش الجندى : ٨٨
- (٣) انظر هذه القصائد فى الديوان : ١ / ١٨٢ ، ٢٠ / ٨٠ .
- (٤) الديوان : ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

فالشاعر هنا يصف حاله بعد الهموم التي آلت به وما انتابه من الآلام ، وعند ذلك لم يجد بدا من تحمل الصعاب والتصدى لتلك الهموم والأحزان وهذا لا يتم الا بأحد أمرين : اما السفر الى الشام ومقابلة الخليفة لشرح الحال وما آلت اليه . واما زيارة تميم في منازلها - وهذه نعمة فخر قبلى لم يستطع الشاعر التخلص منه حتى بين يدي عمر ، ولكنه سرعان ما جدد عزمه واختار زيارة الخليفة فعنده الخلاص ، وهو الحريص على مصلحة الأمة . ونجده يكرر نسبة الممدوح الى أمه " ليلى " (١) تشريفا له وتعظيما لهذه المرأة التي أنجبت عمر وكأنه يريد هنا أن يوصي الى عظم نسب عمر من جهة أمه ، وهذه لفظة تدل على معرفة الفرزدق بالأنساب (٢) وكأنه أثناء رحلته الى "عمر" وقبلها قد أصابه ما أصابه من العناء والضيق حتى لقد أوشك الموت قريبا منه نتيجة لما حل به من العوز والحاجة لكن عمر سرعان ما ينقذه بكرمه وعدله :

وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوْتَ إِنَّ لَهُ كَفَيْنَ مَا فِيْهَا بُخْلٌ وَلَا حَصْرٌ

والفرزدق هنا يصور نفسه بأنه شخص فقير محتاج عدا عليه الزمن وأوهنته هموم الدنيا ليظهر أمام عمر بأنه محتاج الى عطائيه لعلمه أن عمر يتأثر للضعفاء والمعوزين ، ويعود ثانية ليكرر

(١) وهى ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم

أجمعين - انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٢١٢ .

(٢) انظر تاريخ الاسلام للذهبي : ١٨٧/٣ ، والنقائض : ٢٠٠ -

الاشارة بنسب عمر من جهة أبيه وأمه معا فيذكر مروان جده لأبيه
وعمر الفاروق جده لأمه : (١)

أَلَيْسَ مَرْوَانُ وَالْفَارُوقُ قَدْ رَفَعَا كَفَيْهِمُ وَالْعُودُ مَاءُ الْعَرِيقِ يَعْتَصِرُ
مَا اهْتَزَّ عُودٌ لَهُ عِرْقَانِ مِثْلُهُمَا إِذَا تَرَوَّعَ فِي جُرْثُومِهِ الشَّجَرُ

ويأخذ في عرض لحال الناس قبل مجيء عمر الى الخلافة وبعد مجيئه
اليها في صور معبرة تفسح للخيال التعمق في المعنى وتقابل
النفس للفكرة التي يرمى اليها الشاعر فيقول :

أَلْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يَتْرُكْ لِأَثْلَتِهِمْ ظِلٌّ وَعَنْهَا لِحَاءُ السَّاقِ يُقْتَشَرُ
فَأَعْقَبَ اللَّهُ ظِلًّا فَوْقَهُ وَوَقَّ مِنْهَا بِكَفَيْكَ فِيهِ الرِّيشُ وَالشَّمَرُ
وَمَا أُعِيدَ لَهُمْ حَتَّى أَتَيْتَ لَهُمْ أَرْمَانَ مَرْوَانَ إِذَا فِي وَخْشِهَا غِرْرُ
فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ إِذَا هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بِشَرِّ
وَهُمْ إِذَا حَلَفُوا بِاللَّهِ مُقْسِمُهُمْ يَقُولُ: لَا وَالَّذِي مِنْ فَضْلِهِ عُمَرُ
عَلَى قُرَيْشٍ إِذَا اخْتَلَّتْ وَعَضَّ بِهَا دَهْرٌ وَأَنْيَابُ أَيَّامٍ لَهَا أَشَرُّ

فهو يعرض لحال قوم الممدوح قبل مجيئه لهم فهم كالشجرة التي
لا ظل لها ، والتي عرى ساقها عن اللحاء الذي يكسوه ، وقد اعتمد
على التضمين (٢) في بيان فكرته التي يريد لأنه اذا لم يكن للشجرة

(١) ديوان الفرزدق : ١٨٥/١ .

(٢) يرى أبو هلال العسكري أن التضمين هو أن يكون الفصل الأول
مفتقرا الى الفصل الثاني ، والبيت الأول محتاجا الى البيت
الثاني ، وهو مانعني في كلامنا هنا . الصناعتين : ٤٢ .

ظل فمعناه أنه لا ورق لها ، وتساقط الورق يدل على الجذب ، وأنه لا يوجد ثمر ، وإذا اقتشر لحاء الساق تعرض للشمس والهواء فماتت الشجرة .

ونتيجة لهذا التأمل التاريخي الموضوعى فى شعر المديح عند الفرزدق من خلال النماذج الشعرية التى عرضنا لها فى هذه المرحلة والتى تمثل مرحلة النضج والكمال لشعر المديح عند الشاعر تحددت لنا بعض السمات والملامح الفنية يمكن اجمالها فى أن الفرزدق قد تفنن فى الصور الخيالية الموحية من تشبيهات واستعارات وكنائيات ، واستخدم المحسنات البديعية ذات الأثر فى توضيح الصورة كالجناس والطباق والمقابلات والتضمين الى غير ذلك من مظاهر الجمال الفنى فى نتاج الشاعر . ووضوح المعنى وعدم الغموض والبعد عن التعقيد الذى اشتهر به والناج عن كثرة التقديم والتأخير ، وكان تقديمه وتأخيره فى هذه المرحلة قريب المأتى مما جعل التصوير واضحا ، والسبك محكما فى الأبيات التى توجد فيها هذه الظاهرة ، وقد ظهر بوضوح فى هذه المرحلة عفاف الفرزدق وعزة نفسه فلم نجده - يستجدى أحدا من الخلفاء أو غيرهم ممن مدحهم ، وإذا ما حصل أن طلب شيئا فانما يريد له لمجتمعه ولأفراد قبيلته وكأنه كان فى غنى عن عطاء الخلفاء والولاة والأمراء ، وقد لعبت السياسة دورا واضحا فى شعر الفرزدق فى هذه المرحلة فحطب فى حبل بنى أمية ومدحهم بكثير من قصائده ، ودافع عن مجتمعه وتحدث بلسان قومه مصورا ما ينتابهم من مشكلات وما يحتاجون اليه ، ومعارضاً لبعض الولاة الذين لا تحمد سيرتهم ومبينا للخليفة عيوب هذا الوالى

أو ذاك ، وكأنه شاعر معارضة له الحق فى ابداء رأى مجتمعه
والتصريح به حتى ولو كانت هذه المعارضة للوالى لا يابه أن يذمه
متى أساء ويمدحه متى أحسن بغض النظر عن مركزه ، يؤيد هذا قول
عمر بن هبيرة الفزارى :

(مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنَ الْفَرَزْدَقِ هَجَانِي أَمِيرًا وَمَدَحِنِي أَسِيرًا (١))

وقد خلا شعره فى هذه الفترة من المبالغات الكثيرة والتكـرار
وإذا ما حدث أن كرر بعض الألفاظ فانه تكرر محمود لغرض يريد
ولم يتسع له البيت الأول ، وهذا يدل على تشبع الشاعر باللغة
وامتلاء نفسه بالفكرة التى يريد أن يطرقها وكما نلاحظ على مديحه
أيضا فى هذه الفترة أنه لم يكن يمدح مدحا مباشرا بل كان ذلك
المدح بالقيم النفسية والاجتماعية ولم يكن بأوصاف فى الجسم كالحسن
والبهاء والزينة ، وإنما بالفضائل التى تختص بالنفس كالعقل والعفة
والعدل ، والشجاعة ، وهذه الأمور عدها بعض النقاد القدامى من
مقومات شعر المديح الصادق . (٢)

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

-
- (١) الكامل لابن الأثير : ٣٧/٥ ، ٣٨ ، ٤٦ .
(٢) الصناعتين لأبى هلال العسكري : ١٠٤ .

أما المرحلة الثالثة ، وهى مرحلة الاضطراب التعبيرى والغموض عند الفرزدق فانها تبدأ بمدح ليزيد بن عبد الملك وأخيه هشام ، ومن كان فى عصرهما من الأمراء والولاة فلقد اتصل بهم ومدحهم ، وعمره حينذاك يتجاوز الخامسة والثمانين ، وقد أطلقنا هذه التسمية على شعره فى هذه المرحلة نتيجة لما دخله من الغموض وعدم الوضوح الناتجين من كثرة التقديم والتأخير المخل بالمعنى وظهور سمة التعقيد التى أصبحت ظاهرة فى شعر الفرزدق وكثرة المبالغات والتكرار لمعان بعينها لا يعدوها الى غيرها ولقد مدح يزيدا بسبع قصائد (١) كلها لاترقى الى مدائح فى الوليد ، ولا حتى الحجاج فضلا عن سليمان بن عبد الملك .

ولعل حكم السن كان له دور فى خبوء عاطفة الشاعر المتأججة التى رأيناها من قبل وان بقيت لديه بعض الصور الخيالية فانما هى صور ضعيفة اذا قسناها بصورة المتقدمة .
يقول فى مدح يزيد : (٢)

وَرِثْتُ ابْنَ حَرْبٍ وَابْنَ مَرْوَانَ وَالَّذِي بِهِ نَصَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
فَلَا أُمَّ إِلَّا أُمَّ عَيْسَى عَلِمَتْهَا كَأَمَّكَ خَيْرًا أُمَّهَاتٍ وَأُمَجَدًا

فمن الذى نصر الله به النبي محمد - صلى الله عليه وسلم (٣) - ثم التشبيه فى البيت الثانى ضعيف نتيجة لكثرة التقديم لبعض الألفاظ

(١) هذه القصائد فى ديوانه : ١٤٣/١ ، ٢١٣ ، ٢٠٣ ، ٢٤٤ ، ١٦/٢ .

٢٠١ ، ٢٨١ ، ١٢٤ .

(٢) الديوان : ١٤٤/١ .

(٣) إلا إذا كان يقصد به الذين مثلاً فى القرآن الكريم

على بعض فهو يريد أن يشبه أم يزيد بأم عيسى وهى " مريم " عليها السلام ، فجاء بهذه الصورة التى تفتقد الترابط وحسن الصياغة ومن الأمور التى طغت على شعر المديح عند الفرزدق فى هذه المرحلة كثرة المبالغات التى تصل بالخليفة أحيانا الى درجة النبى كقوله فى يزيد : (١)

كُنْتُ النَّبِىَّ الَّذِى يَدْعُو إِلَى النُّورِ	لَوْ لَمْ يَبْشُرْ بِهِ عِيسَى وَبَيْنَهُ
مَعَ الشَّهِيدَيْنِ وَالصَّدِيقِ فِي السَّوْرِ	فَأَنْتَ إِذْ لَمْ تَكُنْ إِيَّاهُ صَاحِبُهُ
لَهُمْ هُنَاكَ سَعْيٌ كَانَ مَشْكُورٍ	فِي غُرَفِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي جُعِلَتْ

فما الذى نجده هنا من المعانى المعبرة غير هذه المبالغة المفقودة التى جعلت يزيد بن عبد الملك فى مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله عنهم أجمعين . وبمثل هذا المعنى الضعيف يستمر فى مدح يزيد فيقول : (٢)

وَحَلَّ نُدُورِي إِنْ بَلَغْتَ الْمُوقَرَا	فَإِنَّ مَنَى النَّفْسِ الَّتِي أَقْبَلَتْ بِهَا
سَوَى مَنْ بِهِ دِينُ الْبَرِيَّةِ أَسْفَرَا	بِهِ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ حَيًّا وَمَيِّتًا
وَشَمْسٍ وَبَدْرٍ قَدْ أَضَاءَ فَنَـوْرَا	إِمَامًا كَاتِبِينَ مِنْ إِمَامٍ نَمَى بِهِ
فَرَحْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ غَدًا مِنْ تَعَذَّرَا	فَلَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَضَى لَنَا

فكل منى نفس الشاعر أن يصل الخليفة لأنه سيجد عنده بغيته فهو خير أهل الأرض حيا وميتا ويبالغ فى جعل يزيد خير الناس ماعدا

(١) الديوان : ٢١٤/١ .

(٢) الديوان : ٣٤٦/١ .

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ويزيد يشبه الشمس والقمر ،
ونراه يلح صراحة في استعجال الخليفة للعطاء ليقضى لهم حوائجهم
حتى يتمكنوا من العودة الى ديارهم ثم يستطرد قائلا : (١)

تَنَاوَلْتَ مَا أَعْيَا ابْنَ حَرْبٍ وَقَبْلَهُ وَأَعْيَا أَبَاكَ الْحَازِمَ الْمُتَخَيَّرَا
وَمَا كَانَ قَدْ أَعْيَا الْوَلِيدَ وَبَعْدَهُ سُلَيْمَانَ وَمَنْ كَانَ فِي الرُّومِ أَعْصَرَا
وَأَعْيَا أَبَا حَفْصٍ فَكَسَّرَتْ عَنْهُمْ عَلَى أَسْقٍ أُسْرَى الْحَدِيدِ الْمُسَمَّرَا
فَلَوْلَا الَّذِي لَا خَيْرَ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ بِهِ قَتَلَ اللَّهُ الَّذِي كَانَ خَيْرَا

ان هذا المديح كما نلاحظ يفتقر الى الصدق الفني ولذلك لجأ
الشاعر الى المبالغة غير المقبولة وهى البديل عن المعانى الصادقة
التي تعطى القارئ أو السامع الرغبة فى القراءة والاستماع وتفتتح
النفس لتقبل الفكرة والعناية بها .

والمعنى هنا ساذج بل ربما عدّ ذمّا للخلفاء السابقين وأنهم
كانوا جبناء فما الذى أعياهم جميعا ، وتغلب عليه يزيد ، ثم هل
الناس بعد يزيد غثاء لا خير فيهم حتى الخليفة المرتقب .

ونجد الفرزدق صاحب النفس الشامخة الذى يفتخر على الخلفاء
ويدل بشرفه الرفيع يتهاوى على باب يزيد ملحا فى نواله فيقول : (٢)

أَتَيْنَاكَ زَوَارًا وَسَمْعًا وَطَاعَةً فَلَيْبِكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ دَاعِيَا
فَلَوْ أَنَّنِي بِالصَّيْنِ ثُمَّ دَعَوْتَنِي وَلَوْ لَمْ أَجِدْ ظَهْرًا أَتَيْتَكَ سَاعِيَا

(١) الديوان : ٣٤٧/١ .

(٢) الديوان : ٣٥٢/٢ .

وَمَا لِي لَا أَسْعَى إِلَيْكَ مَشْرًا وَأَمْسِي عَلَى جَهْدٍ وَأَنْتَ رَجَائِيَا
وَكَاكَ بَعْدَ اللَّهِ فِي رَاحَتَيْهِمَا لِمَنْ تَحْتَ هَذِي فَوْقَنَا الرِّزْقُ وَافِيَا
وَأَنْتَ غِيَاثُ الْأَرْضِ وَالنَّاسِ كُلِّهِمْ بِكَ اللَّهُ قَدْ أَحْيَا الَّذِي كَانَ بَالِيَا
أَرَى اللَّهَ بِالْإِسْلَامِ وَالنَّصْرِ جَاعِلًا عَلَى كَعْبٍ مَنْ نَاوَاكَ كَعْبُكَ عَالِيَا

فأى نفسية ضعيفة متهافئة أكثر من هذه النفسية التي صورتها هذه الأبيات حيث ظهر الشاعر هنا متسولا مغرقا في التسوّل ، وبهذه المعانى والأفكار المهزوزة المضطربة يسير الفرزدق في مدح يزيد وهشام فاخص هشاما بتسع قصائد أيضا (١) لاتصل في مجملها الى بعض مدائحه في سليمان بن عبد الملك وربما كانت أقوى من سابقتها التي اخص بها يزيد ، ونجده يتكىء على كلمات بعينها فيكررها وكأن ذاكرته لم تعد تحفظ غير هذه الألفاظ ، فمثلا يكثر في القصيدة الواحدة قوله : (رأيت بني مروان) كما يكثر من ذكر مروان هذا الاسم الذي لازم الفرزدق كثيرا في شعره آخر حياته اذ نراه يقول في مديح هشام : (٢)

رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ يَرْفَعُ مُلْكُهُمْ مُلُوكُ شَبَابٍ كَالْأُسُودِ وَشَيْبُهُمَا
إِذَا ذُكِرَتْ نَفْسِي ابْنِ مَرْوَانَ صَاحِبِي وَمَرْوَانَ قَاضَتْ مَاءُ عَيْنِي غُرُوبُهُمَا
وَهَلْ دَعُوتِي مِنْ بَعْدِ مَرْوَانَ وَابْنِهِ لَهَا أَحَدٌ إِذْ فَارَقَاهَا يُجِيبُهُمَا

(١) هذه القصائد في ديوانه : ٥٩/١ ، ١٤٠٠ ، ٨٧ ، ١٨٨/٢ ،

٢٩٠ ، ٢٢٨ ، ٣٠١ ،

(٢) الديوان : ٥٩/١ - ٦٢ .

رَأَيْتُ بَنِي مُرْوَانَ إِذْ شُقَّتِ الْعَصَا وَهَرَمْنَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ كُلُّيْهَا
رَأَيْتُ بَنِي مُرْوَانَ ثَبَتَ مُلْكُهُمْ مَشُورَةٌ حَقٌّ كَانَ مِنْهَا قَرِيبُهَا

فهو يشبه ملوك بني مروان بالأسود وأن ملوكهم ثابت بالمشورة فلا يأتي بشيء جديد في هذا المديح كما يلحف بالسؤال فيطلب صراحة مريقا ماء وجهه أمام هشام ولم نعهد فيه قبل مثل هذا ، وكان عليه أن يخص بمدوحه فقط بالمدح ولكن نراه يلقي الحبل على الغارب والكلام على عواهنه فيتكلم عن بني مروان بعامة ، وهذا يدلنا على ضحالة عاطفته ازاء الخليفة .

ولعل أجود ماقاله في مديح هشام في هذه المرحلة قوله : (١)

إِلَيْكَ مِنَ الصَّمَانِ وَالرَّمْلِ أَقْبَلْتُ تَحَبَّ وَتَخَدَّى مِنْ بَعِيدِ سَبَاسِبُهُ
لِنَلْقَاكَ وَاللَّاقِيكَ يَعْلَمُ أَنَّه إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ تَخَدَّى رَكَائِبُهُ
فَإِنَّ هِشَامًا إِنْ تَلَّاقَاهُ سَالِمًا تَكُونِي كَمَنْ بِالْغَيْثِ يُنْصَرُ جَانِبُهُ
لِتَأْتِي خَيْرَ النَّاسِ وَالْمَلِكِ الَّذِي لَهُ كُلُّ ضَوْءٍ تَضَحَّلُ كَوَاكِبُهُ
فَإِنَّ ذُنُوبًا مِنْ سَجَالِكَ مَا لَيْسَ حِيَاضِي فَأَفْرِغْ لِي ذُنُوبًا أَنَا هِبُهُ
وَمِنْ أَيْنَ أَخْشَى الْفَقْرَ بَعْدَ الَّذِي اتَّقَى بِكَفِّكَ مِنْ مَعْرُوفٍ مَا أَنَا طَالِبُهُ

ومع أنه يلح في طلب العطاء إلا أننا لا نعدم الصور الفنية المعبرة في هذا المديح والتي اعتدنا على مثلها عند الفرزدق فهو يبين أنهم شددوا رجالهم للقاء هشام لعلمهم أنهم سيلقون خير أهل

الأرض الذى تساق اليه الركائب وتضرب أكباد الابل ، ويشبهه
بالغيث كرما وجودا وأن الذى يأتيه انما يأتي خير الناس الملوك
ذى الضوء القوى الذى يشبه ضوء الشمس أو ضوء القمر بحيث تضمحل
معه أضواء الكواكب الأخرى وهو لا يخشى على نفسه الفقر طالما
التقت كفاء بكفى هشام .

ومع أن هذه الصور قوية لكن الشاعر أغرق فى المبالغات اذ
أن هشاما فى نظره خير أهل الأرض وهو خير الناس والملك الذى
لا يعادله ملك فى الأرض ، ويلج فى الطلب بنفسية متهافة متطلعة
الى هذا العطاء . ولقد اتسم مديح الفرزدق لهشام بالجزالة
والقوة والتنوع فى الصور الفنية أكثر مما اتسم به مديحه لأخيه يزيد
ولعل السبب فى ذلك طول الفترة التى مكثها هشام فى الخلافة
اذ أنه مكث تسع عشرة سنة (١) مما أتاح للشاعر أن ينظم فيه بعض
المدائح التى ترقى الى شعر الفرزدق فى أوج قوته ، مطبوعا بطابع
الجزالة والقوة يبين هذا قوله :

أَقُولُ لِنَاقَتِي لَمَّا تَرَامَكِ	بِنَا بِيَدٍ مُّسْرَبِلَةٍ الْقَتَامِ (٢)
أَغِيثِي مَنْ وَرَائِكَ مِنْ رَبِيعِ	أَمَّا مَكِ مُرْسَلِ بِيَدِي هِشَامِ
يَدِي خَيْرَ الَّذِينَ بَقُوا وَمَاتُوا	إِمَامًا وَابْنِ أَمْلَكِ عِظَامِ
بِهِ يُجِيي الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا	مِنْ النِّعَمِ الْبَهَائِمِ وَالْأَنَامِ

(١) تولى الخلافة بعد أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ وتوفى سنة ١٢٥ هـ ، فكانت
مدة خلافته تسع عشرة سنة - أنظر مروج الذهب للمسعودي ٢/ ٢١٦ .
(٢) الديوان ٢/ ٢٩١ .

عَمَدُكَ إِلَيْكَ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا	لِتُتَعَشَّ أَوْ يَكُونَ بِكَ اعْتِمَامِي
إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ جَمَعْتَ هَمِّي	عَلَى الْمُتَرَدِّقَاتِ مِنَ السَّمَامِ
وَحَبْلُ اللَّهِ حَبْلُكَ مَنْ يَنْلُوهُ	فَمَا لِعُرَى إِلَهٍ مِنْ انْفِصَامِ
يَدَاكَ يَدُ رَبِّعِ النَّاسِ فِيهِمَا	وَفِي الْأُخْرَى الشُّهُورُ مِنَ الْحَرَامِ
فَإِنَّ النَّاسَ لَوْلَا أَنْتَ كَانُوا	حَصَى خَرَزٍ تَسَاقَطَ مِنْ نِظَامِ

فهو يشبه هشاما بالربيع الذى يغيث الأرض ومن عليها لكنه يبالغ فيذكر أن يدى هشام خير الأيدى سواء من الأحياء أو الأموات فهو امام ابن ملوك عظام . وتلازمه المبالغة فيصوره بأنه خير الناس، وأنه قصده لينعشه أو يعتصم به ، ويصفه بأنه ملك الملوك ثم يبين أن حبله مستمد من حبل الله ومن يعتصم بحبل الله فلا انفصام له كناية عن عدله ، وأن الناس ينتظرون الخير من يديه ، وأجمل ما يروقنا هنا تصويره الفنى لحال الناس لولا هشام فقد شبههم بالخرز المنظوم المتراص فلولم يكن هشام موجودا لاختل هذا العقد وتناثرت حياته .

وبعد هذا كله فانه من خلال تتبع شعر المديح عند الفرزدق فى هذه المرحلة وهى مرحلة الاضطراب التعبيرى والغموض أمكننا أن نستخلص بعض النتائج التى بسطها البحث نجملها فى هذه الأسطر :

لقد بقى شعر الفرزدق فى هذه المرحلة على الرغم من كبر سنه محتفظا بطابع الجزالة والقوة لكنه خلا من تنوع المعانى والافتنان فى الصور الفنية وكثرت عنده المبالغات التى ترقى أحيانا بالمدح

الى مرتبة الأنبياء وصحابة الرسول (١) - صلى الله عليه وسلم - ولا شك أن هذه الكثرة فى المبالغات تدل على ضعف قريحة الشاعر فأخذ يعوض فقر هذه القريحة بقوة رنين اللفظة حتى تعوضه عن الصورة الخيالية المبتكرة فغدت هذه المبالغة سارية فى معظم أبيات المديح عنده فى هذه الفترة . وقد كثر أيضا تكراره لألفاظ بعينها لاتعطى المعنى قوة ولا تزيد الصورة جمالا وقد بدا متهافتا على أبواب الخلفاء يريق ماء وجهه فى الالاحاح والطلب وانتظار عطائهم ، وكأن العطاء مقصده وبلغ غايته كما كثر التقديم والتأخير عنده فى هذه المرحلة فاستمت بعض أشعاره بسمة الغموض والتعقيد الذى لا يدفع اليه عمق الفكرة بل غموضها وارتباكها فى ذهنه مما حدا ببعض النقاد الى القول : (وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ حَرِيصًا شَرِّهَا جَشِعًا) (٢) .

ومهما يكن فهذه الطباع ليست أصيلة فيه وان كانت صوره الأخيرة فى مدائحه تعبر عن هذه السمات التى أشرنا اليها (٣) ، فلعل هرمه مع عسر وضيق صاحبه فى أخريات عمره حدث به الى هذا .

(١) لاشك أن الناحية السياسية كانت من أهم الأسباب التى حدثت بالفرزدق الى هذه المبالغات ، واغراقه المفرط فى غلوائه تجاه مدوحيه بالاضافة الى كهرسنه وضعف قريحته فى هذا السن بالذات ولهذا تراجعت عاطفته وخبت قريحته .

(٢) صاحب هذا القول هو أبو عبيدة / انظر النقائض ١٠٤٩ .

(٣) انظر الفرزدق - للدكتور شاکر الفحام ٤١١ .

وبعد :-

فلقد قال الفرزدق شعر المديح حوالى نصف قرن كان خلالها صورة حية لحياة الصحراء ، وماتمثلة من قيم وعادات أصيلة (١) فلم تخب قريحته بل كانت حية متوقدة حتى بعد بلوغه من الكبر عتيا واشتعال رأسه شيئا .

ولقد مدح هذا الشاعر أشخاصا كثيرا من الخلفاء والولاة ، والأمراء ، والأجواد ، والقبائل فافتن فى مدائحه وجود فنه (٢) ولعل فى الجداول التوضيحية المرفقة مايبين تلك الكثرة من مدوحى هذا الشاعر الفحل ليستدل الدارس على غزارة نتاجه الفنى وماخلفه للعربية من تراث ضخم يستمد منه العلماء شواهدهم فى صنوف المعرفة العربية ما عاشت هذه الأمة حية بين الأمم تحفل بتراثها وتحترم نتاج شعرائها .

وبعد أن انتهينا من دراسة المديح نعرض لدراسة الفخر عند الفرزدق .

(١) انظر مقدمة القصيدة العربية فى العصر الأموى للدكتور حسين

عطوان : ١٤- ١٥ (طبعة دار المعارف) .

(٢) ليس معنى هذا أن مالم نتعرض له من مدائح فى أشخاص آخرين دون ماأوردناه فى الجودة ، فان الباحث يجد نماذج كثيرة يصعب معها الحكم على بعضها بالجودة دون بعض ولكننا اخترنا هذه النصوص التى أوردناها لأنها تمثل أطوار المديح الثلاث عند الفرزدق .

فلقد كان لنشأة الفرزدق في بيت من أشرف بيوت العرب ،
وأعظمها مجدا أثر في شخصيته اذ وجهته هذه النشأة إلى
التعلق بحبال الشرف المتينة ، والاعتصام بنسب عريق يتجاذبه من
كل مكان ، فعاش سيدا من سادات تميم (١) يفخر وحق له ذلك ،
وكانت أشعاره الأولى مفاخرة ومهاجاة اذ لم يكن هناك من الدواعي
النفسية ما يجعله يطرق باب المديح الا قليلا اذ كان في غنى
مادى ومعنوى عن التكسب بالشعر واستجداء العظماء .
وكان من الطبيعي أن يكون للشباب ، والترف ، وأصل المنبت
أثر واضح في حياة هذا الشاعر يجعله ينسى أو يتناسى من حوله
حتى ولو كانوا خلفاء أو ولاة ظنا منه ألا أحد يستطيع الوقوف
في وجهه وردعه عن التعالي على الناس ، والقدح في أعراضهم .
وقد تمالكته العظمة بحيث غلب عليه الفخر وعد فارس حلبته ،
ويمكننا القول ان الفرزدق فاق شعراء عصره في هذا المجال (٢)
لأنه ينطلق فيه من واقع حقيقى يعضده في ذلك نسب رفيع ونفوس
تياهية متعالية :

وَإِذَا فَخَرْتُ فَخَرْتُ غَيْرَ مُكَذِّبٍ وَلِيَّ الْعُلَا وَكَرِيمُهَا الْمَأْثُورُ (٣)
فبيته من بيوت مجاشع بن دارم وقد حلوا من تميم ذؤابتها واقتعدوا

(١) النقائض : ١٠٥١ .

(٢) العمدة : لابن رشيق : ٩٦/١ ، وتاريخ الأدب العربى - عمر

فروخ ٦٥١/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٩٢/١ .

سنام مجدها (١) ، وجدته صمصعة بن ناجية بن عقال عرف برجاجة عقله ، وقد أنكر وأد البنات فى الجاهلية فافتداهن بماله ، وكان من خيار العرب فى الجاهلية والاسلام . (٢)

وأبوه غالب بن صمصعة كان سيذا من سادات مجاشع جوادا متلانا شديد التعلق بفضائل البادية ومكارمها ، وقد اشتهر بمعاقرة سحيم بن وثيل الرياحى ، فعقر أربعمائة بعير فى يوم واحد ، وكان يعطى السائلين دون أن يسألهم عن أصلهم ونسبهم ، فقد تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا أفضل تميم ، وبكر فكان خيرهم غالب اذ أعطاهم مائة ناقة وراعيها دون أن يسألهم من هم . (٣)

وجدته ليلى بنت حابس (٤) أخت الأقرع بن حابس الذى أقرت له العرب بأن يكون حكمها ترضى بقضائه وتستجيب لحكمه . وعمته هندية بنت صمصعة أخت أبيه غالب بلغ من اعتدادها بنفسها واعتزازها بنسبها أن قالت :

(من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتى يحل لها أن تضع

(١) انظر المحبر : ٢٤٧ والفردق دراسة للدكتور شاكر الفحام : ١٠٩

(٢) المحبر : ١٤١ ، والأغانى ٢١ / ٣٠٠ ، وشرح نهج البلاغة ٣ / ٤٢٦ ،

وأنساب الأشراف : ٢٦ / ١١ - ٣٢ .

(٣) المحبر : ١٤٢ ، والأغانى : ٢١ / ٢٨٢ .

(٤) خلافا للدكتور / محمد عبد القادر أحمد الذى يرى أنها أم الفردق

- دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى : ٢٨٩ .

خمارها عندهم فصرمتي (١) لها . أبي صعصعة ، وأخي غالب ،
وخالي الأقرع بن حابس ، وزوجي الزبرقان بن بدر (٢) . فسميت بذات
الخمارة .

وأمة لينسة بنت قرظة من بني ضبة أخت العلاء بن قرظة
الشاعر المجيد الذي كان له أثر في موهبة الفرزدق الشعرية . (٣)
ومن هنا فقد ملك الفخر على الفرزدق نفسه ومكنته هذه
المكانة السامقة والنفس الشابة المتعاطفة أن يفخر على أمير المؤمنين
معاوية بن أبي سفيان في وقت لم يبلغ فيه من العمر ثلاثين
عاما (٤) لكنه كان معجبا بنفسه معتدا بآبائه حيث قال : (٥)

أَلَسْتُ أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَأَسْرَرَةً	وَأَمْنَعَهُمْ جَارًا إِذَا ضَمَّ جَانِبُهُ ؟
وَمَا وَلَدَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَهْلِيهِ	كَمَنْ لِي حَصَانٌ فِي الرِّجَالِ يُقَارِبُهُ
أَبِي غَالِبٍ وَالْمَرْءُ صَعْصَعَةُ الَّذِي	إِلَى دَارِمٍ يَنْمِي فَمَنْ ذَا يُنَاسِبُهُ
أَنَا ابْنُ الْجِبَالِ الشُّمْفِيِّ عَدِ الْحَصَى	وَعِرْقُ الثَّرَى عِرْقِي فَمَنْ ذَا يُحَاسِبُهُ
وَبَيْتِي إِلَى جَنْبِ رَحِيبٍ فَنَاقُوهُ	وَمِنْ ذُوْنِ الْبَدْرِ الْمُضِيِّ كَوَاكِبُهُ

(١) الصُّرْمَةُ : القطعة من النخل أو الابل أو السحاب / المعجم الوسيط

(صرم) .

(٢) العقد الفريد : ٦٧ / ١ .

(٣) الأغاني : ٤٢٠ / ٢١ ، والطبرى : ٢٩٠ / ٤ .

(٤) لعل الفرزدق تناول على معاوية رضى الله عنه بهذا الفخر دونما خوف

لعلمه بحلم معاوية وسعة صدره ، والا لما كان يجروا على مثل هذا .

(٥) ديوان الفرزدق : ٥٣ / ١

وَكَمْ مِنْ أَبِي لِي يَامَعَاوِي لَمْ يَزَلْ أَغْرَى بَارِي الرَّيْحِ مَا أَرْوَجَانِيْهُ
نَعْتَهُ فَرُوعُ الْمَالِكَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ أَبُوكَ الَّذِي مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ يُخَاطِبُهُ
تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى جَوَادًا اتَّلَقَى الْمَجْدَ مَذْ طُرْشَارِيْهُ
طَوِيلُ نَجَادِ السَّيْفِ مَذْ كَانَ لَمْ يَكُنْ قُصِيَّ وَعَبْدُ الشَّمْسِ مِنْ يُخَاطِبُهُ

ومن استقراءنا للفخر عند الفرزدق وجدناه ينطلق فيه من منطلقين أساسيين أدار حولهما فخره .

فبقدر ما يجد في نفسه من أنفة وكبرياء ، وما يشعر به من تفوق

على الناس في الحسب والنسب وعلو المنزلة . (١)

يَا وَقَعْ هَلَّا سَأَلْتَ الْقَوْمَ مَا حَسْبِي إِذَا تَلَا قَتَّ عَرَى ضَفْرٍ (٢) وَأَحْقَابِ
إِنِّي أَنَا الزَّادُ إِذَا زَادَ يَحْمِلُهُ رِكَابَهُمْ غَيْرَ أَنْقَاءِ (٣) وَأَصْلَابِ (٤)

يرى كذلك أن الله قد هياه ، وهو سليل مجد تلبد ليدافع عن أبناء قبيلته ويحمي أعراضهم ويرفع من شأنهم في وقت كان للشعر فيه دور هام في رفع منزلة القبيلة أو العكس : (٥)

(١) ديوان الفرزدق : ٣٠ / ١ .

(٢) وَقَعْ : مرخم وقعة : وهي أم سوداء زوجته . وَالضَّفْرُ : حزام الرجل وكل خصلة من الشعر ضفرت على حدة ، وَالْأَحْقَابِ : يريد بها

السنين . انظر المعجم الوسيط مادة (ضفر ، حقب) .

(٣) الْأَنْقَاءُ الواحد نقى : مخ العظم .

(٤) وَالْأَصْلَابِ ، الواحد صلب : الظهر .

(٥) ديوان الفرزدق : ٩٥ / ١ .

أَرْوْنِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعِتَابِ
إِلَى مَنْ تَفْرَعُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ

ومن هنا يمكننا القول بأن المنطلق الأول للفخر عند الفرزدق قبلى
يتبعه منطلق شخصى ذاتى .

وقد استأثر الجانب القبلى بجزء كبير من شعر الفخر عنده اذ
ظهر متعصبا لقبيلته شديد الاعتزاز بها متفانيا فى سبيل رفعة
شأنها ، وقد وجد فى دارم عزا ومنعة ففاخر وتناول بها على
القبائل والشعراء لما عرفت به من نبل المحدث ورفعة النسب وعلو
المنزلة وكرم الخلال : (١)

فَإِنَّا أَنَا نَشْتَرِي بِدِمَائِنَا دِيَارَ الْمَنَايَا رَغْبَةً فِي الْمَكَارِمِ
أَلَسْنَا أَحَقَّ النَّاسِ يَوْمَ تَقَايَسُوا (٢) إِلَى الْمَجْدِ بِالْمُسْتَأْثِرَاتِ الْجَسَائِمِ؟
مُلُوكٌ إِذَا طَمَتَ عَلَيْكَ بَحُورُهَا تَطْحَطَحَتْ فِي آذَانِهَا الْمُتَصَادِمِ (٣)
إِذَا مَا وَزَنَّا بِالْجِبَالِ رَأَيْتُنَا نَمِيلُ بِأَنْضَادِ الْجِبَالِ الْأَضَاخِمِ
تَرَانَا إِذَا صَعَدَتْ عَيْنُكَ مُشْرِفًا عَلَيْكَ بِأَطْوَادِ طَوَالِ الْمَخَارِمِ (٤)
وَلَوْ سُئِلْتُ مَنْ كَفُونَا الشَّمْسُ أَوْ مَاتَ إِلَى ابْنِي مَنَافٍ عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمِ
وَكَيْفَ تَلَاقَى دَارِمًا حَيْثُ تَلْتَقِي ذُرَاهَا إِلَى حَيْثُ النُّجُومِ التَّوَائِمِ

(١) ديوان الفرزدق : ٣١٥/٢ - ٣١٦ .

(٢) تقايس القوم : ذكروا مآربهم ، تطحطحت : أى هلكت .

(٣) طمت : أى كثر حتى عمت .

(٤) المخارم : جمع مخرم وهى الطرق فى الغلظ .

انظر اللسان (خرم) .

ويقول أيضا في معرض فخره على جرير : (١)

تَعَاظَ مَكَانَ النَّجْمِ إِنْ كُنْتُ طَالِبًا بَنِي دَارِمٍ فَأَنْظُرْ مَتَى أَنْتَ نَائِلُهُ
وَلِلنَّجْمِ أَذْنَى مِنْهُمْ أَنْ تَنَالَهُ عَلَيْكَ فَأَصْلِحْ زَرْبَ مَا أَنْتَ آتِلُهُ

وأحيانا نجده يفخر بضية ودارم معا فيقول : (٢)

أَنَا ابْنُ ضَبَّةٍ لِلْقَوْمِ الَّذِي خَضَعْتُ خَيْرُ الْقُرُومِ فَهَذَا خَيْرٌ مُنْتَسِبٍ
وَبَيْتٌ مُكْرَمَةٌ فِي عِزِّ أَوْلِنَا مَجْدٌ تَلِيدٌ إِلَيْهِ كُلُّ مُنْتَجَبٍ (٣)
مِنْ دَارِمٍ حِينَ صَارَ الْأَمْرُ وَاشْتَبَهَتْ مَصَادِرُ النَّاسِ فِي رَجَافِهِ الْكَرْبِ

ويقول مفتخرا بدارم ومناقضا جريرا : (٤)

وَجَدْتُ لِدَارِمٍ قَوْمِي بِيُوتَنَا عَلَى بُنْيَانِ قَوْمِكَ قَاهِرَاتِ

ويقرن مع دارم مجاشعا فيقول : (٥)

فَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ ذَوَابَّةٌ دَارِمٍ نَمَتْنِي إِلَى قَدْ مُوسٍ مَجْدٍ حَلَا حِلٍ (٦)
وَإِنْ حَلَّ بَيْتِي مِنْ سَمَاءٍ مُجَاشِعٍ بِمَنْزِلَةٍ فَاتَتْ يَدَ الْمُتَنَجِّلِ
بِنَاسٍ لِيَكْرَ حَسَنَ صُنْعِ أَخِيهِمْ إِلَيَّ لَدَى الْخِذْلَانِ مِنْ كُلِّ خَاذِلٍ

(١) ديوان الفرزدق : ١٢٥/٢ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٣٩/١ .

(٣) الْمُتَنَجَّب - المصطفى المختار .

(٤) الديوان : ١٠٩/١ .

(٥) الديوان : ١١٠/٢ .

(٦) الْحُلُحُول : الضخم .

وبقدر ما يفتخر بدارم ومجاشع وضبة نجده يفتخر بخندف قائلا :

تَهَامَةُ وَالْبَطَّاحُ إِذَا سَدَدْنَا بِخِنْدَفٍ مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ بَابٍ (١)
لَنَا حَوْمٌ بِحَرِّي خِنْدَفٍ قَدْ حَمَتْ بِهِ لَهُ مِنْ أَظْلَتِهِ السَّمَاءُ اضْطَرَّابُهَا (٢)

ويقول مفاخرًا بخندف وقيس عيلان معا : (٣)

إِذَا خِنْدَفٌ بِالْأَبْطَحَيْنِ تَغَطَّرَتْ وَرَائِي وَقَيْسٌ ذَيْلَتْ بِالْعُشْرِقِ
فَمَا أَحَدٌ إِلَّا يَرَانَا أَمَامَهُ وَأَرْيَابُهُ مِنْ فَوْقِهِ حِينَ نَلْتَقِي
وَمَنْ يَلْقَ بِحَرِينَا إِذَا مَا تَنَاطَحَا بِخِنْدَفٍ أَوْ قَيْسٍ بِنِ عَيْلَانَ يَفْرِقِ
هَمَا جَبَلَا اللَّهُ اللَّذَانِ ذَرَاهُمَا مَعَ النَّجْمِ فِي أَعْلَى السَّمَاءِ الْمُحَلَّقِ
فَتَحْنَابِذِ اللَّهِ كُلِّ مَدِينَةٍ مِنَ الْهِنْدِ أَوْ بَابِ مِنَ الرُّومِ مُفْلِقِ

والملاحظ على الفرزدق أنه لا يجد مدخلا يلج منه للشرف والعلو
إلا ولجه ، فهاهو يفتخر بمضر لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم -

منها وهى بذلك فى الذروة من الشرف :

إِذَا مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ حَوْلِي تَعَطَّفَتْ عَلَى وَقْدٍ دَقَّ اللَّجَامُ شَكِيمِي
أَبُوا أَنْ أَسُومَ النَّاسَ إِلَّا ظَلَامَةً وَكُنْتُ ابْنُ ضِرْغَامِ الْعَدُوِّ ظَلُومِ
أَبَتْ مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ إِلَّا تَكْرُمًا عَلَى النَّاسِ يَغْلُو كُلُّ جَدٍّ جَدُّ وَدُهَا
يَخْتَلِفُ النَّاسُ مَا لَمْ نَجْتَمِعْ لَهُمْ وَلَا اخْتِلَافَ إِذَا مَا أَجْمَعَتْ مُضِرُّ (٤)

(١) الديوان : ٣٣/١

(٢) الديوان : ٦٣/١

(٣) الديوان : ٣٨/٢

(٤) ديوان الفرزدق : ٢٨٦/٢ ، ١٥٨/١٠ ، ٢٠٠٠

وقد يجره هذا الفخر الى أن يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يفتخر به كقوله : (١)

وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ أُرْسِلَ بِالْهُدَى
وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَا بِالشَّاعِرِ يَهْتَدِي
أَبَى مُضَرٍّ مِنَ الرَّسُولِ الَّذِي هَدَى

وَبِالْحَقِّ جَاءَتْ بِالْيَقِينِ نَوَادِرُهُ
بِهِ دُوحَتٌ أَوْثَانُهَا وَيَهُودُهَا
بِنَا وَلَنَا مَجْدُ الْفَخُورِ الْمُصَدَّقِ
بِهِ اللَّهُ مَنْ صَلَّى بِغَرْبٍ وَشَرِقِ

وقد وجد هذا الشاعر في تميم القبيلة العظيمة الكثيرة في العدد والعدة مجالا لفخره فهو ابنها البار الذي يضرب نسيبه في دارم ، وهو سيفها المسلول في وجه الأعداء : (٢)

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي تَمِيمٍ
نَعَا فِي كُلِّ أَصِيدٍ (٣) دَارِمِيٍّ
بُيُوتًا يَبْتَثُونَ تَوَارِثُوهَا

إِذَا مَا أَعْظَمَ الْحَدَثَانِ نَابَا
أَعْرَ تَرَى لِقُبَّتَيْهِ حِجَابَا
سَرَادِقُهَا الْمَقَاوِلُ وَالْقَبَابَا

ويقول في مناقضة جرير : (٤)

مَنْعَتْ تَمِيمًا مِنْكَ إِنِّي أَنَا ابْنُهَا
أَنَا ابْنُ تَمِيمٍ وَالْمَحَامِي وَرَاءُهَا

وَرَأَجِلُهَا الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمَوَاسِمِ
إِذَا أَسْلَمَ الْجَارِي ذِمَارَ الْمَحَارِمِ

ويقول مصورا قوة هذه القبيلة وعظمتها حتى أن الناس لابد وأن يطيعوا ويمثلوا لأمرها وإلاَّ حزت حلاقم المتمردين (٥) :

(١) ديوان الفرزدق : ٣٢٢/١ - ١٥٩٠ - ٣٨/٢ .
(٢) الديوان ٩٩/١ . (٣) الأصيد : المائل العنق المتكبر
المزهو بنفسه ، وكل ذي حول وطول من ذوى السلطان - المعجم
الوسيط (صيد)
(٤) الديوان ٣١٣/٢ (٥) الديوان : ٣١٢/٢ .

فَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرِ حَزِّ الْحَلَاقِيمِ
فَإِنْ تَمِيمًا لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ ابْتَغَتْ لَهُ صِحَّةً فِي مَهْدِهِ بِالتَّمَائِيمِ
كَأَنَّ أَكْفَ الْقَابِلَاتِ لِأُمِّهِ رَمَيْنَ بَعَادَى الْأَسُودِ الضَّرَاغِمِ (١)
تَأَزَّرَ بَيْنَ الْقَابِلَاتِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ تَوَامٌ إِلَّا دَهَاءُ لِحَاظِ الْحَازِمِ (٢)

وإذا تتبعنا فخر الفردق بقبومه تراءت لنا صور المجد من كل جانب
فتارة يصورهم بأنهم كرام أجواد يكرمون الضيف ويبالغون في اكرامه
إذا تقاعس غيرهم عن ذلك فيقول مصورا هذا الكرم ومفتخرا به : (٣)

وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كَلْبٌ عَنِ الْقَرَى إِلَى الضَّيْفِ نَعْشَى بِالْعَبِيطِ (٤) وَنَلْحِفُ
وَقَدَّرْنَا غَلِيهَا بَعْدَ مَا غَلَّتْ وَأُخْرَى حَشَشْنَا بِالْعَوَالِي تُوَشَّفُ
وَكُلُّ قَرَى الْأَضْيَافِ نَقْرَى مِنَ الْقَنَا وَمُعْتَبِطٌ فِيهِ السَّنَامُ الْمُسَدَّفُ (٥)

وتارة يفخر بقبومه ويصورهم بأنهم أفضل من يعيش على الأرض ، وأن
قبور أمواتهم أفضل القبور قائلا : (٦)

وَأَفْضَلُ مَنْ يَعْشَى عَلَى الْأَرْضِ حِينَا وَمَا ضَمِنَتْ فِي الذَّاهِبِينَ قُبُورُهَا
لَنَا دُونَ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّاسِ طَرَا شَمْسُهَا وَبَدَّ وَرَهَا
أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ لَنَا بَرُّهَا مِنْ دُونِهِمْ وَبُحُورُهَا

(١) الْقَابِلَاتُ : جَن اللواتي يطلقينه عند الولادة . والضراغم : الأسود الشديدة

(٢) الْحَازِمُ : هو الشديد .

(٣) الديوان : ٣٠ / ٢ .

(٤) الْعَبِيطُ : هو اللحم الطرى غير ناضج .

(٥) السَّنَامُ الْمُسَدَّفُ : السديف لحم السنام جمعه سدائف وهو الشحم المقطع

انظر المعجم الوسيط (سدف) .

(٦) الديوان : ٢٢٣ / ١ .

وكان الفرزدق هنا متأثر بقول عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي في معرض فخره القبلي :

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا (١)
مَلَأْنَا الْأَرْضَ حَتَّى ضَاقَ عَنْهَا وَمَا الْبَحْرُ نَمْلَأُهُ سَفِينَا

وأحيانا أخرى يصور قومه بأنهم حلما وقت الحلم وأنهم كالجن أو الجبال وقت الغضب حينما يهيم أحد بالجهل عليهم فيقول مفتخرا بهذا الجانب : (٢)

إِنَّا لَتَوْنُ بِالْجِبَالِ حُلُومَنَا وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجِبَالِ
أَحْلَامُنَا تَنْزُ الْجِبَالِ رَزَانَةً وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَانَجَهُلُ
فَضَلْنَا بِشَتَيْنِ الْمَعَاشِرِ كُلَّهُمْ بِأَعْظَمِ أَحْلَامٍ لَنَا وَجِفَانِ
يَرْدُونَ الْحُلُومَ إِلَى جِبَالِ وَلِنْ شَاغَبْتَهُمْ وَجَدُوا شِغَابَا

ويفتخر بأن قومه ملوك في منازلهم قادة شجعان في حوميات الوغى (٣) :

حُلُّ الْمُلُوكِ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الْوُغَى نَتَسَرَّبِلُ
ويفخر بأن قومه أحق الناس بالمجد فهم ملوك لا يصادمهم أحد إلا غرق في بحورهم وهلك ويصور هذه الصفات بقوله مفتخرا : (٤)

(١) انظر معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي وهي من عيون الفخر القبلي .

(٢) ديوان الفرزدق ١٦٥/٢ ، ١٥٧ ، ٣٣٠ - ١٠٠/١ .

(٣) الديوان ١٥٧/٢ .

(٤) الديوان : ٣١٥/٢ .

أَلَسْنَا أَحَقَّ النَّاسِ يَوْمَ تَقَايَسُوا إِلَى الْمَجْدِ بِالْمُسْتَأْثِرَاتِ الْجَسَائِمِ
مَلُوكٌ إِذَا طَمَتْ عَلَيْكَ بُحُورُهَا تَطَخَّطَحَتْ فِي آذَانِهَا الْمُتَصَادِمِ
إِذَا مَا وَزَنَّا بِالْجِبَالِ رَأَيْتَنَّا نَعِيلٌ بِأَنْضَادِ الْجِبَالِ الْأَضَاحِمِ

وفخر بقومه ويصورهم بأنهم بلغوا ذروة الشرف وأنهم سادة الدنيا
يتحملون الحملات واليهم يهرب كل مظلوم ، وأنهم لا يقتلون الأسرى
بل يفكونهم لأنهم أناس شيمتهم العفو عند المقدرة : (١)

إِذَا عَجَزَ الْأَحْيَاءُ أَنْ يَحْمِلُوا دَمًا أَنَاخَ إِلَى أَجْدَانِنَا كُلِّ غَارِمِ
تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ وَبِهَرَبٍ مِنَّا جَهْدُهُ كُلِّ ظَالِمِ
وَلَا نَقْتُلِ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفَكَّهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ (٢)
وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ قَدْ فَكَّكْنَا وَمِنْ دِمٍ حَمَلْنَا إِذَا مَا ضَجَّ بِالثَّقْلِ غَارِمُهُ

وفى هذا المعنى من الجمال والعمق مالا يخفى لأن الأحياء اذا
عجزوا عن العطاء ودفع الحملات يكون الأموات من باب أولى ، لكن
قوم الشاعر يكادون يختلفون عن الناس فأمواتهم يستطيعون القيام
بما لم يستطع القيام به الأحياء من غيرهم . فهو يرتفع بالمعنى
درجة فوق المعقول ، لكن هذا نتيجة متوقعة لما يشعر به الشاعر
من عز وعظمة بانتمائه القبلى ، وهو بهذا يومى الى قبر أبيه

(١) ديوان الفرزدق ٣١٤/٢ .

(٢) (غرم) غرما و غرامة : لزمه مالا يجب عليه ، ويقال : غرم الدية

والدين أداهما عن غيره .

المعجم الوسيط (غرم) .

غالب المدفون بكازمة ، وقد تسامى به هذا الشرف وهذا المجد
الى أن يفخر بأن الشمس لو أنكحت النجوم نباتها لكان قوم الشاعر
أسبق الى نكاح نبات الشمس قبل الكواكب : (١)

وَلَوْ تَنَكَّحُ الشَّمْسُ النُّجُومَ بِنَاتِهَا إِذَا لَنَكَّحْنَاهُنَّ قَبْلَ الْكَوَاكِبِ .

ويرى أن مجدهم قد تسامى بهم الى أعلى المنازل حتى أن السحاب
لو سبق وأن رفع اليه أحدا لكانوا قوم الشاعر : (٢)

وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابُ إِلَيْهِ قَوْمًا عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ

ويقول مفتخرا بكثرة قومه في العدد والعدة : (٣)

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ عَلَى الثَّرِيَّا وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَغَابَا

ويقول : (٤)

لَنَا عَدَدٌ يُرَبِّي عَلَى عَدَدِ الْحَصَى وَيُضْعِفُ أضعافًا كَثِيرًا عَذِيرَهَا

فأى فخر أكبر من هذا ؟! الذى تسمى لنا الألفاظ والمعانى
فيه بكثير من التجاوز لحدود المعقول والمبالغة فلا أحد يستطيع
أن يملك القمر والثريا مهما علت منزلته وكثر نفيره ، ولكن خيال
الشاعر ترمى الى أفق رحب فاستطاع أن يقدم لنا هذه الصورة
الشعرية الرائعة التى تنم عن خيال متدفق متطلع الى أعلى غاية

(١) ديوان الفرزدق : ٩٧/١ .

(٢) الديوان : ٩٨/١ .

(٣) الديوان : ١٠٠/١ .

(٤) الديوان : ٢٢٢/١ .

فى المجد والسؤدد .

والحقيقة أن الكثرة ليست مدار الفخر وإنما العبرة بالصفات الحميدة التى يتحلى بها الناس سواء أكانوا قليلا أم كثيرا وهذا ما أشار إليه السمو^(١) أل بقوله مفتخرا : (٢)

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا ضَرُنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

هذا فى الواقع ما يتعلق بفخر الفرزدق القبلى ، أما عن الجانب الثانى من فخر هذا الشاعر :-

فهو الجانب الذاتى وهو مدار حول الشاعر نفسه وامتد الى آباءه وأجداده وعشيرته الأقربين كأخواله وأخوال أبيه ومن فى حكم هؤلاء ممن يمتون الى الشاعر بصلة قرابة .

والفرزدق كثير الاعتداد بنفسه وقد ملأ الدنيا بالحديث عنها وعن أبيه غالب وجده صعصة ، وقد كانتا هاتان الشخصيتان رافدا لا ينضب معينه يستمد منه الشاعر فيصنأ غزيرا من المعانى السامية يزجها فى مفاخره الكثيرة ، وقد يمتد هذا الفخر ليشمل أخواله بنى ضبه وكذلك الأقربين ابنى حابس أخوال أبيه .

ولم نجد من شارك الفرزدق خيلاءه فى العصر الأموى ولا حتى فيما بعده إلا أبا الطيب المتنبى رغم اختلاف الزمن والبيئة والنشأة

(١) وهو السموأل بن عاديا من أهل تيماء وهو من شعراء اليهود ، انظر ابن سلام :

(٢) أنظر الحماسة البصرية : ١٤٧/١ .

والمحتد بين الشاعرين ، وهو فى نظر نفسه كريم لا يجارى قد
ضحى فى سبيل كرمه بناقته فى وقت الشدة : (١)

وَلَوْ سَأَلْتُ عَنِّي سَوْدَةً أَنْبِئْتُ
بِضَرْبِي بِسَيْفِي سَأَى كُلَّ سَمِينَةٍ
إِذَا كَانَ زَادُ الْقَوْمِ عَقَرُ الرَّاكِبِ
وَتَغْلِيْقُ رَحْلِي مَاشِيًا غَيْرَ رَاكِبٍ

وقوله : (٢)

إِذَا خَمَدَتْ نَارُ فِرَازِ ابْنِ غَالِبٍ
أَنَا الْمُطْعَمُ الْمَقْرُورُ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا
سَتُوقِدُهَا لِلطَّارِقِينَ خَلَائِقُ
وَأَجْهَلُ مَنْ يَخْشَى الْجَهْلُ بَوَائِقَهُ

وهو يفخر بأن هذه السجية الطيبة صفة من صفات أبيه حتى بعد
ماتته وأنه سيظل وفيا لها .

فَقَالُوا اسْتَفِثْتُ بِالْقَبْرِ أَوَّاسُ مَعِ ابْنِهِ
فَأَقْسَمَ لَا يَخْتَارُ حَيًّا بِغَالِبٍ
دُعَاكَ يَرْجِعُ رَيْقُ فَيْكَ إِلَى الْفَمِ (٣)
وَلَوْ كَانَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مُظْلِمٍ
هَنِيْدَةً إِذَا كَانَتْ شِفَاءً مِنَ الدَّمِ
فَقُلْتُ لَهُ أَقْرَبُكَ عَنْ قَبْرِ غَالِبٍ

وأي صورة من صور الفخر الشخصي أعظم من هذه الصورة التى يرسمها
الفرزدق مبينا اغراقه فى الكرم وحبه للضيف . وسرعة القرى فيقول
مفتخرا : (٤)

وَمُسْتَنْبِحِ وَاللَّيْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
سَرَى إِذَا تَغَشَّى اللَّيْلُ تَحْمِلُ صَوْتَهُ
يَرَامِي بِعَيْنَيْهِ النُّجُومَ التَّوَالِيَا
إِلَى الصَّبَاقْدِ ظِلٌّ بِالْأَمْسِ طَائِيَا

(١) الديوان : ٢٧/١ . (٣) ديوان الفرزدق : ١٩٨/٢

(٢) الديوان : ٥٠/٢ . (٤) ديوان الفرزدق : ٣٥٦/٢ - ٣٥٧ .

فَلَمَّا رَأَيْتُ الرِّيحَ تَخْلُجُ نَبْحَهُ وَقَدْ هَوَّرَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ الِيمَانِيَا
 حَلَفْتُ لَهُمْ إِنْ لَمْ تُجِبْهُ كَلَابُنَا لَأَسْتَوْقِدَنَّ نَارًا تُحِيبُ الْمُنَادِيَا
 وَقُلْتُ لِعَبْدِي أَسْعِرَاهَا فَإِنَّهَا كَفَى بِسَنَاهَا لِأَيْنِ إِنْشِكَ دَاعِيَا
 فَمَا خَمَدَتْ حَتَّى أَضَاءَ وَقُودُهَا أَخَا قَفْرَةٍ يُزْجِي الْمَطِيَّةَ حَافِيَا
 فَفُكِّتْ إِلَى الْبَرْكِ الْهَجُودِ وَلَمْ يَكُنْ سِلَاحِي يُوقِي الْمُرْبِعَاتِ الْمَتَالِيَا
 فَخُضْتُ إِلَى الْأَثْنَاءِ مِنْهَا وَقَدْ تَرَى ذَوَاتِ الْبَقَايَا الْمُعْسِنَاتِ مَكَانِيَا
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي اخْتَرْتُ لِلْقَرَى ثَنَاءَ الْمَخَاضِ وَالْجَذَاعِ الْأَوَابِيَا
 فَكُنْتُ سَيْفِي مِنْ ذَوَاتِ رِمَاحِهَا غَشَاشًا وَلَمْ أَحْفَلْ بِكَاءِ رِعَائِيَا

وهذه الأبيات بينها وأسلوبها القصصى المؤثر تشكل صورة جميلة للشاعر وهو يتأهب لاستقبال ذلك الضيف الطارئ وما يترتب على هذا الاستقبال من حفاوة بالغة . وهى صورة جميلة تحكى لنا الكرم العربى الأصيل وسرعة القرى للضيف ، وهذه القصيدة تشكل أجمل قصائد الفرزدق فى الفخر لأنها تحكى سجايا محبة بعيدا عن التباهى بالنسب والقبيلة ، هذه السجايا هى اكرام الضيف ، والبشاشة فى وجهه . كما أن هذه القصيدة تمثل كرم الفرزدق وقت الشباب وهو يرى فى نفسه العظمة والسيادة . وقد تجلت فيها عبقريته المصورة وقدرته على الحكاية والقص ، وتمكنه من ناصية اللغة لفظا ومجازا وصورا وهو يرى نفسه رفيعا كالنجم المصلط على رقاب الأعداء فيقول :

وانى أنا النجم الذى عذبت به قرى أمة بادت وباد نخيلها (١)

ويرى أنه كالموت الذى يأخذ النفس ولا يستطيع أحد رده وأنه
البدر الذى لا يناله أحد فيقول : (١)

فَأَيْتَى أَنَا الْمَوْتَ الَّذِي هُوَ ذَاهِبٌ بِنَفْسِكَ فَأَنْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهُ
أَنَا الْبَدْرُ رِيْعَشِي طَرَفَ عَيْنَيْكَ فَالْتَمَسْ بِكَفِّكَ يَا ابْنَ الْكَلْبِ هَلْ أَنْتَ نَائِلُهُ

ويفتخر بشاعريته وأنه عظيم لم يأته الشعر مصادفة لكنه سليل شعراء
كبار ورث منهم الشعر كما رث القيس ، والمهلهل ، وطرفة ، والأعشى
والمرقس ، وعلقمة وغيرهم من الفحول فيقول : (٢)

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ مَضُوا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرْحِ وَجَرُولُ
وَالْفَحْلُ عُلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حَلَلُ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ لَا يُنْحَلُ
وَأَخَوْنِي قَيْسٍ وَهَنْ قَتَلْنَاهُ وَمَهْلَهْلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ
وَالْأَعْشِيَانِ كِلَاهُمَا وَمَرْقَشُ وَأَخُو قَضَاعَةَ قَوْلُهُ يُتَمَشَّلُ
وَأَخَوْنِي أَسَدٍ عُبَيْدُ إِذْ مَضَى وَأَبُو دَوَادٍ قَوْلُهُ يُتَنَحَّلُ
وَأَبْنَى أَبِي سُلَمَى زَهَيْرٌ وَأَبْنَاهُ وَأَبْنُ الْفُرَيْعَةِ حِينَ جَدَّ الْمَقُولُ
وَالْجَعْفَرِيُّ وَكَانَ بِشْرٌ قَبْلَهُ لِي مِنْ قَصَائِدِهِ الْكِتَابُ الْمُجْمَلُ
وَلَقَدْ وَرِثْتُ لَالَ أَوْسٍ مِنْطِقًا كَالسَّمِّ خَالَطَ جَانِبَيْهِ الْحَنْظَلُ
وَالْحَارِثِيُّ أَخُو الْحِمَاسِ وَرِثْتُهُ صَدْعًا كَمَا صَدَعَ الصَّفَاةَ الْمِعْزُولُ

ويقدر ما يفتخر بنفسه نجده كذلك يفتخر بأبيه وجده ، فيقول ففى
هذا المجال مفتخرا بأبيه : (٣)

(١) الديوان : ١٧١/٢ .

(٢) الديوان : ١٥٩/٢ .

(٣) الديوان : ٣٦/١ .

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَاخِرِينَ عَشِيرَةٌ تَفَاخَرُنِي وَلَا لَهُمْ مِثْلُ غَالِبِ
بَنَى بَيْتَهُ حَتَّى اسْتَقَلَ مَكَانَهُ فَسَامَى بِهِ الْجُوزَاءُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ

ويستمر في افتخاره بأبيه فيقول :

أَبِي غَالِبٌ وَاللَّهُ سَمَاءٌ غَالِبًا وَكَانَ جَدِيرًا أَنْ يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

وقد بالغ في هذا الفخر فان الضار والنافع هو الله سبحانه وتعالى وليس غيره ، أما اذا كان يقصد أنه يضر الأعداء وينفع الأصدقاء فلا بأس به حينئذ ، وقد ورد هذا المعنى من قبل عند قيس بن الخطيم عندما قال : (١)

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يَرَادُ الْفَتَى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعُ

ويستمر في فخره بأبيه كقوله : (٢)

وَقَوْمٌ أَبْوَهُمْ غَالِبٌ جُلٌّ مَالِهِمْ مُحَامِدٌ أَغْلَاهَا مِنَ الْمَجْدِ غَالِبُ
بَنُوا كُلَّ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ إِذَا شَتَا وَأَكْدَتْ بِأَيْمَانِ الرِّجَالِ الْمَطَالِبُ

ويقول مفاخرًا بجده صعصعة : (٣)

وَصُعْصَعَةُ الْمُجِيرُ عَلَى الْمَنَايَا بِذِمَّتِهِ وَفَكَكَ الْعُنَاةُ

وقد اتخذ الفرزدق من عمل جده العظيم حينما افتدى المؤودات

(١) هو قيس بن الخطيم من بني ظفر من الأوس عده ابن سلام من شعراء القرى /
طبقات فحول الشعراء : ٢١٥ / ١ .

(٢) الديوان : ٩٤ / ١ . (٣) الديوان : ١٠٩ / ١ .

وسيلة فافتخر بهذا العمل الجليل الذى لم يسبق اليه أحد : (١)

أَنَا ابْنُ الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا تَوَاحَا الْوَعِيدَ فَلَمْ يُوَادِّ

أَنَا ابْنُ الَّذِي أَحْيَا الْوَعِيدَ وَلَمْ أُزَلِّ أَحَلُّ بِهَا مَاتِ اللَّهُا مِنْ مَضَرِّ

على أن من أجمل صور الفخر بهذا العمل الجليل الذى قام به
جده تصويره اياه بأنه أفضل من الغيث عندما قال : (٢)

أَبِي أَحَدُ الْغَيْثَيْنِ صَعَصَعَةُ الَّذِي مَتَى تُخْلِفِ الْجَوَازُ وَالنَّجْمُ يُعْطِرُ

فقد ارتفع بالمعنى درجة فوق التشبيه ليبين أن جده صَعَصَعَةُ
أفضل من الغيث (٣) ويستمر فى رسم هذه الصورة الجميلة

فيقول مفتخرا : (٤)

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدَيْنِ وَمَنْ يَجِرُّ	عَلَى الْفَقْرِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْفَرٍ
وَفَارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءٍ أَتَتْ أَبِي	تُعَالِجُ رِيحًا لَيْلُهَا غَيْرُ مُقْمِرٍ
فَقَالَتْ أَجْرِي مَا وَلَدَتْ فَإِنِّي	أَتَيْتُكَ مِنْ هَزَلِ الْحَمُولَةِ مُقْتَرٍ
هَجَفَ مِنَ الْعُثُورِ رُؤُوسًا إِذَا ضَغَتْ	لَهُ ابْنَةُ عَامٍ يَحْطِمُ الْعَظْمَ مُنْكَرٍ
رَأَى الْأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَمَى بِهَا	إِلَى خُدِّ مِنْهَا وَفِي شَرِّ مُحْفِرٍ
فَقَالَ لَهَا نَامِي فَإِنِّي بِذِمَّتِي	لِيُنْتِكَ جَارٌ مِنْ أَبِيهَا الْقَنْوَرِ

وهذه الصورة الفنية التى أبدعها الفرزدق تدلنا على أنه يتعالى
بهذا العمل الجليل ويجد فيه منطلقا لفخره فحيد فى رسم

(١) الديوان : ١٧٣/١ ، ٣٣٩ ، (٢) الديوان : ٣٧٩/١ - ٣٨٠ .

(٣) التصوير البيانى - د . محمد أبو موسى : ٧٥ .

(٤) الديوان : ٣٧٩/١ - ٣٨٠ .

الصور التي تمثل للقارىء ذلك الواقع المظلم الذي حاربه صمصعة ووقف في وجهه من يخطط هذا العمل المشين من عرب الجاهلية حتى جاء الاسلام فأزال هذه العادة الذميمة عندما حرم وأد البنات . وقد استحسّن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمل هذا الرجل كما ورد في بعض الروايات . (١) ويمتد فخر الفرزدق بعشيرته الأذنين ليشمل الأقارع والحتات بالإضافة الى أبيه وجده فيقول : (٢)

إِنَّ الْأَقَارِعَ وَالْحَتَاتَ وَغَالِبًا وَأَبَا هُنَيْدَةَ دَافَعُوا لِمَقَامِي
إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي بَنَى لِي بَيْتَهُ فِي دَوْحَةِ الرَّؤَسَاءِ وَالْحُكَّامِ

ويشترطه
ويتناول في فخره الشخصي ليشمل ~~خاله كنهك~~ قائلا : (٣)

مِنَّا الَّذِي جَمَعَ الْمُلُوكَ وَبَيْنَهُمْ حَرْبٌ يَشْبُ سَعِيرُهَا بِضَرَامِ
وَأَبِي ابْنِ صَعْصَعَةَ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٌ غَلَبَ الْمُلُوكَ وَرَهْطُهُ أَعْمَامِي
خَالِي الَّذِي تَرَكَ النَّجِيعَ بَرْمَجِهِ يَوْمَ النَّقَا شَرِقًا عَلَى بَشْطَامِ

تقد جمع في هذا الفخر كما نرى أباه وجده وجدته وخاله ورهطه الأذنين . وهكذا ملك الفخر على الفرزدق نفسه . وكان هذا الغرض يطفى على نتاجه كله .

وبعد هذا يمكننا أن نقول اننا لو تتبعنا فخر الفرزدق القبلي وحده أو الشخصي لكان هذا كهيلا بأن يكون بحثا متكاملا فقد كان قومه في نظره أعز العرب بيتا ، وأرفعهم شرفا وأوسعهم

(١) انظر الأغاني : ٢٧٩/٢١ - ٢٨١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٣٠٥/٢ - ٣٠٦ . (٣) الديوان : ٣٠٦/٢ .

خيرا وكرما وهم ذووا العقول التى توازى الجبال والشبات الذى لا يتزعزع والشجاعة التى تفوق كل شجاعة .

ويبدو هذا الشاعر فى فخره صادق العاطفة متوثب الخيال لأنه ينطلق فيه من نفسية متطلعة الى العلا والمجد ، ولأنه مؤمن بما يقول يعيش هو ذاته هذا الواقع الذى يكتنفه الشرف من كل جانب فكانت ألفاظه جزلة ومعانيه عميقة المدلول .

ومن هنا كان الفخر منه الأول الذى برز فيه وعلا حتى لا يدانيه شاعر من شعراء عصره ، ولا من جاءوا بعده فيما نعلم .

كان يفخر بمجاشع ، ودارم ، وتميم ، وبأخواله بنى ضبة وخندف ، ومضر كلها حتى وصلت به تطلعاته للشرف والمجد الى أن يفخر بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء ، فضلا عن نفسه ، وشرفه وكرمه ، وشعره وآبائه وأسرته .

وقد يأتى باللفظ المعبر ليدل به على معنى جميل يصوره

تصويرا بارعا كقوله مفتخرا بشجاعته : (١)

وَسِيرِي إِذَا مَا لَطْرُمَسَاءُ تَطْخَطَخَتْ عَلَى الرِّكْبِ حَتَّى يَحْسَبُوا الْقَفَّ وَادِيَا

فان التعبير بلفظي (الطرمساء ، تطخطخت) فيهما من الدلالة والايحاء على ظلمة الليل وهوله ما يجعل الانسان يتورع عن السير فيه ، لأن هذه العبارة بلفظها وجرس حروفها تدل على ثقل الليل

وشدة ظلمته وبالتالي تعثر الركبان حتى أن الماشى فى هذا الليل البهيم لم يعد يميز التل من الوادى . لكن الشاعر تخطى هذه الأخطار المحدقة وركبها بشجاعته ليبحث عن الضيف التائه مما يدلنا على كرمه وعطائه وشجاعته .

ومثل هذه الألفاظ كثيرا نجدها فى ثنايا فخره كقوله أيضا

فى فخره على جرير : (١)

مَلُوكُ إِذَا طَمَّتْ عَلَيْكَ بَحُورُهَا تَطْحَطُّ فِي آذَانِهَا الْمُتَصَادِمِ

فان لفظ (تطحطحت) يدل بجرس حروفه على قوة قوم الشاعر وعلو مجدهم وضياح من أراد مصادمتهم ، وبمثل هذه الألفاظ البليغة القوية والصور الفنية المعبرة يسير الفرزدق فى فخره كله فيعبر عما يريد بألفاظ نشتم فيها رائحة العظمة من مثل قوله : (٢)

بَخْبَجْ لَنَا الشَّرَفَ الْقَدِيمَ وَمِزْنَا قَهَرَ الْبِلَادَ فَمَالَهُ تَنَكُّرُ
أَحْيَاؤُنَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَقُبُورُنَا مَا فَوْقَهُنَّ قُبُورُ

لقد تجاوزت العظمة بالشاعر الى أن يصور قبور قومه بأنها تعلو قبور الناس كافة فضلا عن الأحياء منهم . ولكن هذه العظمة وهذا التجاوز قد خرجا بالفرزدق عن حدود المعقول لأن الانسان فى قبره لا يفضل غيره الا بما لديه من رصيد فى أعمال الخير .

(١) الديوان : ٣١٥/٢

(٢) الديوان : ٢٩٧/١

ولكن عظمة الفرزدق ونظرت لهشيرته جعلته ينسى من حوله
من الأحياء ، والأموات من غير قومه . ولا يرى سوى قبيلته ونفسه
وعشيرته الدنيا فيصور الناس وقد خضعوا لقومه وكأنهم خرايب طير
فرقتها الصقور : (١)

وَنَحْنُ ضَرْبُ النَّاسِ حَتَّى كَانَهُمْ خَرَايِبُ طَيْرٍ صَعَصَعَتْهَا ^(٢) صُقُورُهَا ^(٣)

وكما نرى فان من أهم عناصر فن الفرزدق التعبيرى فى الفخر استعماله
بكثرة الألفاظ الثنائية التراكيب وأفعل التفضيل ، وصيغ المبالغة
لتهويل المبالغ فيه ، وجنوحه الى استعمال الألفاظ البدوية القوية
الجافية ، والاكثار فى فخره الشخصى من تعداد أسماء آبائه وأجداده
وقد وجد فى نسبه العريق متكأ يفاخر به ، حتى أن القسارى
لشعر الفخر عند الفرزدق يستطيع بعد عدة قصائد أن يسرد
أسماء آبائه وأجداده فى كل قصيدة قبل أن يقرأها لأن تلك
الأسماء لمعت واشتهرت فى محيطها وتمكن من عرضها فى كل مناسبة
وكانها معينا لا ينضب يستمد منه معانى فخره وتطاوله على غيره
حتى لقد أنساه هذا التطاول أن يمدح الخليفة سليمان بن عبد
الملك عندما طلب منه أن ينشده ، فقال مفتخرا بين

(١) الديوان : ٢٢٣/١ .

(٢) الخرايب : جمع خرب وهو ذكر الحبارى .

(٣) صمصعته : أى فرقتها - يريد أن هذه الصقور أفزعت الطيور
فتفرقت هذه الطيور واضطربت نتيجة لهذا الخوف .

المعجم الوسيط (صمصع) .

(١) : يديه :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْهُمْ لَهَا تِرَةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا وَسَرَتْ نَكْبَاءٌ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ
إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

فأعرض عنه سليمان كالمغضب لأنه أراد أن ينشده مدحا فيه لكنه
افتخر بأبيه ونسى أنه بحضرة الخليفة . (٢)

(١) زهر الآداب - للحصري ٣٣٥/١ .

(٢) لم يكن الفرزدق من الشعراء الذين بادروا بتأييد دعوة الوليد
ابن عبد الملك بخلع سليمان من ولاية العهد وجعلها لابنه .
فاحتفظ سليمان للفرزدق بهذا الموقف المشرف معه مما كان سببا
في توطيد العلاقة بينهما .

الفصل الثالث

الغرضاء
لدى
جكرير

" " الفصل الثالث " "

+++++

* * الغرضان لدى جرير * *

يحسن بنا بادئ ذي بدء أن نبدأ بدراسة مدائح جرير للولاة أولا ثم الخلفاء ثانيا .

والسبب في انتهاج هذا المنهج أن مدائح جرير في الولاة قد اتسمت بالقوة والجزالة والعمق في التصوير أكثر من مدائحه في الخلفاء ، وقد أشار بعض الدارسين المحدثين الى هذه الظاهرة وتنبيه لها . (١)

ويعد الحجاج بن يوسف من أوائل الولاة الذين اتصل بهم جرير ومدحهم لأنه أقرب الى الشاعر موطناً من بني أمية ، ثم أن جريراً قد اتخذ جانب قيس التي كانت تناصب الأمويين العداء ، ونحن نعلم أن الحجاج ينتسب الى هذه القبيلة اذ كان قلبه وهواه معها فتعصب لها تعصبا قبيحاً بينما كان سيفه مع بني أمية فلا عجب اذا أن يمتدحه جرير ويتقرب اليه فاختره بخمس قصائد (٢) تعد من حيث القوة والجزالة والتفنن في التصوير أروع من مدائحه في كثير من الخلفاء .

(١) انظر جرير حياته وشعره للدكتور نعمان طه : ٢٢٦ .

(٢) انظر هذه القصائد في الديوان : ١٣٦/١ ، ١٤٦ ، ٣٩٩ ، ٢-٧٢٧

٨٤٨ ، ومطالعها في الجدول رقم (٧) الملحق بهذا

وعندما نستعرض مديحه فى الحجاج تتراعى الى أسمعنا تلك المعانى القوية التى تدل حقا على أنها نابعة من عاطفة جياشة وهى من العواطف الصادقة فى تلك الفترة وان كانت قد خفت بعد وفاة الحجاج اذ سرعان ما قلب جرير لمدوحه ظهر المعن فاستباج لنفسه أن يعرض به عند سليمان بن عبد الملك على يظفر بحبسه وعطائه ويمحو غلظته التى ارتكبها عندما أيد دعوة الحجاج للوليد بخلع سليمان من ولاية العهد كما هو معروف . (١)

ومهما يكن فان مدائحه لهذا الوالى كانت سجلا رائعا فى تصوير هذه الشخصية القوية ومايكتنفها من حزم وصرامة كقوله : (٢)

مَنْ سَدَّ مَطْلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ	أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيطَةً	إِذْ لَا يَثْقَنُ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
إِنَّ ابْنَ يَوْسُفَ فَأَعْلَمُوا وَتَيَقَّنُوا	مَاضِىَ الْبَصِيرَةِ وَأَضِحَ الْمُنْهَاجِ
مَاضٍ عَلَى الْغَمَرَاتِ يُمَضِي هَمَّهُ	وَاللَّيْلُ مُخْتَلِفُ الطَّرَائِقِ دَاجِ
مَنْعَ الرِّشَاءِ وَأَرَاكُمْ سَبِيلَ الْهُدَى	وَاللَّصَّ نَكَلَهُ عَنِ الْإِثْلَاجِ
فَاسْتَوْثِقُوا وَتَبَيَّنُوا سَبِيلَ الْهُدَى	وَدَعُوا النَّجَى فَلَيْسَ حِينَ تَنْجَاجِ

وكما نرى فهو يبدأ هذه الصور التى رسمها للحجاج بداية تقريرية من خلال صيغ الاستفهام . فيصوره حصنا منيعا وسيفا مصلتا يقطع دابر المنافقين ليوطد الأمن فى ربوع الوطن . وذكر تلك الأعمال

(١) انظر البداية والنهاية - لابن كثير : ١٦٦/٩ .

(٢) ديوان جرير : ١٣٧/١ - ١٣٨ .

العظيمة التي قام بها مستدلاً بوضوح سيرته ومنهجه ، ويذكر حرصه على راحة المحكومين ، وسلامتهم ، وأمنهم ، وأنه لا يقر قهراره ولا يهدأ باله حتى يطمئن على النساء وأنهن أصبحن في مأمن من الفساق . خصوصاً وأن البصرة والكوفة كانتا تتعج بالمجان والفساق فتتبعهم زياد بن أبيه ثم جاء الحجاج فاستأصلهم عن بكرة أبيهم وأجبرهم على الطاعة ، وسير الرجال للفتوح مع المهلب بن أبي صفرة . (١)

يمضي جرير في رسم صورة واضحة للأعمال التي قام بها الحجاج مشيراً إلى أنه منع الرشا ، وأبان سبل الهدى ، ونكسب بالصوص المدلجين حتى استبان للجميع سبيل الهدى واستقامت الأمور ، ويقرر هذه المعاني من خلال تصويره الحجاج في صورة المصلح الذي أخطأ أهل عصره فهمه فاتعبوا أنفسهم معه . (٢)

(١) انظر أدب السياسة في العصر الأموي د . أحمد الحوفي : ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، والمهلب بن أبي صفرة هو : ظالم بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو الأزدى العتكي البصري - ولد عام الفتح وتوفي غازياً بمروالروز سنة (٨٢هـ) وهو قائد بطل وأمير شجاع .
انظر سير أعلام النبلاء : ٣٨٣/٤ - ٣٨٥ .

(٢) انظر جرير ونقائضه مع شعراء عصره - د . محمد عبد العزيز الكفراوي : ١٠٩

ان جريرا فى هذه الأبيات يعالج مشكلة من أهم المشكلات السياسية التى تتعلق بحياة الأمة كلها فهو يرى أن حياة الناس كافة فوق حياة الأفراد ، وأن الحجاج قد وضع مصلحة الأمة فوق أى اعتبار فنصوره لنا مصلحا قويا يهتم بأمر الدولة ويقيم الأمن فى ربوع الوطن مؤكدا هذا المعنى من خلال قوله مادحا : (١)

بِذَرَا عَمَايَةَ أَوْ بِهَضْبِ سُوَاجٍ (٢)	إِنَّ الْعَدُوَّ إِذَا رَمَوْكَ رَمَيْتَهُمْ
سُبُلَ الضَّجَاجِ أَقْسَكُلَ ضَجَاجٍ (٣)	فَإِذَا رَأَيْتَ مُنَافِقِينَ تَخَيَّرُوا
غِيْرَاءَ ذَاتِ دَوَاخِنٍ وَأَجَاجٍ	دَاوَيْتَهُمْ وَشَفَيْتَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ
وَلَقَدْ مَنَعَتْ حَقَائِبُ الْحُجَّاجِ	وَلَقَدْ كَسَرَتْ سِنَانَ كُلِّ مُنَافِقٍ

وجرير فى هذا المديح حينما استعمل الكلمات الحسية بشتى أنواعها انما يمثل تصورا ذهنيا معيننا له دلالاته وقيمتها الشعورية عند السامع ليقف على حقيقة ماتمثلة شخصية الحجاج من قوة وجبروت فى وجه المنافقين واللصوص ، وما كان لهذه الشخصية من تأثير فى بسط الأمن وتوفير الاستقرار لجميع الناس .

ويمضى جرير فى امتداح الحجاج بالجانب البطولى من خلال معاركه الدامية التى خاضها على رأس جيش الخلافة ضد الأعداء ويتسامى بهذا المدوح الى مكانة يحسده عليها غيره

(١) ديوان جرير : ١٣٨/١ .

(٢) عماية وسواج : جيلان بالعالية .

(٣) الضجاج : الباطل .

فيقول (١) :

لَقَيْتَهُمْ وَخَيْلَهُمْ سِمَان	بِسَاهِمَةِ النَّوَظِرِ وَالْخُدُودِ (٢)
أَقَمْتَ لَهُمْ بَسَكِينَ سَوْقَ مَوْتٍ	وَأُخْرَى يَوْمَ زَاوِيَةِ الْجَنُودِ (٣)
تَرَى نَفْسَ الْمَنَافِقِ فِي حَشَاةٍ	تُعَارِضُ كُلَّ جَائِفَةٍ عَنُودِ (٤)
تَحْقُقُهُمُ السُّيُوفُ كَمَا تَسَامِي	حَرِيقُ النَّارِ فِي أَجْمِ الْخَصِيدِ
وَيَوْمُهُمُ الْعَمَاسُ إِذَا رَأَوْهُ	عَلَى سِرْبَالِهِ صَدَأُ الْحَدِيدِ

فالشاعر هنا يصور المعركة التي خاضها الحجاج ومافعله بالأعداء كما يصور رعب المنافقين حتى أن هؤلاء الأعداء تهتز أرواحهم بين جنوبهم وتكاد تفارق أجسادهم لشدة خوفهم واهلهم من هذا القائد المقدام فكانهم يموتون موتا بطيئا مشبها السيوف التي تحش الرؤوس بالمنجل الذي يحش الزرع ليصور بهذا مشهدا للمعركة وما حققه جيش الحجاج من نصر ويشير الى ذلك الرعب الذي قذف في قلوب المنافقين وقد

(١) ديوان جرير ٢/ ٧٢٧ - ٧٢٨ .

(٢) بِسَاهِمَةِ النَّوَظِرِ : أى بخيل ضامرة ، والمعنى أن خيلهم سمان

وخيله غابسة من الجد في القتال . الصحاح مادة (سهم) .

(٣) سَكَنَ : موضع بالبصرة ويريد أنه أقام لهم في الموضع سوقا كان

نصيبهم فيه الموت والهلاك وأيضا زاوية هي موضع كذلك بالبصرة

والمعنى هو نفس المعنى .

(٤) جَائِفَةٌ : أى أنها تصل الى الجوف والمعنى أنها طعنة نافذة

وصلت الجوف - المصباح المنير (جوف) .

أبدع جرير في هذه الصورة ، وفي عرض المشهد البطولي لخيـل
الحجاج مما يدل على مهارة الشاعر في رسم هذه الصورة .

وقد دخل الحجاج الى روع جرير مدخل البطل الملحمي فكانت
أغلب صور المديح التي خصه بها جرير تدور حول البطولة والعزم
والحزم وقد صوره تصويرا بديعا في الذب عن خلافة المسلمين (١) ،
وأن الخليفة قد اختاره للحرب كي يلحق الأعداء دروسا شديدة ،
فيقول مصورا فعالية الحجاج : (٢)

إِذَا سَعَرَ الْخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ	رَأَى الْحُجَّاجَ أَثْقَبَهَا شَهَابًا
تَرَى نَصْرَ الْإِمَامِ عَلَيْكَ حَقًّا	إِذَا لَبَسُوا بِدِينِهِمُ ارْتِيَابًا
تَشُدُّ فَلَا تَكْذِبُ يَوْمَ زَحْفٍ	إِذَا الْغَمَرَاتُ زَعَزَعَتِ الْعُقَابَا

وفي هذه الأبيات نجد الحجاج عند حسن ظن الخليفة دائما فهو
رجل المهام الصعبة التي يكون النصر والنجاح فيها حليفه دائما
اذ هو لا يزال يقيم على محض الود والصدق للخليفة ، وهو مقدم في
حومات الوغى اذا اضطربت الرايات وتزعزع القوم من شدة القتال .

ونجد صورة تشبيهية قوية عندما يشبه الحجاج بالبازي الذي
يرقب قدوم العدو لينقض عليه فيقول : (٣)

وَأَصْبَحَ كَالْبَازِي يُقَلِّبُ طَرْفَهُ
عَلَى مَرَبٍّ وَالطَّيْرِ مِنْهُ دَوَاخِلُ (٤)

(١) انظر شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السياسة والاجتماع

للدكتور عوني الشريف قاسم : ١٨٣ - ١٨٤ .

(٢) ديوان جرير : ٢٤٤/١ .

(٣) ديوان جرير : ٤٠٣/١ . (٤) المربأ : المكان المرتفع .

وَحَافُوكَ حَتَّى الْقَوْمُ تَنْزُوقُلُوبِهِمْ نَزَاءَ الْقَطَا تَفْتَّ عَلَيْهِ الْحَبَائِلُ (١)
وَمَا زِلْتَ حَتَّى أَسْهَلْتُ مِنْ مَخَافَةٍ إِلَيْكَ اللَّوَاتِي فِي الشَّعُوفِ الْعَوَاقِلُ (٢)
وَوَثَّتَانِ فِي الْحَجَّاجِ لَا تَرْكُ ظَالِمٍ سَوِيًّا وَلَا عِنْدَ الرُّوَاشَةِ نَائِلُ

فقد شبهه بالبازي الذي يرقب الأعداء من مكان مرتفع وهذه المعانى توحى بما يتمتع به الحجاج من قوة ، وما قدفه فى قلوب الأعداء من رعب وخوف ، وقد بلغ من مخافة هذا القائد أن أذعنت له العول الممتنعات بالجمال العالية فهو لايمهل ظالما ولا يأخذ رشوة ، وكان جريرا يعرض بالولة الذين قبله وأنهم كانوا يقبلون الرشوة ، ويستطرد فى رسم صورة أخرى من صور البطولة التى أضفاها على الحجاج فيقول : (٣)

تَرَى كُلَّ مِرْزَابٍ يُضَمِّنُ بِهِوَهَا ثَمَانِينَ أَلْفًا زَايَلَتْهَا الْمَنَازِلُ (٤)
جُفُولٍ تَرَى الْمَسْمَارَ فِيهَا كَأَنَّهَا إِذَا اهْتَزَّ جَذْعٌ مِنْ سُمَيْحَةٍ ذَابِلُ (٥)
إِذَا اعْتَرَكَ الْكَلَاءُ وَالْمَاءُ لَمْ تَقْدُ بِأَمْرَاسِهَا حَتَّى تَشُوبَ الْقَنَابِلُ (٦)
تَخَالَ جِبَالُ الثَّلَجِ لَمَّا تَرَفَّعَتْ أَجْلَتْهَا وَالْكِدُ فِيهِنَّ كَأَمِلُ (٧)

-
- (١) تنزوقلوبهم : أى ترتفع من الخوف .
(٢) الشَّعُوفُ : جمع شعف وهو رأس الجبل ، يريد أن يقول : أن العول الممتنعات فى رؤوس الجبال قد أذعنت له .
(٣) ديوان جرير : ٤٠٥ / ١ .
(٤) المِرْزَابُ : السفينة الضخمة ، بهوها : وسطها وسعتها ، زايلتها : فارقتها .
(٥) الْمَسْمَارُ : ما يسمربه وجمعه مسامير والمراد به هنا سارية السفينة .
(٦) سُمَيْحَةٌ : بئر بالمدينة .
(٧) الْكَلَاءُ : مرفأ السفن ، والقنابل : الجماعات من الناس .
أجلتها : أشرعتها .

تَشَقَّ حَبَابُ الْمَاءِ عَنْ وَاسِقَاتِهِ وَتَغْرُسُ حَوْتَ الْبَحْرِ مِنْهَا الْكَلَاكِلُ (١)
لَقَدْ جَرَدَ الْحَجَّاجُ فِي الدَّيْنِ وَأَجْتَبَى جَبَا لَمْ تَغْلُهُ فِي الْحِيَاضِ الْغَوَائِلُ (٢)

ففى هذه الأبيات يصف السفينة ويصور ضخامتها وقوتها واستعدادها للمعركة ليظهر قوة ومدوحه من خلال سفته واستعدادها لخوض المعارك ونقل الجنود ، وقد بلغ من كبر حجم هذه السفن أنها لاتضبط الا بأعوان كثيرة وأنه ليخيل الى من يراها من بعيد أنها جبل من الثلج فهو فى هذه الأبيات يصور مشهدا متحركا فى قلب البحر من خلال السفن الضخمة التى أبحرت ثم رست لتفرغ حمولتها من الجند الأقوياء ، وقد سجل جرير هذا المشهد الرائع من خلال هذه الصورة المركبة .

ومن الولاة الذين امتدحهم جرير هلال بن أحوز المازنى (٣) ،
اذ امتدحه بقصيدتين (٤) أضفى عليه فيهما صورا كثيرة من صور
البطولة والاقدام ، فصوره بطلا يلقي الرعب فى قلوب الأعداء فتكاد

(١) حباب الماء : طرائقه ، وسقاته : تتابع أمواجه واضطرابها ، والكلاكل :
الصدور .

(٢) الجبا : بكسر الجيم : ما جمع من الماء فى الحوض ، تغلة : تذهب
بمائه ، والغوائل : الشقوق فى الحوض ، الجبا : بفتح الجيم : ماحول
البئر .

(٣) انظر: (١٠٥) من البحث (الحاشية) .

(٤) انظر هذه القصائد فى ديوان جرير : ٤٦٨/١ -

٧٧١/٢ ، ومطالعها فى الجدول الملحق رقم : (٧) .

تنخلع خوفاً وهلعاً قائلاً : (١)

أَلَا رَبَّ سَامِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمْرًا
أَتَنْسَوْنَ شِدَاتِ ابْنِ أَحْوَزَ وَإِنِّهَا جَلَّتْ كُلَّ وَجْهِ مِنْ مَعَدٍّ فَأَسْفَرَا
وَأَذْرَكَ تَأَرَّ الْمِسْمَعَيْنِ بِسَيْفِهِ وَأَغْضِبَ فِي شَأْنِ الْخِيَارِ فَنَكَّرَا

فالشاعر هنا يشيد بمعارك الممدوح التي رفعت الضيم عن العرب -
جميعاً ، كما أشاد بقومه بنى مازن ، وأثنى على شجاعتهم في الحرب
وان احدهم اذا مادعا داعى القتال استجاب لذلك وطرب له .

وقد امتدح جرير كذلك من الولاة خالد بن عبد الله القسرى (٢)

بقصيدة واحدة يقول فيها : (٣)

فَإِنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ عُرِفَتْ لَهُ مُوَاطِنٌ لَا تُخْزِيهِ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ
فَأَبْلَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَانَةً وَأَبْلَاهُ صِدْقًا فِي الْأُمُورِ الشَّدَائِدِ
إِذَا مَا أَرَادَ النَّاسُ مِنْهُ ظُلَامَةً أَبِي الضَّيِّمِ فَاسْتَعَصَى عَلَى كُلِّ قَائِدِ
وَكَيْفَ يَرُومُ النَّاسُ شَيْئًا مَنَعَتْهُ هَوَى بَيْنَ أَنْيَابِ اللَّيُوثِ الْحَوَارِدِ (٤)

(١) ديوان جرير : ٤٧٠ / ١ .

(٢) خالد بن عبد الله القسرى : من بجيلة أمير العراقيين وأحد خطباء
العرب وأجوادهم ، ولى مكة سنة (٨٩هـ) للوليد بن عبد الملك
ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة (٩٧هـ) ثم ولاه هشام بن عبد
الملك البصرة والكوفة سنة (١٠٥هـ) ثم عزله سنة (١٢٠هـ) ،
وتوفى حوالى سنة (١٢٦هـ) مقتولا . تاريخ الطبرى : ٤٢٢ / ٦ ، ٤٤٠ .

٤٦٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦ / ٧ ، والاعلام ٢٩٧ / ٢ .

(٣) انظر هذه القصيدة فى ديوان جرير : ٦٠٢ / ٢ .

(٤) الحوارد : الفاضلة ، والحرى الغيظ والغضب .

إِذَا كَانَ أَمْنٌ كَانَ قَلْبُكَ مُؤْمِنًا وَإِنْ كَانَ خَوْفٌ كُنْتَ أَحْكَمَ ذَائِدٍ
وَمَا زِلْتَ تَسْمُو لِلْمَكَارِمِ وَالْعُضَلَا وَتَعْمَرُ عِزًّا مُسْتَتِيرِ الْمَكَاوِدِ
إِذَا عَدَّ أَيَّامَ الْمَكَارِمِ فَافْتَحِ خَيْرَ بِأَبَائِكَ الشَّمَّ الطَّوَالَ السَّوَاعِدِ

فيشيد بخالد وبماثره الكثيرة التي تزيده شرفا عند الأزمات مما جعل
الخليفة يثق بصدقه في الشدائد والعلات . وهذا القائد في نظر
الشاعر لا يستسلم للضيم والظلم لكنه يزداد صلابة وقوة .

ويرسم جرير له صورة بطولية فيشبهه بالليث الذي وقع أعداؤه
بين يديه وهو غاضب متوشب فأنى لهم بعد ذلك أن ينجوا منه
أو أن يغصبوه على أمره ، وهذا منتهى الشجاعة والاقدام .

ثم يمتدحه بصفة انسانية أخرى تكمن في أن نفسه تطمئن عندما
يستتب الأمن فهو الذائد عن هذا الأمن إذا قامت الاضطرابات حتى
يعيده الى نصابه ، وهو الذي يقوم للمعالي ، ويسمو للمكارم ، ويشيد
بآبائه الكرام فيقول : (١)

إِذَا عَدَّ أَيَّامَ الْمَكَارِمِ فَافْتَحِ خَيْرَ بِأَبَائِكَ الشَّمَّ الطَّوَالَ السَّوَاعِدِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ بَانَ طَوِيلٍ بِنَاؤُهُ وَفِي آلِ صَعْبٍ مِنْ خَطِيبٍ وَوَافِدِ
يَسْرَكَ أَيَّامَ الْمُحَصِّبِ ذِكْرُهُمْ وَعِنْدَ مَقَامِ الْهَدْيِ ذَاتِ الْقَلَائِدِ
تَمَكَّنْتَ فِي حَيٍّ مَعْدٍ مِنَ الدَّرَا وَفِي يَمَنِ أَعْلَى كَرِيمِ الْمَوَالِدِ
فُرُوعٌ وَأَصْلٌ مِنْ بَحِيلَةٍ فِي الدَّرَا إِلَى ابْنِ نِزَارٍ كَانَ عَمًّا وَوَالِدِ

وهناك ولاية آخرون مدحهم جرير ، كالمهاجرين عبد الله الكلابي ، وهريم
ابن طحمة المجاشعي ، ومحمد بن هبيرة الفزاري وغيرهم كما هو موضح

(١) ديوان جرير : ٦٠٥/٢ - ٦٠٦ .

فى الجداول الملحقة بهذا البحث . (١)

أما اذا أردنا دراسة مدح جرير للخلفاء فلا نكاد نجد له ظهورا فى الحياة العامة واتصالا بالخلفاء إلا فى خلافة عبد الملك ابن مروان ، وإن كانت بعض الكتب تذكر أنه قد اتصل بيزيد بن معاوية أثناء خلافته فقد ورد أنه قال :

(وفدت على يزيد بن معاوية ، وأنا شاب يومئذ فاستؤذن لى عليه فى جملة الشعراء فخرج الحاجب اللى وقال : يقول لك أمير المؤمنين أنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره وماسمعنا لك بشيء فنادن لك على بصيرة فقلت له : تقول لأمير المؤمنين أنا القائل :

وَأَرِنِي لَعَفَ الْفَقْرُ مُشْتَرِكِ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي انْتِقَالِيَا

فدخل الحاجب عليه وأنشده الأبيات ثم خرج اللى وأذن لى فدخلت وأنشدتـــــــــــــــــه وأخذت الجائزة مع الشعراء فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة . وقال لى : لقد فارق أبى الدنيا ومايظن أبياتك التى توسلت بها اللى الا لى (٢) . .

وان صحت هذه الرواية فانها تدل على أن جريرا كان حينذاك فى مرحلة الشباب ولم يستولف من المديح بعد بالاضافة الى أن الأخطل فى هذه الفترة كان مسيطرا على الوسط الفنى عند بنى أمية أثناء

(١) تقدمت تراجم هؤلاء الولاة فى هذا البحث أنظر (١٠٥) .

(٢) الأغانى : ٣٦/٨ .

خلافة يزيد بن معاوية . ومع هذا فنحن لم نجد فى ديوانه المحقق أى شىء يذكر فى مدح يزيد ، ويرجح أن شعرا كثيرا قيل فيه لكنه ضاع بتأثير العوامل السياسية ، كما ضاع المديح الذى أنشده الشعراء فى أبيه معاوية . (١)

وقد بدأت صلة جرير بعبد الملك بن مروان حينما أوفده الحجاج مع ابنه محمد بن الحجاج الى دمشق وقد تردد عبد الملك فى أول الأمر أن يسمع من جرير وأمره ألا ينشده إلا فى الحجاج وقال له : إنما أتت للحجاج ، ولكنه عاد فاستمع اليه بعد الحاج من محمد بن الحجاج واصرار من جرير ألا يرحل عن دمشق حتى يسأذن له عبد الملك فى الانشاد فأسمعه قصيدته الحائية التى هزت الخليفة وطرب لها حينما سمع قوله : (٢)

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ يَطُون رَاحَ

وقد توالى بعد ذلك وعلى طول مدة خلافة عبد الملك مدائح جرير له فخصه بأربع قصائد (٣) تتفاوت فيما بينها من حيث القوة والجزالة والفن التصويرى والضعف وندرة المعانى المستحدثة والحاحه فى طلب العطاء واستجداء الممدوح شأنه فى مديح الخلفاء جميعا بخلاف مدائحه فى الولاة التى غلبت عليها الجزالة والقوة ، فأى الحاج فى

(١) دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى د . محمد عبد القادر أحمد

: ١٠٢ .

(٢) الأغاني : ٦٦/٨ - ٦٧ .

(٣) انظر هذه القصائد فى ديوانه المحقق ١/٨٧ ، ٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٠/٢٦٠

ومطالعها فى الجدول الملحق رقم (٦) .

طلب العطاء والاستجداء أكبر منه في قوله عندما مدح عبد الملك
بأول قصيدة ينشدها بين يديه : (١)

رَأَيْتُ الْمُؤَرِّدِينَ ذُو لِقَاحٍ	تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ
بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّيْمِ الْقَرَاحِ	تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ بَنِيهِمْ
أَذَاةَ اللَّوْمِ وَأَنْتَظِرِي أُمْتِيَا حِي	سَأَمْتَا حِ الْبُحُورِ فَجَنَّبَنِي نِي
وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ	ثَقِيَ بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ
بِسَيِّبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو أُرْتِيَا حِ	أَغْنَنِي يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي
زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَأَمْتِدَا حِي	فَارِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَى حَقًّا
وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي	سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي

وكما يتضح لنا من خلال هذه الأبيات اسراف الشاعر في الاستجداء
وتصوير ما يعانيه من الفاقة والمسغبة ، ومع أن الخليفة لم يأذن —
بادئ الأمر لجريير بالدخول عليه ، ولم يرض أن يسمع مديحه فيه
بعد أن أذن له بالدخول فلم يسمع منه هذه المدحة الا بعد عناء
شديد ، وكما ننتظر أن تكون خالية من صيغة الطلب والاستجداء
المباشر ، وأن يركز الشاعر فيها على صفات الخليفة البطولية ومراقبة
نسبه وطيب منبه ، وحقه في الخلافة وأهليته لها لكننا وجدنا سمة
طلب العطاء والحرص عليه ديدن الشاعر في أبيات القصيدة اذا ما
استثنينا قوله : (٢)

(١) ديوان جريير : ٨٨/١ - ٩٠ .

(٢) ديوان جريير : ٨٨/١ - ٩٠ .

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ
وَقَوْمٌ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ فَدَانُوا يَدُهُمْ فِي مَلْطَمَةٍ رَدَاحٍ (١)
لَكُمْ شُمُّ الْجِبَالِ مِنَ الرُّوَاسِي وَأَعْظَمَ سَيْلٌ مَعْتَلَجِ الْبَطَاحِ (٢)

فان معانى العديح فى هذه الأبيات قوية رائعة ومؤثرة ، طرب لها
عبد الملك طربا شديدا واهتزت مشاعره .

ومهما يكن فان جريرا قد أجاد فى رسم صورة مؤثرة لزوجته
أم حذرة وهى تسكت بنيتها الجائعين وتعلمهم بجرعات من الماء
مما يذكرنا باستعطاف الحطيثة عمر بن الخطاب فى رائيته المشهورة (٣)
مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرْخٍ زُعْبُ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ

(١) الدهم : الجيش الكثير ، والملمطة : الكثيرة المجتمعة ، والرداح
: الضخمة . دانت له : أى أطاعته .

(٢) اعتلاج الشيء : كثرته وركوب بعضه بعضا .

(٣) انظر ديوان الحطيثة - تحقيق د . نعمان طه : ٢٠٨ .
والحطيثة : اسمه جرول بن أوس بن جؤية بن مخزوم بن مالك
بن غالب ، وينتهى نسبه فى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان . وكنيته أبو مليكة ، وهو شاعر مخضرم ، ومن
الهجائين هجا نفسه وأباه وأمه وزوجته وقد سجنه عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - ، واشترى منه أعراض المسلمين .
انظر ترجمة واقية عنه فى مقدمة ديوانه - تحقيق د . نعمان
طه : ٤١ - ٦٢ .

كما أجاد في تشبيه الخليفة بالبحر . وتشبيه نفسه بالطائر
الذى فقد ريشه ، وينتظر من عبد الملك أن يعيد إليه الريش ،
ولعل اعجاب عبد الملك بهذه المدحة جاء من وقع الاستفهام
التقريرى المؤثر الذى يصور بنى أمية خير الناس جميعا وأكرمهم .
ولعمري لقد وقعت هذه الأبيات من عبد الملك موقعا حسنا وأعجبت
أشد الاعجاب مما جعله يعطى الشاعر مائة من الابل وثمانية من
الرءاء . (١)

وأهم من هذا كله أنها فتحت باب الخلافة على مصراعيه لجريـر
لينشد بنى أمية بعد ذلك دون غضاضة أو حرج . ويحظى
بأعطياتهم الوفيرة .

يقول في قصيدة أخرى يمدح بها عبد الملك بن مروان . (٢)

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقُرْآنُ نَقَرُوهُ	مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمُعُ
أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ لَا سَرَفُ	فِيْمَا وَلِيْتَ وَلَا هَيَابَ قَرَعُ
وَأَرَى الزِّنَادَ مِنَ الْأَعْيَا ضَرَفِي مَهْلٍ	فَالْعَالَمُونَ لِمَا يَقْضَى بِهِ تَبَعُ
مَاعَدَ قَوْمٌ بِإِحْسَانٍ صَنِيعَهُمْ	إِلَّا صَنِيعُكُمْ فَوْقَ الَّذِي صَنَعُوا
أَنْتَ الْمُبَارَكُ يَهْدِي اللَّهُ شَبْعَتَهُ	إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
فَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى يَمِينٍ أَمَرْتُ بِهِ	فِينَا مَطَاعٌ وَمِنْهَا قُلْتُ مُسْتَمَعُ
إِنَّ الْبَرِيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيتَ لَهَا	إِنْ سَرَتْ سَارُوا وَإِنْ قُلْتَ ارْجِعُوا رَجِعُوا

(١) الأغاني ٦٧/٨ - ٦٨ .

(٢) ديوان جرير : ٢٩٥/١ .

وهذه القصيدة رغم تماسك عباراتها نجدها دون (الحائية)
 من حيث قوة الروح وانطلاق التيار ، ونلاحظ على الشاعر في هذه
 الأبيات ابتعاده عن التصوير الموحى ، كما نلاحظ أيضا تكرار المعاني
 في بعض الأبيات . ففى قوله هنا مثلا :

وَأَرَى الرَّنَادَ مِنَ الْأَعْيَاصِ فِي مَهَلٍ فَالْعَالَمُونَ لِمَا يَقْضَى بِهِ تَبَعٌ
 فَكُلَّ أَمْرٍ عَلَى يَمِينٍ أَمَرْتُ بِهِ فِينَا مَطَاعٌ وَمِهْمًا قُلْتُ مَسْتَمَعٌ
 إِنَّ الْبَرِيَّةَ تَرْضَى مَا رَضِيتَ لَهَا إِنَّ سِرَّتَ سَارُوا وَإِنْ قُلْتُ أَرْبَعُونَ رُبْعًا

نجد هذه الأبيات الثلاثة متقاربة فى المعنى وكأن الشاعر فى حيرة
 من أمره فى نزارة المعانى أو ضياعها فأخذ يكرر المعنى فى صورة
 مغايرة للأخرى من حيث اللفظ فقط ، ولذلك أخذ جرير فى هذه
 الأبيات يدور حول نفسه ، ولا نكاد نجد له فى هذه الأبيات من
 المعانى ذات الدلالة العميقة والتى تصور المدوح تصويرا فنيا
 الا قوله : (١)

تَلَقَّى الرَّجَالَ إِذَا مَا خِيفَ صَوْلَتُهُ يَمْشُونَ هَوْنًا وَفِي أَعْنَاقِهِمْ خَضَعٌ
 فَإِنْ عَفَوْتَ فَضَلْتَ النَّاسَ عَافِيَةً وَإِنْ وَقَعْتَ قَعًا وَقَعُ كَمَا تَقَعُ

فقد صور الرجال مطاطىء الرؤوس من خيفة عبد الملك يمشون هونا
 وكان أعناقهم قد شدت ، ثم يصور هذا المدوح بأنه أفضل الناس
 فى العفو وأشدهم وقعا بالأعداء ، وقد قابل هنا بين عفوهِ وبطشه

(١) ديوان جرير : ٢٩٦/١ .

وهى صورة تعبر عن بعض الملامح البطولية لشخصية عبد الملك ،
وكان على جرير أن يكثر منها ولا يغرق فى المعانى التقليدية
المتوارثة عند الجاهلية وأن لا يلج فى طلب العطاء كثيرا .

أما القصيدة الثالثة التى امتدح بها جرير عبد الملك فقد
جاءت دون سابقتها فلم يخصه فيها الا بأربعة أبيات مع أن عدد
أبياتها بلغ سبعين بيتا ، يقول فيها : (١)

اللَّهُ طَوْقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى	وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلٌ
إِنَّ الْخِلَافَةَ بِالَّذِي أُولِيَتْهُمُ	فِيكُمْ فَلَيْسَ لِمُلْكِهَا تَحْوِيلٌ
يَغْلُو النَّجَى إِذَا النَّجَى أَضْجَكَ	أَمْ تَضِيقُ بِهِ الصَّدُورَ جَلِيلٌ (٢)
وَلَى الْخِلَافَةَ وَالْكَرَامَةَ أَهْلُهَا	فَالْمُلْكُ أَفْنَحُ وَالْعَطَاءُ جَزِيلٌ (٣)

ولا نجد فى هذه الأبيات سوى تقرير المعانى البسيطة والأفكار المطروقة
فأله أعطى الخليفة الخلافة وطوقه بها وهداه ، وقد ثبت الله الخلافة
لهم فلا تتحول عنهم ، ولا هم اياها لأنهم أهل لها فهم يعلمون
الناس حزما وصرامة رأى وتكاد معانى جرير فى مدح الخلفاء تكون
واحدة ، ففى مدائحه لعبد الملك وجدناه يكرر مدحه بأن الله
أعطاه الملك ومنحه هذه الخلافة ، وكأن المعانى ضاقت بجرير الآن
يكررها دائما كقوله تكرارا لما سبق من حيث المعنى فى مدح

(١) ديوان جرير : ٩٤/١ - ٩٥ .

(٢) النَّجَى : القوم ينتجون . وَأَضْجَهُمْ : حملهم على الضجاج

انظر نقائص جرير والأخطل : ١٨٣ .

(٣) أَفْنَحُ : أى واسع . ونلاحظ على هذا المديح كيف بدأ جرير متأثرا بالسياسة

عبد الملك بن مروان : (١)

فَلَمَّا تَسَرَّيْتَ الْخِلَافَةَ أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ بِأَبْوَابِ الْأُمُورِ الْجَوَامِعِ
تَبَحَّحَ هَذَا الْمَلِكُ فِي مُسْتَقَرِّهِ فَلَيْسَ إِلَيَّ قَوْمٌ سِوَاكُمْ بِرَاجِعِ (٢)

وليس هنا من معنى عميق يمكن أن نعثر عليه في هذه الأبيات سوى أن عبد الملك في نظر جرير حاكم اليه تنتهى الأمور كلها وأن الملك ارتاح واستلقى بعهدده وهو لا يتوق ولا ينزع الى سواءه ، غير أن المعنى قد تسامى الى حد مقبول ترتاح له النفس عندما قال : (٣)

أَتَتَكَ قُرَيْشٌ لَا جِئِينَ وَغَيْرُهُمْ إِلَى كُلِّ دِفْعٍ مِنْ جَنَاحِكَ وَاسِعِ

فان جمال الاستعارة في الشطر الثانى من البيت قد أكسب المعنى قوة وروعة ، وهى لفات فنية عند جرير تكاد نفتقدها فى اشعاره خاصة مدائحه فى الخلفاء التى تقل فيها مثل هذه اللفات الفنية ذات القيمة المعنوية .

ولقد توالى بعد ذلك مدائح جرير لبنى أمية سواء فى الخلفاء أو أبنائهم ، ولا تكاد هذه المدائح تتفاوت بعضها عن بعض من حيث المعانى والأفكار والأخيلة والصور . (٤)

وإذا كان جرير يمدح الولاة مدحا قويا بأعمالهم التى تتصل باخماد الثورات والفتن ، ونشر الأمن ، أو التى تتصل بأعمالهم

(١) الديوان : ٦٦٥/٢ . (٢) تبحيح : أى توسط .

(٣) ديوان جرير : ٦٦٦/٢ .

(٤) لقد قمت بإحصاء قصائد المديح التى خص بها جرير بنى أمية كما هو

موضح فى الجداول الملحقة رقم (٥ و ٦) .

العمانية كحفر الأنهار ، وغير ذلك . فان مدحه للخلفاء كان
دون ذلك من حيث القوة والجزالة وغاية ما عنده في مدح الخلفاء
أن ينسبهم الى قريش مستطردا في وصف أصلهم وحسبهم الرفيع (١) .

ومن أجل هذا خلت قصائده في الخلفاء من تلك المعاني القوية
التي تعبر عن العاطفة المتدفقة أصدق تعبير ، يقول في مدح الوليد
ابن عبد الملك : (٢)

وَأَنْتَ ابْنُ عِيصِ الْأَبْطَحِينَ وَتَنْتَمِي لِفَرْعِ صَمِيمٍ لَمْ تَنْلُهُ الرَّعَانِفُ (٣)
نَعْتُكَ إِلَى الْعُلَيَّا فَوَارِسُ دَا حِس وَصَيْدُ مَنَافِ الْمُقَرَّمَاتِ الْمَطَارِفُ (٤)

ويقول في نفس الممدوح كذلك : (٥)

إِنَّ الْوَلِيدَ خَلِيفَةَ لِخَلِيفَةِ رَفَعَ الْبِنَاءَ عَلَى الْبِنَاءِ الْأَعْظَمِ
فَعَلَا بِنَاؤُكُمْ الَّذِي شَرَفْتُمْ وَلَكُمْ أَبَاطِحُ كُلِّ وَادٍ مُفْعَمِ (٦)
إِنَّ الْوَلِيدَ هُوَ الْإِمَامُ الْمُصْطَفَى بِالنَّصْرِ لَزْلَوَاهُ وَالْمَغْنَمِ (٧)

(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٢٣٧ .

(٢) الديوان : ٦٨٦/٢ .

(٣) الرَّعَانِفُ : هم الأتباع الضعفاء الأذلاء .

(٤) فَوَارِسُ دَا حِس : هم بنو زهير بن جذيمة العبسي .

وَصَيْدُ مَنَافٍ : أراد بهم أشرف مناف .

الْمُقَرَّم : الذي قد أقرم للفحلة ولم يمسه جبل قط ، والمراد به

هنا السادة العظماء . انظر المعجم الوسيط : ٧٣٠/٢ .

وَالْمَطَارِف : من الطرفة ، وهو الحديث المستحسن ، وقد وردت

في بعض الروايات الغطارف : وهم السادة الكرماء .

(٥) ديوان جرير : ٦٩/١ - ٧٠ . (٦) الْمُفْعَم : المملوء .

(٧) لَزْلَوَاهُ : أى أن هذا اللواء لزم النصر دائما ، وقد وردت في بعض

الروايات : هز لواءه .

ذُو الْعَرْشِ قَدَّرَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً مَلَكْتَ فَاعِلٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَأَسْلَمَ
وَرِثَ الْأَعْنَةَ وَالْأَسِنَّةَ وَأَنْتَمَعَى فِي بَيْتٍ مُكْرَمَةٍ رَفِيعِ السُّلَمِ
وَرَأَيْتُ أَبْنِيَةَ خَوْتٍ وَتَهْدَمَتْ وَبَنَاءُ عَرْشِكَ خَالِدٌ لَمْ يَهْـدَمْ

ولا نكاد نجد في هذه الأبيات سوى المعانى التقريرية ، فالوليـد خليفة ابن خليفة ، فليس في المعنى اذا جدة ولا ابتكار ، والوليـد هو الامام ، نصره الله ، والله قدر أن يكون خليفة ملك الناس فله أن يعلو المنابر ، وأن تدوم سلامته . ولقد ورث ميراثا عظيما من الملك والخيـل والرماح ، ولهذا فهو خليفة وهو قائد حرب .

ونجد جريرا يدور حول كلمة (الأعياص) (١) كثيرا ، فيقول في

نفس القصيدة :

نَزَلَ النَّجَاةَ وَحَلَّ حَيْثُ تَمَنَّعَتْ أَعْيَاصُهُ وَلِكُلِّ خَيْرٍ يَنْتَمِي (٢)
عَرَفَ الْبَرِيَّةَ أَنَّ كُلَّ خَلِيفَةٍ مِنْ فَرْعِ عَيْصِكَ كَالْفَنِيْقِ الْمُقَرَّمِ (٣)

ويقول في مدح سليمان بن عبد الملك : (٤)

سُلَيْمَانَ الْمُبَارَكَ قَدْ عَلِمْتُمْ هُوَ الْمَهْدِيُّ قَدْ وَضَحَ السَّبِيلُ
أَجَرَتْ مِنْ الْمَظَالِمِ كُلِّ نَفْسٍ وَأَدَّتِ الَّذِي عَهْدَ الرَّسُولِ
وَتَدْعُوكَ الْأَرَامِلَ وَالْيَتَامَى وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حَوِيلٌ (٥)

- (١) الأعياص أربعة : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص أبناء أمية بن عبد شمس ، وقيل أنهم خمسة : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص والأعياص في اللغة : التفاف أغصان الشجر . وقد دار حولها أيضا الفرزدق والأخطل في مديحهما لبني أمية .
(٢) النجاة : العلو والارتفاع . (٣) الفنيق : الفحل ويفنق أى يكرم للضراب .
(٤) الديوان : ٧١٧/٢ - ٧١٨ . (٥) الحويل : الحيلة والقوة .

وَتَشْكُو الْمَاشِيَاتِ إِلَيْكَ جَهْدًا وَلَا صَعْبَ لَهُنَّ وَلَا ذُلُّوْلُ
وَأَكْثَرُ زَادُ هُنَّ وَهِنَّ سَفْعُ حَطَامُ الْجِلْدِ وَالْعَصَبُ الْمَلِيلُ (١)
وَيَدْعُوكَ الْمَكْلَفَ بَعْدَ جَهْدًا وَعَانٍ قَدْ أَضْرَبَهُ الْكُمُؤْلُ (٢)
وَمَا زَالَتْ مُعَلَّقَةً بِشُكْدَى يَذِي الدِّيَاسِ أَوْ رَجُلًا قَتِيلُ (٣)

وهذه الأبيات تفصح عن حقيقة هامة وهي تنكر الشاعر لسيده
الحجاج الذى أغدق عليه وفتح له باب الخلفاء ، وهو ان لم يصرح
بذكره هنا الا أن فى اشارته لساوئ العهد السابق لعهد سليمان
ايماء بتنكر الشاعر للحجاج واتهامه بالشدة والظلم والتعسف ، ومع
هذا فإننا نجد فى هذه الأبيات تصويرا رائعا ، فقد رسم لسليمان
صورة المصلح الذى تدارك الله به المجتمع المكبل بقيود الظلم
والاستعباد فأصبح ملاذا لليتامى والمعوزين ، الذين أعتهم الحيلة
وضاقت بهم الحال فأتين اليه النساء الأرامل ماشيات على الأقدام
يطلبين رفده وعطاءه ، وقد أبدع فى رسم صورة مؤثرة ومعبرة لما
يعانينه من الفقر والحاجة ، فذكر أن طعامهن سيور الجلد ، وعصب
الميتة المشوى . وهذا لعمري غاية الفقر المدقع . وبهذا صور
المجتمع قبل مجئ سليمان اليه وما حل به من الفقر والعوز والظلم ،
وتكليف الناس مالا يطيقون ، وهذه الصورة تغيرت بعد أن تولسى

-
- (١) السفع : السواد الى الحمرة ، ويريد أنهن يشوين القد وعصب
الميتة فيأكلنها من شدة الجوع .
(٢) الكلف : الذى كلف فوق طاقته من عسف الحجاج وظلمه .
(٣) أراد بالديماس : سجن الحجاج .

سليمان الخلافة :

فَرَجَّتْ أَلْهَمَ وَالْحَلَقَاتِ عَنْهُمْ فَأَحْيَا النَّاسُ وَالْبَلَدُ الْمُحُولُ (١)

فيصور هذا المجتمع وقد زالت عنه تلك القيود التي كبلته سنين طويلة ، وقد نجح جرير في رسم هذه الصورة التي عبرت عن واقع مؤلم وقد نبع جمالها من الكناية التي شملت الدلالة المعنوية (الهم) والحسية (الحلقات) . ونجد لجرير صورا مؤثرة في النفس كقوله
يعدح هشام بن عبد الملك : (٢)

يَا ابْنَ الْخَضَارِمِ لَا يَعْيبُ جِبَاكُمْ	صَغُرَ الْحِيَاضُ وَلَا غَوَائِلُ فِي الْجِبَا (٣)
مَنْ كَانَ يُعْرِضُ قَلْبُهُ مِنْ رِيْبَةٍ	خَافُوا عِقَابَكَ وَأَنْتَهَى أَهْلُ النَّهْيِ
يَا ابْنَ الْحَمَاءِ فَمَا يَرَامُ حِمَاهُمْ	وَالسَّابِقِينَ بِكُلِّ حَمْدٍ يُشْتَرَى
مَا زِلْتَ مُعْتَصِمًا بِحِيلٍ مِنْكُمْ	مَنْ حَلَّ نَجْوَتَكُمْ بِأَسْبَابٍ نَجَا
وَإِذَا أَذْكَرْتَكُمْ شَدَّدَتْ قُوَّتِي	وَإِذَا نَزَلَتْ بِغَيْثِكُمْ كَانَ الْحَيَا
فَلَا تُشْكِرَنَّ بِلَاءَ قَوْمٍ شَتُّوا	قَصَبَ الْجَنَاحِ وَأَنْتَبُوا رِيشَ الْغَنَى
مَلَكَوا الْبِلَادَ فَسَخَّرَتْ أَنْهَارُهَا	فِي غَيْرِ مُظْلَمَةٍ وَلَا تَبَعَ الرَّيَا
أَوْثِنْتَ مِنْ حَدَبِ الْفُرَاتِ جَوَارِيَا	مِنْهَا الْهَنْيُ وَسَابِحٌ فِي قَرْقَرَى
وَالْمَجْدُ لِلزَّنْدِ الَّذِي أُورِيتُمْ	بَحْرٌ يَمْدُ عِبَابُهُ جُوفَ الْقَنَسَا

(١) الديوان : ٧١٨/٢ .

(٢) الديوان : ٣٤٤/١ - ٣٤٥ .

(٣) الخضارم : الكرام ، والجبا : الماء المجموع ، والغوائل : شقوق تكون في الحوض ، تفتال الماء أي تذهب به ، والمراد : أن عطاؤهم لا يبدو ونزرا قليلا مهما أعطوا .

وجرير يخاطب هشاما في هذه الأبيات ويدعوه بآبن الكرام الذين لا ينضب عطاؤهم مهما أعطوا ولا يبدو نزرا قليلا ، ويمتدحه ببنى قومه ويقول انهم يحمون من يلوذ بهم فلا ينال بأذى ومعروفهم غزير لا يجارى يكتى عما يناله منهم وأنه لا يزال معتصما بحبلهم لأن من يحل ديارهم ويصل أسبابه بأسبابهم ينال كل خير وبركة .

ورغم أن جريرا يطلب العطاء إلا أن المديح في هذه الصورة مقبول اذ صور بنى أمية وقد أعادوا للفقراء طعم الحياة وثبتوا الأمور في نصابها مجسدا تلك الأعمال التي قام بها هشام من خلال اشارته الى النهرين اللذين حفرهما لكي يعم الخير أرض المسلمين .

ويقول في مدح يزيد بن عبد الملك : (١)

يَا أَبْنَ الْأَرْوَمِ وَفِي الْأَعْيَاصِ مَنِّبَتَهَا	لَا قَادِحَ يَرْتَقِي فِيهَا وَلَا قَصْفُ (٢)
إِنِّي لَزَائِرِكُمْ وَدًّا وَتَكْرِمَةً	حَتَّى يُقَارِبَ قَيْدَ الْمَكْبَرِ الرَّسْفُ (٣)
أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ	يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَى نَفْسِي التَّلَفُ
إِنِّي شَكَرْتُ وَقَدْ جَرَبْتُ أَنْكُكُمْ	عَلَى رِجَالٍ وَلِنْ لَمْ يَشْكُرُوا عَطْفُ
إِنَّ الْقَدِيمَ وَأَسْلَافًا تُعَدُّ لَكُمْ	نِعَمَ الْقَدِيمِ إِذَا مَاعَدَّ وَالسَّلَفُ
حَرْبٌ وَآلُ أَيْمَنِ الْعَاصِمِيِّنَا لَكُمْ	مَجْدًا تَلَادَا وَبَعْضُ الْمَجْدِ مُطَرَفُ (٤)

وحيثما ننظر الى معانى الشاعر هنا وصوره نجد المعانى مستهلكة والصور

(١) ديوان جرير : ١٧٣/١ - ١٧٥ .

(٢) الأرومة : الأصل ، القادح : العفن يكون في العود ، القصف : الضعف

(٣) الرسف : مشى المقيد يقال : رسف يرسف رسفا ، ورسيفا ورسفانا .

(٤) مطرف : أى مستحدث .

غائبة . . . فيزيد ابن الأصل العريق ، وهو من دوحة كريمة ملتفة
وهو قوى لا يضعف ولا يتداعى يقصده الشاعر طلبا لفضله وقد صور
نفسه تالفة قبل أن يفد اليه ويعيد الى ذهن يزيد أنه قد نزل
برحا به مرارا فلقى منه كل خير ونعمة ، ونجده فى هذه القصيدة -
يشير الى عطاء عبد الملك له حينما مدحه أول مرة فأرفده بمائة
من الابل وثمانية من الرعاء . (١)

أَعْطَوْهُنَّيْدَةً يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةَ كَافِي عَطَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرَفَ (٢)
ويمتدحه بقومه كما نرى فيشير الى حرب وآل أبى العاص كما يمتدحه
بأمه فيقول :

يَا ابْنَ الْعَوَاتِكِ خَيْرَ الْعَالَمِينَ أَبَا قَدْ كَانَ يُدْفِنُنِي مِنْ رِيشِكُمْ كَنْفَ

وهو لا يزال يلح فى الطلب ويعرض به فى كل بيت من أبياته كما نرى
وهذه الأبيات وغيرها فى مديح الخلفاء لا تكاد نجد للشاعر فيها
عاطفة صادقة ، ولذلك جاء مديحه لهم باهتا فاتر العواطف وان صدقت
هذه العاطفة بعض الصدق ، وصدق هو مع نفسه فانما نلص هذا
الصدق الفنى فى مديحه لعمر بن عبد العزيز اذ يقول : (٤)

خَلِيفَةُ اللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ يَحْفَظُهُ وَاللَّهُ يَصْحَبُكَ الرَّحْمَنُ فِي السَّفَرِ

(١) الديوان : ١٢٤/١ .

(٢) السرف : الخطأ والاعطاء فى غير وجهه ، والمراد بالهنيدة : المائة
ويحدوها : يسوقها .

(٣) أراد عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهى أمه ، انظر الديوان : ١٢٥/١ .

(٤) ديوان جرير : ٤١٤/١ - ٤١٦ .

وَإِنَّا لَنَرْجُوا إِذَا مَا لَغَيْثُ أَخْلَفَنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
 يَارَبَّ سَجَلٍ مُغِيثٍ قَدْ نَفَحْتَ بِهِ مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مَنْزُوحٍ وَلَا كَسْدَرٍ (١)
 خَلِيفَةَ اللَّهِ مَاذَا تَنْظُرُونَ بِنَا لَسْنَا إِلَيْكُمْ وَلَا فِي دَارٍ مُنْتَظَرِ
 أَنْتَ الْمُبَارَكُ وَالْمَهْدَى سِيرَتُهُ تَعْصِي الْهَوَى وَتَقُومُ اللَّيْلَ بِالسَّوَرِ
 أَصْبَحْتَ لِلْمُنِيرِ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ زَيْنًا وَزَيْنٌ قِيَابَ الْمَلِكِ وَالْحَجَرِ
 نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَسْدَرِ

ومع أن جرير يمدح عمر بن عبد العزيز المعروف بحرصه على أموال المسلمين وعدم تبذيرها فهو لا يبذلها إلا في وجهها الصحيح (٢) ، إلا أن الشاعر لم يتخلص من عقده المعروفة وهي الحاحه في الطلب، وكان مرتزقة الوحيد من هذه الطريق ، ولقد امتدح عمر هنا بصفات اسلامية محضه وهي صفات تجلت في هذا الخليفة ، وقد توالست مدائح جرير بعد ذلك في بني أمية فقد امتدح عبد العزيز بن مروان ، وعبد العزيز بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد ، وأيوب ابن سليمان بن عبد الملك ، ومعاوية بن هشام بن عبد الملك ، ومسلمة بن هشام بن عبد الملك . (٣) إلا أن هذه المدائح تكاد تكون صورة مكررة بعضها من بعض وليس فيها تلك الصور الفنية

(١) السجل : العطاء وأصله الدلو فيها ماء . ونضحت به : أى أعطيته

والنائل : العطاء ، والمنزوح : أصله من نزحت البثر اذا سقيت كل

ما فيها - انظر الديوان : ٤١٤/١ .

(٢) ظاهرة التكسب بالشعر العربي - ٥ . درويش الجندى - ٢٢ - ٢٣

(٣) انظر الجدول رقم (٥) وفيه احصاء لمدائحه في بني أمية .

الموحية حتى أننا لنقف أمام القصيدة وقفات طويلة علنا نظفـسـر
 بفكرة معبرة فلا نجد من ذلك شيئاً ، بل تسد أسماعنا عبارات الطلب
 والاستجداء ، وكثرة الألفاظ المكررة وبعض الصور المتهاففة التي تدل
 حقاً على نفسية ضعيفة تعكس لنا شخصية جرير المتهاففة في طلب
 الرغد والذي يريق ماء وجهه بكل باب من أبواب الخلفاء .

وقد يسأل سائل فيقول : لماذا جاءت مدائح جرير في
 الولاة قوية وتفاوتت بالنسبة لخلفاء بني أمية ؟ ثم لماذا كثر الحاحه
 في السؤال عندما يمدح الخلفاء بينما نجده يعرض عن هذا في
 مدائحه للحجاج وغيره من الولاة . . ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نقول : ان هناك عدة افتراضات
 قد يكون بعضها مستولاً عن هذه الظاهرة وقد تكون جميعها .
 ولعل من أهم هذه الافتراضات ما كان يجده في رحاب الولاة من
 الأُنس ، وما يحظى به لديهم من التقريب الشيء الذي لم يجده عند
 الخلفاء . (١)

وتعد مدائحه في الحجاج أقوى من غيرها سواء مدائحه في
 الولاة الآخرين أو الخلفاء والأمراء الأمويين ، ولعل هذا ما أغـاـض
 عبد الملك بادي الأمر فامتنع أن يسمع منه كما رأينا .
 ولاشك أن حيوية الشاعر ونشاطه وطموحه كان لها أعظم الأثر
 في شاعريته فقد اكتسب ثقة الحجاج وهو في مرحلة اكتمل فيها

(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه ٢٢٧ .

نضجه الفنى واشتد نشاطه الجسمانى اذ كان فوق الأربعين ودون الستين وهى مرحلة النضج والكمال لأغلب الشعراء بالاضافة الى أنه قد بدأ الالتحام مع الفرزدق وغيره من الشعراء فى معارك هجائية فانصرف الى العناية بفنه والارتقاء بمدائحه فى الولاة وبخاصة الحجاج اذ كان أقرب اليه موطنًا ، وهو يطمع فى أن يرتفع صيته لأنه فى هذه المرحلة فى حاجة الى الشهرة أكثر من المال ، ولذلك وجدناه لا يلحف فى السؤال ولا يستجدى فى الطلب .

ثم أن شخصية الممدوح لها أثر كبير فى المدحة ومن هذا المنطلق كان اهتمامه بالحجاج ذى الشخصية القوية المتعددة الجوانب هذا بالنسبة لقوة مدائحه فى الولاة .

أما فيما يتعلق بضعف هذه المدائح فى الخلفاء والأمراء من بنى أمية وتفاوتها فان هذا يرجع الى شخصية الممدوح سواء كان خليفة أو أميرا اذ لم يكن بنو أمية يقربون شعراء القيسية (١) فلم يكن لجريز منزلة لديهم ولم يقربوه الا تقريبا ضعيفا لم يصل فى يوم من الأيام لأن يكون شاعر خليفة ، فعبد الملك بن مروان يقرب الأخطل النصرانى ، والوليد بن عبد الملك يقرب عدى بن الرقاع العاملى ، وسليمان بن عبد الملك يقرب الفرزدق ويتجافى عن جريز الذى زج بنفسه بينه وبين أخيه الوليد فيما يتعلق بولاية العهد . وان بقيت لجريز علاقة حسنة مع بعض الخلفاء فهو عمر بن

(١) انظر الأغانى : ٦٦/٨ .

عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، فقد أجاد في امتداحهم وبخاصة مايتعلق بالكرم والتزلف ، وتصوير سوء الحال .

ولقد كان هشام في مقدمة الخلفاء الذين امتدحهم جرير وعنى بهم وله فيه مدائح جيدة ولعل هذا راجع الى العلاقة الحسنة التى تربط بينهما .
وخلاصة القول :

ان مدائح جرير لعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وعمر ابن عبد العزيز جاءت مبرزة فيها جودة ، وعدوية ، وتصوير نفسى بينما قل حظ بعض المدائح فى غير بنى أمية من الجودة لأسباب تتعلق بالشاعر نفسه أو أسباب أخرى تتعلق بالمدوح ولا بد أن يخضع الشاعر لظروف بيئته ، وما يحيط به من عوامل ، وقد تفاوتت مدائح جرير كما رأينا فى بنى أمية تبعاً لهذه الظروف والعوامل التى أثرت بالسلب والايجاب فى شخصية جرير ، فانعكس هذا التأثير على نتاجه الفنى من حيث القوة والجزالة ، والضعف ، ولا شك أيضاً أن للحالة النفسية دورها فى ضعف وقوة القصيدة ، لأن هذه الحالة تتحكم فى الشاعر أثناء انشاده لقصيدته فإذا كان معانفياً فى بدنه منشرح الصدر مقبلاً على الناس محباً للممدوح كان شعره صدى لهذه الاشراق النفسية ، وإن كان الأمر عكس ذلك جاء شعره باهتاً مكرراً المعانى مضطرب العبارة متفكك الحديث . (١)

(١) جرير ونقائضه مع شعراء عصره - د . عبد العزيز الكفراوى ٩٣ .

أما فخر جرير فلم يقدر له أن ينطلق فيه من روافد عظيمة تتصل بآبائه وأجداده وعشيرته الأقربين ، إذ لم يكن شاعر فخر من الطراز الأول لأنه ينحدر من أسرة متواضعة لم يكن لها شأن ولكن رمى كثير منهم باليخل والخمول ، والضعفة . (١) ولم يرد لها اسم في أيام الجاهلية إلا في يوم جدود (٢) حيث أبت أن تساعد بني ربيع عندما أغارت عليهم قبائل من بكر . ولم يظهر من هذه القبيلة فوارس يستطيع جرير أن يلجج بذكرهم ليجارى خصميه الفرزدق والأخطل . (٣)

ومن هنا ابتعد هذا الشاعر عن الفخر بآبائه وأجداده وعشيرته الأقربين إذ لا بد لأي شاعر يريد أن يفتخر من هذه الناحية أن يكون للآباء والأجداد والقبيلة التي يتصل بها في دائرة النسب الصغرى رصيد من الشرف والمجد القديم ، وأنى لجرير مثل هذا ؟ إلا أن دخوله في معارك هجائية مع معظم شعراء عصره عامة والفرزدق ، والأخطل على وجه الخصوص ، وكلاهما ينتابه شرف ومجد جعل جريرا يطامن من فخر هذين الشعارين بسخريته اللاذعة ثم أنشأ

-
- (١) انظر جرير دراسة لمحمد ابراهيم جمعة ص ٤٦ .
 (٢) هذا اليوم أغار فيه الحارث بن شريك والأبجر العجلي على بني ربيع فاستصرخوا كليب بن يربوع فلم يجيبوهم وأجابهم بنو منقر بن عبيد واستعادوا سبايا بني ربيع . انظر النقائض بين جرير والفرزدق ٣٢/٢ - ٣٤ ، وجرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٩١ - / .
 (٣) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه ١١٤ .

فخرا يستند عليه في نقائضه معهما .

ومع هذا فقد بقى غرض الفخر عنده ضعيفا بالنسبة لأغراض شعره

الأخرى (١) .

ولمزيد من الضوء نلقيه على فخر هذا الشاعر ندرس أولا فخره

القبلى ومدى توفيقه فى هذا الجانب وانتقاء الأشخاص والقبائل

فى فخره ، ثم نأتى على الجانب الثانى من جوانب الفخر عند جرير

وهو الجانب الذاتى أو الشخصى حيث كان لشاعريته الدور الرئيسى

فى هذا الجانب فقد برز الشعراء جميعا ولم يترك لهم مجالا .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) جرير حياته وشعره - د . د . نعمان طه : ٢٥٧ .

وأما فخره القبلى فقد نقب شاعرنا عن مآثر عظيمة فى قبيلته الدنيا (كليب) لينطلق منها فى فخره القبلى فلم يجـ واصطدم بمكانة هذه القبيلة الموضوعة بين القبائل ، ولذلك ظهر شاعرنا متذبذبا فى هذا الجانب كسيرا نتيجة لافتقار هذه العشيرة التى ينتمى إليها الى المجد وعلو المنزلة ، ولهذا كان يأتى فى فخره غالبا بـ (نا) الفاعلين ، وضمير المتكلم (نحن) دون أن يذكر أسماء لىبقى السامع مندهشا لا يدرى الى أين ينصرف هذا الفخر كقولـه : (١)

أَلَسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدَّ	نَمْدُ مَقَادَةَ اللَّجَبِ (٢)
نَقِيمُ عَلَى شُعُورِ بَنِي تَمِيمٍ	وَنَصَدِّعُ بَيْضَةَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
وَكُنْتُمْ تَأْمَنُونَ إِذَا أَقْمَنَّا	وَلِنْ نَظْعَنُ فَمَا لَكَ مِنْ مَقَامِ
وَنَحْنُ الذَّاكِدُونَ إِذَا جَبْنْتُمْ	عَنِ السَّيِّئِ الْمُصْبِحِ (٣) وَالسَّوَامِ

وكذلك قوله أيضا : (٤)

كَذَبَ الْفَرَزْدَقُ إِنَّ قَوْمِي قَبْلُهُمْ	ذَادُوا الْعَدُوَّ عَنِ الْحِمَى فَاسْتَوْسَعُوا (٥)
مَنْعُوا الشُّغُورَ بِعَارِضِ ذِي كُوكَبٍ (٦)	لَوْلَا تَقْدُّمُنَا لَصَاقَ الْمُطْلُوعُ

(١) ديوان جرير : ٢٠٢/١ .

(٢) اللجب اللهم : الجيش العظيم ذوى الجلبة الذى يلتهم كل شئ .
ومعد : يقصد العرب عامة ، والمقادة : الأرسنة .

(٣) المصبح : الذى فوجئ بغارة فى الصباح ، والسَّوَام : العاشية والابل الراعية

(٤) ديوان جرير : ٩١٤/٢ - ٩١٥ . (٥) استوسعوا : أى أخذوا من الأرض السعة

(٦) شبه الجيش بالسحاب لعظمته وكثرة أهله ولأن سلاحه يبرق كما يبرق الكوكب .

مِنَّا الْفَوَارِسُ قَدْ عَلِمَتْ وَرَائِسُ تَهْدِي قَنَابِلَهُ عَقَابُ تَلْمَعُ (١)
هَلَا عَدَدَتْ فَوَارِسًا كَفَوَارِسِي يَوْمَ ابْنِ كَبْشَةَ (٢) فِي الْحَدِيدِ مُقْنَعُ
خَضَبُوا الْأَسِنَّةَ وَالْأَعِنَّةَ إِنَّهُمْ نَالُوا مَكَارِمَ لَمْ يَنْلُهَا تَبَعُ

فمن يقصد جرير بهذا الفخر أيقصد " بنى كليب " رهطه الأدنيين
فليس فيهم فوارس يذكرون ، أم أنه يقصد يربوعا وخندفا كما هو
الغالب .

وقد يكون اصطنع لنفسه هذا الفخر ليجارى خصمه الفرزدق ،
ويناقضه فهو فى هذه القصيدة يهجو الفرزدق وجميع الشعراء . (٣)
ان جريرا لم يقف فى فخره القبلى على أرض صلبة ومن أجل
هذا افتخر بربوع وباهى بشرفهم وبسالتهم ، وعلوكعبهم فى الجاهلية
والاسلام وان جاء فخره فى بعض الأحيان بهذه القبيلة قاصرا لم
يرق الى درجة فنية عالية لافتقاره الى المعانى القوية والصدق الفنى
ولذلك جاء بعض فخره أشبه يقعقة الألفاظ الخالية من الدليل
القوى كقوله : (٤)

أَنَا الذَّاكِدُ الْحَامِي الذَّمَّارِ إِذَا مَا تَخَمَّطَتْ
عَرَانِينُ يَرْبُوعٌ وَصَالَتْ قُرُومُهَا (٥)

(١) رائس: أى رئيس ، والقنابل : الجماعات ، والعقاب : الراية .

(٢) يعنى يوم ذى نجب .

(٣) انظر ديوان جرير : ٩٠٩/٢ .

(٤) ديوان جرير : ٩٨٥/٢ .

(٥) عرانيين القوم : أشراهم ، والقروم : الفحول .

وقوله في معرض فخره بهذه القبيلة : (١)

وَتَرْهَبُ يَرْبُوعٌ وَرَأَى بِالْقَنَّا وَذَاكَ مَقَامُ لَيْسَ يَزْرَعُ بِهِ فَعْلَى

ويستمر في فخره بهذه القبيلة مشيدا بفوارسها فيقول : (٢)

لَمْ يُخْزَ أَوَّلُ يَرْبُوعٍ فَوَارِسُهَا وَلَا يُقَالُ لَهُمْ كَلَّا إِذَا افْتَحَرُوا
لَوْلَا فَوَارِسُ يَرْبُوعٍ بَذَى نَجَبٍ ضَاقَ الطَّرِيقُ وَأَعْيَا الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
إِنْ طَارَدُ وَالْخَيْلُ لَمْ يَشُورُوا فَوَارِسَهَا أَوْ وَاَقْفُوا عَانَقُوا الْأَبْطَالَ فَاهْتَصَرُوا (٣)

وفي معرض فخره بـيربوع يعدد بعض فوارسهم : (٤)

لِيَرْبُوعٍ فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ يُوَارِي شَمْسَهُ وَهَجُ الْغُبَارِ
عُتْبَيْةٌ وَالْأَحْيَمَرُ وَابْنُ قَيْسٍ وَعَتَابٌ وَفَارِسُ ذِي الْخِمَارِ (٥)

ويفتخر بأيام يربوع فيقول : (٦)

أَنَا ابْنُ الْفَوَارِسِ يَوْمَ الْغَبِيطِ وَمَاتَعَرَفُ الْعُوذُ (٧) أُمَّهَا رَهَا .
وَرَايَةَ مُلْكٍ كَظَلِّ الْعُقَابِ ضَرَبْنَا عَلَى الرَّاسِ جَبَارَهَا

(١) ديوانه : ٩٥١/٢ .

(٢) الديوان : ١٥٢/١ .

(٣) يشوروا : من أشوى السهم أى أخطأ ولم يصب الغرض . وواقفوا :
أى وقف في الحرب كل واحد تجاه خصمه . واهتصروا : اجتذبوا .

(٤) الديوان : ٨٥٥/٢ .

(٥) هؤلاء فرسان لمعوا في يربوع فافتخر بهم جرير .

(٦) الديوان : ٢٦٢/١ .

(٧) العوذ : جمع عائد وهي الحديشة النتاج من الابل والخيول والغنم

وبقدر افتخاره يبروع يفتخر كذلك بخندف ، ويخصها بصفات عظيمة

مسبغا عليها فيضا من نعوت الجلال والعظمة : (١)

لَنْ تَسْتَطِيعَ إِذَا مَا خِنْدَفَ خَطَرْتُ شَمَّ الْجِبَالِ وَلَجَّ الْمَزِيدِ الْجَارِي
تَرْمِي خَزِيمَةً مَنْ أَرْمِي وَيَغْضِبُ لِي أَبْنَاءَ مَرْبُونِ غَزَاءٍ مَذْكَارِ (٢)

وينسب نفسه إلى هذه القبيلة فيقول مفتخرا : (٣)

أَنَا ابْنُ صَرِيحِي خِنْدَفِ غَيْرِ دَعْوَةٍ يَكُونُ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهَا مَكَانِيَا

على أن من أجمل معانيه وعباراته الفنية ما يمكن في هذه الأبيات التي يفتخر

فيها بخندف قائلا : (٤)

وَأَجْدَرُ أَنْ تَجَاسَرْتُمْ نَسَادِي بِدَعْوَى بِالْخِنْدَفِ أَنْ يُجَابَا
لَنَا الْبَطْحَاءُ نَغْمِسُهَا السَّوَاقِي وَلَمْ يَكْ سَيْلٌ أَوْدَيْتِي شِعَابَا
فَمَا أَنْتُمْ إِذَا عَدَلْتُ قُرُومِي شَقَاشِقُهَا وَهَافَتِ اللَّعَابَا (٥)
تَنْحَ فَإِنْ بَحْرِي خِنْدَفِي تَرَى فِي مَوْجِ جَرِيْتِهِ عُيَابَا
بِمَوْجِ كَالْجِبَالِ فَإِنْ تَرْمِي تُغَرِّقُ ثُمَّ يَرِمُ بِكَ الْجَنَابَا
عَلَوْتُ عَلَيْكَ ذِرْوَةَ خِنْدَفِي تَرَى مِنْ دُونِهَا رُتْبًا صِعَابَا

ولقد وجد جرير في قيس عيلان حليفه مواقف عظيمة ووقائع خالدة
فافتخر بها وقرن معها خندف في بعض الأحيان كقوله مناقضا

(١) الديوان : ٢٣٥/١ .

(٢) يعدد القوم الذين يؤازرونه .

(٣) انظر الروائع - أهاجى ومفاخر - فؤاد افرام البستاني : ٤٥٤ .

(٤) الديوان : ٨٢٤ . (٥) عدلت : يعنى مالت رؤوسها فهدرت

وهافتت اللعابا : يريد فألقت القروم لعابها أى زبدها .

الأخطل : (١)

قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ أَهْلُ الْمَجْدِ قَبْلَكُمْ لَسْتُمُ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ لَهُمْ خَطَرُ
مَاعِدَ قَوْمٍ وَإِنْ عَزَّوْا وَإِنْ كَرُمُوا إِلَّا افْتَخَرْنَا بِحَقِّ فَوْقِ مَا افْتَخَرُوا
فَأَحْمَدُ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ لَنَا يُفَاخِرُنَا مِنْ خَلْقِهِ بَشَرُ

ويقول كذلك : (٢)

قَيْسٌ وَخِنْدِفٌ إِنَّ عِدَّةَ فَعَالِهِمْ خَيْرٌ وَأَكْرَمٌ مِنْ أَبِيكَ فَعَالَا

وكثيراً ما يقرن بين قيس وخندف فيفتخر بهما وبخاصة عند ما يناقض

الأخطل : (٣)

فَلَوْ أَصْبَحَ النَّاسُ حُرْبًا عِدَا لَقَيْسٍ وَخِنْدِفٍ مَاضَاهَا

ويستمر في فخره بقيس التي كانت لها تلك الأيام والوقائع مع تغلب

فيقول : (٤)

وَالْحَيَّ قَيْسٌ بِأَعْلَى الْمَجْدِ مَنْزِلَةً فَاسْتَكْرَمُوا مِنْ فُرُوعِ زَنْدُهَا وَارِ
قَوْمِي فَأَصْلَهُمْ أَصْلِي وَفَرَعُهُمْ فَرَعِي وَعَقْدُهُمْ عَقْدِي وَإِمْرَارِي

وفي فخره بقيس هذه نجده يركز على تلك الحروب والوقائع التي دارت بينهم وبين تغلب وهو يريد أن يذكر الأخطل بتلك الوقائع بصيغة الاستفهام التقريرى كقوله : (٥)

(١) الديوان : ١٥٧/١ . (٢) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

(٣) الديوان : ٢٦٤/١ . (٤) الديوان : ٢٣٥/١ .

(٥) نقائض جرير والأخطل : ٨٩ ، والديوان : ٥٣/١ .

أَنْسَيْتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَ مَا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَبِالْأَلَا
حَمَلْتُ عَلَيْكَ حُمَاةَ قَيْسٍ خَيْلَهَا شُعْنًا عَوَاسٍ تَحْمِلُ الْأَبْطَالَ
مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلًا تَشُدُّ عَلَيْكُمْ وَرَجَا لَا

وقد صور هزيمة تغلب على يدى قيس فوصف هذه الهزيمة وصفا
جميلا : (١)

سَرَى نَحْوَكُمْ لَيْلَ كَأَنَّ نَجُومَهُ قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ الْمُفْتَلُ
فَمَا انْشَقَّ غَوُّ الصَّحْحِ حَتَّى تَعْرِفُوا كَرَادِيسَ يَهْدِيهِنَّ وَرْدٌ مُحَجَّلُ (٢)
وَمَقْتُولَةٌ صَبْرًا تَرَى عِنْدَ رَجُلِهَا بَقِيرًا وَأُخْرَى ذَاتَ بَعْلٍ تَوْلُولُ
عُقَابِ الْمَنَايَا تَسْتَدِيرُ عَلَيْهِمْ وَشُعْتُ النَّوَاصِي لُجْمَهُنَّ تُصَلِّصُ (٣)
وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَائُهَا بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءُ دِجْلَةٍ أَشْكُلُ (٤)

ولقد وجد جرير فى تميم التى يجتمع مع الفرزدق فى الانتساب اليها
مآثر شتى كانت مددا له فى مفاخرة ، وبخاصة عندما يناقض الأخطل
وان لم يكثر من الفخر بهذه القبيلة لعلمه أن الفرزدق لسانها
القوى ، وانما فاخر الأخطل بها فى قوله : (٥)

قَوْمِي تَمِيمُ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ يَنْفُونَ تَغْلِبَ عَنْ بُحْبُوحَةِ الدَّارِ
النَّازِلُونَ الْحِمَى لَمْ يُرْعَ قَبْلَهُمْ وَالْمَانِعُونَ بِلَا حِلْفٍ وَلَا جَارِ

(١) ديوان جرير ١٤١/١ - ١٤٣ .

(٢) يريد بالورد المحجل : النجاف . ويهدين : يتقدمهن .

(٣) المقصود بعقاب المنايا : الراية فقد شبهها بالعقاب .

(٤) تمور : تجرى ، والأشكل : الذى تخالطه حمرة .

(٥) الديوان : ٢٣٤/١ - ٢٣٥ .

ويصور عظمة هذه القبيلة مفتخرا بعلو كعبها بين الناس جميعا
فيقول في معرض هجائه للراعى النميرى : (١)

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا
أَلَسْنَا أَكْثَرَ الثَّقَلَيْنِ رَجُلًا بَيْطُنِ مِنِّي وَأَعْظَمُهُمُ قَبَا

ويذهب في فخره القبلى بعيدا بعض الأحيان فنجده يفتخر بقريش
والأنصار وينسبهم الى نفسه : (٢)

إِنَّ الَّذِينَ جَنَوْا مُجَدًّا وَمَكْرَمَةً تِلْكَمُ قُرَيْشِي وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارِي

والحق أن فخره بقريش والاحتكام اليها ونسبتها مع الأنصار اليه
انما يرجع ذلك الى احساسه بالأسباب الواهية والبعيدة التى يفتخر
بها (٣) فيستند على قريش مستشهدا بها فى كثير من مفاخره . (٤)

فَأَسْأَلُ جَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إِنَّهُمْ تَلْقَى لِحُكْمِهِمْ هُدًى وَمَنَارَا

ويقول كذلك : (٥)

تَعَالَوْا نُحَاكِمْكُمْ وَفِي الْحَقِّ مَقْنَعُ إِلَى الْغَرِّ مِنْ آلِ الْبَطَاحِ الْأَكَاَرِمِ

ونتيجة لاحساسه العميق بضعفه فى فخره لم يكتف بأن يفاخر
بقيس وتميم فضلا عن يربوع وخندف حتى خرج كما رأينا الى الفخر

(١) الديوان : ٨٢٢/٢ .

(٢) الديوان : ٢٣٥/١ .

(٣) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٣٦١ .

(٤) الديوان : ٥١٧/١ (٥) الديوان : ٩٩٧/٢ .

بقريش كلها ثم بالخلافة أيضا : (١)

إِنَّ الذِي أُعْطِيَ الْخِلَافَةَ أَهْلَهَا بَنَى لِي فِي قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ مَفْخَرًا

ثم يقول مشيرا الى الخليفة : (٢)

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقٍ خَلِيفَةً لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَى قَطِينَا

ويقول أيضا : (٣)

وَقَيْسٌ وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَنِيهِمْ وَصَاحِبُ عَهْدِهِ الْمُتَخَيَّرَانِ
وَقَيْسٌ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ تَسِيمٍ مَكَانَ السَّاعِدِينَ مِنَ الْبَنَانِ

ثم نجده يفتخر بمضر كلها فيقول : (٤)

إِنِّي إِذَا مُضِرَّ عَلَى تَحَدَّيْتُ^(٥) لَا قِيَّتَ مُطْلَغَ الْجِبَالِ وَعُورًا
مَدَّتْ بُحُورُهُمْ فَلَسْتُ بِقَاطِيعٍ بَحْرًا يَمُدُّ مِنَ الْبُحُورِ بُحُورًا
إِنَّا لَتَفْضُلُ فِي الْحَيَاةِ حَيَاتُنَا وَنَسُودُ مَنْ دَخَلَ الْقُبُورَ قُبُورًا
اللَّهُ فَضَّلَنَا وَأَخْزَى تَغْلِيكًا لَنْ تَسْتَطِيعَ لِمَا قَضَى تَغْيِيرًا

وهذه المعاني تتماثل مع قول الفرزدق مفتخرا بمضر كما رأينا (٦) ،
ولقد افتخر جرير كثيرا بقيس وبخاصة عندما يناقض الأخطل ، فان

(١) الديوان : ٤٧١/١ .

(٢) الديوان : ٣٨٨/١ .

(٣) الديوان : ٥٩٣/٢ .

(٤) الديوان : ٢٢٩/١ .

(٥) تحدثت : أى تعطفت .

(٦) انظر ديوان الفرزدق : ٢٩٧/١ ، ٢٨٦/٢٠ .

ناقض الفرزدق أو غيره كالراعى مثلا افتخر بربوع وخندف : (١)

فَلَا وَأَبِيكَ مَا لَاقَيْتُ حَيًّا كِرْبُوعٍ إِذَا رَفَعُوا الْعُقَابَا
وَمَا وَجَدَ الْمَلُوكُ أَعَزَّ مِنَّا وَأَسْرَعَ مِنْ فَوَارِسِنَا اسْتِلَابَا

وان ناقض الأخطل والفرزدق معا فى قصيدة واحدة جاء فخره شاملا
لتميم وقيس وربوع وخندف كقوله : (٢)

أَتَذْكُرُهُمْ وَحَاجَّتْكَ أَذْكَارُ وَقَلْبُكَ فِي الطَّعَائِنِ مُسْتَعَارُ
أَخَاكُمُ يَا تَمِيمُ وَمَنْ يُحَامِي وَأُمُّ الْحَرْبِ مَجْلِبَةٌ ^(٣) نَوَارُ
تُخَاطِرُ مِنْ دَرَاءٍ حِمَايَ قَيْسُ وَخِنْدِفُ عَزَّ مَا حَمَى الذَّمَّارُ
وَيَعْلَمُ مَنْ يُحَارِبُ أَنْ قَيْسًا صَادِدٌ لَهَا اللَّجَجُ الْغَمَارُ ^(٤)

ولقد كان للأيام والحروب نصيب من فخر جرير وان كانت أغلب تلك
الأيام جاهلية أذكت نار الفخر بها تلك العصبيات القبلية التى
ظهرت جذعة فى العصر الأموى (٥)

(١) ديوان جرير : ٨١٥/٢ .

(٢) ديوان جرير : ١٣٥/١ .

(٣) المجلبة : الهائجة .

(٤) اللجج الغمار : أى الأمور العظيمة وفى رواية : (لهم

لجج غمار) . .

انظر نقائض جرير للأخطل : ١٣٢ .

(٥) أنظر العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى - د . احسان
النس : ٥٤٤ وما بعدها .

ومن أبرز تلك الأيام يوم " طخفة (١) " حيث افتخر به جرير
كثيرا كقوله : (٢)

بِطُخْفَةِ ضَارِبِنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلِنَا عَشِيَّةَ بَسْطَامَ جَرِينِ عَلَى نَحْبِ
فَيَارَبِّ جَبَّارِ وَطِئْنَ جَبِينَهُ صَرِيحَ وَنَهَبَ قَدْ حَوَيْنَ إِلَى نَهَبِ

كما افتخر بيوم (ذى نجب (٣) فقال : (٤)

إِنَّا بِطُخْفَةِ أَوَّاتِيَّامِ ذِي نَجَبٍ نِعْمَ الْفَوَارِسُ لَمَّا التَّغَتِ الْعَذْرُ

وقد أكثر جرير من الفخر بهذين اليومين أكثر من غيرهما (٥) ومن
الأيام أيضا التي افتخر بها جرير يوم (الوقيط (٦) يوم تيم اللات

(١) يوم " صخفة " ويقال أيضا يوم " خزاز والرخيخ وذات كهف " وفيه
انتصر بنو يربوع على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وأسرقابوس
ابن المنذر ، وحسان أخو المنذر .
انظر أخبار هذا اليوم في نقائض جرير والأخطل ١١٢ ، وأيام العرب
في الجاهلية - محمد أحمد جاد المولى ورفقاه : ٩٤ .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ١١٢ .

(٣) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية : ٣٦٥ .

(٤) ديوان جرير : ١٥٢/١ .

(٥) انظر جرير حياته وشعره - د . نعمان ظه : ٣٥٨ - ٣٥٩ .

وديوان جرير : ١٥٢/١ ، ١٩٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ،

٥٥٩/٢ .

(٦) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية :

فَاسْأَلْ غَمَامَةً بِالْخَيْلِ الَّتِي شَهِدَتْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ تَيْمِ اللَّاتِ غِيَابُ (١)
وَدَعَتْ غَمَامَةً بِالْوَقِيطِ فَنَازَعَتْ حَبْلَ الْمَذَلَّةِ عَشْجَلًا وَضَرَارًا

ومن هذه الأيام أيضا يوم شعب جبلة (يوم الصفا) ويوم

(رحرحان) (٢) ، كقوله في معرض هجائه للفرزدق : (٣)

أَنْسَيْتَ يَوْمَ أَبِيكَ أَيَّامَ الصَّفَا قَتَلَى أَصْبَتَ بِقَتْلِهِمْ وَأَسَارَى
وَالْخَيْلِ إِذْ حَمَلَتْ عَلَيْكُمْ جَعْفَرًا كُنْتُمْ لَهُنَّ بِرَحْرَحَانَ دَوَارًا

ومن الأيام الاسلامية التي افتخر بها جرير يوم (مسعود) أو فتنة

مسعود ، وقد حدث في أوائل خلافة مروان بن الحكم بعد

موت معاوية سنة ٦٤ هـ فقال مفاخرًا بهذا اليوم : (٤)

وَيَوْمَ عَبْدِ اللَّهِ خُضْنَا بِرَايَةٍ وَزَاوَرَةٍ تَمَّتْ إِلَيْنَا تَيْمِيمُهَا

كما افتخر كذلك بيوم «مرج راهط» : (٥)

هَلَّا سَأَلْتَ بِهِمْ مَصْرَ الَّتِي نَكَّثَتْ أَوْ رَاهِطًا يَوْمَ يَحْمِي الرَّأْيَةَ الْبِهِمْ

وقد وجد جرير في الجيش صورًا بطولية فافتخر به وصور عظمة تلك

الجيش التي تقودها يربوع وقيس فقال : (٦)

(١) الديوان : ١٩٥/١ ، ٥١٨ .

(٢) انظر أخبار هذا اليوم في أيام العرب في الجاهلية : ٣٤٤ .

وجرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٩٧ .

(٣) الديوان : ٥٢٢/١ . (٤) الديوان : ٩٨٦/٢ .

(٥) انظر أخبار هذا اليوم في العقد الفريد : ١٣٤/٥ - ١٣٦ .

(٦) الديوان : ٩٦٩/٢ .

وَدَّ هُمْ كَجُنْحِ اللَّيْلِ رَزْنَا بِهِ الْعِدَا لَهُ عَشِيرَ مَا تُشِيرُ قَنَابِلُهُ
 إِذَا سَوَّمُوا لَمْ تَمْنَعْ الْأَرْضَ مِنْهُمْ حَرِيدًا وَلَمْ تَمْنَعْ حَرِيْزًا مَعَاقِلُهُ (١)
 تَحَوِّطَ الْحِمَى وَالْحَيْلَ عَادِيَةً بَيْنَا كَمَا ضَرَبَتْ فِي يَوْمٍ طَلَّ أَجَادِلُهُ

وبعد استقراءنا لفخر جرير القبلى وجدناه يرتفع فيه الى يربوع التى
 عرفت بأيامها الكثيرة فى الجاهلية والتى كان لها رداقة ملوك
 الحيرة . (٢) وقد افتخر بهذا قائلا : (٣)

رَبَعْنَا وَأَرْدَقْنَا الْمُلُوكَ فَظَلَّلُوا وَطَابَ الْأَحَالِيبُ الثَّمَامَ الْمُنَزَعَا
 ، أَخَذْنَا عَلَى الْخُورِ لَوْ تَعَلَّمُونَ رَدَافَ الْمُلُوكِ وَأَصْهَارَهُمَا (٤)

وقد ابتعد عن الفخر (بكليب) عشيرته الدنيا اذ لم يكن لها حظ
 من الأمجاد السالفة وغاية ما عرف أنها ترعى الحمير والغنم ليس الا (٥)
 وقد افتخر هذا الشاعر أمام خصمه الأخطل بتصميم فى أحوال قليلة
 بينما لم نجده يفتخر بها أمام الفرزدق الا نادرا لما عرف من أن
 الفرزدق لسان تميم والمدافع عنها (٦) .

(١) الحريد:المنتحى ، ولم تمنع حريزا : يعنى لم تقدر الأرض أن تحرز
 جمعهم فتحصنهم ، اذا سَوَّمُوا : يعنى أعلموا الحرب ، ومعاقله :
 ملاجئه وحصونه .

(٢) المعارف لابن قتيبة : ٦٥١ .

(٣) الديوان : ٩٠٨ / ٢ . (٤) الديوان : ٢٦١ / ١ .

(٥) انظر من نوابغ الفكر العربى جرير - دارسة محمد ابراهيم

جمعة : ٢٧ - ٢٨ .

(٦) نقائض جرير والأخطل - دارسة للدكتور عيد السلام المحتسب :

ولقد افتخر بمضر وخندف وفروعهما ، واتخذ من الدين مدارا
لفخره ، فخندف أصل مضر ، وقيس مصرية كذلك ، والنبوة والخلافة
والأمر والنهي في مضر ، والأخطل تغلبى ربعى فكان جرير يستغل
هذه الناحية ويفخر بها نظرا لأن الدين الاسلامى هو الفصيل
بين القبائل .

وقد أخذ عليه النقاد من الناحية الفنية فخره على الأخطل
بالدين (١) ورميه تغلب بالنقص لأنها لا تملك مما يعد عنده
المسلمين من شعائر دينهم فهو يفتخر بأشياء لم تكن موجودة لديهم
أصلا وهذا ليس عيبا فيهم . (٢)

هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ شَعْرًا أَوْ تَنْزِلُونَ مِنَ الْأَرَاكِ ظِلَالًا .

وكان الأولى به أن يفخر بما بين الناس جميعا كالآباء والأجداد
وطيب المحتد ، ومالشخص أو القبيلة من رصيد في البطولات الحربية
والكرم والشجاعة ، كما لوحظ عليه أنه في فخره بالأيام والحروب
لا يعنى الا بتعبييرهم بالناحية النسائية وذكر اليوم ولا يتعرض
لتفاصيل ما حدث فلا يصور تلك الأحداث تصويرا دقيقا يستغرق
تفاصيل الحدث . وهو في فخره بالأيام والحروب والفرسان من يربوع
وغيرها والاحتكام الى قریش وابتعاده عن الفخر " بـكـلـيـب " يريد أن
يتسامى في فخره الى هذه المعانى الرفيعة التى تفتقر اليها

(١) جرير حياته وشعره - د . نعمان طه : ٣٦٢ .

(٢) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

"كليب" فأكثر من الفخر بتلك القبائل وأيامها في الجاهلية والاسلام
وفرسائها الذين كانت لهم بطولاتهم التي غيرت مسار تاريخ
أمتهم .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وأما فخر جرير بنفسه فقد نحا فيه نحواً يتناسب ومما
 قدمنا عن أسرته وقبيلته الدنيا " كليب " ففاخر باستقامته وشهامته
 وصولاً لشعره وسيرويته . (١) حيث يرى أنه أدرك الأواثل فيـه
 وبزّ معاصريه فلم يترك لهم مجالاً للشعر ، وإلى جانب هذا فهو
 مقدم شجاع : (٢)

وَقَدْ وَجَدَانِي حِينَ مَدَّتْ حَبَالَنَا أَشَدَّ مُحَامَاةً وَأَبْعَدَ مَنَزَعَا
 وَإِنِّي أَخُو الْحَرْبِ الَّتِي يُضْطَلِّي بِهَا إِذَا حَمَلْتَهُ فَوْقَ حَالٍ تَشْنَعَا
 وَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْنَعَا

ولعل هذه الناحية التي أراحت جريراً كثيراً ففخر بها كصفة
 من صفاته العظيمة وهي شاعريته التي حباه الله بها فسلطها على
 أعدائه كالسم القاتل ، واستطاع من خلال شعره أن يهزم الشعراء
 جميعاً فقد أعد لهم سما قاتلاً وصواعق لا تبقى ولا تذر . (٣)

أَعْدَدْتُ لِلشَّعْرَاءِ سَمَا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ

وقوله في معرض هجائه للراعي النميري وفخره بشاعريته : (٤)
 أَعَدَّ اللَّهُ لِلشَّعْرَاءِ مَنًى صَوَاعِقَ يُخْضِعُونَ لَهَا الرِّقَابَا .

(١) انظر " جرير دراسة " لمحمد إبراهيم جمعة ص ٤٦ .

(٢) الديوان : ٩٠٤ / ٢ .

(٣) الديوان : ٩٤٠ / ٢ .

(٤) الديوان : ٨١٩ / ٢ .

ويستمر في فخره بهذه القريحة المتوقدة فيقول : (١)

أَعْدَدْتُ لِلشَّعْرَاءِ كَأْسًا مُرَّةً عِنْدِي مُخَالِطُهَا السَّمَامُ الْمُنْقَعُ
هَلَا نَهَا هُمْ تِسْعَةً قَتَلْتَهُمْ أَوْ أَرْبَعُونَ حَدَّوْتَهُمْ فَاسْتَجْمَعُوا

وقد أضاف جرير الى نفسه صفة الشجاعة ولا يعلم الا الله مدى صدق هذه الصفة عليه، وهو سليل أسرة وضيعة ليس فيها من اتصف بالشجاعة يقول : (٢)

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلِلسَّيْفِ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

وربما كان هذا كناية عن قوة شاعريته فأراد أن يضخمها ويهولها فشبهها بالسيف^{هنا} مرة وبالصواعق^{هناك} مرة أخرى ، وقد صور نفسه في معرض فخره بشاعريته صورة عظيمة رأى أنها لا تصدق على شاعر سواء حيث يقول مشبها نفسه بالبارزى الذى ينقض على غيره من الطير كما شبه الشعراء بالخربان : (٣)

أَنَا الْبَارِزَى الْمُدِلُّ عَلَى نُمَيْرٍ عَلَى رَغْمِ الْأَنْوْفِ الرَّاغِمَاتِ
أَنَا الْبَارِزَى الْمُطْلُ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِحْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصَابَا
إِذَا عَلِقْتُ مَخَالِبَهُ بِقَيْنٍ أَصَابَ الْقَلْبَ أَوْ هَتَكَ الْحَجَابَا
تَرَى الطَّيْرَ الْعِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ جَوَانِحُ لِلْكَلاَكِلِ أَنْ تُصَابَا

ويقول فى معرض اجابته لغسان السليطى مفتخرا بنفسه وشعره : (٤)

(١) الديوان : ٩١١/٢ .

(٢) الديوان : ٨٠/١ .

(٣) الديوان : ٨١٩، ٨٢٧/٢ . (٤) الديوان : ٥١٧/١، ٨٩١/٢ .

وَلَمَّا عَلَاكُمْ صَكٌّ بَارِزٌ جَنَحْتُمْ
بِأَسْتَاهِ خَرَبَانٍ تَصَرَّ صُقُورُهَا
عَايِنَ أَصْفَحَ مُلَحَّمًا مَبْكُورًا
خَرَبَانُ صَيْفٍ نَفَثَتْ أَعْرَافَهَا

وكما نلاحظ في هذا الفخر فقد صور نفسه بازيا ، وغيره — من الشعراء والناس خربانا تظل منه وجلة خائفة .

ويستمر في فخره بشعره فيصفه وصفا رائعا مبينا شدة وقعه على الأنفس وينطلق في هذا الوصف من اعتزازه بنفسه وأعجابه بفنه فيقول في أبيات كثيرة منها على سبيل المثال قوله : (١)

رَفَعْتُ لَهُ شَبُوبَةً يَهْتَدَى بِهَا يَكَادُ سَنَاها فِي السَّمَاءِ يَطِيرُ
وَجَهَزْتُ فِي الْآفَاقِ كُلِّ قَصِيدَةٍ شُرُودَ وَرُودٍ كُلِّ رَكْبٍ تَنْأَزِعُ
يَجُزْنَ إِلَى نَجْرَانٍ مَنْ كَانَ دُونَهُ وَيُظْهِرْنَ فِي نَجْدٍ وَهْنَ صَوَادِعُ
وَأوقدت ناري بالحديد فأصبحت لها لهب يصلي بها الله من يصلي
أَلَمْ أَلِكْ نَارًا يَتَّقِي النَّاسُ شَرَّهَا وَسَمًّا لِأَعْدَاءِ الْعَشِيرَةِ مَسْقَرًا
إِنِّي لَتُحْرِقُ مَنْ قَصَدْتُ لَشْتِمِهِ نَارِي وَيُلْحَقُ بِالْغَوَاةِ سَعَارِي

وهو يصور الشعراء بين صعق مصاب نتيجة لصابته ، وبين آخر منتظر حتفه الذي لا مناص منه فيقول : (٢)

تَرَى الشَّعْرَاءَ مِنْ صَعِقٍ مَصَابٍ بِصَكِّهِ وَآخِرُ مَسْتَدِيمٍ (٣)

(١) الديوان : ٨٧٧/٢ ، ٩٢٢ ، ٩٥٠ ، ١٠٩٥٠ ، ٤٨٤/٢ ، ٨٩٦ .

(٢) ديوان جرير : ١١٣/١ .

(٣) المستديم : المنتظر لصكة أخرى . والصعق : المغشى عليه .

لَقَدْ وَجَدَ وَرِشَائِي مُسْتَمِرًّا وَدَلْوِي غَيْرَ وَاهِيَةِ الْأَدِيمِ

وهذه صورة فنية عظيمة تجسد حالة الشعراء الوجلة الخائفة وقد صب عليهم جرير صراعه ثم يكنى عن شاعريته ، وكيف أن هذه الموهبة لديه مستمرة تأخذ صفة الديمومة وأن الجدة والقوة طابعها ويفخر بمناقبه العظيمة ومزاياء السالفة أيام فتوته وشبابه وكيف أن أحداث الدهر قد أضنته كثيرا وهو وإن أصبح محدودب الظهر ولديه القوة على التصبر عن بعض الرغائب والحاجات إلا أنه لا صبر له على القعود عن النجدة فهو سريع إليها كيفما كانت حالته ويصور هذه الأمور في فخر شخصي مميز فيقول مباهايا بهذه الصفات: (١)

إِمَّا تَرَيَنِي وَهَذَا الدَّهْرُ ذُرْغِيرٍ فِي مَنْكَبِي وَفِي الْأَصْلَابِ تَحْنِيبُ
فَقَدْ أُمِدُّ نِجَادَ السَّيْفِ مُعْتَدِلًا مِثْلَ الرُّدَيْنِيِّ هَزَّتْهُ الْأَنْابِيبُ
وَقَدْ أَكُونُ عَلَى الْحَجَاتِ ذَا الْبَيْثِ وَأَحْزُونِيَا إِذَا انْضَمَّ الذَّعَالِيُّبُ

وهذا الشاعر قد افتخر بنفسه واصطنع لها ضروبا من الشجاعة والكرم ، كما افتخر بشاعريته وأضفى على نفسه من هذه الناحية صورة عظيمة تدل على قوة معانيه الشعرية وتهافت الشعراء أمامه ولكننا لم نجد له فخرا بأبيه عطية ، أما جده " الخطـفـي " فقد افتخر به في بيتين اثنين فقط : (٢)

(١) ديوان جرير : ٣٤٨/١ .

(٢) الديوان : ٨٩٩/٢ ، ٩٧٠٠ .

لَمَّا بَنَى الْخَطْفَى رَضِيَتْ بِمَا بَنَى وَأَبَوَ الْغَزْدَقِ نَافِخُ الْأَكْيَارِ
بَنَى الْخَطْفَى حَتَّى رَضِينَا بِنَاءَهُ فَهَلْ أَنْتَ إِنْ لَمْ يَرْضِكَ الْقَيْنُ قَاتِلُهُ

ولئن فخر جرير بنفسه فقط ، واعتمد عليها في ملاقاته الأعداء ، وصددهم جميعا بشعره العظيم فان هذا الفخر لم يأت من فراغ ، فـجرير شاعر عظيم له مقوماته الفنية وشخصيته المتميزة ، والاعتماد على النفس ليس عيبا بل انها الشجاعة بأسمى معانيها ، ولقد اعتمد شاعرنا على نفسه وشاعريته ففاق الأقران حتى أن الراعى النيمى لما سمع قول جرير : (١)

وَعَاوَعَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمِيَتْهُ بِقَارِعَةٍ أَنْفَازُهَا تَقْطُرُ الدَّمَ
خَرُوجُ بِاقْوَاهِ الرِّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هُنْدُ وَانِي إِذَا هَزَّ صَمَمًا
فَإِنِّي لَهَا جِئْتُ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ شُرُودٍ إِذَا السَّارَى بِلَيْلٍ تَرْنَمًا
غَرَائِبُ الْأَفَا إِذَا حَانَ وَرْدُهَا أَخَذَنَ طَرِيقًا لِلْقَصَائِدِ مُعَلَّمًا

فقال الراعى : لا يلام رجل يغلبه قائل هذه الأبيات (٢) ولعمري لقد صدق جرير في فخره بنفسه وشاعريته وسيرورتها وقوتها وتهافت الشعراء أمامه ولم يصمد له الا الغزدق والأخطل فتربع معهما على قمة الشعر العربى فى العصر الأموى حتى عرف هو لاء الشعراء الثلاثة - ان جاز التعبير - باسم المثلث الأموى . ولا تنصرف هذه التسمية الى سواهم .

(١) الديوان : ٢ / ٩٨٠ - ٩٨١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٤٣٨ .

ولاشك أن نهش الشعراء لجريـر وتألـبهم عليه وصـمـوده^(١)
أمامهم وانتصاره عليهم يعد فخرا مابعد فخر له كما رأينا
من البحث .

(١) تاريخ النقائض فى الشعر العربى - أحمد الشايب - مكتبة
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦م ص ٢٢٣ .

الباب الثالث

أثر الإسلام في مديح وفخر الشعراء الثلاثة
وفيه مدخل وثلاثة فصول :

مدخل لدراسة هذا الباب ..

الحياة الإسلامية وأثرها في الشعر

الأمم ..

الفصل الأول :

مدى تأثير الأخطال بالبيئة الإسلامية

الفصل الثاني :

أثر الإسلام في مديح وفخر الفرزدق

الفصل الثالث :

أثر الإسلام في مديح وفخر جرير

مدخل

" " لدراسة هذا الباب " "

+++++

* * الحياة الاسلامية وأثرها في الشعر الأموي * *

لم يكن العصر الأموي بعيدا عن القيم الروحية ، والأخلاق الاسلامية الفاضلة التي انعكست على أدب هذا العصر بصفة عامة والشعر منه بصفة خاصة رغم ظهور أحزاب (١) سياسية مذهبية في هذا العصر كان لها صداها وتطلعاتها في الحياة .

ولعل قرب هذا العصر من النبع الأول للإسلام ووجود مجموعة من الصحابة الأجلاء والتابعين (٢) الذين كان لهم شرف الصحبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام قد طبيعهم بطابع ديني لم يسمح بظهور الأدب الماجن والشعر الساقط كما حدث فيما بعد . (٣)

(١) التعبير هنا بلفظ (حزب) تعبير يعنى في اللغة الجماعة من الناس وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضا . / انظر الصحاح ، واللسان .
والمنجد في اللغة والاعلام .

ودائرة معارف القرن العشرين (حزب) .
وانظر الفرق الاسلامية في الشعر الأموي - د . النعمان القاضي

• (٣٣٢)

(٢) انظر البيان والتبيين : ١٩٣/٣ .

(٣) حيث ظهر الغزل بالمعذرة ، والخمریات وغيرها من مظاهر الأدب الماجن مما لم نجده في الأدب الأموي .

غير أننا حينما نتتبع ما كتب عن أدب بنى أمية شعره ونشره بل وما كتب عن بعض الخلفاء أنفسهم من قبل المستشرقين ومن رضى سبيلهم (١) نجدهم يرمون هذا الأدب بالجاهلية والعصبية والحزبية ، ليشوهوه فى أذهان الدارسين ، وينفوا بالتالى أثر الاسلام فى الحياة كما شوّهوا صورة الخلفاء الأمويين (٢) ، ولا ينكر أحد أن الأحزاب السياسية والدينية التى نشأت فى عصر بنى أمية كانت مسرحا لأدب متميز إلا أن الجاهلية لم تكن مهيمنة عليه ولم يكن الشعر الأموى جاهليا كما يتصور البعض (٣) لأنه يمثل المسلمين

(١) انظر أثر الاسلام فى شعر الفرزدق - د . مصطفى عبد الواحد : ١٢

- ١٣ .

ونضيف أن سيرة خلفاء بنى أمية لم تسلم من التشويه والتجريح انظر أياطيل يجب أن تمحى من التاريخ - د . ابراهيم شعوط : ٢٤٧ وما بعدها .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) : ١٨٧/١ .

(٣) حيث يرى (هاملتون جب) أن الشعر الأموى ظل صورة حية للشعر الجاهلى وأن شعراء هذا العصر كانوا مقلدين للجاهلين فى نهج قصائدهم .

. انظر دراسات فى حضارة الاسلام (هاملتون جب) ترجمة - د .

احسان عباس ورفقائه : ٢٩٥ .

(وهاملتون جب) مستشرق انجليزى ولد بالاسكندرية ، يعد من أعلام المستشرقين المعاصرين اشتهر بكتابه المتعمقة عن الاسلام شغل منصب أستاذ للغة العربية بجامعة لندن ، واكسفورد ، وهارفارد ، ومدير لمركز دراسات الشرق الأوسط . انظر ترجمته فى الصراع بين القديم والجديد فى الأدب العربى .

الحديث للدكتور محمد الكنانى : ١٢٩٠/٢ .

فى فترة من فترات حياتهم قريبة من عهد النبوة والخلفاء الراشدين . الا أننا نرى أن هذا التقليد للجاهلين أن حصل فى بناء القصائد فإنه ليس دليلا على جاهلية الأدب الأموى شعره ونثره إذ لا يشك عاقل أن الشعراء والأدباء يحترمون المبادئ ، والقيم الروحية السامية ، فالاسلام مازال قويا آنذاك وتمكننا من نفوس وعقليات الناس ، فكيف يؤخذ أدب هذا العصر بصفة عامة والشعر بصفة خاصة على أنه مرتبط بالقيم الجاهلية دونما محاولة للتمحيص والتحقيق وقياسه بمقياس الاسلام الصحيح بغض النظر عن وجود تلك الأحزاب (١) ما دامت ملتزمة فى أدبها بالروح الاسلامى .

ان تاريخ الأدب العربى فى هذه الفترة لم يسلم من الـدس والتشويه لأنه مرتبط بتاريخ بنى أمية الذى لم يكتب أغلبه الا فى العصر العباسى (٢) ، ومعلوم أن الدولة الأموية أسقطها العباسيون ، بعد ثورة عارمة فى المشرق قضت عليها (٣) ، فهل أنصف هؤلاء الباحثون الذين دونوا تاريخ هذه الحقبة من الزمن وكتبوا بموضوعية

(١) ونقصد بالأحزاب المعتدلة التى لم تفرط فى الغلو ولم تسرف فى التعصب لمذهبها كالخوارج الذين يكفرون مرتكب المعصية وبعض الشيعة الذين يجعلون عليا فى مرتبة الاله ويلعنون الصحابة - رضى الله عنهم - .

(٢) تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " : ١٨٨/١ .

(٣) سقطت الدولة الأموية فى المشرق سنة ١٣٢ هـ بعد حكم دام تسعين عاما تقريبا . كان حافلا بالفتوحات الاسلامية ونشر الاسلام فى أرجاء المعمورة .

وتجردوا عن الأهواء السياسية والحزبية والنزعة العدائية ؟ أم أن هذه النزعة فرضت نوعاً من المغالطات التاريخية والتشويه الأدبي لهذا العصر ؟ (١) .

هذه فى الواقع مسئولية الباحثين المنصفين الذين يهمهم تتبع خطوات ومراحل وبيئات الأدب الأموى ووزنه بميزان الدين الإسلامى الحنيف اذ ليس من المعقول أن نحكم على عصر بنى أمية بأنه كان عصر العصبية القبلية ، وأن الإسلام لم يكن له أثر فى الشعر النابع من البيئات المختلفة والتي كان لكل بيئة منها ظروفها وملابساتها الخاصة .

ومن هنا فانه يتحتم على الباحث المنصف أن يتتبع خطوات الشعر الأموى من خلال تتبعه للحياة الإسلامية نفسها ليرى مدى تأثير هذه الحياة فى الشعر حتى لا يُرمى بالجاهلية والعودة الى ما نهى عنه الدين .

واذا كانت الدولة الأموية فى بداية عهدها قد انشغلت بالحروب واطفاء نار الفتن ، وتوحيد الأمة الإسلامية فان هذه الدولة المتمثلة فى الخلافة قد بلغت قوتها وأخضعت كل الطوائف والأحزاب السياسية التى وجدت نتيجة لهذه الحروب ، وانصهر الجميع تحت

(١) اشتهر الأمويون بتعصبهم ضد الموالى ، وبخاصة الفرس الذين كانوا يسمونهم ~~المعول~~ ^{كأبرياء} المعاول الهدامة التى أطاحت بملك بنى أمية وكانوا أيضاً فى أغلب الظن ~~معولاً~~ ^{معتاداً} معولاً مشوه تاريخ الأمويين اذ كان أغلب الكتاب والعلماء والرواة والشعراء فى العصر العباسى من الفرس . وقد لعبت الشعوبية دوراً بارزاً فى التاريخ والأدب .

ظل خلافة واحدة في بوتقة الاسلام ، وان بقي لهذه الأحزاب - شعراءها الذين سجلوا مرثيات حزبهم للحياة ونظرتهم للخلافة وفلسفتهم للدين كالخوارج والشيعة والزييريين ، وهى أحزاب لها قيمها واتجاهاتها المذهبية ، الا أن الاسلام كان متمكنا من قلوب الناس . فهناك الوعاظ والزهاد والنساک الذين وجدوا فى العصر الأموى رجالا ونساء (١) فى الحجاز والشام ومصر وغيرها من الأقاليم .

وقد نشأ الشعراء فى عصر بنى أمية وسط هذه البيئة المليئة بالنساک والزهاد ، وتشبعت أنفسهم بهذا التيار الاسلامى فآمنوا بعالم آخر فوق حسهم وشعورهم مما طبع نفوسهم بطوابع العصر التى لم تكن مألوفة فى الجاهلية . (٢) اذ أن القيم الروحية والمثالية الدينية التى نشأ الشعراء فى ظلالها كان لها أثر أى أثر فى نفوسهم ؛ فأصبح الشاعر يعيش فى ظروف نفسية جديدة لم يعد للوثنية والمادية مكان فيها .

ومن هنا كان الشعر الأموى صدى لتلك التطلعات النفسية والدينية التى يراها الشعراء ويؤمنون بها . وعلى الرغم من أن هؤلاء لم يكونوا من النساک ، والزهاد الآن التيار الاسلامى كان

(١) البيان والتبيين - الجاحظ : ٣٦٢/١ - ٣٦٦ .

(٢) التطور والتجديد فى الشعر الأموى - د . شوقي ضيف :

يسرى فى عروقهم . ولنضرب مثلاً بالفرزدق الذى اتهمه بعض معاصريه وبعض المحدثين بالانسلاخ عن الدين ، فان عبارات كثيرة تنتشر فى شعره وتشهد له باستقرار الاسلام فى أعماقه . اذ ظهرت نفحات الدين الاسلامى فى شعره واضحة جليلة ، وبدا ضعيفا أمام الخوف من العذاب ومن هول يوم القيامة .

حتى الأخطل النصرانى قد امتدت اليه ظلال الاسلام فعاش فى كنفه ينطق بمثل مانطق مادحا الوليد . (١) وان لم يؤمن هو بما يقول :

وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كَاذِبَةٍ	بِاللَّهِ رَبِّ سِتُورِ الْبَيْتِ ذِي الْحُجُبِ
وَكَلَّ مَوْفٍ يَنْذُرٍ كَانَ يَحْمِلُهُ	مُضَرَّجٌ بِدِمَاءِ الْبَدَنِ مُخْتَضِبٌ
إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي	وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنَاجَاتِهِ هَرَبِي

وهناك غيرهما من الشعراء شهد لهم شعرهم بأنهم كانوا أكثر تأثرا بالاسلام وبخاصة هؤلاء الشعراء الذين عرفوا بالعفاف والتدين (٢) . ويلاحظ على مديح الشعراء وهجائهم فى هذا العصر أنهم لا يمدحون ولا يهجون إلا وضعوا الصفات الدينية ايجابا وسلبا فى مديحهم وهجائهم فهاهو كثير يمدح عمر بن عبد العزيز بقوله : (٣)

(١) شعر الأخطل : ٢٤٤/١ .

(٢) التطوير والتجديد - د . شوقي ضيف : ٦٣ .

(٣) ديوان كثير : ٣٣٤-٣٣٥ (دار الثقافة بيروت) .

وَصَدَقْتَ بِالْفِعْلِ الْمَقَالَ مَعَ الَّذِي أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ
وَقَدْ لَبِسْتَ لِبْسَ الْهُلُوكِ ثِيَابَهَا تَرَأَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمُعْصَمٍ
وَتَوَمَّضَ أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ وَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنْظَمِ
فَاعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمِزًا كَأَنَّمَا سَقَيْتَ مَدًى وَفًا مِنْ سَمَاءٍ وَعَلَقَ مِنْ

وهذا ابن قيس الرقيات يمدح مصعب بن الزبير بقوله : (١)

إِنَّمَا مَصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ وَ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفَ لَحَ مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْأَتَقَاءُ

وقد أشر الإسلام في أغلب جوانب الشعر العربي في هذا العصر فظهر ماسمى بالغزل العذري العفيف (٢)، وظهر في هذا العصر مجموعة من الشعراء العذريين الذين جتوا من الحب فكان شعرهم ترجمة صادقة لما يختلج في نفوسهم من عواطف وأحاسيس نحو من يحبون ، تأججت تلك العواطف فصورها في شعر رقيق ينمى بالضعف أمام تباريح الهوى ولوعة الشوق ، وجفوا الحبيب

-
- (١) ديوان ابن قيس الرقيات (ط بيروت) : ٩١ .
(٢) يرى بعض الدارسين المحدثين أنه لم يكن هناك ما يسمى بالغزل العذري العفيف . وأطلق على هذا النوع من شعر الغزل " غزل المحرومين " وقد اعتمد على بعض المقاييس النفسية لدى الشاعر . وهذه الرؤية لا تعتمد على دليل علمي ولم يذهب الى هذا الرأي أحد من النقاد القدامى ولا يمكن تطبيق مثل هذه المقاييس على أدبنا العربي انظر الجمود والتطور في الشعر العربي د . محمد الكراوى ص ٥٥ -

فأخذوا يستخدمون بعض المعانى والألفاظ الاسلامية فى شعرهم
كى يؤثرؤا فى قلوب من يحبون ، وسواء أكان هذا الغزل العفيف
صدى للبيئة الاسلامية أم صدى للبيئة البدوية أم لكليهما فانه قد
امتلا بسمات اسلامية كثيرة . فهاهو عمر بن أبى ربيعة يقول : (١)

أَلَا يَأْمَنُ أَحَبُّ بَكُلِّ نَفْسٍ لِي وَمَنْ هُوَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ حَسْبِي
وَمَنْ يَظْلِمُ فَأَغْفِرُهُ جَمِيعًا وَمَنْ هُوَ لَا يَهْمُ بِغَفْرِ ذَنْبِي

ويقول جميل : (٢)
أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِيمَنْ قَتَلْتَهُ
فَأَمْسَى إِلَيْكُمْ خَاشِعًا يَتَضَرَّعُ

ويقول مجنون ليلى : (٣)
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَى تَجَوُّرِ

وقد تأثر شعر الحماسة كذلك بالحياة الاسلامية فهاهو قطرى بن
الفجاءة يقول : (٤)

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاءَا مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحُكُّ لَنْ تُرَاعَى
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمِ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تُطَاعَى

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة : ٤٨٥ (طبعة المدنى)

(٢) ديوان جميل : ١١٢ .

(٣) الأغانى : ٢٥/٢ .

(٤) ديوان الحماسة لابی تمام : ١٦١/١ .

فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نِيلَ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
وَلَا ثَوْبَ الْبَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ فَيُطْوَى عَنْ أَخِي الْخَنَعِ الْيَرَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلِّ حَسْبٍ قَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي

وهكذا ظهرت ملامح الحياة الاسلاسية واضحة وجلية في نتاج الشعراء في العصر الأموي رغم ظهور العصبية وتعدد المذاهب والأحزاب الا أن الروح الاسلاسية بقيت واضحة جليلة . كما سنرى لدى الشعراء الثلاثة في الفصول التالية . (١)

xxxxxxxxxxxxxxxx

(١) لم أترجم للشعراء الذين أوردت لهم نصوصا هنا لشهرتهم ولأنه قام بهذه المهمة باحث آخر . طيبا سيقوله بهذه المناسبة
قد رأى لكثرة رايه طاعة .

الفصل الأول

مدى تأثر الأخطل
بالبيئة الإسلامية

" الفصل الأول " "

+++++

* * مدى تأثير الأخطل بالبيئة الاسلامية * *

قبل الحديث عن أثر البيئة الاسلامية في مديح وفخر الأخطل يحسن بنا أن نتتبع أصول الايمان في نفسيته ، فقد انحدر من قبيلة تغلب النصرانية التي كانت على مذهب اليعقوبية (١) وظل معتقدا النصرانية حتى مات .

ونستطيع أن نستنبط من أخبار رواها بعض الرواة القدامى أنه كان متمسكا بدينه مستجيبا لشعائره ومعتقداته . (٢)

وحينما نرجع لديوانه نجد ملامح واضحة للايمان بما تلتقى فيه الأديان السماوية ألا وهو الايمان بالله والاقرار له بالعبودية

(١) احدى فرق النصارى الأربع وهم : اليعقوبية ، والنسطورية ، والفولية والملكانية ، وترى اليعقوبية أن الله لم يكن بجسم فتجسم ولم يكن فى مكان فصار فى مكان ، متجسدا متناسيا بعد أن كان غير متجسد ولا متناس وهو المسيح ، ودليلهم فى ذلك أنهم قالوا : لما كان قادرا على الزيادة فى حدته كان قادرا على الزيادة فى ذاته ، ولو لم يقدر على الزيادة فى ذاته لكان عاجزا وهو القادر على ما يشاء . تعالى الله عما يقولون وبرا نبيه عيسى عليه السلام من ترهاتهم .

انظر الحور العين - نشوان الحميرى تحقيق كمال مصطفى - مطبعة السعادة ط (١) ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ص ١٤٥ - ١٤٦ ، وشعرا النصرانية ١٧١ - ١٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية ٥١٦ ، ومواسم

الأدب : ٢٢٠ / ١ .

(٢) الأغاني : ١٧٤ / ٧ .

وأنه تعالى الذى يصرف الأمور ويقدر الأقدار ويعطى ما يشاء لمن يشاء ، يقول مقرا بالعبودية لله : (١)

لَهَانَ عَلَيْنَا وَالَّذِى أَنَا عَبْدُهُ دُعَاؤُكَ فِى أَرْضَانَا يَا لَ عَامِرٍ

ويقول فى موضع آخر مقرا بأنه لا يكون شىء إلا بأذن الله تعالى : (٢)

فَدَأْفَعَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ عَنَّا . شَبَابُ الصَّدَقِ مِنَّا وَالْكُهُولُ

ويقول فى مدح بنى أمية عندما مدح بشر بن مروان مقرا بأن العطاء من الله وحده : (٣)

أَنْتُمْ خِيَارُ قَرِيشٍ عِنْدَ نِسْبَتِهِمْ وَأَهْلُ بَطْحَائِهَا الْأَثَرُونَ وَالْفَرَعُ (٤)
أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مَا أَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا الْمُلُوكُ عَلَى أَمْثَالِهِ اقْتَرَعُوا (٥)

ويقول فى مدح بنى أمية : (٦)

قَوْمٌ إِذَا بَسَطَ إِلَهُ رَبِّعَهُمْ جَادَتْ رَحَاهُ بِمُسْبِلٍ دَرَارٍ

ويرى أنهم منصورون من الله تعالى فيقول : (٧)

أَعْطَاهُمْ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ لَا جَدَّ إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقِرٍ

(١) شعر الأخطل : ٦٥٨/٢ .

(٢) شعر الأخطل : ٣٧٥/١ .

(٣) شعر الأخطل : ٣٦٦/١ .

(٤) الأثرون : جمع أثرى وهو الكثير الثراء . والفرع : أراد الفرع وهو الشريف

العالى النسب . (٥) اقترعوا : معناها هنا تضاربوا بالسيوف .

(٦) شعر الأخطل : ٤١٤/٢ . (٧) شعر الأخطل : ٢٠١/١ .

ويبدو هذا الشاعر مؤمنا بالرسول وقد يخصى بعضهم بالذكر ويستعين
بما سطره من أمجاد في تاريخهم الشرق مستندا منه العبر ،
والعظات فيقول في معرض فخره بتغلب : (١)

فَقَدْ نَهَضْتُ لِلتَّغْلِبِيِّينَ حَيَّةٌ كَحَيَّةِ مُوسَى يَوْمَ أُيَّدَ بِالنَّصْرِ

ويقول في مديح يزيد بن معاوية : (٢)

جَزَاكَ رَبُّكَ عَنْ مُسْتَفْرِدٍ وَحِدٍ نَفَاهَ عَنْ أَهْلِهِ جُرْمٌ وَتَشْرِيدُ
جَزَاءُ يَوْسُفَ إِحْسَانًا وَمَغْفِرَةً أَوْ مِثْلًا جُزِيَ هَارُونَ وَدَاوُدُ
أَوْ مِثْلَ مَا نَالَ نُوحٌ فِي سَفِينَتِهِ إِذَا اسْتَجَابَ لِنُوحٍ وَهُوَ مَنْجُودُ

والأخطل يرى أن الله قد أيد نبيه نوحا - عليه السلام - في
الدنيا وجزاه في الآخرة جنة خالدة فيقول : (٣)

أَعْطَاهُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَأَسْكَنَهُ فِي جَنَّةٍ نِعْمَةً فِيهَا وَتَخْلِيدُ

كما أنه سبحانه وتعالى قد أعطى بنى أمية جنة وأسكنهم فيها
وأسبغ عليهم من نعمه وخيراته فيشير الى هذا بقوله : (٤)

وَإِذْ وَشَى بِي أَقْوَامٌ فَأَذْرَكْنِي رَهْطُ الَّذِي رَفَعَ الرَّحْمَنُ فَارْتَفَعُوا
فِي جَنَّةٍ هِيَ أَرْوَاحُ الْإِلَهِ فَمَا يُفَزَعُ الطَّيْرُ فِي أَغْصَانِهَا فَزَعُ

(١) نقائض جرير والأخطل : ٣٣ .

(٢) شعر الأخطل : ٩٧/١ - ٩٨ .

(٣) شعر الأخطل : ٩٨/١ .

(٤) شعر الأخطل : ٣٦٤/١ - ٣٦٥ .

والملاحظ أن الأخطل مع نصرانيته لم يذكر شيئا عن عيسى - عليه السلام - فيما وصل إلينا من شعره لكنه ذكر الصليب والنصرانية وبعض رهبانهم كقوله يفتخر : (١)

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعًا
وَمَارَسَرَجِيْسَ وَسَمًّا نَاقِعًا
وَأَبْصُرُوا رَايَاتِنَا لَوَامِعًا
كَالطَّيْرِ إِذَا تَسْتَوَدُّ الشَّرَائِعَا

بينما نجده قد ذكر محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأشار إلى نبوته كقوله في مدح جرير بن عبد الله البجلي : (٢)

صَافِي الرِّسُولِ وَمِنْ قَوْمِ هُمْ ضَمِنُوا مَالَ الْغَرِيبِ وَمَنْ ذَا يَضْمَنُ الْأَبَدَا
قَوْمٌ يَظْلُمُونَ خَشَعًا فِي مَسَاجِدِهِمْ وَلَا يَدِينُونَ إِلَّا الْوَاحِدَ الصَّمَدَا

فيشيد بصحبة جرير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبما أثر قومه في الخشوع والتوحيد .

ونجده يشير من ناحية أخرى إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دون تصريح باسمه عندما يمتن على بني أمية وقوفهم معهم حتى أنه هجا الأنصار الذين آووا ونصروا الرسول والمهاجرين (٣)

بَنِي أُمِيَّةٍ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمِ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا .

(١) المصدر السابق : ٢/ ٧٤٤ - ٧٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٧٢٩ - ٧٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ١/ ٢٠٢ .

وذكره للرسول صلى الله عليه وسلم انما يرجع الى شخصيات
المدوحين فبنو أمية خلفاء للمسلمين وهم من قريش والنبي محمد
صلى الله عليه وسلم قرشى فلا مناص له من ذكره - صلوات الله عليه
وسلامه - هذه فى الواقع ملامح الايمان التى يمكن للباحث أن
يقف عليها فى شعر الأخطل وهى بلا شك تبدو عامة سطحية ،
وكان الأخطل موزع بين النصرانية ديانتة - والاسلام دين الله
الخالد الذى يحيط ببيئته .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو هل تأثر الأخطل فعلا
بالبيئة الاسلامية فانعكس هذا التأثير على شعره بصفة عامة ومدىحه
وفخره على وجه الخصوص ؟ . . .

ان الأخطل قد حاول أن يجمع بين ما يمليه عليه تصوّره للعقيدة
النصرانية والواقع الذى يعيش فيه ، ولذلك ظهرت عنده تلك الثنائية
التى يبدىها فى سماته الدينية فاذا بأشعاره تظهر فيها ملامح
النصرانية والاسلام اذ نجده يقسم برب النصرى والمسلمين والرهيسان
والزهاد . (١)

إِنِّى رَبِّ النَّصَارَى عِنْدَ عِيْدِهِمْ وَالْمُسْلِمِينَ إِذَا مَاضَتْهَا الْجُمُعُ
رَبِّ كُلِّ حَبِيسٍ فَوْقَ صَوْمَعَةٍ يُمَسِّى وَلَا هُمُ الدُّنْيَا وَلَا الطَّمَعُ

وقد استغل الأخطل السمات الاسلامية التى كانت شائعة فى عصره
فمدح بنى أمية مضفيا عليهم الكثير من النعوت الاسلامية ومزج فى
مدائحه بين الدين والسياسة ، ففرضت عليه هذه السياسة أن يستعمل

(١) شعر الأخطل : ٣٦٣/١ - ٣٦٤ .

تعايير معينة لم تعرف إلا في الاسلام (كآبن الامام ، وأمير المؤمنين ، والخليفة ، وخليفة الله ، وأمين الله ، والبيعة ، والهدايا والمسلمين ، والمسجد ، والجمعة ، والحج . . .) كما ردد ذكر أسماء الأماكن المقدسة ليربط بين بنى أمية وحمايتهم لها فذكر . . (مكة والكعبة ، والبيت الحرام ، وزمزم ، ويثرب) ، وعرض لمناسك الحج فذكر (النسك ، والتشريق ، والتحليق ، والتنحار) وغيرها وكلها تعابير مرتبطة بحياة المسلمين كقوله فى مدح يزيد بن معاوية (٣) :

فَلَوْلَا يَزِيدُ بْنُ الْإِمَامِ أَصَابَنِي قَوَارِعُ يُجَنِّبُهَا عَلَيَّ لِسَانِي

وقوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٢)

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلَتْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
إِلَى مُؤْمِنٍ تَجَلَّوْا صَفِيحَةً وَجْهَهُ بَلَابِلُ تَغَشَّى مِنْ هُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِينَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي وَكَانَ حِصْنًا إِلَى مَنَاجَاتِهِ هَرَبِي
خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِسُنَّتِهِ الْغَيْثُ مِنْ يَدِ مَوْلَى الْعِلْمِ مُنْتَجِبِ

وقوله كذلك فى معرض مديحه ليزيد بن معاوية : (٤)

(١) شعر الأخطل : ٢٩٨/١ .

(٢) المصدر السابق : ٤٣/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٤٤/١ - ٢٤٥ .

(٤) المصدر نفسه : ١٧١/١ - ١٧٢ .

إِنِّي حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ وَمَا أَضْحَى بِعَمَّةٍ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ
وَبِالْهَدْيِ إِذَا أَحْمَرْتُمَا رِجْلَيْهَا فِي يَوْمِ نَسْكِ وَتَشْرِيقِ وَتَنْحَارِ
وَمَا يَزْمَزَمُ مِنْ شُمُطٍ مُحَلَّقَةٍ وَمَا يَشْرَبُ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ
لَأَلْجَأَنَّ قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجَلًّا وَمَوْلَتِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (١)

لَقَدْ حَلَفْتُ بِمَا أَسْرَى الْحَجِيجُ لَهُ وَالنَّاذِرِينَ دِمَاءَ الْبَدَنِ فِي الْحَرَمِ
، حَلَفْتُ بِمَنْ تَسَاقَى لَهُ الْهَدَايَا وَمَنْ حَلَّتْ بِكَعْبَتِهِ النَّسْدُورُ
لَقَدْ وَلَدَتْ جَذِيمَةً مِنْ قُرَيْشٍ فَتَاهَا حِينَ تَحَزُّبُهَا الْأُمُورُ

وقوله في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء قيس : (٢)

فَإِنْ تَكُ قَيْسٌ يَا ابْنَ مَرْوَانَ بَايَعْتَ فَقَدْ وَهَلَتْ قَيْسٌ إِلَيْكَ مِنَ الذُّعْرِ
عَلَى غَيْرِ إِسْلَامٍ وَلَا عَنَ بَصِيرَةٍ وَلَكِنَّهُمْ سَيَقُؤُوا إِلَيْكَ عَلَى صُغْرِ
، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ لِلْأَبْيَضِ لَا عَارِيَ الْخَوَانِ وَلَا جَدْبِ

والأخطل أحيانا يعمد الى بعض مشاهد العبادات الاسلامية فيأخذ
منها ما يلون به معانيه وصوره ليضفي عليها صفة التأثير فهو يشبه
الحرباء (٣) وقد انتصبت في شدة الهاجرة بالمضلى الذي يولى

(١) شعر الأخطل : ٢٢٢/١ : ٢٧٠٠

(٢) المصدر السابق : ٤٧٠، ١٨٩/١

(٣) الحرباء : ذكر أم حنين ، دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت

وتتلون ألوانا وجمعها (حرباء)

انظر ديوان الأدب ١٢/٢ ، والمصباح المنير مادة (حرب)

وجهه شطر القبلة مع أن هذا التشبيه ثقيل على النفس ولا تكاد تقبله نظرا لحقارة هذه الدويبة التي يشبهها بالمصلى كقوله نسي قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله : (١)

أَجَزْتُ إِذَا الْجُرَبَاءُ أَوْفَى كَأَنَّهُ مَصَلَّ يَمَانٍ أَوْ أَسِيرٌ مَكْبَلٌ

وهذه ~~السورة الإسلامية~~ ^{التي} ينص فيها على جهة القبلة للمسلمين إذ أن المصلى المسلم في بلاد الشام والعراق تكون قبلته في صلاته ناحية اليمن بخلاف النصارى الذين تكون قبلتهم دائما جهة المشرق حيثما كانوا . (٢)

وقد استمد الشاعر بعض تشبيهاته من القرآن الكريم كقوله في مقدمة قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية : (٣)

كَأَنَّهُ إِذَا أَضَاءَ الْمَرْقُ بِهِجَتَهُ فِي أَصْفَهَانِيَّةٍ أَوْ مِصْطَلَى نَسَارٍ
فَانْصَاعَ كَالْكُوكَبِ الدَّرِّيِّ مِيعَتَهُ غَضْبَانٍ يَخْلِطُ مِنْ مَعَجٍ وَإِحْضَارٍ

فهذا التشبيه مأخوذ من قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...﴾ . ولكن ليس معنى هذا أنه قد قرأ القرآن بل ربما رن في أذنه صداه من البيئة الإسلامية إذ أن اتصاله

(١) شعر الأخطل : ٢٢/١ .

(٢) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٤٨ .

(٣) شعر الأخطل : ١٦٤/١ - ١٦٥ .

(٤) سورة النور آية (٣٥) .

بالخلفاء كان قويا .

ونجد الأخطل يشيد بانتصار المسلمين على الروم فيقول ففى

مدح عبد الملك بن مروان : (١)

وَفِي كُلِّ عَامٍ مِنْكَ لِلرُّومِ غَزْوَةٌ بَعِيدَةٌ آثَارِ السَّنَائِكِ وَالسَّرْبِ

ويقول فى مدح الوليد بن عبد الملك : (٢)

قَتَلْتَ الرُّومَ حَتَّى شَذَّ مِنْهَا عَصَائِبُ مَا تُحَوِّرُهَا الْقُصُورُ

وهذه الإشارة ليست نتيجة لتعمق الاسلام وحب المسلمين أصداؤه
نفسه وأغوارها ولكن الأخطل لا يستطيع أن ينسى الصراع الطائفى
الذى كان بين الامبراطورية البيزنطية ونصارى العرب . ثم انه مع
ذلك كله عربى يعتز بعرويته ويشرف بهذا الانتماء فمدحه للمسلمين
من هذه الناحية ممثلين فى الخلفاء والقادة وبأنهم انتصروا على
الروم انما هو مدح للعرب قاطبة نصارى ومسلمين . ولهذا وجدناه
يغفل بوارق فتح الأندلس وشمال افريقيا فلا يمتدح الوليد بهذا
الانتصار العظيم . وقد تناساه كذلك كل من الفرزدق وجريـر
كما سنرى فيما بعد - ان شاء الله - .

ولقد اتخذ هذا الشاعر من البيئة الاسلامية التى عاش فيها
مادة خصبة استمد منها الكثير من المعانى والصور دبجها فى مدائحه

(١) شعر الأخطل : ٤٥/١ .

(٢) شعر الأخطل : ٢٧١/١ .

التي خص بها بنى أمية وعالمهم وقد ظهرت تلك المعانى واضحة
 فى مديحه بينما تضاءلت هذه الملامح الاسلاميه فى فخره فلا نكاد
 نعثـر على أى أثر اسلامى فى الفخر اذا ما استثنينا بعض الأبيات
 التي ذكرناها هنا ، وعندئذ لا نجد فخره الا معنا فى الجاهلية^(١)
 ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن تأثر الأخطل بالاسلام
 ليس عن رضى فقد رفض عندما عرض عليه الخليفة عبد الملك أن يسلم^(٢)
 ولكنه وجد نفسه مضطرا لهذا التأثير حينما يمدح من أحاطوه بنعمتهم
 وأفسحوا له فى مجالسهم .

وأغلب الظن أن الاسلام قد حدد من نزوات الأخطل وصار
 سياجا له يمنع من أن يقول ما يشاء مما يخالف الدين ، ولو ترك
 له العنان لأفصح عن أشياء كثيرة تدور فى نفسه ضد الاسلام
 والمسلمين ولاستخف بكثير من القيم الاسلاميه فهاهو يعبر عن داخل
 نفسه المبغضة للاسلام وأهله والتمسكه بالنصرانية ساخرا ومستخفنا
 بالعبادات الاسلاميه والمسلمين : (٣)

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ طَوْعًا	وَلَسْتُ بِأَكِلٍ لَحْمٍ الْأَضَاحِيِّ
وَلَسْتُ بِزَاجِرٍ عَنَسًا يَكُورٍ	إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْعَيْرِ يَدْعُو	لَدَى الْأَصْبَاحِ حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ

(١) الهجاء والهجاؤون فى العصر الاسلامى - د . محمد محمد حسين

: ١٠٩ .

(٢) الأغانى : ٢٩٠ / ٨ .

(٣) شعر الأخطل : ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

وَلَكِنِّي سَأَشْرِيهَا شَمُولًا وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ

وختلاصة القول :

أنه لا تكاد تخلو مدحة من مدائح الأخطل من التأثر بالروح الاسلامي الذي يعيش فيه . وليس هذا بطبيعة الحال عن طيب خاطر منه ولكنه مزج هذه المدائح بالواقع فكان لزاما عليه كشاعر بلاط أن يمزج أيضا الدين بالسياسة ، وقد فعل .
والحقيقة أن الدين الاسلامي قد طامن من شخصية الأخطل وحّد من نزواته ولم يبق له سوى الخمر التي يستطيع أن يبيح بها دون رادع فأجاد من خلال مقدماته في وصفها والتغنى بمفاتنها ، فاذا ما خرج عن طوره الحقيقي وحجمه المعروف اصطدم فورا بشخصيات الخلفاء القوية كما حدث له مع عبد الملك بن مروان عندما أنشده قوله : (١)

قَالَ تَغْيِيرَهَا قُرَيْشٌ بِمُلْكِهَا يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَارٌ وَمَزْحَلٌ

فقال له عبد الملك (الى أين يا ابن اللخناء ؟) فقال الأخطل متداركا الموقف (الى النار يا أمير المؤمنين) فقال عبد الملك :
(لو قلت غيرها لضربت عنقك) .

ومن هنا وقف هذا الشاعر من الاسلام موقفا ليس نابعا عن ايمان راسخ وانما هو استسلام المناق العاجز الذي تملك

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٤٨٠/١ .

الخوف والذلة نفسه فعرف حجمه الحقيقي في مجتمع
اسلامى كبير يعطى هو وقبيلته فيه الجزية عن يد
وهم صاغرون .

الفصل الثاني

أثر الإسلام
في
مديح وفخر الفرزدق

” الفصل الثانى ”

+++++

✱ ✱ أثر الاسلام فى مديح وفخر الفرزدق ✱ ✱

لقد كان للمعارك الهجائية التى نشبت بين الفرزدق وجريـر
أثر واضح فى نهج كثير من الرواة فسرـدوا أخبارا (١) عن هذا
الشاعر وتناقلوها دون تمحيص وتحقيق ، ومفاد هذه الأخبار أنه كان
مقدعا فى هجائه لا يتردد فى التصريح بالأمور المستهجنة غير مكترث
بوصف المعاصى التى تتنافى مع أبسط قواعد الدين الاسلامى ، ولم
تسلم هذه الأخبار التى طبعت فى أذهان كثير من الدارسين عدم
تأثره بالاسلام من المبالغة وتضخيم الأمور كما خضعت لكثير من
التحريف والتحويل نتيجة لنقلها بالشافهة .

غير أن المتأمل فى شعر الفرزدق يجد نفسه أمام شخصية
غليظة وراءها أخرى تواقة للنسب الطاعة وستشرفه الى رحمة الله
وتوبته . . (٢)

(١) ورد كثير من الأخبار عن هذا الشاعر فى طبقات فحول الشعراء
لابن سلام (٣٠٦/١ - ٣٢٤) ، كما أورد صاحب الأغاني
الكثير من أخبار ابن سلام وزاد عليها أخبارا فيها اجحاف
بالفرزدق واساءة من الناحية الدينية .

انظر الأغاني : (٣١٧/٢١ - ٣٦١) .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢١٢/٢ .

أَلَمْ تَرْنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَأَنْتَنِي لَسِنَّ رَتَاجٍ قَائِمٍ وَمَقَامٍ
 عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِتْيِ سُوءِ كَلَامٍ
 أَلَمْ تَرْنِي وَالشَّعْرُ أَصْبَحَ بَيْنَنَا دُرُوءٌ مِنَ الْأَسْلَامِ ذَاتُ حَوَامٍ
 بِهِنَّ شَفَى الرَّحْمَنُ صَدْرِي وَقَدْ جَلَا عَشَا بَصَرِي مِنْهُنَّ ضَوْءُ ظَلَامٍ
 فَأَصْبَحْتُ أَسْعَى فِي فَكَاكٍ قِلَادَةٍ رَهِينَةً أَوْزَارٍ عَلَى عِظَامٍ
 أَحَاذِرُ أَنْ أَدْعَى وَحَوْضِي مُخَلَّقٌ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْيَوْمِ يَوْمِ خِصَامٍ
 وَلَمْ أَنْتِهِ حَتَّى أَحَاطْتُ خَطِيئَتِي وَرَأَيْتُ وَدَقْتُ لِلدُّهُورِ عِظَامِي
 بِتَوْبَةٍ عَبْدٍ قَدْ أَنَابَ فُؤَادُهُ وَمَا كَانَ يُعْطَى النَّاسَ غَيْرَ ظَلَامٍ

فحينما نقرأ هذه الأبيات نجد تصويرا وافيا لشاعر الخوف من الله
 التي تتنابه من جراء انسياقه في ظلم الناس وهجائهم فقد ندم
 عما فعل وأقلع عن ذلك الخطأ الجسيم الذي تمادى فيه وورسف
 في محاذيره . وقد بلغ خوفه من عذاب الآخرة مداه اذ أنه لم
 ينته حتى أحاطت به خطيئته وهو الآن بين يدي الرحمن الرحيم
 نادما عما فعل ومقلعا عن الخطيئة وقد تضاءلت تلك النفوس
 الغليظة أمام الله والتي طالما وقفت في وجه الخلفاء والولاة، وأصبحت
 صغيرة تعاهد ربها ألا تجهر ولا تسر بسوء من القول ، كما حاصره
 الندم الشديد على ما فرط في جنب الله ، وجره ندمه هذا إلى
 هجاء ابليس قائلا : (١)

أَطَعْتُكَ يَا ابْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْتَهَى شَيْئِي وَتَمَّ تَمَامِي

فَرَزْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيُّقَنْتُ أَنْتَنِي مُلَاقٍ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ حِمَامِي
وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ الَّتِي كُنْتُ خَائِفًا وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِرَامِي
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لِأَجْتَهِدَ نَهَا عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامِ

الى آخر هذه القصيدة التي تصور فرار الفرزدق الى ربه وعزمه على أن يجتهد في الطاعة متذكرا أيامه الخوالي التي قاده فيها الشيطان الى الهاوية . (١)

أَلَا طَالَ مَا قَدْ رُبْتُ يَوْضِعُ نَاقَتِي أَبُو الْجَنِّ إِبْلِيسُ بَغِيرِ خَطَامِ
يُظَلُّ يَمْنَنِي عَلَى الرَّحْلِ أَرَاكَ يَكُونُ وَرَائِي تَارَةً وَأَمَامِي
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنْسَهُ سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامِ

ولكنها أيام الشباب التي فيها مافيه من النرق والطيش ومظاهر الصبوة وقد ثاب الشاعر الى رشده وأقلع فهاهو كما رأينا يصور موقفه مع ابليس في قصص شعري رصين ويبين كيف أن الشيطان يزين لأتباعه طرق الضلال وقد تأثر هنا بقول الله عز وجل : * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ * (٢)

وبحث الجانب الاسلامي في شخصية الفرزدق سواء من خلال شعره كله أم من خلال مديحه وفخره فقط يتطلب تأملا عميقا ودراسة متأنية كي يعطى هذا الشاعر حقه من الانصاف في هذه

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢١٣ .

(٢) سورة ابراهيم الآية (٢٢) .

الناحية ، ولثلا يصبح شعراء المسلمين ضحية للأهواء الخبيثة والدس الرخيص من قبل أعداء تراثنا وثقافتنا - الذين يريدون أن يقطعوا ما بين شعرائنا والاسلام من ارتباط وشيق كما فعل " بروكلمان " فقد رمى الفرزدق في خلقه ودينه فاتهمه بالضعف والاستخفاف بالقيم ليعمم بالتالى هذا الحكم على أكثر شعراء العصر الأموى ويوسع من دائرة العصاة والمستخفين بالدين من الشعراء المسلمين . (١) واذ قد عرفنا حكم هذا المستشرق على أغلب شعراء المسلمين فى العصر الأموى فان جريرا والفرزدق يدخلان تحت هذا الحكم وأما الأخطل فان نصرانيته تخرجه من محيط المسلمين وتدرجه قطعاً تحت رؤية " بروكلمان " وان كنا قد وجدنا كما مر سابقاً أثراً واضحاً للاسلام فى شعره .

واتجاهه السياسى ، وهذا أقوى دليل على دحض آراء " بروكلمان " وغيره من الحاقدين وضيقى الأفق والتي تقطع زورا بعدم تأثر شعراء العصر الأموى بالاسلام وبقاء شعرهم على النهج الجاهلى . واذ كان الانسان بطبعه خطأ فان الفرزدق رغم هذا كان متأثراً فى شعره بالمعانى الاسلامية يمدح بها ويفتخر وقد استمد من القرآن الكريم كثيراً من معانيه التي عبر بها فى أشعاره وقد

(١) أنظر تاريخ الأدب العربى (بروكلمان) ١/ ١٨٧ ، ٢١١ .
وانظر أثر الاسلام فى شعر الفرزدق - د . مصطفى عبد الواحد

ظهرت صور الايمان واضحة جليلة فى مديحه وفخره فضلا عن غيرهما من الأغراض ، فحينما نتأمل نتاجه الفنى نجده يخلو من كل الشوائب التى تتنافى مع العقيدة الاسلامية وليس فيه ما يناقض عناصر الايمان (١) التى آمن بها وتحدث عنها كثيرا فى أشعاره .
فها هو أثر العقيدة واضحا جلليا فى قوله يمتدح الحجاج : (٢)

رَأَيْتَكَ حِينَ تَعْتَرِكُ الْمَنَايَا	إِذَا الْمَرْعُوبُ لِلْفُغْرَاتِ هَابَا
وَأَذْلَقَهُ النَّفَاقُ وَكَادَ مِنْهُ	وَجِيبُ الْقَلْبِ يَنْتَزِعُ الْحِجَابَا
تَهْوِيْ عَلَيْكَ نَفْسُكَ وَهُوَ أَدْنَى	لِنَفْسِكَ عِنْدَ خَالِقِهَا ثَوَابَا
فَمَنْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ النَّصْرَ يَكْذِبُ	سِوَى اللَّهِ الَّذِى رَفَعَ السَّحَابَا
تَفَرَّدَ بِالْبَلَاءِ عَلَيْكَ رَبُّ	إِذَا نَادَاهُ مُحْتَشِعٌ لِحَابَا

ويبدو هذا الشاعر صحيح العقيدة صافى الوجدان فى وقت تعددت فيه المذاهب وكثر أعوان الشيطان فيقول مفتخرا . (٣)

لَنَا مَسْجِدُ اللَّهِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى	وَأَصْبَحَتِ الْأَسْمَاءُ مِنَّا كَبِيرَهَا
سِوَى اللَّهِ إِنْ اللَّهَ لَا شَىءٌ مِثْلُهُ	لَهُ الْأُمَمُ وَالْأُولَى يَقُومُ نُشُورُهَا

فأخذ معناه هذا من قول الله تبارك وتعالى : * لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ *
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * (٤)

(١) انظر أثر الاسلام فى شعر الفرزدق د . مصطفى عبد الواحد : ٣٣

(٢) ديوان الفرزدق : ٨٣/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٣٦٨/١ .

(٤) سورة الشورى آية (١١) .

أما إيمانه بالغيب وأنه لا يعلمه إلا الله فهذه حقيقة واضحة اعتقدها الفرزدق وآمن بها وقد ظهر هذا واضحا فى مديحه لهشام بن عبد الملك : (١)

كَأَنْتَ خِلَافَتُهَا لآلِ مُحَمَّدٍ	لَأَبَى الْوَلِيدِ تَرَاثُهَا وَهَشَامِ
أَخْلَصَ دُعَاكَ تَنْجُ مِمَّا تَتَّقَى	لِلَّهِ يَوْمَ لِقَائِهِ بِسَلَامِ
وَهُوَ الَّذِى ابْتَدَعَ السَّمَاءَ وَأَرْضَهَا	وَرَسُولُهُ وَخَلِيفَةُ الْآنَسَامِ
مَلِكٌ بِهِ قُصِمَ الْمُلُوكُ وَعِندَهُ	عِلْمُ الْغُيُوبِ وَوَقْتُ كُلِّ حِمَامِ

وواضح أن الشاعر مؤمن بالبعث ولقاء الله لا محالة ونلمس فى هذه الأبيات تأثره بالقرآن الكريم أيما تأثر .

ولئن بالغ الفرزدق فى معاركه الهجائية وأفحش وبalg أيضا فى التعبير بالمثالب والصاق المعاييب بالناس وبalg كذلك الرواة فى نقل هذه الأخبار فان الفرزدق قد حاول جاهدا الدفاع عن نفسه وتبرير موقفه من هذه المعارك والانزلاقات : (٢)

فَإِنِّي لَوْلَا بَغْيِكُمْ مَا هَجَوْتُكُمْ وَذُو اللَّبِّ مُحَقَّقٌ بَأَن يَتَعَذَّرَا

وقد أشار الى هذا عندما مدح سعيد بن العاص وقرن بين آيات الله فى الكون وتلك النعم التى أنعمها على عباده المسلمين فيقول : (٣)

-
- (١) ديوان الفرزدق : ٢٨٤/٢ .
 - (٢) ديوان الفرزدق : ٢٠٦/١ .
 - (٣) المصدر السابق : ٧٠/٢ .

وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ قَقَامَتْ وَسَخَّرَ لِابْنِ دَاوُودَ الشَّمَالَآ
وَمَنْ نَجَّى مِنَ الْغَمَرَاتِ نُوحًا وَأَرْسَى فِي مَوَاضِعِهَا الْجِبَالَآ

ثم يقول :

وَلِكُنِّي هَجَوْتُ وَقَدْ هَجْتُنِي مَعَاشِرٌ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالَا
فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قَلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَا

ويبدو تأثره بالقرآن الكريم في هذه الأبيات من قوله تعالى :
* أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَفَكَهَا فَسَوَّاهَا * (١)
* فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ * (٢) * وَالْجِبَالَ
أَرْسَاهَا * (٣)

وكثيرا ما يذكر أسماء الرسل عليهم السلام فيقول في مدح أيوب
ابن سليمان بن عبد الملك : (٤)

فَأَصْبَحْتُمَا فِينَا كَدَاوُودَ وَابْنِيهِ عَلَى سُنَّةٍ يُهْدَى بِهَا مَنْ يَسِيرُهَا

وقد يذكر الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أبا بكر
وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - ويفتخر بأنه يلتقى في النسب
معه - صلى الله عليه وسلم - : (٥)

(١) سورة النازعات من آية (٢٧ - ٢٨)

(٢) سورة ص الآية (٣٦) .

(٣) سورة النازعات الآية (٣٢) .

(٤) ديوان الفرزدق : ٢٤٧/١ .

(٥) ديوان الفرزدق : ٣٢٢/١ ، ١٥٩٠ ، ٣٨/٢٠ .

وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ أُرْسِلَ بِالْهُدَى
وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ
أَبَى مُضَرٍّ مِنْهُ الرَّسُولُ الَّذِي هَدَى
بِهِ اللَّهُ مَنْ صَلَّى بِغَرْبٍ وَشَرِقٍ

ورغم أن الفرزدق يناصر الأخطل النصراني ضد جرير إلا أنه لا يتردد في أن يشيد بمواقف الخلفاء ضد النصارى ليفصح بذلك عن تعصبه للإسلام فيقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (١)

فَرَّقْتَ بَيْنَ النَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ
وَهُمْ مَعًا فِي مَصَلَّاهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ
وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّاقُوسُ يَضْرِبُكُمْ
أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ الْقُرَاءِ لَمْ تَنْسِمِ

ويتراءى لنا الفرزدق زاهدا في هذه الدنيا ومرضها الزائل بمثل قوله :

لَا يُعْجِبُكَ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا
كَمْ نَالَهَا مِنْ أَنْاسٍ ثُمَّ قَدْ ذَهَبُوا (٢)

ويشير الى أن الكمال في هذه الحياة مفقود وأن منغصاتها كثيرة فهي لاتصلح لأحد :

أَمَّا تُصْلِحُ الدُّنْيَا النَّابِعُضَ لَيْلَةً
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا عَادَ شَيْءٌ فَأَفْسَدَا (٣)

ومن هنا يبدو واعظا مؤثرا ملما بتقلبات الحياة وما يفسدها .

(١) ديوان الفرزدق : ٢ / ٢١٠ .

(٢) انظر أثر الاسلام في شعر الفرزدق د . مصطفى عبد الواحد : ٤٢ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ١٣١ .

ان أثر الاسلام فى شاعرية الفرزدق بين واضح لا يحتاج الا الى استقراء تام لديوانه الضخم الذى وصل الينا مطبوعا فضلا عن مخطوطاته المنتشرة فى كثير من أرجاء العالم ليتبين لنا مدى تأثير هذا الشاعر الكبير بالقيم الاسلامية الصافية ، وليس لقائل أن يقول : أن الفرزدق لم يتأثر بالاسلام ولم يظهر هذا على أشعاره فان هذا التأثير يبدو واضحا فى ألفاظه ومعانيه وصوره ، واذا كان قد ظهر تأثيره بالقرآن فلا يستغرب عليه هذا فقد قيّد نفسه وجد فى حفظه ، وسواء حفظه كاملا أم لا فهو على الأقل قد ثقّف نفسه ثقافة قرآنية وكان يجلس فى حلقة الحسن البصرى يستمع اليه ويتأثر بما يقول (١) ، ويجلس فى شدة البرد القارس فى مسجد البصرة يبكى ويطلب الله الرحمة والغفران حتى يطلع الفجر ، وليس لأى باحث منصف أن يسقط هذا الأثر من شعر الفرزدق وأن يتهمة بعدم دخول الاسلام وتغلغله فى قلبه نتيجة لغلبة الهجاء عليه وانفعاله (٢)

(١) انظر العقد الفريد : ١٩٢/٦ .

(٢) من المؤسف أن يصدر مثل هذا الاتهام من باحثين مسلمين كان من الواجب عليهم الانصاف فى هذه المسألة ليكون حكمهم منصفا على شاعر مسلم ظهر تأثيره بالقرآن والسنة النبوية واضحا جليا وأن لا ينساقوا وراء تلك الآراء المغرضة التى حيكت حول الفرزدق وغيره من شعراء المسلمين انظر مثلا : الهجاء والهجائيين - د . محمد محمد حسين : ٢٠٥ ، ودراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى د . محمد عبد القادر أحمد : ٣٢٢ .

وقد آثرت الاختصار في هذا الفصل بالذات لأن هناك استاذاً
فاضلاً قام بدراسة شاملة لأثر الاسلام في شعر الفرزدق ، وهو
الدكتور " مصطفى عبد الواحد " فكان من المفروض على ألا أتعرض
لهذه الناحية لأنها درست دراسة وافية ولولا أن الخطأ التـمـنى
فرضت على تلزمنى بمثل هذه الدراسة لنحيت هذا الفصل جانباً
ولكننى أكتفى هنا بما ذكرت ولمن أراد المزيد فليرجع الى دراسة
الدكتور مصطفى عبد الواحد ليجد طلبته هناك ، فقد وفى الموضوع
حقه واستقصى كل جزئياته ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

الفصل الثالث

أثر الإسلام
في
مديح وفخر جريد

" الفصل الثالث "

+++++

* * أثر الاسلام في مدح وفخر جرير * *

لقد تعرض جرير كغيره من شعراء المسلمين للطعن والتجريح
فقد اتهم بالبعد عن القيم الدينية والأخلاق الاسلامية السامية.

وليس من عجب أن يصدر هذا الاتهام من باحثين غير مسلمين
درجوا على الطعن في شخصيات اسلامية كان لها صداها الواسع
في المحيط الفكري لهذه الأمة . وجرير واحد من الذين تعرضوا
لمثل هذه التهم كذبا واقتراء .

فقد وصفه بعضهم بقوله : (فان جريرا كان من الشعراء
الملعونين أو الرجميين وفقا للتعبير الغربي ، وكانت الهنسات
والمقايح والعاهات والعورات تضيء في ذهنه وتؤنسسه وتحلله من
عقده المشبوبة في وجدانه العميق) (١) .

ولا شك أن في هذا الحكم تعسفا وجورا فان نشأة جرير
تخالف ما ذهب اليه هذا الباحث النصراني ، فقد نشأ هذا الشاعر
في البادية يكتفي رفق العيش فشب عفيفا مبتعدا عن الخمير

(١) انظر مقدمة ايليا الحاوي في شرحه لديوان جرير طبعة

معرضا عن كل ما يقربه من المجون يؤدى شعائر دينه فى صفاء
وخشوع (١) فتأثر بالاسلام وبه صفت نفسه ورق طبعه وسهل أسلوبه
وعذب غزله وتفوقت مرأته .

ومع هذا فنحن لا ننكر أن تدينه لم يحل بينه وبين نهشه
أعراض الناس بهجائه المقذع وذكره لبعض العورات ، إلا أن هذا
لا يخرجهم من دائرة الاسلام (٢) ولا يخول لباحث مهما كان علمه
أن يحكم عليه باللعنة كما رأينا ، وإنما جرّ هذا الشاعر الى الهجاء
ما وقع له من الشعراء الذين كانوا ينهشونه من كل جانب (٣) لذا
وجد نفسه مضطرا للدخول فى هذه المعارك الهجائية دفاعا عن
نفسه وعشيرته . وقد أنبه الحجاج لشمته الناس فرد عليه قائلا :
(جعلنى الله فداء الأمير والله ما أظلمهم ولكنهم يظلموننى فأنتصر)
كما سئل عن قذفه المحصنات فقال : (انهم يبدؤنى ثم لا أعفو) (٥)
ومع هذا فنحن نقول :

ان تعرض الشعراء له وعدم تجاوزه عنهم لا يجيز له أن يتعدى
حدود الشرع ويطعن فى أعراض الناس الا أن هذا أيضا لا يخرجهم

(١) دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى د . محمد عبد القادر أحمد :

٣٢٩ - ٣٣٠ .

(٢) رسائل الجاحظ - للجاحظ : ٩٢/٢ وما بعدها .

(٣) الأغاني : ٨/٨ ، والعصر الاسلامى د . شوقي ضيف : ٢٧٨ .

(٤) الأغاني : ١٥/٨ .

(٥) المصدر السابق : ٤٤/٨ ، والشعر والشعراء : ٤٦٦/١ .

من دائرة الاسلام ، ولا يخول لأحد مهما كان أن يدعو عليه باللعنة وقد عرف عنه أنه اذا انقطع للعبادة نسى نفسه الجانحة ومن حوله وأصبح متفرغا ناسكا همه طلب الرحمة والمغفرة من الله جلت قدرته وقد ورد أن الفرزدق بصر به محرما فأراد أن يفسد عليه حججه فقال له :

فَإِنَّكَ لَا قِيَّ بِالْمَشَاعِرِ مِنْ مَنِيَّ فَخَارًا فَخَبَّرَنِي بِمَنْ أَنْتَ فَأَخْرُ

فلم يجبه جرير الا بقوله : لبيك اللهم لبيك . (١)

ولقد استعان في شعره بالقرآن الكريم والحديث الشريف مستمدا من ذلك عناصر دينية راسخة وظهر أثر ذلك في ألفاظه ومعانيه فذكر النبوة ، والملائكة ، والخلافة ، والصلاة ، والصوم ، والحج والأبرار ، وكثيرا من ألفاظ المعجم الاسلامي الذي انصهر جرير في بوتقته .

ويكفي أن هذا الشاعر من حين شب حتى مات وهو في وسط اسلامي كبير يقوم أفراد مجتمعه بقراءة القرآن وتجويده وتفسيره وتقييم الأمة حياتها على منهاجه القويم . وان لم نجد فيما وصل إلينا من أخبار جرير ما يدلنا على أنه قد حفظ القرآن ~~أو اطلع عليه~~ .
الا أنه كان عفيفا متدينا (٢) ومحافظا على التعاليم الدينية

(١) البيان والتبيين للجاحظ : ١٨١/٢ .

(٢) الأغاني ٥/٨ .

وليس كما وصفه بعض الباحثين المحدثين أيضا من أنه كان يتظاهر بالعفة والتدين ليس إلا . (١)

ويمكننا رد هذا الكلام من خلال شعره الذى وصل اليـنا والذى يدل دلالة قاطعة على ثقافة اسلامية ومعرفة بالقرآن الكريم وأحكامه وقد ظهرت ملامح هذه الثقافة فى تعابيريه وتضمنيه ، فقد يحمـد أحيانا الى استغراق معنى آية أو أكثر من كتاب الله ليضمنها بيتا واحدا . وقد تراءت لنا حينما تتبعنا قصائد جرير بعامة ، ومديحه وفخره بخاصة سمات اسلامية تدل على نفس اسلامية متشبعة بالدين فكرا وسلوكا . (٢)

وقد تأثر جرير بالقرآن الكريم تأثرا واضحا اذ نجده يعمد أحيانا الى أن يأتى بمعنى آية أو أكثر فى بيت واحد ويصوغ ذلك فى قالب فنى كقوله يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٣)

كُونُوا كَيُوسُفَ لَمَّا جَاءَ اخْوَتُهُ وَاسْتَغْفَرُوا قَالَ مَا فِى الْيَوْمِ تَثْرِيبُ

وهذا البيت واضح تأثر الشاعر فيه بقول الله تعالى : * قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنَّ يَتَقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا تَشْرِيبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * (٤)

-
- (١) مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد الخامس ١٩٦٢ م ص ١٩١ - ٢٠٤
 (٢) اقتصرنا هنا على مديح جرير وفخره فى تتبع أثر الاسلام عنده وليس معنى هذا أن بقية أغراضه تخلو من هذه الملامح الاسلامية بل ان الباحث يجد أثر الاسلام فى شعر جرير كافة وكذلك الفرزدق .
 (٣) ديوان جرير : ٣٤٩ / ١ . (٤) سورة يوسف الآيات (٨٩ - ٩٢)

وقوله يفتخر بحسن العمل : (١)

تَغْشَى الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ وَفَاتِنَا وَالتَّغْلِيْبِي جَنَازَةَ الشَّيْطَانِ
يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ وَكِتَابَنَا بِأَكْفَانِ الْإِيمَانِ

فقد تأثر في هذا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَنُقْلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا
مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ (٢)

ويكثر اقتباسه من القرآن الكريم كقوله من قصيدة يمدح فيها

معاوية بن هشام بن عبد الملك : (٣)

مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ يَهْتَدِ لَمْضِلٍّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادٍ

فهذا اقتباس لمعنى الآية : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤)

وقوله يمدح أحد الخلفاء : (٥)

يُجْزِيكَ رَبُّكَ حُسْنَ قَرْضِكَ إِنَّهُ حَسَنُ الْمَعُونَةِ وَاسِعُ الْمُتَقَرِّضِ

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٦)

أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ تَمَامًا .

(١) ديوان جرير : ١٠١٥/٢ .

(٢) سورة الانشقاق - الآيات (٦ : ١١) .

(٣) ديوان جرير : ٧٤٣/٢ .

(٤) سورة الأعراف - آية (١٧٨) .

(٥) ديوان جرير : ٦٢٠/٢ . (٦) ديوان جرير : ٢٢٤/١ : ٣٤٤ .

۞ مَنْ كَانَ يَمْرُضُ قَلْبُهُ مِنْ رِيْبِيْسَةٍ خَافُوا عِقَابَكَ وَأَنْتَهَى أَهْلُ النَّهْيِ

وقوله يفتخر باسلامه المتأصل فى قومه : (١)

قَوْمٌ لَهُمْ خَصَّ إِبْرَاهِيمَ دَعْوَتَهُ إِذْ يَرْفَعُ الْبَيْتَ سُبْرًا فَوْقَ تَأْسِيسِ

فكما نرى تأثره بالقرآن الكريم واقتباسه الكثير من معانيه ففى هذه الأبيات على التوالى نجده متأثرا بقوله تعالى :

* إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعِفْهُ لَكُمْ * (٢) * الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي * (٣) * ... وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَغٌ * (٤) * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ... * (٥)

هذا بالنسبة لتضمنه معنى آية أو أكثر فى بيت واحد من أبياته الشعرية . وقد يعتمد الى لون آخر فى اقتباسه عن القرآن الكريم حيث يعتمد الى آيات متعددة تتضمن بعض الأفكار التى يربطها معنى واحد فيصوغها فى مجموعة أبيات ، كقوله فى مدح هشام بن

(١) ديوان جرير : ١٢٩/١ .

(٢) سورة التغابن - الآية (١٧) .

(٣) سورة المائدة - الآية (٣) .

(٤) سورة الأنفال - الآية (٤٩) .

(٥) سورة البقرة - الآية (١٢٢) .

عبد الملك عندما أمر بشق نهر الفرات : (١)

شَقَقْتَ مِنَ الْفُرَاتِ مَبَارِكَاتٍ	جَوَارِي قَدْ بَلَغْنَ كَمَا تُرِيدُ
وَسَخَّرْتَ الْجِبَالَ وَكُنَّ خُرْسًا ^(٢)	يُقَطَّعُ فِي مَنَاكِهَا الْحَدِيدُ
بَلَغْتَ مِنَ الْهِنِيِّ ^(٣) فَقُلْتَ شُكْرًا	هَنَّاكَ وَسَهَّلَ الْجَبَلُ الصَّلُودُ
بِهَا الزَّيْتُونَ فِي غَلَلٍ وَمَالَتْ	عَنَاقِيدُ الْكُرُومِ فَهِنَّ سُوْدُ
فَتَمَّتْ فِي الْهِنِيِّ جَنَّانُ دُشَا	فَقَالَ الْحَاسِدُونَ هِيَ الْخُلُودُ
يَعْضُونَ الْأَنَامِلَ أَنْ رَأَوْهَا	بَسَاتِينًا يُؤَاوِزُهَا الْحَصِيدُ
وَمِنْ أَزْوَاجٍ فَاكِهَةٍ وَنَخْلٍ	يَكُونُ لِحُمْلِهِ طَلْعُ نَضِيدُ

وفى هذا المديح الذى يذكر فيه بعض اصلاحات الخليفة العمراني نجد جريرا قد تأثر بالآيات التالية على اختلاف مواقعها فى كتاب الله الكريم : * أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ صَبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * (٤) * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ . . . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاجَتَانِ . . . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ * (٥) ومثل هذا كثير فى ديوانه . (٦)

(١) ديوان جرير : ٢٩١/١ .

(٢) الخرس : الخرساء من الصخور الصماء ، يريد أنها جبال صم لا طرق فيها ولا مسالك .

(٣) الهنيء : نهر لهشام .

(٤) سورة عبس الآيات (٢٤ - ٣٠) .

(٥) سورة الرحمن الآيات : (٥١ ، ٦٥ ، ٦٧) .

(٦) انظر ديوان جرير ٧٤٣/٢ مثلا .

والذى نلاحظه على جرير أنه انما يكثر اقتباسه من القرآن الكريم فى شعر المديح وبخاصة عندما يمدح الخلفاء . والحقيقة أن هذا راجع الى شخصيات المدحون فهم خلفاء للمسلمين ولهم صفة دينية اذ هم قوامون على تطبيق أحكام القرآن الكريم بغض النظر عن الكيفية التى وصلوا من خلالها الى تولى أمر المسلمين . ولكن ينبغى أن لا يغيب عن الباحث أن جريرا يعد من الشعراء المتكسبين ، وقد وجد بغيته عند الخلفاء فلا بد أن يستعين بالقرآن الكريم للرد على حجج أعداء بنى أمية بالأدلة القاطعة ، ومهما يكن من أمر هذا الشاعر فانه قد تأثر بالقرآن كما رأينا فى الكثير من معانيه وصوره . ولذلك انبرى يدافع عن بنى أمية ويقرر أن توليهم الخلافة كان بأمر من الله سبحانه .

يقول فى مدح عبد الملك بن مروان : (١)

اللَّهُ طَوَّقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ

ويقول فى مدح عمر بن عبد العزيز : (٢)

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ

ولقد وجدنا جريرا عندما يناقض الأخطل يعيره بالكفر ويتخذ من نصرانيته مغمزا ولاشك أنه يقابل هذا اعتزاز الشاعر بدينه الاسلام

(١) ديوان جرير : ٩٤/١ .

(٢) ديوان جرير : ٧٣٧/٢ .

وفتخر بأنه من قوم لهم مشاعر ومقدسات اسلامية تعد رمزا لوحدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وأنّى للنصارى مثلها .
فيقول : (١)

هَلْ تَمْلِكُونَ مِنَ الْمَشَاعِرِ مَشْعَرًا أَوْ تَنْزِلُونَ مِنَ الْأَرَاكِ^(٢) ظِلَالًا .

فهو ينكر عليهم أن يكون لهم مثل هذه الأماكن المقدسة وينفى ذلك عنهم ويفتخر كذلك بأن قومه فرضوا الجزية على النصارى .
فيقول : (٣)

الضَّارِبُونَ عَلَى النَّصَارَى جِزْيَةً وَهَدَى لِمَنْ تَبَعَ الْكِتَابَ وَنُورًا .

ويقوده هذا الى أن يفخر بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قومه فيقول : (٤)

وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَلَمْ يَزَلْهُ لَنَا بَطْنٌ بَطْحَاوَى مِنِّي وَقِبَابُهَا

ولاشك أن الناحية الدينية تظهر ظهورا بينا في مديح جرير أكثر منها في أى غرض من أغراضه الأخرى التى لم تعدم كذلك من هذه السمات الدينية إلا أن ظهورها فى المديح كان أكثر وهذا

(١) نقائض جرير والأخطل : ٩٢ .

(٢) ويقصد أراك عرفة أى أن تغلب لا تحج ولا تحل بأراك عرفة لأنهم نصارى .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٤ .

(٤) ديوان جرير : ٦٧٦/٢ .

يجارى طبيعة جرير المتدينة . (١)

ولقد وجدناه يستمد أكثر صوره وتعاييره من القرآن الكريم
ولذلك وجدناه فى مدحه للحجاج يشبه المارقين بقوم هود ونوح ،
بينما يشبه دعوة الممدوح بدعوة الأنبياء فيقول مادحا الحجاج : (٢)

دُعَا أَهْلَ الْعِرَاقِ دُعَاءَ هُودٍ وَقَدْ ضَلُّوا ضَلَالَةَ قَوْمِ هُودٍ
دُعَا الْحَجَّاجِ مِثْلَ دُعَاءِ نُوحٍ فَأَسْمِعْ ذَا الْمَعَارِجِ فَاسْتَجَابَا

وكثيرا ما يردد فى مدائحه بأن الممدوح مثبت بنصر الله وأنه يستظل
بكتاب الله فيسير على هدايه متمسكا بحبل الله الذى لا ينفصم
وأن هذا الممدوح أو ذاك مؤيد بملائكة من عند الرحمن (٣) .
كقوله يمدح :

وَلَوْ لَمْ يَرْضَ رَبُّكَ لَمْ يَنْزِلْ مَعَ النَّصْرِ الْمَلَائِكَةُ الْغَضَابَا

وقوله يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك : (٤)

فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مَا لَهُمْ سِوَى التَّوَكُّلِ وَالتَّسْبِيحِ مِنْ زَادٍ
أَنْصَارُ حَقٍّ عَلَى بُلْقِي مُسَوِّمَةٍ أَمْدَادُ رَبِّكَ كَانُوا خَيْرَ أَمْدَادٍ
لَمَّا أَضْلَهُمُ الشَّيْطَانُ قَالَ لَهُمْ أَخْلَفْتُكُمْ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ مِعَادِي

(١) جرير حياته وشعره د . نعمان طه ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣٩ .

(٣) المرجع السابق : ٢٣٩ .

(٤) ديوان جرير : ٧٤٣/٢ .

وواضح أن جريرا قد استمد صوره وتعابيره في هذا من قوله تعالى : * فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا * (١) * اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا * (٢)

ويقول في امتداح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (٣)
 اللَّهُ أَعْطَاكَ تَوْفِيقًا وَعَاقِبَةً فَزَادَ ذُو الْعَرْشِ فِي سُلْطَانِكُمْ مَدَدًا
 مَثَبَتْ بِكِتَابِ اللَّهِ مُجْتَهِدٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَلَقَّى أَمْرُهُ رَشَدًا
 وقوله في مدح هشام بن عبد الملك : (٤)

وَحَبِلَ اللَّهُ بِعَصِمِكُمْ قُوَاهُ فَلَا تَخْشَى لِعُرْوَتِهِ انْفِصَامًا
 فقد نظر في هذا المعنى الى قوله تعالى : * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * (٥)

وقد وجدت عنده ألفاظا لم تعرف الا في الاسلام كالخليفة ، القرآن ذو العرش ، أمير المؤمنين ، الامام ، ولي العهد ، الخلافة ، السلطان البيعة ، ناكث البيعة ، المنافق ، المبتدع في الدين ، البسود أهل الضلالة ، المرجف ، الأمة ، الرعية ، المؤمنون ، المنبر ، جنود

(١) سورة التوبة الآية (٤٠) .

(٢) سورة الأحزاب الآية (٩) .

(٣) ديوان جرير : ٣٩٥/١ ، وفي رواية أخرى : (. وعافية) .

(٤) ديوان جرير : ٢٢٥/١٠ .

(٥) سورة آل عمران : آية (١٠٣)

الله ، الشهيد ، شغور المسلمين ، إقامة الحد ، اتباع الكتاب ، المساجد وغير هذا من ألفاظ المعجم الاسلامي .

كقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (١)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمَعْتَ دِينَنَا وَحِلْمًا فَاضِلًا لِذِي الْحِلْمِ

وقوله يمدح الخليفة عبد الملك : (٢)

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقُرْآنُ نَقَرُوهُ مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جَمْعُ
أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ لَا سِرْفُ فِيمَا وَلِيْتَ وَلَا هَيَابَةُ وَرْعُ

وقوله يمدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

ذُو الْعَرْشِ قَدْ رَأَى أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً مُلْكُكَ فَاعِلٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَأَسْلَمُ

وقوله يمدح الحجاج : (٤)

تَرَى نَصْرَ الْأَمَامِ عَلَيْكَ حَقًّا إِذَا لَبَسُوا بِدِينِهِمُ ارْتِيَابًا

وقوله يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٥)

إِنَّ الْأَمَامَ الَّذِي تَرْجَى نَوَافِلُهُ بَعْدَ الْأَمَامِ وَلِيِّ الْعَهْدِ أَيُّوبُ

وقوله يمدح الحجاج كذلك : (٦)

مَنْعَ الرِّشَا وَأَرَاكُم سُبُلَ الْهُدَى وَاللَّصَّ نَكَلَهُ عَنْ الْأُدْلَاجِ

(١) ديوان جرير : ٢١٧/١ . (٣) ديوان جرير : ٧٠/١

(٢) ديوان جرير : ٢٩٥/١ . (٤) ديوان جرير : ٢٤٤/١

(٥) ديوان جرير : ١٤٨/١

(٦) ديوان جرير : ١٣٨/١ ، ٧٢٧/٢٠ - ٧٢٨

يَارَبَّ نَاكَتَ بَيْعَتَيْنِ تَرَكَّهٗ وَخَضَابَ لِحْيَتِهِ دُمُ الْأَوْدَاجِ
كَأَنَّ الْمَرْجِفِينَ وَهُمْ نَشَاوَى نَصَارَى يَلْعَبُونَ غَدَاةَ عِيدِ
تَرَى نَفْسَ الصَّافِقِ فِي حَشَاهُ تُعَارِضُ كُلَّ جَائِفَةٍ عَنْوُدِ

وقوله في مدح المهاجر بن عبد الله : (١)

وَلَقَدْ حَكَمْتَ فَكَانَ حُكْمُكَ مُقْنَعًا وَخُلِقْتَ زَيْنَ مَنَابِرٍ وَمَسَاجِدِ

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك : (٢)

يَعُمُّ الْبَرِيَّةَ مِنْكَ فَضْلٌ وَتُطْرِقُ مِنْ مَخَافَتِكَ الْأُسُودُ
وَإِنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ خَالَفُوكُمْ أَصَابَهُمْ كَمَا لَقِيتُ ثُمُودُ

ويقول في مدح بني مروان من قصيدة يمدح فيها معاوية بن هشام
ابن عبد الملك : (٣)

إِنَّا حَمْدُنَا الَّذِي يَشْفِي خَلِيقَتَهُ مِنْ كُلِّ مُتَدَعٍ فِي الدِّينِ صَدَّادِ

وقوله يمدح خالد بن عبد الله القسري : (٤)

حَمِيَّتُ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَضَعْ وَمَا زِلْتَ رَأْسًا قَائِدًا وَابْنِ قَائِدِ

ونجده في فخره يذكر أسماء بعض الأنبياء كما يذكر القبلية
فيقول : (٥)

-
- (١) ديوان جرير : ٦٣٨ / ٢ .
 - (٢) ديوان جرير : ٢٩٠ / ١ .
 - (٣) ديوان جرير : ٧٤٤ / ٢ .
 - (٤) ديوان جرير : ٦٠٦ / ٢ .
 - (٥) ديوان جرير : ٤٧٣ / ١ - ٤٧٤ .

أَبُونَا أَبُو إِسْحَاقَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَمَنَا سُلَيْمَانَ النَّبِيَّ الَّذِي دَعَا
وَمُوسَى وَعِيسَى الَّذِي خَرَّ سَاجِدًا
وَيَعْقُوبَ مَنَّا زَادَهُ اللَّهُ رَفْعَةً
فَيَجْمَعُنَا وَالْفِرَّاءَ أَوْلَادَ سَارَةَ
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَبُّنَا
بَنَى قَبِيلَةَ اللَّهِ الَّتِي نَهْتَدِي بِهَا
أَبْ كَانَ مَهْدِيًا نَبِيًّا مُطَهَّرًا
فَأَعْطَى بَنِيَانَا وَمُلْكًا مَسْخَرًا
فَأَنْبَتَ زَرْعًا دَمْعَ عَيْنَيْهِ أَخْضَرًا
وَكَانَ ابْنُ يَعْقُوبَ أَمِينًا مُصَوِّرًا
أَبْ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَعَذَّرَا
رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْأَلَهُ وَقَدَّرَا
فَأَوْثَنَّا عِزًّا وَمُلْكًا مُعَمَّرَا

ونلاحظ أن هذه الألفاظ التي وردت في الآيات السابقة تتصل اتصالاً وثيقاً بالدولة والسياسة ، وهذا ما يؤكد انتماء جريــــــــــــر السياسي الى بنى أمية بعد أن استطاع الولوج الى أبوابهم ، وبخاصة في مديح الخلفاء ، أما المفردات والعبارات التي تتصل بالحياة الدينية الصرفة فانها أكثر من أن نأتى عليها هنا ولكننا سنذكر على سبيل الاجمال بعض هذه المفردات التي وردت على لسان جرير كثيراً والتي تؤكد بدون شك تأثره بالاسلام .

ومن هذه المفردات :

(الله ، ذو العرش ، الرحمن ، القهار ، الغفار ، النبوة ، النبي ، رسول الله ، القرآن ، الكتاب المنزل ، المفصل ، السور ، دين المسلمين ، الاسلام ، دين الهدى ، دين الحق ، سبل الهدى مسجد الله الحرام ، البيت العتيق ، قبلة الله ، الأذان ، صلاة الوتر ، خرّ ساجداً ، التسبيح ، التوكل ، التقى ، الهدى ، الحلال الحرام ، حدود الله ، الفرائض ، الجهاد ، الشهداء ، الأبرار

الملائكة ، الحواريين ، أتباع إبليس ، الصراط ، جنة الفردوس ، الى آخر هذه الألفاظ المستمدة من الحياة الاسلامية والتي وجدت في شعره كله ليس في المديح والفخر وحدهما ، فلقد أحدث القرآن هزة في الفكر والأدب فكان صدى هذا واضحا في أساليب الشعراء والأدباء وكان جرير يعيش منذ طفولته وسط هذا الجمع الكبير من المسلمين فتأثر بالاسلام تأثرا عميقا لا يدع مجالا للتهم والفساد وان جنح في شعره أحيانا الى اعطاء بنى أمية أكبر من حقهم وصب عليهم النعوت الاسلامية التي قد لاتصدق على بعضهم فانما كان ذلك نتيجة متوقعة منه لأن عواصف السياسة قد مالت بهذا الشاعر الى الارتواء في أحضان الأمويين ، ولهذا جاءت ألفاظه متلائمة مع الاتجاه الذي سلكه الأخطل والفرزدق من قبل . على أن جريرا كان يحسن به ألا ^{يعدم القائل التقوى} يصف لكل خليفة ~~ومدح~~ مدوح ~~بالمديح~~ ليكون صادقا في قوله ، بل كان يجب عليه أن يلتزم الصدق مع نفسه ومع مدوحيه من هذه الناحية لأن الدين ليس سلوكا اختياريا للمسلم بل هو التزام وعقيدة فلا بد للمادح أن يصف المتدين بالدين حقا ، وأن يضرب المثل بالمتدينين لمن لم يكونوا ملتزمين في دينهم وسلوكهم ، وهذا ما فعله الفرزدق حينما مدح بنى أمية وهي بادرة تسجل للفرزدق اذ ذكر الشيطان في مواضع عدة من شعره للموعظة والتنبه . (١)

(١) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٤١ .

ومهما يكن فان جريرا قد عاش حياته فى صراع مستمر مع نفسه وطموحاته ثم اصطدم بالشعراء الذين نهشوه من كل جانب واشتبك مع خصمين عنيديين الأخطل والفرزدق زهاء نصف قرن من الزمن فى مهاجمة حامية خلفت للأدب تراثا ضخما يتمثل فى شعر النقائض ، ومع هذا كله فان هذه المعارك لم تشغل الشعراء عن الجانب الروحى ، فقد تأثر الفرزدق وجرير بالاسلام تأثرا كبيرا ظهر أثر ذلك فى الكثير من نتاجهما الفنى (١) ، كما رأينا مدى تأصل هذه العقيدة فى وجدان كل منهما فنلح صورا كثيرة لم تعرف الا فى الاسلام تأتى فى قول كل منهما . .

وما أحسب جريرا بعد هذا الاستعراض اليسير لأثر الاسلام فى مديحه وفخره فقط الا شاعرا اسلاميا تغمق الاسلام نفسه وتشبع به وجدانه . فظهر أثر هذا واضحا فى قوله ، وزاد من رقتة ، فأصبح يتكلم بلسان المسلم الذى لم يرض بغير الاسلام ديننا . يعتز بهذا الانتماء ويشيد به فى شعره أنى وجد لذلك مناسبة .

(١) انظر الاسلام والجاهلية فى شعر بنى أمية د . شوقى عبد

الحليم حمادة : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ - ١٤٩ ، ١٥١ .

الباب الرابع

دراسة فنية للغرضين عند الشعراء الثلاثة
وفيه ثلاثة فصول :
الفصل الأول :

دراسة الفن التعبيري عند الأخطل
الفصل الثاني :

دراسة الفن التعبيري عند الفرزدق
الفصل الثالث :

دراسة الفن التعبيري عند جرير

الفصل الأول

دراسة الفن التعبيري
عند
الأخطل

” الفصل الأول ”

+++++

* * دراسة الفن التعبيري عند الأخطل * *

اتخذ الأخطل نهجا من الفن والبيان عرف في الشعر الجاهلي وبخاصة عند عبید الشعر وأصحاب الحوليات ، وقد أصبح تأثره بهذا النهج الجاهلي سمة مميزة لأسلوبه مما حدا بأبي عمرو بن العلاء الى هذه المقولة المشهورة : (لو أدرك الأخطل يوما واحدا من أيام الجاهلية ما قدمت عليه أحدا . (١))

وكان من أهم هذه السمات المميزة لفنه اطالته المفرطة في مقدمات قصائده عامة ومداخله خاصة . فقد نجد أن المقدمة الطللية وحدها تستغرق أحيانا أكثر من نصف القصيدة وربما ثلثيها وهذه السمة وإن وجدت عند صاحبيه إلا أن حظهما دونه من حيث الاطالة عموما ، والتفنن في وصف الصبأ التي أكثر من ذكرها والتغنى بها . فمثلا بلغت نونيته (٢)

أَلَا يَا أَسْلَمًا عَلَى التَّقَادِمِ وَالْبَلَى بِدُومَةٍ خَبَّتْ أَيْهَا الطَّلَلَانِ

أربعين بيتا خص منها المقدمة الفنية بستة وعشرين بيتا ، وداليتيه

بَانَتْ سَعَادُ فِي الْعَيْنَيْنِ تَسْهِيْدُ وَاسْتَحَقَّتْ لَبَهُ فَالْقَلْبُ مَعْمُودُ (٣)

(١) الأغاني : ٢٨٥/٨ .

(٢) شعر الأخطل : ٢٩٢/١ .

(٣) شعر الأخطل : ٩٣/١ .

بلغت خمسين بيتا منها ثلاثة وأربعون بيتا للمقدمة الطللية ، أما رائيته :

تَغْيِيرَ الرَّسْمِ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارٍ وَأَقْفَرْتُ مِنْ سُلَيْمَى دِنْنَةَ الدَّارِ (١)

فقد بلغت تسعة وأربعين بيتا ظفرت المقدمة منها بواحد وثلاثين بيتا ، وقافيته : (٢)

يَا مَيَّ هَلَّا يُجَازَى بَعْضُ وَدِّكُمْ أَمْ لَا يُفَادَى أَسِيرٌ عِنْدَكُمْ غَلِيْقٌ (٣)

بلغت واحد وأربعين بيتا منها خمسة وثلاثون بيتا للمقدمة ، وعينيته

قَدْ كَشَفَ الْحِلْمُ عَنِّي الْجَهْلَ فَأَنْقَشَعَتْ

عَنِّي الضَّابِئَةُ لَا نَكْسٌ وَلَا وَرَعٌ (٤)

بلغت أبياتها تسعة وثلاثين واستغرقت مقدمتها أربعة وعشرين بيتا بينما بلغت لاميته : (٥)

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَتَبَتَلُ فَمَجْتَمَعُ الْحَرِينِ فَالْصَّبْرُ أَجْمَلُ

ثمانية وستين بيتا ظفرت المقدمة منها بخمسين بيتا ، أما بائتيته

أَلَمْ تُعْرِضْ فِتْسَالِ آلِ لَهْوٍ وَأَرْوَى وَالْمُدَّةُ وَالرَّيَابَا (٦)

فقد بلغت سبعة وثلاثين بيتا خص المقدمة منها بثلاثين ، وبينما

(١) شعر الأخطل : ١٦١/١ . (٢) شعر الأخطل : ٦٠٢/٢

(٣) غلق : من قولهم : غلق الرهن اذا تم استحقاقه ولم يستطع صاحبه تخليصه من يد المرتهن في الموعد المشروط . ويقصد الشاعر مسأله محبوسه عما اذا كانت ستشبهه عما يكنه لها من مودة فلاتدعه أسيرا فسي حبها فكأنه صار رهنا بين يديها . المعجم الوسيط مادة (غلق) .

(٤) شعر الأخطل : ٣٥٦/١ . (٥) المصدر السابق : ١٤/١ .

(٦) المصدر السابق : ٣٢٥/١ .

بلغت بائيته :

عَفَا وَاسِطٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَذَانِبُهُ فَرَوْضَ الْقَطَا صَحْرَاؤُهُ وَنَصَائِبُهُ (١)

ثلاثة وثلاثين بيتا استغرقت المقدمة منها تسعة عشر بيتا ، وبائيته (٢)

حَيَّ الْمَنَازِلَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالرُّحْبِ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ وُشُومٍ (٣) النَّارِ وَالْحَطْبِ

بلغت واحدا وخمسين بيتا تضمنت المقدمة منها ستة وثلاثين بيتا
وبائيته : (٤)

خَلِيلِي قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنِّي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ (٥)

تقع في ستة وعشرين بيتا استغرقت المقدمة نصفها .

وعلى الرغم من أنه قد يضطر في بعض الأحيان الى اطالة
المدح مجارة لما يقتضيه المقام ، وما يقتضى هذه الاطالة من جهد
فان هذا لم يكن ليحول بينه وبين العناية بهذه المقدمات والابداع
فيها ، ففى ادليته :

حَلَّتْ صَبِيرَةُ أَمْوَاهُ الْعِدَادِ وَقَدْ كَانَتْ تَحُلُّ وَأَدْنَى دَارَهَا تُكْدُ (٦)

يقدم لها بعشرين بيتا بينما يقدم باثني عشر بيتا لداليته .

(١) شعر الأخطل : ٢٨٤/١ . (٢) شعر الأخطل : ٢٣٩/١ .

(٣) وُشُوم : الوشم : نقش بالابرة كانت نساء الجاهلية يستعملنه للزينة حيث
يحشى بنوع من الكحل أو ما اليه فيترك أثرا ، والمراد هنا أنه لم يبق من
هذا الطلل الا أثر النار والحطب . من فحم ورماد . المعجم الوسيط (وشم)

(٤) شعر الأخطل : ٢٦٠/١ . (٥) وهم جماعة عمير بن الحباب .

(٦) شعر الأخطل : ٤٣٣/٢ .

صَحَا الْقَلْبُ لِأَمْنٍ طَعَائِنُ فَاتَنِي بِهِنَّ أَمِيرٌ مُسْتَبِدٌّ فَأَصْعَدَا (١)
أما رائيته :

صَدَعَ الْخَلِيطُ فَشَاقَنِي أَجْوَارِي وَنَاوَكَ بَعْدَ تَقَارُبٍ وَمَسَزَارِ (٢)
فيفرد للمقدمة فيها أحد عشر بيتا بينما يخص المقدمة أيضا فى
رائيته الأخرى :

عَفَا مَنَّنْ عَهْدَتُ بِهِ حَفِيزُ فَأَجْبَالُ السَّيَالَى فَالْعَوِيزُ (٣)
بعشرين بيتا .
أما رائيته الثالثة :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا أُمَّ بَشِيرٍ عَلَى الْهَجْرِ وَعَنْ عَهْدِكَ الْمَاضَى لَهُ قَدَمُ الدَّهْرِ (٤)
فيقدم لها بثلاثة وعشرين بيتا .

وهكذا بقية قصائده لاثكاد نجد شيئا منها دون احتفال
باطالة هذه المقدمات الطللية .
وإذا كان ثمة من تعليل لهذه الظاهرة الأسلوبية فأنه

-
- (١) شعر الأخطل : ٣٠٢ / ١ .
(٢) شعر الأخطل : ٤١٠ / ٢ .
(٣) شعر الأخطل : ٢٦٧ / ١ .
(٤) شعر الأخطل : ٤٤٩ / ٢ .

بالإضافة الى تعلق الشاعر بنهج الجاهليين نجد أن سلطان الخمر سيطر على مزاجه اذ صارت معشوقة له ، تشكل عنده موضوع الهوى والغزل فيجيد في وصفها ، ويتفنن في عرض محاسنها لديه وقد جعلته ديانته النصرانية في حل من أمره يتحدث عن الخمر ويتغزل فيها كما يشاء وامتد به حبه لها الى أن ينكر على الناس شرب الماء واللبن والعسل ، وأن يمتنع عن الاسلام عندما عرض له عليه عبد الملك بن مروان إلا أن يبيح له الافطار في رمضان وشرب الخمر . (١)

فلا غرابة اذا في أن يطيل مقدماته الغزلية وأن يختص ابنة الحان بنصيب كبير منها .

ولقد ظهر تأثير الأخطل بالجاهليين في أساليبهم واضحاً وبخاصة من عرف منهم بالمديح وهم النابغة ، والأعشى ، وزهير . وبعض الشعراء الفحول كأمريء القيس ، وحسان بن ثابت ، وعدي بن زيد ، وكعب بن زهير وغيرهم . (٢)

وقد أدرك النقاد القدامى حقيقة هذا التأثير ، وعليه فقد يكون الأخطل في أحيان كثيرة من الشعراء غير المطبوعين (٣)

(١) انظر الاغانى : ٢٩٠ / ٨ ، ومقدمة القصيدة العربية في العصر الأموى د . حسين عطوان (طبعة دار المعارف) : ٢٨ -

(٢) انظر الشعر والشعراء : ٤٨٣ / ١ ، والأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازي : ٢٢٠ - ٢٣٠ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : ٥١٧ .

الذين يكدون في نظم أشعارهم . بل كان حوليا يستغرق منه
النظم وقتا طويلا يعود عليه بالتهذيب والتنقيح . وقد اعترف هو
بهذه الظاهرة عندما قال لعبد الملك :

(يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة
أيام ، وقد أقيمت في مدحتك " خف القطين " سنة فما بلغست
ما أردت . (١)) .

وقال أبو عبيدة :

(الأخطل أشبه بالجاهلية ، وأشدهم أسر شعر وأقلهم سقطا (٢))

وقد روى الأصمعي أن الأخطل يقول تسعين بيتا ثم يختار منها
ثلاثين بيتا فيطيرها بين الناس . (٣)

ولقد استفاد الأخطل من روائع الشعر الجاهلي في أشعاره
وتأثر بها في أسلوبه وموضوعاته . (٤) ففي قصيدته الرائية :

تغير الرسم من سلمى بأحفار وأقفرت من سلمى دمنة الدار

التي يمدح بها يزيد بن معاوية نجده متأثرا بالنابعة في قصيدته
الرائية التي يقول فيها : (٥)

عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار

(١) الأغاني : ٢٨٧/٨ - ٢٨٨ ، والموشح : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الأغاني : ٢٨/٨ . (٣) الأغاني : ٢٨٤/٨ .

(٣) الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازي : ٢١٧ .

(٤) ديوان النابعة (المكتبة الثقافية بيروت) : ٤٨ .

ولو تتبعنا القصيدتين لوجدنا تشابها عجيبا في الصور الفنية وبخاصة في المقدمة حينما يذكر النابغة ما يتعلق بمشهد حيوانات الفلاة وما كان من الثور والكلاب وقد اختط الأخطل نفس النهج (١) .

وقد تأثر الأخطل كذلك بالأعشى واستمد من شعره لفتات فنية وحوّار في بعض صوره فزاد فيها وأجاد .

وإذا كان النابغة في بعض مدائحه يذكر فضائل الممدوح وما يحدث بعد موته من بلاء على الناس ، فإن الأخطل قد ترسم هذا الأسلوب (٢) .

كما أفاد من امرئ القيس وحسان بن ثابت ، وعدى بن زيد فيما يتعلق بوصف الخمر والوقوف على الأطلال والتشبيب بالنساء ووصف الظعن وارتحال الركب ، ووصف السحاب ، والمطر ، والبرق ، والناقة والاستطراد منها الى وصف الحمار والثور كما تأثر بهم في بناء القصيدة ، واصطناع الحركة في تصويره . (٣) بيد أن الأخطل قد تأثر بأسلوب زهير أكثر من غيره ، ولا شك أن زهيراً سليل مدرسة متصلة الجذور بثلاثة من شعراء الجاهلية المعروفين (٤) ، وقد

(١) ديوان النابغة : ٥٢-٥٤ ، وشعر الأخطل : ١٦٣/١ - ١٦٧ .

(٢) انظر الأخطل شاعر بني أمية - للدكتور سيد غازي : ٢١٧-٢٢٥ .

(٣) انظر الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازي : ٢٢٦-٢٣١ .

(٤) انظر في قضايا الأدب واللغة د . عبده بدوي - (الكويت ، مؤسسة

الصباح ط (١) ١٤٠١ هـ - (١٩٨١ م) : ٣٨٢ .

ظهر هذا التأثير واضحا في قول الأخطل : (١)

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ أَرْوَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعَادَ لَهُ مِنْ حُبِّ أَرْوَى أَحَابِلُهُ

فقد أخذه من قول زهير : (٢)

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَغَرَّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

وقد امتدت هذه المحاكاة لزهير الى ابنه كعب ، فالأخطل في

قصيدته اللامية : (٣)

بَانتْ سَعَادٌ فِي الْعَيْنَيْنِ مَلْمُولٌ

مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجِسْمِ مَخْبُولٌ

انما يحاكي فيها كعبا في لاميته المشهورة : (٤)

بَانتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ مُتِمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَغْدَ مَكْبُولٌ

وتقليد الأخطل للجاعلين وبعض الاسلاميين كما نرى لم يقف عند

وزن القصيدة فحسب بل تجاوز ذلك الى المعاني والألفاظ كما

رأينا هنا ، وقد يورد بعض الصور الفنية التي وردت من قبل وطرقها

الشعراء فهاهو يتأثر النابغة في صورة من صوره عندما قال في

مدح النعمان بن المنذر الغساني . (٥)

(١) شعر الأخطل : ٣٣٨/١ .

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى - بتحقيق فخر الدين قباوة (بيروت - دار

الآفاق الجديدة ط (٣) ١٩٨٠ م) : ٤٥ .

(٣) شعر الأخطل : ٥٤/١ .

(٤) انظر شرح قصيدة كعب بن زهير - لابن هشام الأنصاري (تحقيق د .

محمود أبونا جى - طبع الوكالة العامة للتوزيع - دمشق) : ٢٣ .

(٥) ديوان النابغة : ٣٦ .

فَمَا الْفَرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ
يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مَتَرَعٍ لِحَبِيبٍ
يَظِلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا
يَوْمًا بِأَجُودٍ مِنْهُ سَيْبٌ نَافِلَةٍ
تَرْمِي أَوَاذِيَهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبَدِ
فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ
بِالْخَيْرِ زَانَةٍ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ
وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

ولقد ذهب الأخطل غير مرة الى هذا المعنى فقال في داليتيه
(فأصعدا) والتي يمتدح فيها يزيد بن معاوية : (١)

وَمَا مُزِيدٌ يَغْلُو جَزَائِرَ حَامِيزٍ
تَحْرَزُ مِنْهُ أَهْلُ عَانَةٍ بَعْدَ مَا
يُقَقِّصُ بِالْمَلَّاحِ حَتَّى يَشْفَهُ الْه
بُطْطِرٍ لِأَذِيٍّ جَوْنٍ كَانَتْهَا
كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حُجْرَاتِهِ
بِأَجُودٍ سَيِّئًا مِنْ يَزِيدٍ إِذَا عَدَّتْ
يَشُقُّ إِلَيْهَا خَيْرَانَا وَفَرَقَدَا
كَأَنَّ سُورَهَا الْأَعْلَى غَنَاءٌ مُنْضَدَا
حِذَارُ وَإِنْ كَانَ الشَّيْخُ الْمُعَوَّدَا
زَفَى بِالْقَرَاظِيرِ النَّعَامِ الْمُطَرَّدَا
أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ لَصْرَخَدَا
بِهِ بُخْتُهُ يَحْمِلُنْ مُلْكًا وَسَوْدَدَا

وقد تكررت هذه الصورة عند الأخطل أكثر من مرة فهو يقول في
رائيته المشهورة " خف القطين " عندما مدح عبد الملك : (٢)

وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ
وَدَعْدَعَتْهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ
فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشُرُ
فَوْقَ الْجَاجِيَّةِ مِنْ آذِيَةِ غُدَرِ

(١) شعر الأخطل : ٣٠٢/١ - ٣١١ .

(٢) شعر الأخطل : ١٩٧/١ - ١٩٨ .

مُسْحَنَفَرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتَرْهُ^(١) مِنْهَا أَكَاثِفُ فِيهَا دُونُهُ زُرُّ
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ

وهذا الأسلوب جاء عند الأخطل كثيرا فقد جاء في داليته (شكذ)
التي مدح بها عبد الله ويزيد ابني معاوية ، كما جاء في رأيته
(قدم الدهر (٢)) التي يمدح فيها عكرمة الفياض (٣) وغير ذلك
من القصائد التي لم نذكرها هنا . ولكن هذا لا يعنى أن يعد
الأخطل مقلدا في كل نتاجه فهو واحد من الشعراء العرب الذين
تأثروا بمن قبلهم في فنهم ، وأساليبهم ، وليس التقليد للآخرين واردا
عند الأخطل فحسب فقد قلد الحطيثة زهيراً (٤) قبل الأخطل .
ولاشك أن الحياة الإسلامية التي عاش فيها رغم نصرانيتها
تفرض عليه نوعا من الابداع الفنى حتى يتفوق على غيره من الشعراء
فعبد الملك الخليفة غير النعمان بن العنذر ، وأبن يقع ملك
الفساسنة والناذرة من الخلافة الإسلامية (٥) ؟ كل هذه الأمور
لابد من أخذها بعين الاعتبار في شاعرية الأخطل ، وإن كان التقليد
قد ملك عليه نفسه في بعض الأحيان وظهر أكثر وضوحا في أيام

(١) المسحنفر: الشديد . انظر الطرائف الأدبية / عبد القاهر الجرجاني

تصحیح وتخریج الأستاذ / عبد العزيز الميمنى : ١٠٤ .

(٢) شعر الأخطل : ٤٤٩ ، ٤٣٣ / ٢ .

(٣) عكرمة الفياض بن ربيع بن عمير بن صبيح ابن لای بن مؤالة بن عامر بن

مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة . من ربيعة / المحبر : ١٥٤ .

(٤) انظر ديوان الحطيثة : ٥٨ - ٦٠ .

(٥) من تاريخ الأدب العربي د . طه حسين : ٦١٢ / ١ - ٦١٨ .

شبابه الا أنه ما ان تقدمت به السن حتى أصبح شاعرا مميّـز
الشخصية الفنية .

وقد غدا اهتمامه بشعره وتنقيحه وتهذيبه وتجويده من أهم
صفاته الأسلوبية ، فهو يعنى أشد العناية بالفاظه وينقحها وقد
ظهرت عند الأخطل أساليب من الفن والبيان كالاستطراد فى معرض
التشبيه فانه حينما يعرض له معنى من المعانى أو صورة من الصور
يستطرد فى التشبيه بين أطرافها مغلّافى ذلك حتى يستوفى ما يريد
من المعنى ففى داليته (شك (١) التى يمدح بها عبد الله بن
معاوية وأخاه يزيد أراد أن يصور كرم عبد الله فشبهه بالنهر جودا
وسخاء :

كَأَنَّهُ مُزِيدٌ رَيَّانٌ مُتَجَجِّعٌ	يَعْلُو الْجَزَائِرُ فِى حَاقَاتِهِ الزَّيْدُ
حَتَّى تَرَى كُلَّ مَزُورٍ أَضْرَبِهِ	كَأَنَّمَا الشَّجَرُ الْبَالِى بِهِ بُجْدُ
تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ الْمَاءِ أَنْجِيَّةٌ	وَفِى جَوَانِبِهِ الْيَنْبُوتُ وَالْحَصْدُ (٢)
سَهْلُ الشَّرَائِعِ تَرَوَى الْحَائِمَاتُ بِهِ	إِذَا الْعِطَاشُ رَأَوْا أَوْضَاحَهُ وَرَدُّوا

وقد هيا له هذا التشبيه صورا فأبدع فيها وأطال ، ورسم لها أبعادا
مختلفة فصور النهر ريان مزيدا تضرب أواذبه الشيطان كما صوره هائجا
مائجا يقتلح الأشجار ، وصوره قويا عارما تظل فيه أنجية بنات الماء
ومع ذلك كله فقد صوره بشير خير وبركة يحيى الموات ويروى العطاش

(١) شعر الأخطل : ٤٤٣ / ٢ - ٤٤٤ .

(٢) الأنجية : الجماعة . والحصد : نوع من الشجر المعروف .

وبهذا الاستطراد الفنى الجميل يجسم كرم الممدوح ، وقد وردت مثل هذه الصورة صور أخرى كثيرة عند الأخطل : (١)

ونجد من الأساليب الفنية التى اتخذها الأخطل فى تنمية مديحه وتجويده (الاستدارة (٢)) .

وتأتى الاستدارة فى معرض المفاضلة كما تأتى فى معرض التوكيد (٣) وقد اعتمد الأخطل فى تعبيره الناحيتين معا فمثال الاستدارة فى معرض المفاضلة قوله فى مدح عبد الملك : (٤)

وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ	فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَسَاطِمِ الْعُشْرِ
وَذَعْدَعَتُهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ وَاضْطَرَبَتْ	فَوْقَ الْجَاجِجِ مِنْ آذَانِ غُدْرٍ
مُسْحَنَفَرًا مِنْ جِبَالِ الرُّومِ تَسْتُرُهُ	مِنْهَا أَكَاْفِيْفٌ فِيهَا دُونُهُ زَوْدُ
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُكَ	وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ

(١) انظر شعر الأخطل : ٢٩/١ ، ٣٠٠ ، ٣١٠ .

(٢) وهى جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة وتتألف من فواصل ترتبط باحكام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الخاتمة جزءا من المعنى بحيث لا يتم الا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة . انظر دفاع عن البلاغة / محمد

حسن الزيات (عالم الكتب الطبعة الثانية) : ١٢٦-١٢٧ .

(٣) الاستدارة فى معرض المفاضلة هى أن يرى الشاعر وجه شبه بين صورتين مختلفتين فيقابل بينهما ويفضل احدهما على الأخرى مبتدئا بالمفضول منقيا لينتهى بالمفضل مثبثا . أما الاستدارة فى معرض التوكيد فمؤداها أن يحس الشاعر الحاجة الى تقرير معنى من المعانى أو موقف من المواقف فيلجأ الى القسم مقررًا به ما يريد فى مجموعة من الأبيات متلاحمة الأجزاء يبدأ بالقسم مقررًا به ما يريد لينتهى بجوابه الذى يقرر من خلاله المعنى أو الموقف . (٤) شعر الأخطل : ١٩٧/١ - ١٩٨ .

فقد استعان بالاستدارة هنا في تنمية موضوعه كما اتخذ من فيضان
النهر مادة غنية بالصور ينتقى منها ما يليق بغرضه ويوافق مراده اذ
صور الشطآن وقد غمرها الماء ، والأمواج وقد اكتسحت في طريقها
الأشجار ، وصور السفن مضطربة أشد الاضطراب والملاحين فوقها .
وقد تملكهم الخوف الى آخر هذه الصورة الفنية وغرضه المفاضلة
بين هذه الصور المحسوسة وبين كرم الممدوح . ومثل هذا الكثير
عند الأخطل . (١)

ومثال الاستدارة في معرض التوكيد :

كقوله في مدح يزيد بن معاوية : (٢)

إِنِّي حَلَقْتُ رَبِّ الرَّاغِبَاتِ وَمَا	أَضْحَى بِمَكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وَأَسْتَارِ
وَبِالْهَدْيِ إِذَا احْمَرَّتْ مَذَارِعُهَا	فِي يَوْمِ نُسْكِ وَتَشْرِيقِ وَتَنْحَارِ
وَمَا يَزْمُ مِنْ شُطَطٍ مُحَلَّقَةٍ	وَمَا يَبْثُرُ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ
لَأَلْجَأَنَّي قُرَيْشٌ خَائِفًا وَجِلًّا	وَمَوْلَتَنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إِقْتَارِ

فقد استعان الأخطل بهذا الاسلوب ، واتخذ من الحلف وسيلة
يؤكد بها للممدوح اخلاصه وولاءه أو شكره وثنائه ، وقد وردت مثل
هذه الصور عند الأخطل كثيرا ، كما وردت من قبل عند النابغة . (٣)

وقد اعتمد الأخطل كذلك في بعض مدائحه وبخاصة التي خص
بها بنى أمية على الوصف القصصى لتكون تلك القصائد لوحات فنية

(١) شعر الأخطل : ٣١٠/١ ٣١١٠ .

(٢) شعر الأخطل : ١٧١/٠ ١٧٢٠ .

(٣) انظر شعرا الأخطل : ٢٢٢/١ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ ، وديوان النابغة : ١٠ .

قريبة الى النفس ، فاستعان به كثيرا فى المقدمات الطلية عندما
يستطرد فى الوصف ، كما استعان به فى الفخر كقوله مخاطبا
عبد الملك بن مروان : (١)

وَقَدْ نُصِرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا لَمَّا أَتَاكَ بِيْطْنِ الْغَوْطَةِ الْخَبَرُ
يَعْرِفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحَبَابِ (٢) وَقَدْ أَضْحَى وَلِلْسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَشْرُ
لَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ مُسْتَكًّا مَسَامِعُهُ وَلَيْسَ يَنْطِقُ حَتَّى يَنْطِقَ الْحَجَرُ
أَمَسَتْ إِلَى جَانِبِ الْحَشَاكِ جِيْفَتُهُ وَرَأْسُهُ دُونَهُ الْيَحْمُومُ وَالصَّوْرُ
يَسْأَلُهُ الصَّبْرُ مِنْ عَمَّاسٍ إِذَا حَضَرُوا وَالْحَزَنُ كَيْفَ قَرَاكَ الْغِلْمَةُ الْجَشَرُ (٣)

فهو لا يكفى البيت الواحد أو البيتين عندما يصور موقفا من المواقف
لكنه يصطنع الاطالة فى تصويره معتمدا على الوصف القصصى الذى
يجيد من خلاله التجسيم والدقة فى التشبيه .

وقد اعتمد الأخطل هذا الاسلوب فى أغلب أغراض شعره فلم
يقتصر فيه على غرض معين . (٤)

(١) شعر الأخطل : ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ .

(٢) عمير بن الحباب قتلته بنو تغلب ، وكان الحباب أبوه من أغرسة
العرب ..

أنظر نقائض جرير والأخطل : ١٦١ .

(٣) الغلطة : أدنى عدد الغلام . والجشر : الذين جشروا بأموالهم
غابوا بها فى الرعى فلم يرجعوا الى منازلهم ليلا ولا نهارا ،

انظر نقائض جرير والأخطل : ١٦٢ .

(٤) انظر الأخطل شاعر بنى أمية د . سيد غازى : ١٦٣ .

والأخطل في أسلوبه كثيرا ما يعتمد على التصوير الحركي في مقاطعه الفنية فيجعل منها صورا متتابعة في حركة مستمرة تعكسها هذه الأفعال المتوالية التي ينتقل بها من صورة الى أخرى .

فعندما يشيد بمدوحه مثلا لا يقتصر على تعداد ما فيه من خصال بل يتابع ما يدور في مخيلته من معان . فيصف المحبوبة مرتحلة والناقة متنقلة والثور مقاتلا ، والحمار جاريا ، والصهباء متداولة والمدوح محاربا ، والخيول متدافعة ، والنهر فائضا والسحاب متحليا ، والعدو هاربا . (١)

ولذلك جاءت مقاطعه دائما تنبض بالحركة والحياة وهذه الحركة التي اصطنعها الأخطل في تصويره والتي يتميز بها في أسلوبه تتجلى في قصائده فتضفي عليها طابعا فنيا مميزا . ففي رائيته (غير) مثلا نرى الفرات الذي يفوقه المدوح جودا ، وقد " جاشت " حوالبه " وذعذعته " رياح الصيف " واضطربت " من آذيه غدر " مسحفرا " من جبال الروم " يستره " منها أكافيف فيها دونه زور . . .

بينما نرى لاميته (أجمل) السحاب الذي يدعو لمدوحه أن يسقى أرضه قد بانت عزاليه " تسحل " وإذا " طعنت " في فروجه " تحلب " وإذا " زعزعت " " جر " ذيوله كأنها عوذ ثقال .

" تطفل " فلما " انتحى " نحو اليمامة قاصدا " دعت " الجنوب ، " فانشى " و " سقى " لعلعا والقرنتين فلم يكد " يتحمل " ثم " غادر "

(١) المرجع السابق : ١٦٢ - ١٦٥ .

الأكم " تطفو " و " حل " بالمعرسانيات و " أرزمت " منه مطافيل
حفل . (١)

وهناك نماذج كثيرة من شعر الأخطل تتميز بهذا الأسلوب (٢)
ونتيجة لهذا التصوير الحركي جاءت مقاطعة دائما نابضة بالحركة
والحياة .

ولقد كانت للأخطل صور جزئية تتمثل في البيت الواحد أو
البيتين وتكثر هذه الصور الجزئية في مدائحه فتكسيها قوة وجمالا
يتجلى هذا في قوله يمدح بني أمية : (٣)

قَوْمٌ إِذَا بَسَطَ الْأَلَهُ رَبَّيْعُهُمْ دَارَتْ رَحَاهُ بِمُسْبِلٍ دَرَارٍ
وَإِذَا أُرِيدَ بِهِمْ عُقُوبَةٌ فَاجِرٍ مَطَرَتْ صَوَاعِقُهُمْ عَلَيْهِ بِنَارٍ

وقوله في مدح معاوية : (٤)

تَسْمُو الْعَيْنُونُ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ مُعْطَى الْمَهَابَةِ نَافِعُ ضَرَارٍ
وَتَرَى عَلَيْهِ إِذَا الْعَيْنُونُ لَمَحْنَهُ سَيِّمًا الْحَلِيمَ وَهَيْبَةَ الْجَبَّارِ

ومن سمات أسلوبه اعتماده على التشبيه في توضيح صوره مما يشد
القارئ اليه وقد اعتمد على التشبيهات الحسية في أغلب الأحيان
مما يؤكد انتماءه لمدرسة الصنعة التي يتخذ شعراؤها من التشبيه

(١) انظر الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازي : ١٦٦-١٦٣ .

(٢) انظر شعر الأخطل : ١٩٧/١ ، ١٩٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ١٩٩ .

(٣) شعر الأخطل : ٤١٤/٢ .

(٤) العقد الفريد : ٣٨/١ .

الحسى وسيلة لعرض صورهم (١) ففى لاسيته (. . أجمل) التى يمتدح فيها " خالد بن عبد الله بن أسيد " يشبه البرق فى نواحي السحاب الدائم المطر (الذى شبه به الممدوح) بمصاييح كما يشبه حركة هذا البرق بحركة خواصر الخيل البلق وهى مجفلة ، وهذه الصورة الحسية متمثلة فى التشبيه الحسى الحركى عندما يقول : (٢)

مُلِحٌ كَانَ الْبَرْقُ فِي حَجَرَاتِهِ مَصَايِيحُ أَوْ أَقْرَابُ بُلْقٍ تُجْفَلُ (٣)

كما يشبه هيئة خروج قومه " تغلب " على أعدائهم بسباع تسير خبيا وهى تقصد الماء فى الجبل فيقول مفتخرا (٤) :

يَخْرُجْنَ مِنْ شَعْرِ الْكَلَابِ إِلَيْكُمْ خَبَبَ السَّبَاعِ تُبَادِرُ الْأَوْشَالَ (٥)

ثم يقول مستطردا فى فخره ومشبها جريرا وقد استجمع عليه الوادى بفرعى وائل قوم الشاعر بالقذى الذى يقذف به السيل العظيم فيتحرك مضطربا فى غير اتجاه معين . فيقول (٦) :

وَإِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ قَرَعًا وَائِلٍ وَاسْتَجَمَعَ الْوَادِى عَلَيْكَ فَسَالَا
كُنْتَ الْقَذَى فِي لُجٍّ أَكْثَرُ مُزِيدٍ قَذَفَ الْأَتَى بِهِ فَضْلَ ضَلَالَا

(١) انظر نقائض جرير والأخطل دراسة للدكتور عبد المجيد المحتسب

: ٤٣٢ .

(٢) نقائض جرير والأخطل لأبى تمام : ٦٠ .

(٣) حجراته : نواحيه . والأقرباب : جمع قرب وهو جانب السرة . وتجفل

: أى تسرع . (٤) المصدر السابق : ٧٥ .

(٥) شعر الكلاب : اسم موضع . والشعر مطلع فى الجبل مثل الشنية ومنه اشتق

قولهم للقم شعر ، والأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل يكون فى الجبل

ينحدر انحدارا . (٦) نقائض جرير والأخطل : ٨٢ وما بعدها .

وفى معرض فخره يعتمد التشبيه وسيلة للنيل من خصمه جرير فيشبهه
نساء يربوع وقد سيقّت يوم الكلاب الأول بالابل المجلوبة الى المصر
ليبعها فيقول : (١)

يَوْمَ الْكَلَابِ وَقَدْ سَيَّقَتْ نِسَاؤُكُمْ سَقَى الْجَلَائِبِ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ

وليس التشبيه وحده من سمات فن الأخطل التعبيري فالى جانبه توجد
الاستعارة التى اتخذها لتثبيت صورته وعرضها عرضا شيقا دقيقا فقد
اعتمد الاستعارة المكنية فى قوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٢)

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مَثْلَ مُلْكٍ رَأَيْتُهُ أَتَاكَ بِلَا طَعْنِ الرَّمَاحِ وَلَا ضَرْبِ .

فقوله " أتاك الملك " فيه استعارة مكنية . ويقول فى معرض
فخره : (٣)

أَذَاقُونَا أَسْنَتَهُمْ وَذَاقُوا فَكَيْفَ رَأَيْتَنَا صِرْنَا وَصَارُوا

كما اتخذ من الكناية سبيلا لتحقيق مايرمزاله فى صورته من معنى
فنى فيقول مادحا خالد بن عبد الله : (٤)

أَخَالِدُ مَاوَأَكُمُ لِمَنْ حَلَّ وَأَسْعُ وَكَفَاكَ غَيْثُ اللَّصْعَالِيكِ مُرْسَلُ

ففى الشطر الأول كناية عن الجود والكرم والعطاء الوفير يؤكد التشبيه

(١) نقائض جرير والأخطل : ١٣٦ .

(٢) شعر الأخطل : ٥٠/١ .

(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ٥٧ .

فى الشطر الثانى ، وقوله فى نفس الممدوح : (١)

هُوَ الْقَائِدُ الْمَيْمُونُ وَالْمُبْتَغَى بِهِ ثَبَاتُ رَحَى كَانَتْ قَدِيمًا تُزَلْزَلُ

فهنا كناية عن ثبات قواعد الملك والحكم الذى كان مضطربا قبل

مجئيه . وقوله فى نفس الممدوح كذلك : (٢)

أُولَئِكَ عَيْنُ الْمَاءِ فِيهِمْ وَعِنْدَهُمْ مِنَ الْخِيفَةِ الْمُنْجَاةِ وَالْمُتَحَوِّلِ

كناية عن النفع ، وقوله فى معرض الفخر بقومه : (٣)

خُزِرَ الْعُيُونِ إِلَى رِيَّاحٍ بَعْدَ مَا جَعَلْتُ لِضَبَّةٍ بِالسُّيُوفِ غِلَالًا

كناية عن العداوة الشديدة لهؤلاء القوم .

ويقول مفتخرا كذلك : (٤)

فَضَّلْنَا النَّاسَ أَنَّ الْجَارِفِينَا يُجِيرُ وَأَيُّ جَارٍ يُسْتَجَارُ

ففيه ما فيه من الكناية عن القوة والمنعة والعزة ، وتوجد عند الأخطل

لفئات نفسية فى مقاطعه الفنية تضى على تصويره صدقا وحيوية

حيث يعنى باختيار الألفاظ المعبرة التى يصور بها الموقف تصويرا

ينبض بالايحاء والدلالة .

فعندما يمدح يزيد فانه يصور ضعف نفسيته ازاء الموقف الحرج

الذى وقع فيه من جراء هجاء الأنصار فيقول : (٥)

(١) المصدر السابق : ٥٨ .

(٢) المصدر السابق : ٥٩ .

(٣) المصدر السابق : ٧٧ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٨ .

(٥) شعر الأخطل : ٣٠٦/١ .

وَيَا نَجِيًّا فِي دُمُشَقٍ لِحَيَّةٍ إِذَا عَصَّ لَمْ يَنْمِ السَّلِيمُ وَأَقْصَدَا
يُخَفِّتُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا إِذَا رَأَى مِنَ الْوَجْرِ إِقْبَالَ الْحَّ وَأَجْهَدَا

فقوله " وبات بجيا " يوحى بخطورة الموقف ثم ان ذكره هذه " الحية
التي تعض " يوحى بشدة الفتك والبطش الى آخر هذه الصور التي
تنطق بخلجات نفسية الأخطل الضعيفة أمام هول الموقف وشدة
المصيبة لولا تدارك يزيد له .

والأخطل من الشعراء العرب الذين عاشوا في الصحراء وعشقوها
فألفوا مافيها من مظاهر وكانت مددا لهم في أشعارهم يستمدون منها
كثيرا من الصور الفنية التي يستعينون بها في مدائحهم بل وفي
فخرهم كذلك . وقد استمد الأخطل من البيئة البدوية كثيرا من
الصور ، فوصف الصحراء المقفرة وما يلاقيه فيها المسافر من أهوال ومتاعب
وأبدع في وصف الأطلال وأجاد في تصوير ما خلفه المرتحلون فيها
من آثار تتمثل في الأثافي ، والرماد ، والأوتاد وما فعلته الريح بها
من نسف وطمس . ووصف حيوان الفلاة بجميع أشكالها وأجناسها
كما وصف النهر العظيم في فيضانه بما فيه من سفن تقاوم الرياح ،
والأمواج . وقد تأثر في تصويره بذوق البادية وطبائع أهلها فجاءت
الفاظه فخمة جافية تملأ الآذان والفم ، ولذلك جاءت صورة وتشبيهاته
مشتقة في أغلبها من البادية فاتسمت مدائحه بذوق البدوى وطبائع
الصحراء ، وجاء فخره تقليدا للفخر الجاهلى منطلقا من نفسية لم
ريانة الوهيدة التي تعفرتنا
تتشبع بالاسلام ولم تتخذه ديناً لأن نصرانيته كانت تضعه من فلانك .
وقد اعتمد في مدائحه وفخره على الأسلوب الجاهلى في تنميتها

وتجويدها وقد أفاد كما رأينا من أساليب الجاهليين ، وتأثر بهم
وبخاصة الفحول الذين لهم طابعهم في الشعر الجاهلي وبعض
شعراء الاسلام . وقد نهج الأخطل أسلوبهم وترسم خطاهم ، وعارض
أشعارهم . ولذلك غدت مدائحه ومفاخره مميزة أشد التميز بالطابع
الجاهلي في صورها وأخيلتها ، ومعانيها وألفاظها .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

أما الموسيقى الخارجية والداخلية عند الأخطل فلقد تبيين
من استقراءنا لبحور الشعر التي نظم عليها أن الطويل في مقدستها
وقد أتى بعده البسيط فالوافر ثم الكامل . (١)

ولم يستخدمها الأخطل إلا تامة شأنه في ذلك شأن غيره من
شعراء الجاهلية الكبار وشعراء طبقة كالفردق وجبر . ولا يكاد
يوجد له نظم على غير هذه الأوزان ، وهي في الحقيقة الأكثر
استخداما في الشعر العربي خاصة عند الشعراء الفحول من
الجاهليين والمخضرمين ، ومن نهج نهجهم في العصور التالية .

والأخطل حينما اتخذ هذه الأوزان ونظم عليها أوحينا قاداته
ملكته الشعرية الى النظم في أيها فانه لم يكن بدعا في هذا لأنه
كما رأينا من قبل يعد من الشعراء المحافظين على تقاليد الجاهليين
فقد حاكاهم في كثير من صورهم الفنية ، وهو لا يتخذ الوزن المعين
فينظم عليه وإنما يترك ذلك لسليقته وبديته الشعرية فيقول البيت
مفتحا به القصيدة ثم يتمها على نهجه ولا يكاد يفضل بحرا منها

(١) البحر الطويل أحد البحور الشعرية الثمانية التفاعيل (فعولن —
مفاعلين) مكررة مرتين في كل شطر ، وله عروض واحدة
مقبوضة وثلاثة أضرب صحيح ومقبوض ومحدوف .
أما البحر البسيط فهو من البحور الثمانية أيضا ويتألف من
(مستعلن - فاعلن . . .) مكررة مرتين في كل شطر وله أربع
أعاريض وسبعة أضرب (يرجع لها في مظاهرها) .
انظر العروض تهذيبه وإعادة تدوينه - جلال الحنفى : ١٦١ ،

على غيره لأن المهم هو أن يستوفى غرضه الذى يريد فيتحرك مع
أفاعيل نفسه واضعا نصب عينيه نتاج سابقه من الشعراء فيقلده
وربما سطا على بعضه ، وقد اعترف بسرقات الشعراء فقال :

(نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة) (١)

ولعل هذا يكون تفسيرا واضحا للتأثر الواعى الذى نلمسه
لدى الشعراء والذى قد يسمى سرقة شعرية متى كان نتاج هذا
مطابقا لذاك لفظا ومعنى أو ما يسمى محاكاة وتقليدا حينما يتفقدان
فى الصور الفنية ، والوزن والقافية .

ومن المسلم به أن القصائد ذات الوزن الواحد لها طابع
مشترك يتمثل فى الوزن الموحد فى صورته المجردة ولكن هذه القصائد
تختلف فى النغمات كما وكيفا (٢) ، وليس اتفاق الشعراء فى الوزن
الواحد سرقة ولا تقليدا فقد ينظم شاعر قصيدة فى الفخر والحماسة
على الطويل ويأتى آخر بقصيدة فى المدح أو الرثاء على نفس
الوزن .

ويحور الأخطل التى نظم عليها تصلح لكل موضوعات الشعر وقد
طرقها الأخطل ولكنه كان مكررا فى أغلب الأحيان من الوصف أثناء
مقدماته الفنية والتى كان لها نصيب كبير من كل قصيدة . ويستغرق
فى هذه الناحية عندما يستطرد فى وصف الخمر التى ملكت عليه نفسه .

(١) الموشح : ٢٢٥ ، والأخطل الكبير - فخر الدين قباوة : ٣٣٦ .

(٢) انظر التفسير النفسى للأدب د . عز الدين اسماعيل و بيروت

وأوزانه تعبر تعبيراً صادقاً عن عاطفته الموهلة في التقليد
والتمسكه بنهج الجاهليين الذين ظهرت آثار نتاجهم لديه كثيراً
وكذلك كان تأثيره بمن عاصره من الشعراء المبدعين ، وقد أضاف هو
إلى هذه القصائد من تجاربه وإبداءه الفني ، وصاغ ذلك في قالب
ذاتي يمثل شخصيته الفنية أصدق تمثيل .

أما حروف القافية التي اتخذها الأخطل رويّاً ونظم عليها
فترتيبها حسب درجة التواتر عنده كما يلي :

(الراء - اللام - الميم - الباء - الدال - العين - النون
القاف - الحاء - والسين - (١)) .

وبقية الحروف لم يتجاوز ما نظمه على كل حرف منها الثلاث ما
بين قصيدة ومقطوعة وربما لم يبلغ ذلك إلا بيتاً واحداً أو أبياتاً
معدودة ، وهذه الحروف هي (التاء - الثاء - والصاد - والضاد
والكاف - والياء -) وبعضها لم ينظم عليه شيئاً البتة ، وقد
أهمله أو ربما أنه كانت له قصائد على هذه الحروف لكنها لم تصل
إينا فيما وصل من شعر الأخطل . وهذه الحروف هي :

(الألف - الجيم - الخاء - الذال - الشين - الطاء - الظاء
الغين - الفاء - الهاء - الواو) .

(١) اعتمدت في هذا الإحصاء على ما ورد في ديوان الأخطل الذي
حققه د . فخر الدين قباوة حيث تتبعت كل قصائده الموجودة في
هذا الديوان وخرجت بهذه النتيجة .

انظر فهرس شعر الأخطل المحقق : ٢/ ٧٨٩ - ٧٩٤ .

وقد ظهر من البحث أن الأخطل مبال في قوافيه الى الكسر
اذ نجده يستخدم القافية المكسورة في أغلب الأحيان يلي ذلك الضم
فالفتح . وقوافي الأخطل غالبا جميلة الجرس لذيدة النغم سهلة
المتناول لأنه اعتمد فيها على الاطلاق فجاءت في أغلب حالاتها
من القافية المطلقة . وقد كثر نظمه على قافية (الراء - واللام
والميم - والباء - والداال - والعين - والنون - والقاف - والهمزة)
وهذه الحروف ذات رنة في الأذن وصدى في النفس متى كانت
رويًا ينتهى الى كل واحد منها آخر مقطع في أبيات القصيدة .

وفيما يتعلق بالموسيقى الداخلية، وهى التى تتجاوز الشكل العام
الى الأسلوب^(١) فلقد كان لعبودية الأخطل الشعرية أثر فى رزانة شعره وجزالته
ونتيجة لهذا جف منه بعض ماء الطلاوة ، وبهاء الرونق ، ولم تكن
فى ألفاظه تلك الومضات البراقة التى تؤثر فى النفوس بجمالها الفنى .
ومن أجل هذا كان هناك فارق فنى بينه وبين خصمه جرير اذ لم
يقدر لشعره ما ناله شعر جرير من السيرونة والشهرة والشعبية تلك
التي نفذ بها الى نفوس الأدباء والشعراء والعامّة . ومن أجل
هذا كثيرا ما امتعض الأخطل قائلا للفرزدق :
(والله انك واياي لأشعر منه " يعنى جرير " ولكنه أوتى من سير
الشعر ما لم يؤت)^(٢)

ومع ذلك فانه لا يمكن ادراج شعر الأخطل كله تحت هذا الحكم

(١) رحلة مع النقد الأدبي / للدكتور فخرى الخضراوي : ١٧٠ .

(٢) الأغاني : ٣٦٨/٨

اذ من الاجحاف أن نسمه جلّه بالجفاف والخلو من التمكن فى النفس البشرية لأن الباحث يجد فيه كثيرا من النغمات الموسيقية التى تطرب لها النفس وتهز الوجدان ولقد استجاد النقاد من قبل بعض روائعه وأشادوا بها وأشاروا اليها لما تتمتع به من قوة فى المعنى وجرس فى النغم المتلاحق . فقد أعجب الخليفة عبد الملك عندما سمع قصيدة (خف القطين) واهتزت لها نفسه وطرب ومازال يتناول لها حتى قال : (١)

(هذه المزمرة والله لو وضعت على زبر الحديد لأذابتها ، ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب) وكلنا نعرف ذوق عبد الملك واحساسه المرفه .

وقد تمثلت عناية الأخطل باختيار ألفاظه فى نوع من الموسيقى الداخلية فى اللفظ الذى يصطنعه فى بعض الأبيات فيضفى على مقاطعه جمالا فنيا تستريح له النفس وتتمتع بجمال جرسه وحسن ايقاعه ، وقد يظهر هذا التوافق الايقاعى فى غزل أبى مالك ووصفه كثيرا ممالا يعنينا هنا (٢) على أن الباحث لا يعدم هذه الموسيقى اللفظية فى مديحه وفخره فنجده يمدح بنى أمية بأبيات تشير الوجدان ويطرب لها القلب : (٣)

(١) الأغاني : ٢٨٨/٨ ، ٣٠٧٠ .

(٢) لأن غاية هذا البحث تتبع هذه الموسيقى فى مديحه وفخره فقط

(٣) شعر الأخطل : ٢٥٢/١ .

بَيْضٌ مَّصَالِيَتْ لَمْ يَعْدَلْ بِهِمْ أَحَدٌ يَكُلُّ مَعْظِمَةً مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ
الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَطْيَبِينَ شَرَى وَالْأَحْمَدِينَ قَرَى فِي شِدَّةِ اللَّزْبِ

فان المقاطع الصوتية فى هذه الأبيات تتناسب مع بعضها فى مسافات متقاربة ترتاح لها النفس عند الانشاد وتتناغم مع الأذن فى جرس موسيقى متميز ومثله قوله كذلك فى مدح بنى أمية : (١)

حَسَدٌ عَلَى الْحَقِّ عَيَّافُوا الْخَنَا أَنْفُ إِذَا أَلَمَتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يَسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
بَنَى أُمِيَّةٌ قَدْ نَاضَلَتْ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا

وتظهر هذه الموسيقى من استحداثه اسم الفاعل الجمعى فى بداية كل شطر من كل بيت كقوله فى مدح بنى أمية كذلك : (٢)

الْبَاسِطُونَ بِدُنْيَاهُمْ أَكْفَهُمْ وَالضَّارِبُونَ غَدَاةَ الْعَارِضِ الشِّمِّ
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا مَا أَرَمَتْ وَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى الْفَارَاتِ بِالْجِذْمِ

والإيقاع عند الأخطل يتولد من صياغة العبارة نفسها فى قولـــــــــــــــــه
يمدح (٣) عبد الملك :

إِلَى أَمْرِى لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلَيْهِنَى لَهُ الظَّفَرُ
الْخَائِضُ الْعَمْرُ وَالْمَيِّمُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يَسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
وَمَا الْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ فِى حَافَتِهِ وَفِى أَوْسَاطِهِ الْعُشَرُ

(١) شعر الأخطل : ٢٠١/١ - ٢٠٢ . (٢) شعر الأخطل : ٢٢٤/١ -

(٣) شعر الأخطل : ١٩٦/١ - ١٩٧ . ٢٢٥

نجد هذا الايقاع متولدا من الهاء المضمومة فى نهاية الأشطر الثلاثة الأولى ، وقد يتولد هذا الايقاع أحيانا من الهاء المفتوحة فى نهاية الأشطر الأولى كقوله : (١)

فِي تَبَعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعَصِبُونَ بِهَا مَا إِنْ يُوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ
تَغْلُو الْهَضَابَ وَحَلَّوْا فِي أَرْوَمِهَا أَهْلُ الرِّبَاءِ وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا

وقد يتولد هذا الايقاع أيضا من حرف غير الهاء ينتهى عنده الشطر الأول من كل بيت كقوله يمدح سلم بن زياد . (٢)

إِلَى أَمْرٍ لَا تَخْطَاهُ الرَّفَاقُ وَلَا جَدِبِ الْخُوانِ إِذَا مَا اسْتَبْطِئَ الْمَرْقُ
صَلَبِ الْحَيَازِيمِ لَاهْذَرِ الْكَلَامِ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ وَلَا سَتَعَجِلْ رَهْـُـقُ

وكقوله يفتخر أيضا : (٣)

إِنَّا لَنَقْتَادُ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى نَحْوَالْعُدَا بِمَسَاعِرِ أَبْطَالِ
نَقْتَادُ كُلَّ طِمْرَةٍ رَأَدَ الضُّحَى وَهِنَانُ كُلِّ مَجْلَجِلٍ صَّهَالِ
فَتُرَكَّنَ قَدْ قَصَيْنَ مِنْ حَمْسِ الْوَغَى وَطَرًا وَجَلُنْ هُنَاكَ كُلَّ مَجَالِ

وقد لاحظنا أن هذا النغم الموسيقى قد يتولد من تكرار حرف بعينه وبنفس الحركة فى آخر الشطر الأول من كل بيت . غير أننا كذلك نجد أن هذا الايقاع قد يتولد أيضا من تقطيع الجملة فى

(١) شعر الأخطل : ٢٠٠ / ١ .

(٢) شعر الأخطل : ٦١٠ / ٢ .

(٣) شعر الأخطل : ٦٩٤ / ٢ .

الأشطر أو الأبيات عند الأخطل كقوله يمدح عبد الملك : (١)

وَمَا لِقَرَاتٍ إِذَا جَاشَتْ حَوَالِيَهُ فِي حَافَتَيْهِ وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشَرُ
وَذَعْدَعَتَهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ وَأُصْطَرِبَتْ فَوْقَ الْجَاجِيءِ مِنْ آذِيَتِ غُغْدَرٍ
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ حِينَ يُجْتَهَرُ
يَغْشَى الْقَنَاطِرَ بَيْنَهَا وَيَهْدُمُهَا مَسُومٌ فَوْقَهُ الرَّيَّاتُ وَالْقَتَسَرُ

ففي قوله : (في حافتيه وفي أوساطه - بينها ويهدمها) وغيرها من الجمل الموجودة ايقاع موسيقى متولد من تقطيع هذه الجمل في مسافات وأزمنة متساوية .

ومثل هذا قوله : (فرعها وأصولها - أمجادها وحفيلها) عندما

مدح همام بن مطرف التغلبي بقوله : (٢)

نَمَتْهُ الذَّرَى مِنْ مَالِكٍ وَتَعَطَّفَتْ عَلِيمَ الرَّوَابِي فَرْعَهَا وَأُصُولَهَا .
أَجَادَتْ بِهِ سَادَاتُهَا فَتَرَعَّتْ لِأَخْلَاقِهِ أَمْجَادُهَا وَحَفِيلُهَا .

ومن مظاهر هذه الموسيقى الداخلية كثرة الحروف المشددة وتكرار

الحرف الواحد في البيت كقوله يفتخر : (٣)

وَلِيْنِي لَحْلًا لِي بِي الْحَقِّ أَتَقِي إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَنْ أَتَجَبَّمَا
إِذَا لَمْ تَذُدَّ أَلْبَانُهَا عَنْ لُحُومِهَا حَلَبْنَا لَهُ مِنْهَا بِأَسْيَافِنَا دَمَا

(١) شعر الأخطل : ١٩٧/١ - ١٩٨ .

(٢) همام بن مطرف بن معقل بن عبد شمس بن عمرو بن عامر بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب - انظر شعر الأخطل

: ٦١٦/٢ .

(٣) شعر الأخطل : ٦٠٠/٢ .

ففى البيت الأول شدد : اللام - والقاف - والتاء ، والهاء (حلال - الحق - اتقى - اتجّهما) .

فضخمت المعنى فى نفس السامع وقرعت الأذن بموسيقاها الصاخبة بينما كرر حرف الهاء أربع مرات فى البيت الثانى (ألبانها - لحومها له - منها) وقد يتكرر حرفان فى جملتين متقاربتين فى البيت الواحد كقوله يفتخر : (١)

إِذَا الْأُصَيْدُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ خَدِّهِ الْمُتَصَاعِرِ
بِضَرْبَةِ سَيْفٍ أَوْ بِنَجْوَ لَهْلَه إِذَا نَشَجَتْ مَجَتْ دُمَاءُ الْأَبَاهِرِ

فاننا نلاحظ تكرار " الجيم والتاء " فى جملتين متقاربتين (نشجت مجت) .

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية عند الأخطل تكرار جملة فعلية مختلفة من حيث الزمن فى بيت واحد كقوله يفتخر على قيس : (٢)

وَنَحْنُ مَنَعْنَا مَاءَ دِجْلَةَ مِنْكُمْ وَنَمْنَعُ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبِشْرِ

فمع أن الفعل من باب الثلاثى (منع) لأنه جاء فى الشطر الأول ماضيا (منعنا) ، وفى الشطر الثانى مضارعا (نمنع) .
والأخطل فى صوره الفنية يعبر بألفاظ تكسب المعنى حركة فتتحرك له نفسية السامع كما مر معنا فى مديحه لعبد الملك وتشبيهه إياه

(١) شعر الأخطل : ٦٥٨/٢ .

(٢) شعر الأخطل : ٦٦٩/٢ .

بالفرات وكقوله يمدح خالد بن أسيد : (١)

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا خَالِدًا خَيْرُ أَهْلِهَا بِمُسْتَفْرِغٍ بَاتَتْ عِزَالِيَهُ تَسْحَلُ
إِذَا طَعَنْتَ رِيحُ الصَّبَا فِي فُرُوجِهِ تَحْلَبُ رِيَّانُ الْأَسَافِلِ أَنْجَلُ
إِذَا زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ جَرَّ ذِيُولَهُ كَمَا زَحَفَتْ عُودُ ثِقَالٍ تُطْفَأُ
هُوَ الْقَائِدُ الْمَيْمُونُ وَالْمُبْتَغَى بِهِ ثَبَاتُ رَحَى كَانَتْ قَدِيمًا تَزْلُزَلُ

وكقوله يمدح سلم بن زياد : (٢)

وَأَنْتَ خَيْرُ ابْنِ أُخْتٍ يَسْتَطَافُ بِهِ إِذَا تَزَعَزَعَ فَوْقَ الْفَيْلِقِ الْخِرْقُ

وقوله في مقدمة قصيدته التي يمدح بها همام بن مطرف التغلبي (٣)
تَسْلُسَلُ فِيهَا جَدُّولٌ مِنْ مُحَلِّمٍ إِذَا زَعَزَعَتْهَا الرِّيحُ كَادَتْ تُعِيلُهَا

فان هذه الألفاظ (جاشت - ذعذعته - اضطربت - زعزعت - جر

ذيوله - ثبات رحي - كانت قديما تزلزل - تسلسل - زعزعتها الريح)

وغيرها توحى بايقاع موسيقى حركى يضى على صور الشاعر الفنية
لونا من الحركة والاضطراب . فتترامى الى الأذن بجرسها الموسيقى
المتحرك .

ولاشك أن هذه الثنائية فى الألفاظ توحى بلغة شعرية تبعث
الاحساس بالحركة فتتفاعل معها نفس السامع فكان الصورة التى عبر

(١) شعر الأخطل : ٢٧/١ - ٣٠ .

(٢) شعر الأخطل : ٦١٠/٢ .

(٣) شعر الأخطل : ٦١٥/٢ .

عنها وورسمها للغرات والسحاب ، والجيش ، والنخل ، والرحى ماثلة أمامنا بكل أبعادها لأنها مثلت بموسيقاها الداخلية فى خلجاتنا واستوعبتها أسماعنا .

وإذا كانت الموسيقى الداخلية عند الأخطل تتميز بصرامة وحدة وصخب ورتابة فانه قد اعتمد فى شعره كله وفى مديحه وفخره على الصيغ الانشائية فاستخدمها كأداة للتعبير عنها تخرج العبارة من سياق الرتابة المتكررة وتبث فيها روح الحركة والحياة على الرغم من أنه لم ينصرف الى هذه التعابير الانشائية الا فى مقاطع قليلة بالنسبة الى نتاجه كله ولذلك اعتمد فى بعض مدائحه على الاستفتاح والنداء ، فالاستفتاح يأتى غالبا فى مطالع القصائد كقوله : (١)

أَلَا يَا سَلَمَى يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنَى بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَاتَنَا عِدَى آخِرِ الدَّهْرِ

أما النداء فيأتى فى المديح المباشر وغيره كقوله فى مدح يزيد بن معاوية : (٢)

(١) شعر الأخطل : ١٢٩/١ .

(٢) يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ، الخليفة ، أبو خالد القرشى الأموى الدمشقى ، أرسله أبوه لغزو القسطنطينية وعقد له بولاية العهد من بعده فتولى الخلافة عقب موت أبيه سنة (٦٠ هـ) ، وله ثلاث وثلاثون سنة وكانت خلافته أقل من أربع سنين وكان شاعرا متذوقا للأدب . انظر سير أعلام النبلاء :

: ٣٥/٤ - ٤٠ ، وشعر الأخطل : ٣٠٦/١ .

أَبَا خَالِدٍ دَافَعْتُ عَنْ عِظِيمَةٍ وَأَذْرَكْتُ لَحْمِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا

وقوله فى مدح عبد الله بن معاوية : (١)

يَا ابْنَ الْقَرِيعَيْنِ لَوْلَا أَنَّ سَيْبَكُمْ قَدْ عَمَنِي لَمْ يُجِبْنِ دَاعِيَا أَحَدُ

وقوله فى مدح خالد بن يزيد : (٢)

أَخَالِدُ مَا بَوَّابَكُمْ بِمَلْعَيْنِ وَلَا كُتُبَكُمْ لِلْمُعْتَفَى بِعَقُورِ
أَخَالِدُ إِيَّاكُمْ يَرَى الضَّيْفُ أَهْلَهُ إِذَا هَرَّتِ الضَّيْفَانُ كُلَّ ضَجُورِ
أَخَالِدُ أَعْلَى النَّاسِ بَيْتًا وَمَوْضِعًا أَغْنَا بِسَيْبٍ مِنْ نَدَاكَ غَزِيرِ

وقد وقع الأخطل هنا النداء فى نوع من الايقاع الذى يضى لونا نفسيا معنا فى تناغم صوتى يدل على أنه نحا فيه منحى الحديث والنداء المباشرين تارة والالحاق والرجاء تارة أخرى ، وفى النداء ملحظ فنى رائع اذ يوحى بالتقارب بين الشاعر ومن يناديه .

ومن التعابير الانشائية التى اعتمدها الأخطل فى تدبيج مدائحه

(١) عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان كان يلقب بالمبقت أى الأحق

ولم يكن له دراية بالحكم والسياسة كما لم يكن من المتذوقين للشعر . / انظر شعر الأخطل : ٤١٠ / ٢ ، ٤٤٠ .

القريع : السيد الرئيس وأراد القرعيين : معاوية وأبا سفيان .

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية . . كان موصوفا بالعلم وقول الشعر

وقيل انه كان يعرف الكيمياء وصنف فيها ثلاث رسائل وكان يجيز

الشعراء وهو من صالحى الأمة . توفى سنة (٨٥هـ) .

انظر سير أعلام النبلاء : ٣٨٢-٣٨٣ وشعر الأخطل : ٦٤ / ١ - ٦٥ .

وقد أضفت على تلك المدائح لونا من الموسيقى الداخلية
المؤثرة ، الأمر والتحضيض فعندما يمدح الخليفة عبد الملك بن مروان
ويستجديه العطاء يقول : (١)

أَعِنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِلِ وَحُسْنِ عَطَاءٍ لَيْسَ بِالرَّيْثِ النَّزِيرِ
إِلَى أَمْرِي لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ أَظْفَرَهُ اللَّهُ فَلْيَهْنِئْ لَهُ الظَّفَرُ

ويقول في مدح بشر بن مروان : (٢)

فَلَا تَجْعَلَنِي يَا ابْنَ مَرْوَانَ كَأَمْرِئِ غَلَّتْ فِي هَوَى آلِ الزُّبَيْرِ مَرَاجِلُهُ
فَلَا تُطْعِمَنَّ لَحْمِي الْأَعَادِي إِنَّهُ سَرِيعُ إِلَيْكُمْ مَكْرُهَا وَنَمِيمُهَا

وقوله : (٣)

فَسَائِلُ بَنِي مَرْوَانَ مَا بَالَ ذِمَّةُ وَحَبْلُ ضَعِيفٍ لَا يَزَالُ يُوصَّلُ

ونلاحظ أن الشاعر قد نزع في هذه الأبيات نزعة ابداعية اذ بحث
فيها من انفعاله الشعري فلم تجر على وتيرة واحدة بل كانت
تعتمد على نوع من الحركة الضمنية .

ويعتمد الأخطل على التضعيف والتوكيد في بعض أبياته لتقرع
بجرسها المؤثر أذن السامع فيقول في مدح عبد الله بن
معاوية : (٤)

(١) شعر الأخطل : ١٨٩/١ : ١٩٦٠ .

(٢) شعر الأخطل : ٣٥٠/١ : ٣١٩٠ .

(٣) شعر الأخطل : ٣٢/١ .

(٤) شعر الأخطل : ٤١٣/٢ .

لَا حَبْرَ لِبَيْنِ الْخَلِيفَةِ مَدْحَةٍ وَلَا قَدْرَ فَنِّ بِهَا إِلَى الْأُمُصَارِ

ويقول في مدح عكرمة : (١)

لَا غُلْفَ لِنَّ إِلَى كَرِيمٍ مَدْحَةٍ وَلَا ثَنِينَ بِنَائِلٍ وَفَعَالِ

ويقول : (٢)

فَلَا تُخْلِفَنَّ الظَّنَّ إِنَّكَ وَالنَّدَى حَلِيفًا صَفَاءٍ فِي مَحَلِّ قِيَامِ

(١) شعر الأخطل : ١٤٠/١ .

(٢) شعر الأخطل : ٤٩٢/٢ .

الفصل الثاني

دراسة الفن التعبيري
عند
الفكرز دق

" الفصل الثانى "

+++++

* * دراسة الفن التعبيرى عند الفرزدق * *

~~~~~

نعنى بالفن التعبيرى الأسلوب الذى يتميز به المتفنن ، ويرى أغلب النقاد أن الأسلوب هو الشخصية ، ويؤكد صدق هذه النظرة شعر الفرزدق الذى يعد صورة حية لشخصيته . (١)

فحينما ندرس فن هذا الشاعر أو أسلوبه فاننا لانعدو الحقيقة اذا قلنا : ان مديح الفرزدق وفخره فضلا عن شعره كله زاخران بالمعانى والصور والألفاظ التى تشكل أسلوبا قويا شديدا التلاحم والارتباط بشخصية الشاعر .

واذا كان الأسلوب يهبط أحيانا ويشتد أخرى تبعا لاختلاف النص وملابسات الحال فان أسلوب الفرزدق ظل شديدا قويا لم يعتريه ضعف ولم ينتبه غموض الألفى طوره الأخير عندما سرت فى جسده الشيخوخة فأضعفت قريحته ، وتراجعت شاعريته بعض التراجع لارتباطها بقواه العقلية والسمعية والبصرية .

ولقد درج الباحثون والنقاد على أن أسلوب الفرزدق يتميز بالتعقيد والغرابة ، ومخالفة القياس النحوى . وهذه قضية لم تحظ

---

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاکر الفحام :

ومقدمة فى النقد الأدبى د . محمد حسن عبد الله : ٢٣١



بالتدقيق والتحصيل لمعرفة مدى صدقها على نتاج شاعر كبير شر  
الألفاظ غزير المعانى متنوع الصور ، ولم يحاول أحد من قبل تحديد  
الأسباب الكامنة وراء هذا التعقيد ، وهذا الغموض . وإنما اكتفى  
الباحثون بأن جعلوا ذلك ناتجا من كثرة التقديم والتأخير النذى  
اشتهر به ، وإن كان بعض الباحثين المحدثين يعزو هذه الظاهرة  
الى أسباب نفسية واجتماعية تتعلق بحياة الفرزدق . (١)

والحقيقة التى يجب أن يقال ان جملة من تقديمه وتأخير  
لايشكلان تعقيدا ولا غموضا بل قد تكسب التعبير قوة . وأن مخالفة  
القياس النحوى ليس عيبا بل ربما اقتضته لغة الشاعر ، وتطلبه  
المعنى .

ولكى يكون حكمنا مبنيا على أسس علمية ودراسة متأنية فانه  
لابد من دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية طالما نحن بصدد  
دراسة فن الشاعر ، وهذا لايبنى أن أتبع هذه القضية فى شعره  
كله لأن موضوع البحث ينحصر فى غرضي المديح والفخر <sup>ولعل</sup> ~~وكل~~ <sup>باحتشائ</sup>  
آخر أن يتتبع هذه الظاهرة فيما بقى من أغراض .

والواقع أنه من خلال تتبعى لهذا وجدت أن مداخلة الكلام  
ومغايرة النسق المألوف يتفاوت من ناحية المعنى قوة وضعفا ، وليس  
من الانصاف أن ينعت النقاد كلما فيه تقديم وتأخير بالتعقيد

---

(١) انظر الفرزدق - للدكتور شاكرو الفحام : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

وماتنطوى عليه هذه اللفظة من معنى .

اننى لا أجد مبرراً لمن يصم كل تقديم الفرزدق وتأخير—ه  
 بالتعقيد والغموض لأن الدراسة المتأنية تدفعنا الى القول : بأن  
 هذا التعقيد وتداخل الكلام لا يتسم به إلا القلة القليلة من نتاجه<sup>(١)</sup>  
 بينما الكثرة تبرأ من هذا الحكم ولقد جاءت صوره غاية فى الدقة  
 واستغراق الحدث الشعرى فى أسلوب واضح يتسم بالبرصانة والابداع  
 ولقد نجد أن هذا التقديم والتأخير الذى لا يلتزم بقواعد النحاة  
 أحيانا يعهد ميزة للفرزدق ترقى به الى أعلا درجات الجودة  
 لأنها سمة لا يقوى عليها إلا الشعراء المتمكنون من اللغة والمحيطون  
 بأسرارها ، فأى غموض وعدم وضوح فى قوله يمدح الوليد بن عبد  
 الملك : (٢)

حَلَفْتُ بِأَيْدِي الْبُذْنِ تَدْمَى نُحُورَهَا      نَهَارًا وَمَا ضَمَّ الصَّخَّاحُ وَكَكَبُ  
 لَأُمِّ أَتْنًا بِالْوَلِيدِ خَلِيفَةً      مِنْ الشَّمْسِ لَوْ كَانَ ابْنُهَا الْبَذْرُ أَنْجَبُ

ان هذا التقديم والتأخير فيه من المعنى الجمالى ما يقربه الى نفس  
 السامع والذى ما كان ليتم لو أن الألفاظ بنيت على غير هذا النسق .

(١) وليس هذا مما يحط من قيمة الفرزدق الفنية لأن هذه القلة لا تشكل

الأنسبة يسيرة من شعره القوى الممتاز ، وما كان هذا القليل النزر

ليطغى على ما خلده الفرزدق من فحولة وابداع .

(٢) ديوان الفرزدق : ٧٩/١ - ٨٠ .

ومثله قوله فى مدح سليمان بن عبد الملك : (١)

فَحُبُّكَ أَغْشَانِي بِلَادًا بَغِيضَةً      وَإِلَى وَرُومِيَا بَعَمَّانَ أَقْشَرَا  
فَلَوْ كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنَّ حَلَ مَقْبِلًا      بِأَخْذَاهُمَا مِنْ دُونِكَ الْمَوْتُ أَحْمَرَا  
حَيِّتْ بِأُخْرَى بَعْدَهَا إِذْ تَجَرَّمْتُ      مَدَاهَا عَسَتْ نَفْسِي بِهَا أَنْ تُعْمَرَا

نفى هذا التركيب اللفظى المتألف منه هذا البناء الشعرى من الأسرار الجمالية التى تضافى على أسلوب الفرزدق قوة وجزالة مالا يتم بغيره مهما تعددت الألفاظ وتنوعت التراكيب .

والفرزدق فى أسلوبه يعنى باللمسات الجمالية الكامنة وراء التقديم والتأخير فيدل بذلك على معان ثانوية وراء المعنى العام كقوله فى مدح الوليد : (٢)

رَأَوْنِي فَنَادَوْنِي أَسُوقُ مَطِيَّتِي      بِأَصْوَاتٍ هَلَاكِ سِقَابِ حَرَائِرِهِ  
فَقَالُوا : أَغْنَانَا إِنْ بَلَغْتَ بَدْعُوهُ      لَنَا عِنْدَ خَيْرِ النَّاسِ إِنَّكَ زَائِرُهُ

فمع أن فى هذا الكلام تقديمًا وتأخيرًا لكنه مقبول إذ أن تقديمه الفعل (نادوا) بدلا من وضعه بعد جملة (أسوق مطيتى) يدل هذا التركيب على ما آلت اليه حالهم من ضنك ، وقدرة الشاعر كذلك على رسم صورة واضحة عن هذه الحالة (٣) ثم زاد الصورة توضيحا عندما أردف بصيغة المبالغة (هلاك) بعد (الصوت) ليبين أنه

(١) المصدر السابق : ١٩٧/١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٨/١ .

(٣) وقد يكونون رأوه فنادوه يسوق مطيته وبذلك ينتفى التقديم والتأخير هنا .

صادر من هلكى سقاب فأكد المعنى بهذه المبالغة .

وهذا الترتيب للألفاظ كان المعنى قويا واضحا لا غموض

فيه ولا تعقيد .

ونلاحظ أن هذا التقديم والتأخير قد يأتى فى بيت واحد

بحيث يتقدم بعض الألفاظ على بعض فى نفس البيت ، وأحيانا تتسع

الفكرة فى نفسه وتتزاحم المعانى لديه فلا يستطيع استيفاء معناه

فى البيت الواحد فيعمد الى تأخير بعض الألفاظ التى لا يتم

المعنى فى البيت الأول بدونها الى أول البيت الثانى وهى ظاهرة

تكاد تكون شائعة عنده من مثل قوله فى مدح عبد الله بن عبد

الأعلى الشيبانى : (١)

لَقَدْ زَادَنِى وُدًّا لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ      إِلَى وُدِّهَا الْمَاضَى وَحَسَنِ ثَنَائِهَا  
بَلَاءَ أَخِيهِمْ إِذْ أُنِخْتُ مَطِيَّتِي      إِلَى قُبَّةِ أَضْيَافِهِ بِفَنَائِهَا

فقد أخرج الفاعل ( بلاء ) الى بداية البيت الثانى ولم يزد المعنى

الأسهولة ووضوحا ، كما نجده أيضا قد أخرج الجار والمجرور الى

بداية البيت الثانى عندما قال فى نفس الممدوح أيضا : (٢)

جَزَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَلَبَّسَتْ      أُمُورِي وَجَاشَتْ أَنْفُسٌ مِنْ ثَوَائِهَا  
إِلَيْنَا فَبَاتَتْ لَا تَنَامُ كَأَنَّهَا      أَسَارَى حَدِيدٍ أَغْلَقَتْ بِدِمَائِهَا

(١) عبد الله بن عبد الأعلى بن أبى عمرة (الشاعر) الشيبانى وجده من

سبايا عين التمر وهو مولى لشرحبيل بن حسنة . توفى حوالى سنة

(١٢٥هـ) وهو من الممدحين . انظر الطبرى : ٣/٢٧٧-٢٠٩/٧ .

(٢) ديوان الفرزدق : ١٠/١ .

ومع هذا فاننا لا ننكر أن ترمد الفرزدق وعنفه قد جعلاه يجنح الى هذه الظاهرة دون أن يستطيع منها فكاً وهذا هو الذى وسم أسلوبه فى بعض الأحيان بالتعقيد والغموض ، وهو ما أخذ عليه النقاد واللغويون ، فأطلقوا حكمهم بصفة العموم ، ولعل السبب فى كثرة تصيد اللغويين لما وقع فيه الفرزدق من مخالفة للقياس النحوى يعود الى اعجابهم به . (١) ولذلك فان أبياته التى تندرج تحت حكم التعقيد وعدم الوضوح - نتيجة لما اعتراها من تقديم وتأخير - تكاد تكون معدودة أشار اليها من اهتموا بالاستشهاد من أشعار العرب وهم أصحاب اللغة . (٢)

ومن هذه الأبيات قوله فى مدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك : (٣)

وَقَوْمٌ أَحَاطَتْ لَوْ تُرِيدُ دِمَاءَهُمْ  
يَا عَنَاقِهِمْ أَعْمَالُهُمْ لَوْ تُشِيرُهَا  
عَلَيْهِمْ رَأَوْا مَا يَتَّقُونَ مِنَ الَّذِي  
غَلَتْ قَدْرُهُمْ إِذْ ذَابَ عَنْهَا صُيُورُهَا

وقوله فى مدح بنى مروان (٤) :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدِي لَكُمْ كَانَ فَضْلُهَا  
عَلَى لَكُمْ يَا آلَ مَرْوَانَ ضَاعِفٍ

(١) ذكر ابن سلام أنه كان يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو.

انظر طبقات فحول الشعراء : ٣٦٤/١ - والعقد الفريد : ١٨٢/٢ -

- ٥٣/٣ -

(٢) صباغات فحول الشعراء : ٣٦٤/١ - ٣٦٨

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٤٧/١ -

(٤) المصدر السابق : ١٨/٢ -

وقوله فى مدح أبان بن الوليد البجلي : (١)

وَكُنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ حِينَ أَتَاهُمْ      رَسُولُ هُدَى الْآيَاتِ ذَلَّتْ رِقَابُهَا  
لَكُمْ رِائَتْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَوَّخَتْ      لَكُمْ مِنْ ذُرَاهَا كُلَّ قَرْمٍ صَعَابُهَا

وقوله بمدح ابراهيم بن هشام المخزومي : (٢)

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَلَكًا      أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

وقوله يفتخر : (٣)

فَنَلَّ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَهُم      عَلَى دَارِمِيَّ بَيْنَ لَيْلَى وَغَالِبِ

وقوله فى مدح بلال بن أبى بردة : (٤)

وَقَدْ خَبَطْتُ رَحْلِي عَلَيْهَا مَطِيَّتِي      إِلَيْكَ وَلَمْ تَعْلَقْ قَلْوَصِي بِصَاحِبِ  
فَقُلْتُ لَهَا زُورِي بِلَالًا فَإِنَّكَ      إِلَيْهِ انْتَهَى فَأَتَيْهِ بِي كُلُّ رَاغِبِ

(١) ديوان الفرزدق : ٥٨/١ ، وأبان بن الوليد البجلي من بنى يزيد

ابن الفوثن كان من أشرف بجيلة فى العراق وهو من الولاة الممدحين

مدحه الفرزدق وغيره من شعراء عصره توفى حوالى سنة (١٢٥هـ) .

انظر الأعلام : ٢٧/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣٦٤-٣٦٥ . والممدوح هو : ابراهيم بن

هشام بن اسماعيل المخزومي القرشى : أمير المدينة المنورة وخال هشام

ابن عبد الملك وقد ولى المدينة ومكة والطائف عزله هشام سنة (١١٥هـ)

ولعله مات فى هذه السنة . / الأعلام : ٧٨/١ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٣٦٦/١ .

(٤) ديوان الفرزدق : ٦٥/١ . والممدوح هو : بلال بن أبى بردة عامر بن

أبى موسى الأشعرى أمير البصرة وقاضياها كان راوية فصيحاً أديباً توفى

نحو سنة (١٢٦هـ) . الأعلام : ٧٢/٢ .

فان هذا التقديم فى هذين البيتين قد أخل بالمعنى حيث قدّم فى الأول الجملة الحالية ( رحلى عليها ) بينما أخر الفاعل والمضاف اليه فى البيت الثانى ( كل راغب ) فأشاع بذلك اضطرابا فى المعنى وهكذا كان تقديمه وتأخيريه فيما مرّ معنا من أبيات والتي أشار اليها العلماء من قبل . . ومع هذا فأننا لو قسنا الأبيات التي فيها غموض وعدم وضوح ومخالفة للقياس النحوى ببقية شعره الذى تلوح عليه سمة التقديم والتأخير فأنها لا تشكل الأنسبة ضئيلة جدا لا تشكل عيبا فى أسلوب الفرزدق . ومن الطبيعى جدا حينما يتغير نظم الكلام عن وجهه أن يبدو غامضا يشبه الألفاظ على تفاوت فى الاغراق من حيث التعقيد الذى لم تظهر بوادره واضحة الا فى أشعاره الأخيرة بعد أن تقدمت به السن فغمضت معانيه وتعقد أسلوبه ، واضطرب تعبيره .

ولو قدّر لهذا الشاعر أن يتجافى عن همته العالية وتنحسر عنه نفسيته القوية لربما استطاع أن ينظم فى غير عسر ، ولكن نفسيته الشامخة دائما هى التى كانت تحول بينه وبين النظم المرن الميسر ، فانطبع فى أذهان الدارسين الذين لم يفحصوا عن شعره كله ولم يستقرؤوه أنه يتسم بالغموض والتعقيد ، وبالتالي ابتعدوا عن دراسته وتحقيقه ولم يحظ ديوانه بالتحقيق الى الآن . ولعل هذه الظاهرة من الأسباب التى حالت بينهم وبين العناية بتحقيق شعره .

وقد يعثر الدارس لشعر الفرزدق على أبيات فيها اقواء من

مثل قوله : (١)

إِذَا دُعِيَ عَيْنَاءُ أَيقَنَتْ أَنَّيَ      بِشَرِّةٍ رِيٍّ لَا مَحَالَةَ شَارِبُ  
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَيْنَاءٍ سَرَوْ عِلْمَتُهُ      وَلَكِنْ مَوْلَاهَا كَرِيمُ الضَّرَائِبِ

وليس الاقواء مما وقع فيه الفرزدق وحده بل وقع فيه بعض من الشعراء  
الفحول وغير الفحول كالنابغة وغيره . (٢)

ولقد انبهر اللغويون والنحاة ، وأصحاب المعاني وعلماء البلاغة  
بطريقة الفرزدق في نظم الكلام وتأليفه . وحظى شعره بالاهتمام  
والتحصيل بسبب هذه الظاهرة . ولذلك فلا يستغرب أن يخرج  
لنا النحاة وأصحاب اللغة أبياتا فيها تعقيد وغموض ومخالفة للقياس  
النحوي (٣) ، فربما كانت في شعر سواه أكثر لكنهم لم يهتموا  
بهم كاهتمامهم بشعر الفرزدق وقد أكثر هذا الشاعر من التقديم  
والتأخير ، والفصل بين أجزاء الكلام حتى غدا ذلك صفة مميزة  
له .

ومذلك لفت الأنظار اليه غير أن هذا التقديم والتأخير  
وما يترتب على ذلك من معنى واضح أو غامض سهل أو معقد نابع  
في رأينا من اقتدار الفرزدق على الشعر واعتداده بنفسه ولربما

(١) ديوان الفرزدق : ٣٥/١ .

(٢) انظر الشعر والشعراء : ٩٥/١ والموشح للمرزياني : ٢١٠ .

(٣) أكثر النحاة من الاستشهاد بأشعاره وكانت لهم عليه مآخذ عديدة  
ولكنها قليلة بالنسبة لغزارة نتاجه وقد أورد المرزياني كثيرا من

هذه المآخذ . انظر الموشح : ١٥٦-١٨٦ .



كان يرى أنه أكبر من أن يعود لقوله فيرتب ألفاظه ويقرب بعينه  
 مما جعله يتمرد على نظم الجملة فيعكس بالتالي صدى تمرد نفسه  
 وزهوه وخطرسته من خلالها .

ولعل احساسه أنه وريث الجاهلية في فضائلها وخلقها العربي  
 الأصل وبيانها جعله يأبى أن يعود لما يقول فيهدبه وينقحه  
 وعليه فانه يمكننا القول :

ان التعقيد في شعر الفرزدق يعد صدى لتلك النفس المتعالية  
 المتمردة بل المتعجرفة التي باتت تحس الغربة في مجتمعها ، وليس  
 عملا أو تصنعا منه بل ان التقديم والتأخير من الأساليب التي  
 تعد سمة من سمات اللغة الأدبية عند الشاعر ، وقد مثل هذا  
 أصدق تمثيل فكان أسلوبه متميزا من هذه الناحية حتى غدا تعبيره  
 الشعري ذا خصائص فنية توضح للدارس المتعمق مذهب الفرزدق ،  
 وطريقته في الأداء فهو ينطلق في مديحه وفخره من معان كثيرة تخطر  
 بباله ، وتنوع عندما يقول فتتزامم ألفاظها في فكره وبالتالي يفسح  
 لخياله أن يختار اللفظ المناسب له . والذي يتمشى مع ذوقه  
 وطبعه ليضعه في الموضع الذي يراه ولا يلقي بالا الى مايقوله  
 النقاد والنحاة طالما أنه مقتنع بالفكرة وذهنته مستوعب للمعنى .

والمأمل لاسلوب الفرزدق يجد أن الشاعر يعتنى بالصورة فهو  
 من الشعراء المصورين الذين تحتل الصورة عندهم مكانا رحبا لتصبح  
 هذه الصورة وسيلة لنقل المادة وتوصيلها الى الأذهان . وبذلك  
 فان الصلة وثيقة جدا عنده بين المادة والصورة . وقد يعبر عنها

باللفظ والمعنى أو الصورة والمضمون . (١) يوضح هذا قوله نسي

مدح الحكم بن أيوب : (٢)

|                                                    |                                             |
|----------------------------------------------------|---------------------------------------------|
| كَادَ الْفُؤَادُ تَطِيرُ الطَّائِرَاتُ بِهِ        | مِنَ الْمَخَافَةِ إِذْ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ |
| فِي الدَّارِ إِنَّكَ إِنْ تَحْدِثَ فَقَدْ وَجِبَتْ | فِيكَ الْعُقُوبَةُ مِنْ قَطْعٍ وَتَعَذِّيبِ |
| فِي مَحْبَسٍ يَتَرَدَّى فِيهِ ذُرِّيَّتِي          | يُخْشَى عَلَى شَدِيدِ الْهَوْلِ مَرْهُوبِ   |
| فَقُلْتُ هَلْ يَنْفَعُنِي إِنْ حَضَرْتُكُمْ        | بِطَاعَةٍ وَفُؤَادٍ مِنْكَ مَرْعُوبِ        |
| مَا تَنْهَ عَنْهُ فَإِنِّي لَسْتُ قَارِبَهُ        | وَمَا نَهَى مِنْ حَلِيمٍ مِثْلُ تَجْرِبِ    |
| وَمَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ أَنْتَ ظَالِمَهُ            | وَمَا مَنَعْتَ فَشَى غَيْرُ مَقْسُورِ       |

فهو لا يمدحه مدحا مباشرا ولكنه يصور عظمته في أسلوب قوي يوضح فيه حالته الخائفة الوجلة بعد أن توعدده ابن أيوب بالعقوبة ان استمر في هجاء الناس ويصور ممدوحه في غاية القوة والعظمة وأنه لا يفوته شيء يطلبه ولا يستطيع أحد أن يقترب من حماه . وهذا الطبع المصور عند الشاعر قد أعانه على أن يأتي بتشبيهاته حية موحية تبين كيف أن الشاعر يحسن انتزاع هذه التشبيهات .

يقول في مدح الوليد بن عبد الملك : (٣)

(١) أصول النقد الأدبي - أحمد الشايب : ٢٤٦ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٥١/١ .

وَأَنْ لَّوْ رَكِبْتُ الرِّيحَ ثُمَّ طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كَشَى أَدْرَكْتُهُ مَقَادِرُهُ

فأى أسلوب أقوى من هذا الأسلوب ، وأى تصوير أبلغ من هذا التصوير ، جعل الممدوح مهيمنا على المجتمع لا يفوته صغيرة ولا كبيرة وليس المعنى بعيدا عن قول النابغة الذبياني في مدح " النعمان ابن المنذر الغساني " .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مَدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَّأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

والفرزدق ابن البادية المرتبط بها القطلع الى حياتها أبدا لا يتردد في أن يستمد الكثير من صوره وأساليبه من تلك الحياة البدوية فأصبح شعره مرتبطا بحياة الناس وممزجا بثقافتهم وقد أضافت هذه الصلة الوثيقة بين الشاعر والبادية على نتاجه سمة الجمال والتأثير والاغراق في البدواة بعض الأحيان فاستمد من الحبل والدلو صورة الكرم والأمان ، ومن الشجرة وشموخها صورة المجد والشرف ومن الغيث النازل على الأرض فيحييها صورة الكرم والفضل ، ومن الخيل مشدودة صورة الشجاعة والقوة الى غير ذلك من مظاهر البادية في شعره فهو يقول في مدح بلال بن أبي بردة<sup>(٢)</sup>

(١) النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية كان داهية مقداما مدحه النابغة الذبياني وحسان ابن ثابت الأنصاري وحاتم الطائي ملك الحيرة سنة (٥٩٢ م) وكانت تابعة للفرس فأقره عليها " كسرى " توفي نحو سنة (١٥٠ ق هـ) .

انظر الأعلام : ٤٣/٨ ، وديوان النابغة : ٨١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٦٩/١ .

سَرِيعٌ إِلَى كَفْيٍ بِلَالٍ إِذَا دَعَا      مِنْ اليمينِ الشَّبانُ مِنْهَا وَشِيئَهَا  
وَمَا دَعْوَةٌ تَدْعُو بِلَالًا إِلَى الْقِسْرِ      وَلَا الطَّعْنِ يَوْمَ الرُّوعِ إِلَّا يُجِيبَهَا  
وَجَدْنَا لَكُمْ دَلْوًا شَدِيدًا ارشَاءُهَا      تَضِيمُ دِلَاءَ الْمُسْتَقِينَ ذُنُوبَهَا

ويقول في مدح عبد الله الشيباني : (١)

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ آلِ شَيْبَانَ تَسْتَقِي      إِلَى دَلْوِكَ الْكُبْرَى عَظِيمٌ دِلَائِبُهَا  
لَكُمْ أَثْلَةٌ مِنْهَا خَرَجْتُمْ وَظَلَّهَا      عَلَيْكُمْ وَفِيكُمْ تَبَّتْهَا فِي ثَرَائِبِهَا

وقوله في مدح بني أمية : (٢)

فَقَالَ لِي الَّذِي يَعْنِيهِ شَأْنِي      نَصِيحَةٌ قَوْلُهُ سِرًّا وَقَالَ لَا  
عَلَيْكَ بَنِي أُمِيَّةٍ فَاسْتَجِرُّهُمْ      وَخُذْ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حَبَالًا

وقوله في مدح الجراح بن عبد الله : (٣)

وَمَنْ تَعَقَّدَ لَهُ بَيْدُكَ حَبْلًا      فَقَدْ أَخَذَتْ يَدَاهُ لَهُ الْخِيَارَا

وقوله في مدح أسد بن عبد الله القسري : (٤)

(١) المصدر السابق : ١١/١ .

(٢) المصدر السابق : ٦٩/٢ - ٧٠ .

(٣) الجراح بن عبد الله الحكمي أبو عقبة أمير خراسان وأحد الأشراف - الشجعان ولي البصرة للحجاج ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز . وقد استشهد غازيا سنة (١١١ هـ) بمرج أردبيل في خلافة هشام بن عبد الملك .

انظر الأعلام : ١١٥/٢ ، وديوان الفرزدق : ١٩٣/١ .

(٤) أسد بن عبد الله القسري البجلي أمير من الأجواد الشجعان تولى خراسان سنة (١٠٨ هـ) كانت له وقائع مع الترك انتهت بهزيمتهم =

يَقُودُ أَبَوِ الْأَشْبَالِ رِيْعَانَ خَيْلِهِ      بَدَارِ الْمَنَايَا بَادِيَاتٍ وَعَسُودًا  
عَلَى كُلِّ مِذْعَانٍ السَّرَى غَيْرِ مَجْمَرٍ      تُقَادُ إِلَى الْأَعْدَاءِ مَشْنَى وَمَوْحَدًا

وقوله فى مدح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (١)

حَتَّى تُتَنَاجَى إِلَى جَزَلٍ مَوَاهِبُهُ      مَا زَالَ مِنْ رَاحَتِهِ الْخَيْرُ مُبْتَدَرًا  
قَرْمٌ يُبَارَى شَعَا طَيْطُ الرِّيحِ بِهِ      حَتَّى تَقَطَّعَ أَنْفَاسًا وَمَافَتَرََا  
وَمَا يَجُودُ أَبَا الْأَشْبَالِ مِنْ شَبَهٍ      إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَلْبَحْرُ زُخْرَا  
رَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ غَيْرُ مُخْلِفَةٍ      تُرْجَى الْمَنَايَا وَتَسْقَى الْمُجْدَبَ الْمَطْرَا

وهكذا فإن شعر الفرزدق ملىء بالألفاظ المأخوذة من البادية يضعها فى أماديحه وفخره . وظل أمينا على مظاهر البادية فى أسلوب جزل متلاحم تجلت فيه قدرته على الإيجاز وتضمن المعنى الكثير فى اللفظ القليل المعبر ، وقد أصبح بذلك من أكثر الشعراء بيتا مقلداً<sup>(٢)</sup> . وقد برع الفرزدق فى اختيار الألفاظ بحيث جاءت ألفاظه محكمة قوية تدل على المعنى الذى يريد ولا يتردد فى اختيار اللفظ الذى يكون له جلجلة وصدى لدى السامع ويعتمد أحيانا كثيرة على السالفة والتحويل فيضفى بذلك على المعنى تفخيما وقوة . فإذا ما أثقلت الصورة الفنية مع التحويل والتفريع كانت المعانى مهيبة مرسومة تؤكد العبقرية الشاعرية لديه فى أسلوب قوى غنى بالصور

(=) وتوفى سنة ( ١٢٠ هـ ) . الأعلام : ٢٩٨ / ١ ، وديوان الفرزدق :

١٤٥ / ١

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢١ / ١

(٢) البيت المقلد هو المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل :

انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٣٦١ / ١

والإيحاء . فأى صورة أبلغ من قوله فى الحجاج : (١)

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ أَرَى الْمَوْتَ مُقْبِلًا      لِيَأْخُذَنِي وَالْمَوْتُ يُكْرَهُ زَائِرُهُ  
لَكَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ أَهْوَنَ رَوْعَةً      إِذَا هُوَ أَغْضَى وَهُوَ سَامٍ نَوَاطِرُهُ

وهى صورة تعلق النفس رعباً من هذا الرجل . وقد حدث ذلك بالفعل للفرزدق فهو يرى أن الموت أهون من الحجاج فدقق فى اختيار الألفاظ ليتم الصفة ويكمل الصورة لثلاث يومه إذا أخل بشيء منها فأغرق فى المعنى اغراقاً باهتاً إذ ليس هناك مبالغة فى الوصف أكثر من هذا حيث وصفه عند اغضائه بالموت فكيف به ناظراً متأملاً يقظاً ثم نزهه عن الاغضاء فقال ( . . وهو سام نواظره (٢) ) ، فأى توفيق فى تحديد جوانب المعنى أكبر من هذا وأى أسلوب أقوى من هذا الأسلوب . ونتيجة لهذا التدقيق عند الشاعر فى المعانى واستيفائه لها أصبحت أبياته مرتبطة ببعضها لا يتم المعنى ان فصل بعضها عن بعض فى مثل قوله يستدح بشر بن مروان : (٣)

فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ هَذِي مُنِيَّةٌ صَدَقْتُ      وَقَدْ يُوَافِقُ بَعْضُ الْمُنِيَّةِ الْقَدَرَا  
كُنَّا أَنَا سَايَا اللَّأْوَاءِ فَانْفَرَجَتْ      عَنْ مِثْلِ مَرْوَانَ بِالْمَصْرَيْنِ أَوْ عَمَرَا  
مُسْتَرْيَسْتَضَى الْمُظْلِمُونَ بِهِ      يَنْكِى الْعَدُوَّ وَنَسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرَا  
مَا النَّيْلُ يَضْرِبُ بِالْعَبْرِينِ دَارِيهِ      وَلَا الْفَرَاتُ إِذَا آذِيَهُ زَخَرَا

(١) ديوان الفرزدق : ٢٥١/١ .

(٢) الفرزدق - شاعر الفحام : ٤٦٨ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٣٢/١ .

يَعْلُو أَعَالِي عَانَاتٍ بِمِلْطِطِيمٍ      يُلْقَى عَلَى سُورِهَا الزَّيْتُونُ وَالْعُشْرَا  
تَرَى الصَّرَارَى وَالْأَمْوَاجَ تَلْطِمُهُ      لَوْ يَسْتَطِيعُ إِلَى بَرْيَةٍ عَبْرَا (١)  
إِذَا عَلَتْهُ ظِلَالُ الْمَوْجِ وَأَعْتَرَكَتْ      بِوَاسِقَاتٍ تَرَى فِي مَائِهَا كَدْرَا  
بِمُسْتَطِيعٍ نَدَى بِشْرِ عِبَابِهِمْ مَكَا      وَلَوْ أَعَانَهُمَا الزَّابُ إِذَا انْحَدَرَا

فان هذه الأبيات جميعها تشكل صورة فنية بحيث لو حذف أحدها لم يتم المعنى لأنها مترابطة ومتداخلة في اللفظ والمعنى في صورة مركبة بديعة ، وردت من قبل عند غيره من الشعراء كالأعشى والنابغة (٢) ، وقد أشاد النقاد وعلماء البلاغة بوهبة الفرزدق وما يتمتع به احساسه وقدرته على انتقاء اللفظ المصور . (٣) مما كان له الأثر في صقل موهبته الشعرية واعطائه القدرة على الإيحاء والتعبير عن المعاني بأوجز الكلام .

ولقد كان للمحسنات البديعية أثر واضح في شعر الفرزدق بصفة عامة ومديحه وفخره بصفة خاصة مما يدل على مهارته وحسن اصطناعه هذه الألوان التي تضافى على شعره رواء بهجة وتساعده على الإيحاء بالصورة التي يريد أن يثيرها في خيال قارئه ، وهى سمة من سماته التعبيرية تسعفه فى إيجاد تلازم تعبيرى يبعث فى النفس تطلعا الى المزيد من نتاجه . وهذه المراثيات البديعية التى يطالعنا بها الشاعر لا يعمد إليها عمدا وإنما تأتى لديه عرضا - وان كان يتعب نفسه فى انتقاء ألفاظه - وقد مكنته لغته

(١) الصراري : جمع صار وهو الملاح ومعنى الشاعر أن هؤلاء الملاحين لو يستطيعون

العبور خارج النهر لفعلوا من شدة ما تفعله بهم الأمواج المتلاطمة .

(٢) انظر ديوان الأعشى : ( بتحقيق الدكتور محمد محمد حسين ) : ٣٨٩ .

و ديوان النابغة : ٣٦ . (٣) انظر نقد الشعر : ٤٨ .

الشعرية وتمكنه من فنه أن يركب القافية الصعبة وينظم عليها مما يدل على تمكنه وقدرته .

ونجد في شعر المديح والفخر لديه بعض التكرار وهو تكرار محمود خصوصا في أول الأمر ولم يتطرق اليه ذم الا في أيامه الأخيرة - كما أسلفنا - وعلى هذا الأساس فان أسلوب الفرزدق صدى لشخصيته العنيفة المتمردة ، فهو صلب خشن الألفاظ غليظ المعاني في أغلب الأحيان ثقیل في الآذان ، وصوره بدوية جافية . (١)

ولعل احساسه المضنى بأنه لم يبلغ في قبيلته مبلغ آيائه ولم يتح له أن يفعل فعالهم نتيجة لاصطباغ الأمور بقواعد الاسلام الصافية التي تضع الحدود وتقنن القوانين لحياة الانسان اذ لم يعد في الاسلام شبيه له في الجاهلية ، كل هذا زاد من غربة الفرزدق واحساسه العميق بأنه لا بد وأن يتشبت بمجده التليد في شعره وأن يطوعه ليكون مرآة لتلك الحياة .

وما من شك أنه قد تأثر في أسلوبه بالمعاني الاسلاميـة المستمدة من القرآن الكريم . ولقد أعجب النقاد القدامى بهذا الشاعر المجيد صاحب الروائع العظيمة صورا وأسلوبا وعاطفة وابداعا فنيا متوقدا وخيالا متوشيا . لكن عجبهم كان أكبر أن يصدر منه مثل هذا السقط من القول المتمثل في بعض التعقيد والغموض (٢)

(١) أنظر أدب العرب - مارون عبود ( بيروت دار الثقافة - ١٩٦٠ م ) :

١٣٨  
(٢) انظر الفرزدق : د . شاکر الفحام : ٤٤٦ .



ولكنهم لو دققوا لوجدوا أن هذا ليس غريبا عليه لأنه نابع من نفسية متمردة متغطسة ترى أن صاحبها سليل مجد تليد وشرف عريق نما به الى أشرف بيت فى مجاشع ، ولهذا كان أسلوبه فى بعض الأحيان ملتويا معقدا يصور أغوار تلك النفس الجامحة المتباهية المتطلعة الى مجدها السالف والتي لم تصل اليه وهى سليقة له وكأنى به يجيب من يأخذ عليه المآخذ اجابة أبى تمام المشهورة : ( ولماذا لاتفهمون مايقال ؟ ) (١) دون أن ينزل هو الى مدارك الناس ، وما ألفوه من نظم . أو كما قال عندما سأله بعض أهل الأدب عما يرد فى شعره من غموض : ( على أن أقول وعليكم أن تحتجوا . ) (٢)

اننا حينما نتتبع مظاهر الفن التعبيرى عند الفرزدق نجد أنفسنا أمام مشاعر خاصة وصور عظيمة وأساليب قوية فى نسق معين من الكلام لا يمكن ترويضه وكأن الشاعر صانع يحكم الصنعة أو بان يجيد رصّ الأحجار ، فأى تغيير فى ذلك يفقد هذه الصنعة وهذا البناء ما أرادته من جمال . (٣)

ولقد كان اللفظ عند الفرزدق مرتبطا أشد الارتباط بالمعنى فأصبح معناه صدى لتلك الألفاظ القوية الصلدة فى نسق تعبيري مؤلف من كلمات وتراكيب وفقر وعبارات حقيقية ومجازية ، كما كان

(١) الموشح للمرزبانى : ٤٩٩ .

(٢) الشعر والشعراء : ٨٩/١ .

(٣) انظر أصول النقد الأدبى - أحمد الشايب : ٢٤٧ .

لاتساع معرفته وعلمه وحفظه مالم يحفظ غيره ، وفهمه لأسرار العربية  
والثراء اللفظي لديه أن مكته ذلك من التفنن والمقدرة على فنون  
التعبير .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

أما الموسيقى الخارجية عند الفرزدق فقد نظم كثيرا من الطويل ، والكامل (١) ، والوافر (٢) ، واليسيط ، وحظى الطويل بأكثر نسبة . . اذ نظم عليه فى مديحه وفخره مائة وثمان وخمسين مابين قصيدة ومقطوعة بلغت أبياتها ألفين وسبعمائة واثنين وتسعين .  
وليه مرتبة الكامل ونظم عليه احدى وعشرين قصيدة ومقطوعة بلغت جملة الأبيات فيها خمسمائة وستة وستين .

أما الوافر فيأتى فى المرتبة الثالثة وقد نظم عليه ستا وعشرين قصيدة ومقطوعة بلغ عدد أبياتها أربعمائة وثلاثة وأربعين ، ويليها البسيط اذ بلغت جملة الأبيات التى نظمها على هذا الوزن أربعمائة واثنين وثلاثين .

وهذه الأوزان لم يستخدمها الفرزدق الا تامة ليكون بذلك صورة حية لشعراء الجاهلية الذين لا تكاد أشعارهم تتعداها الا فى القليل النادر كما أشار الى هذا بعض النقاد القدامى والمحدثين . الذين يرون أن جمهور أشعار الجاهلية أتت من أوزان الطويل والكامل والوافر والبسيط ، وأرجعوا الأوزان القصار الى العصر الاسلامى (٣) . ولئن صحت هذه الرؤية فانها شاهدة بأمانة الفرزدق

---

(١) البحر الكامل من الأبحر السداسية ويتكون من (مفاعلتن) ست مرات وله ثلاث أعاريض وتسعة أضرب وهو من أكثر الأبحر أضربا .

(٢) أما الوافر فهو من الأبحر السداسية أيضا ويتكون من (مفاعلتن - مفاعلتن فعولن) فى كل شطر وله عروضان وثلاثة أضرب الأولى تامة مقطوعة وضربها مثلها والثانية مجزوءة صحيحة ولها ضربان . صحيح ومعصوب .

(٣) انظر الفصول والغايات - لأبى العلاء المعرى : ١٧٥ =

على تقاليد الجاهليين الشعرية بالنسبة للأوزان ، وفي نظرى أنها كذلك فان الجاهليين نظموا كثيرا على هذه الأوزان ولا يكاد يذكر لهم نظم على سواها الا فى القليل النادر كاستخدامهم وزن الرجز فى الحدااء ومنازلة الأقران وقد جعلوه وزنا شعبيا عاما لاتصاله بالحركة والعمل ، ولم يستخدمه الفرزدق الا فى بيتين اثنين فقط فى المديح دون الفخر . (١)

ولم يكن الفرزدق يتخير الوزن المعين فينظم عليه لأن القصيدة تظل تجربة وفكرة متخمرة فى ذهنه لتخرج الى النور كاملة بوزنها وقافيتها وكل أركانها بعد أن يكتمل نموها ويتم نضجها . ومن المعروف أن الشاعر حينما يريد أن يقول شعرا لا يحدد وزنا معيناً وإنما يتحرك مع خلجات نفسه ، وبالتالي يخرج نتاجه بالوزن الذى يترأى له حسب ذوقه ومقدرته الفنية .

ومن هنا فان الفرزدق يسير بفطرته العربية فى ركاب الجاهليين فى ألفاظه نتيجة لنفسيته المتعالية وارتباطه بحياة البادية كما رأينا من قبل عندئذ قادته ملكته القوية وتجربته الناضجة الى النظم على هذه الأوزان التى ارتبطت بعاطفته ونفسيته الضاربة فى الأصالة العربية ، ولذلك كانت العلاقة قوية بين موسيقى الأوزان عند الفرزدق وبين عاطفته المتأججة العميقة الجذور فى الشعر ومن هنا

(=) وأصول النقد الأدبى - أحمد الشايب: ٣٢٢ .

(١) ديوان الفرزدق : ٢٧/١ .

وانظر النقد الأدبى الحديث - محمد غنيمى هلال : ٤٦٩ .

كان من المستحيل فصل إيقاع الوزن عند الفرزدق عن التأثيرات -  
العاطفية لديه ، ومن هنا أيضا كثر نظمه على البحر الطويل الذى  
جاء يتلاءم مع الموضوعات الحماسية الجادة كالفخر والمديح ، ثم  
الكامل الذى يصلح لأكثر الموضوعات ، فالوافر ثم البسيط فى  
الدرجة الرابعة عند الفرزدق .

ونستطيع القول : ان لكل عاطفة أو معنى نغمة  
خاصة فى الموسيقى والغناء وهى أليق وأقدر على التعبير عن  
صاحبها لأنها صوته الطبيعى وصورته الحسية الدقيقة . (١)  
وقد عبرت الأوزان التى استخدمها الفرزدق فى مديحه وفخره  
عن عاطفته أصدق تعبير .

أما قوافى هذا الشاعر فمن خلال استقراءنا لشعره الذى  
وصل الى أيدينا حتى الآن تبين أن أكثر الحروف التى اتخذها  
رويًا مرتبة حسب درجة التواتر عنده هى : ( ر ، م ، ل ، ب ، د ،  
ع ، ن ، ق ، ف ) أما بقية الحروف فلم يتجاوز ما نظمه على كل  
واحد منها خمسا مابين قصيدة ومقطوعة ، وبعضها لم ينظم عليه  
البتة ، أو ربما نظم شيئا وضاع فلم يصل إلينا أو لعله ضمن إحدى  
المخطوطات التى لم تطبع حتى الآن ، وهذه الأحرف هى : ( ث ،  
خ ، ذ ، غ ، ط ، ظ ) . ونجد قوافى هذا الشاعر فى أغلب  
حالاتها من القوافى المطلقة ، ولذلك كان شعره أوضح فى السمع

---

(١) أصول النقد الأدبى - أحمد الشايب : ٣٢٢ ومفهوم الشعر دراسة  
فى التراث النقدى / للدكتور جابر أحمد عصفور ٣٦٧ وما بعدها .

وأشد أسرا للأذن لأن الروى عنده فى أغلب الأحيان يعتمد على حركة بعده قد تستطيل فى الانشاد فتشبه حرف المد ، وممن المعلوم أن حروف المد أوضح فى السمع أكثر من غيرها . (١)

وبعد الروى من أدق مقاييس الشعر وقد اهتدى الفرزدق الى اختيار الروى المناسب لقصائده ولم يكن ليعجز عن النظم على أى قافية شاء فقد نظم ملحمة الشهيرة والتي مطلعها : (٢)

عَزَقَتْ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كَدَتْ تَعْرِفُ وَأُنْكَرَتْ مِنْ حَدَرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ

على "الفاء" مع أنه من حروف الروى الصعبة العسيرة النظم لكنه بلغ بها الذروة وأبدع فى ذلك فبلغت هذه الملحمة مائة وثلاثة عشر بيتا مابين مقدمة وهجاء وفخر ومديح ، وقد تجلى فيها طول نفس الشاعر فلم تعجزه القافية ، ووفق فى اختيار الألفاظ الدالة على المعانى فى جرس موسيقى مؤثر . ولاشك أن المسار الشعرى لديه يحدد له طرائق المعنى فتسهل له اللغة وتنساب كلماتها فى معان عميقة وألفاظ قوية مقبولة ومحبة للنفس ، فعندما يقول مفتخرا : (٣)

وَإِنِّي لِمَنْ قَوْمٍ بِهِمْ تُتَقَى الْعِدَى وَرَأْبُ الثَّأَى وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوِّفُ  
وَلَا نَسْتَجِمُّ الْخَيْلَ حَتَّى نُعِيدَهَا غَوَانِمٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَهِيَ زُحْفُ

(١) موسيقى الشعر - ابراهيم أنيس : ٢٤٦ .

والنقد الادبى الحديث - محمد غنيمى هلال : ٤٧٠ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٣/٢ . (٣) المصدر السابق : ٢٩/٢ .

نجد أن المعنى الذى يريده الشاعر يقتضى هذه القافية فهى مجلوبة من أجل المعنى وليس العكس ، فالفرزدق من قوم حظهم فى هذه الحياة صد الأعداء وكفاية الناس شرهم ، فهم سد حصين يمنع دخول الأعداء من أى جانب ولذلك فإن لفظة " المتخوف " جاءت فى مكانها تماما ولا يمكن أن تعبر لفظة أخرى عن المعنى المقصود هنا . أما قافية البيت الثانى فقد جاءت مطابقة للمعنى تمام المطابقة فان الخيل حينما يتعبها الكر والفر تحتاج الى الراحة ولكن خيل الفرزدق وقومه لا تعرف للراحة سبيلا ، لأنها دائما فى حركة مستمرة تخوض المعارك فتغنم وتظفر ولا تنتهى من معركة حتى يعيدوها للأخرى فتعود وهى متعبة فجاء بلفظ " زحف " ليعبر عن هذا التعب وهذا الاعياء أصدق تعبير .

ومعنى هذا أن الفرزدق يأتى بالقافية لتخدم المعنى فجاء شعره قويا ومعانيه عميقة ، ولقد بلغ من انسجام النظم عنده وترابط أجزاء الكلام أننا حينما نقرأ الشطر الأول من البيت تتراعى الى أسماعنا القافية قبل أن نصل إليها ، وهذا لا يأتاه إلا شاعر حباه الله قدرة عظيمة على الافتنان فى التعبير وحسن اصطناع الكلام - كقوله : (١)

|                                                 |                                       |
|-------------------------------------------------|---------------------------------------|
| أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَأِنِّي        | لَبِيتُ رِثَاجَ قَائِمٍ وَمَقَامٍ     |
| عَلَى حَلْقَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا | وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورِ كَلَامٍ |

ولقد عبرت قوافى الفرزدق عن معانيه أبلغ تعبير كقوله يفتخر : (١)

|                                                   |                                                    |
|---------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| وَجَدْنَا أَعَزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصِيً    | وَأَكْرَمَهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْكَارِمُ يُعْرِفُ  |
| وَكَلَّتَاهُمَا فِينَا إِلَى حَيْثُ تَلْتَقِي     | عَصَائِبُ لَاقِي بَيْنَهُنَّ الْمُعْرِفُ (٢)       |
| مَنَازِلُ عَنْ ظَهْرِ الْقَلِيلِ كَثِيرُنَا       | إِذَا مَا دَعَا فِي الْمَجْلِسِ الْمُتَرَدِّفُ (٣) |
| قَلَفْنَا الْحَصَى عَنْهُ الَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ | بِأَحْلَامِ جُهَالٍ إِذَا مَا تَفَضَّفُوا (٤)      |

وقد لاحظ بعض الدارسين أن الفرزدق ميال في قوافيه الى الضم  
وعلل ذلك أن الضمة حركة تشعر بالأبهة والفخامة ، وأن شعراء  
الفخامة يميلون اليها فهي تدل على التمكن والاعتدال لأنها  
أساس ودعامة في بناء الجملة .

والفرزدق من شعراء الفخامة لاشك في هذا ، ولكن ممن  
استقراءنا لشعره كله وجدناه يميل في قوافيه الى الكسر (٥)

(١) المصدر السابق : ٣٠ / ٢ - ٣١ .

(٢) العصائب : من اعصوب القوم أى اجتمعوا وصاروا عصائب  
الصاح ( مادة عصب ) .

(٣) المتردف : الذى يردفه من الشرشى بعد شىء .

(٤) قلفنا : من قولهم قلف الشجرة اذا ألقى عنها لحاءها

ومراد الشاعر : أى ألقينا . الصاح : ( قلف ) .

تفضفوا : أى تعطفوا .

الصاح ( مادة قلف ، عطف ) .

(٥) يؤيد ما ذهبنا اليه بعد الاستقراء أن الفرزدق تيمى وتسم

تميل في لغتها الى الكسر كثيرا .



وليس الضم ، فقد بلغت قصائده ذات القافية المكسورة مائتين وتسعا  
 وثمانين مابين قصيدة ومقطوعة ، أما تلك التي قافيتها مضمومة فقد  
 بلغت مائتين وعشرا مابين قصيدة ومقطوعة يلي هذا القافية المفتوحة  
 حيث بلغ نظمه عليها اثنتين وتسعين مابين قصيدة ومقطوعة ، ولا  
 أدري كيف أصدر هذا الدارس حكمه دون استقراء لننتاج الشاعر  
 كله . (١) .

ونخلص من هذا الى :

أن الحروف التي اتخذها الفرزدق في أشعاره رويًا ونظم عليها  
 كثيرا هي : ( ر ، م ، ل ، ب ، د ) ، وقد حظيت هذه الحروف  
 بأكبر نسبة من أشعاره ، ولعل استخدام بعض شعراء العربية ومنهم  
 الفرزدق لهذه الحروف رويًا يكمن في كثرة الألفاظ على كل حرف  
 منها وغزارة المعاني ، فيجد الشاعر فيها مبتغاه ، وتتسع معه تلك  
 الألفاظ باتساع المعاني .

وتلى هذه المجموعة كثرة عند الفرزدق : ( ع ، ق ، ف ) ،  
 وهي أقل نصيبا من سابقتها ، تليها بنسبة أقل حروف ( الهمزة  
 الألف ، التاء ، الجيم ، الزاء ، السين ، الشين ، والصاد ، والضاد  
 والكاف ، والهاء ) .

ثم تلك الحروف التي لم نجدها رويًا عند الفرزدق وهي ( ث  
 خ ، ذ ، غ ، ط ، ظ ) فلم نعثر له في ديوانه المطبوع على شيء

---

(١) انظر - الفرزدق - دراسة الدكتور شاكر الفحام : ٥٠٤ .

يذكر على هذه الحروف (١) .

وأما موسيقاه الداخلية فقد ارتبطت بعاطفته الصلدة التي تنبع من نفسه القوية ، هذه العاطفة التي تشبه البحر المتلاطم الأمواج . . . ومن هنا جاء شعره صدى لتلك النفسية القوية . وقد وجد أصحاب اللغة في نتاج الفرزدق مادة غزيرة لهم فأكثروا من الاستشهاد به بخلاف علماء البلاغة وخاصة علم البديع الذي يشكل جزءا هاما من الموسيقى الداخلية في الشعر لم يكن له من الشواهد في شعر الفرزدق تلك الكثرة التي تغطي على نتاجه كله ، ولكن ليس معنى هذا أن تنفى عن الشاعر وجود ألوان من المحسنات ، البديعية - فقد تناثرت في شعره وبخاصة مديحه وفخره سمات بديعية تدل على مهارته وحسن اختياره لهذه الألوان التي ساعدت على إحياء الصور المعبر عنها . ولقد كان للطباق نصيب كبير في المدح والفخر كقوله في مدح سليمان بن عبد الملك مقابلا بين عدله وظلم الحجاج : (٢)

|                                        |                                          |
|----------------------------------------|------------------------------------------|
| وَأِلَى سُلَيْمَانَ الَّذِي سَكَنَتْ   | أَرَوَى الْهَضَابَ بِهِ مِنَ الذُّعُرِ   |
| فَلَقَدْ عَزَزْنَا بَعْدَ ذَلَّتِنَا   | بِكَ بَعْدَ مَا نَأْبَى عَنِ الْقُسْرِ   |
| أُحْيِيَتْ أَنْفُسُنَا وَقَدْ هَلَكَتْ | وَجَبَرَتْ مِنَّا وَاهِيَ الْكُسْرِ      |
| فَلَمَّا نَعَشْتَهُمْ لَقَدْ هَلَكُوا  | وَالْيُسْرُ يُفْرَجُ لَزِيَّةَ الْعُسْرِ |

(١) اعتمدت في هذا الإحصاء على حصر شامل للقوائد والمقطوعات الموجودة في ديوانه المطبوع .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦٢/١ - ٢٦٢ .

وقوله يفتخر كذلك : (١)

لَنَادُونَ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ      مِنْ النَّاسِ طَرًّا شَمْسًا وَبَدْرًا  
أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ      لَنَا بَرًّا مِنْ دُونِهِمْ وَبُحُورَهَا  
لَنَا الْجَنُّ قَدْ دَانَتْ وَكُلُّ قَبِيلَةٍ      يَدِينُ مُصْلُوَهَا لَنَا وَكُفُورَهَا

وقوله فى معرض فخره بالكرم كذلك : (٢)

وَقَدْ رَفِئْنَا غَلِيهَا بَعْدَ مَا غَلَّتْ      وَأُخْرَى حَشَشْنَا بِالْعَوَالِي تُوُفُّ  
وَجَهْلٍ بِحِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ      وَمَا كَانَ لَوْلَا حِلْمُنَا يَتَزَحَلَفُ

ومن أجمل ما قاله مفتخرا :

وَلَرِنِّي سَفِيهِ النَّارِ لِلْمُسْتَفَى الْقَرَى      وَلَرِنِّي حَلِيمِ الْكَلْبِ لِلضَّيْفِ يَطْرُقُ

فقد أعجب الجاحظ بهذا البيت واستحسنه (٣) وغير هذا من

ألوان الطباق . (٤)

وقد اصطنع الفرزدق الجناس وسار وراء أسهله وأقله كلفة ، وقد أكثر منه وكأنه معجب بهذا التلاقي الصوتي بين الاسم ومشتقـه

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢٣/١ .

(٢) المصدر السابق : ٣٠/٢ - ٣١ .

(٣) انظر شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ( تحقيق أبو الفضل

ابراهيم - القاهرة - مطبعة المدنى - ١٣٨٣هـ ) : ٣٩٤ .

(٤) للمزيد من الأمثلة يرجع لديوانه مثلا : ٢٢٩/١ ، ٧٠٠ ، ٨٣٠ ،

وغيرها من صفحات ديوانه الضخم .

قوله يمدح كثير بن سيار التميمي : (١)

إِنَّ كَثِيرًا كَثِيرٌ فَضْلٌ نَائِلُهُ      مُرْتَفِعٌ فِي تَمِيمٍ مُوقِدِ النَّارِ (٢)

وقوله يفتخر بقومه : (٣)

وَنَعْرِفُ حَقَّ الشَّرَفِ كُلَّمَا      أَطَارَ جَنَاحُ الْحَرْبِ يَوْمَ مَطِيرِهَا  
وَفِي أَسَدٍ عَادِيٍّ عَزَّ وَفِيهِمْ      رَوَافِدُ مَعْرُوفٍ غَزِيرٍ غَزِيرُهَا

وقوله يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك : (٤)

تَرَاهُمْ إِذَا لَقَاهُمْ يَوْمَ شَهَدٍ      يَغْضُونَ أَطْرَافَ الْعَيْنِ الطَّوَارِفِ

وقوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٥)

قَوْمُ أَبُوهُمْ أَبَوُ الْعَاصِي أَجَادِبِهِمْ      قَرْمٌ نَجِيبٌ لِحِرَابٍ مَنَاجِبِ

وقوله يمدح مالك بن المنذر بن الجارود : (٦)

وَمَنْ يَكُ جَارُ ابْنِ الْمَعْلَى فَقَدْ عَمِلَ      عَلَى النَّاسِ لَا يَخْشَى وَلَا يَتَهَضَّمُ

(١) كثير بن سيار التميمي مولى بني سعد وأصلهم من بلاد فارس ،

ثم نزلوا تشتترفا دعتهم بنو سعد فأبوا .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٢٥/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٢٣/١ .

(٤) ديوان الفرزدق : ١٤/٢ .

(٥) ديوان الفرزدق : ٢٦/١ .

(٦) مالك بن المنذر بن الجارود العبدى من بني عبد القيس ، أمره خالد

ابن عبد الله القسرى على شرطة البصرة ، وولاه مصعب بن الزبير

على بني عبد القيس ، سجنه هشام بن عبد الملك وتوفي سنة ( ١١٠ هـ )

انظر الكامل لابن الأثير : ١٠٤/٤ . وديوان الفرزدق : ٢٤٩/٢

وتطالعنا كتب البلاغة بطائفة من أشعاره استشهد بها العلقاء على

بعض ألوان البديع ، ويعد الطباق والجناس من أكثرها . (١)

ويقدر مانجد هذه الموسيقى الداخلية في المحسنات البديعية

والتي لم تكن من الكثرة بحيث تطفئ على شعره كله نجدها كذلك

نابعة من الكلمات ذاتها كتكراره بعض الألفاظ بنفسها لتأكيد المعنى

فتبعث في النفس تشوقا وتطلعا الى ما وراء هذه الألفاظ من معان

موحية كقوله يفتخر : (٢)

|                                                |                                                      |
|------------------------------------------------|------------------------------------------------------|
| تَرَى النَّاسَ مَاسِرُنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا | وَلِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا (٣) |
| أَلُوفٍ أَلُوفٍ مِنْ دُرُوعٍ وَمِنْ قَنَآ      | وَخَيْلٍ كَرِيْعَانِ الْجَرَادِ وَحَرَشَفُ (٤)       |
| وَبَيْتَانِ بَيْتِ اللَّهِ نَحْنُ وَلَا تُسْهُ | وَبَيْتُ بِأَعْلَى إِيْلِيَا مُشَرَفُ                |

وقوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (٥)

|                                                      |                                         |
|------------------------------------------------------|-----------------------------------------|
| إِلَيْكَ ابْنُ لَيْلَى يَا ابْنَ لَيْلَى تَجَوَّزَتْ | فَلَاقَ وَدَاوِيَا دِفَانًا مَنَاهِلُهُ |
|------------------------------------------------------|-----------------------------------------|

وقوله كذلك يمدح عبد الله بن أبي بكر : (٦)

|                                               |                                                  |
|-----------------------------------------------|--------------------------------------------------|
| أَبَا حَاتِمٍ مَا حَاتِمٌ فِي زَمَانِهِ       | وَلَا النَّيْلُ تَرْمِي بِالسَّفِينِ غَوَارِبُهُ |
| بِأَجُودَ عِنْدَ الْجُودِ مِنْكَ وَلَا الذِّى | عَلَا بِغَنَاءٍ سُورَ عَانَةِ غَارِبُهُ          |

(١) انظر الصناعتين : ٣١٣-٣١٤ . والعمدة : ٩٩/١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٣٢/٢ .

(٣) يرى بعض النقاد القدامى أن هذا البيت من شعر جميل بن معمر العذرى

الشعر والشعراء : ٤٤٣/١ .

(٤) الحرشف : جماعة الجراد . (٦) المصدر السابق : ٥٤/١ -

(٥) ديوان الفرزدق : ٨١/٢ . ولم أعتز لهذا الممدوح على

ترجمته .

وقوله يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك : (١)

بِحَقِّ وَلِيِّ بَيْنَ يَوْسُفَ عَيْصُهُ      وَبَيْنَ أَبِي الْعَاصِي وَبَيْنَ بَنِي حَرْبٍ

فقد كرر ظرف الزمان ثلاث مرات في مقاطع صوتية متوازية .

ويقدر ما يكرر اللفظ بعينه يكرر الحرف الواحد كذلك اما في كلمة

واحدة . . كقوله يمدح الورد الجنفي : (٢)

وَلَمَّا رَأَوْا بِالْأَبْرِقَيْنِ كَتِيْبَةً      مُلْمَلَةً تَحْمِي الذَّمَارَ وَتَغْضَبُ .

أو يكرره وحده منفردا في البيت الواحد . . كقوله يمدح سليمان بن

عبد الملك : (٣)

جَلَوْعَنْ عَيْنٍ قَدْ كَرَيْنَ كَلَا      مَعَ الصَّبْحِ إِذْ نَادَى أَذَانُ الْمُثَوِّبِ

وقد يأتي تكرار الحرف الواحد في عدة مقاطع صوتية كقوله يمدح -

الوليد بن يزيد بن عبد الملك : (٤)

هُوَ الْمُصْطَفَى بَعْدَ الصَّافِينَ لِلْهُدَى      وَفِي الْعَيْصِ مِنْ أَهْلِ الْخِلَافَةِ وَالْقُرْبِ  
وَمَا وَعَوَى حَتَّى اسْتَشَارَ عُوَاظُهُ      أَبَا اثْنَيْنِ فِي عَرِيْسٍ مَأْسَدَةٍ غُلْبِ

فقد كرر حرف " الصاد " في البيت الأول ثلاث مرات بينما كرر حرف

" العين " في البيت الثاني أربع مرات ، وكتكراره كذلك حرف " الجيم "

(١) المصدر السابق : ٧٨/١ .

(٢) الورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم وهو من الرجال الممدحين

لم أقف على تاريخ وفاته / انظر الطبري : ٦٠١/٦ ، وديوان

الفرزدق : ٧٣/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ٢٠/١ . (٤) المصدر السابق : ٧٩/١ .

(١)

خمس مرات وكذلك حرف " الحاء " فى قوله يمدح ابن هبيرة :

أَغْرَمَ مِنَ الْحَوَالِجِيَّادِ إِذَا جَرَى      جَرَى جَرَى عُرْيَانِ الْقَرَا غَيْرَ أَفْحَجَا  
وَمَا احْتَالَ مُحْتَالَ كَحِيلَتِهِ التَّسَى      بِهَا نَفْسُهُ تَحْتَ الضَّرِيحَةِ أَوْلَجَا

وقوله يفتخر كذلك (٢) :

وَكُنْتُ إِذَا عَادَيْتُ قَوْمًا حَمَلْتُهُمْ      عَلَى الْجَمْرِ حَتَّى يَحْسِمَ الدَّاءُ حَاسِمُهُ  
وَجَيْشُ رَبْعَنَاهُ كَانَ زُهَاءً      شَمَارِيخُ طُودٍ مُشْمَخَرَّ مَخَارِمُهُ  
كَثِيرَ الْحَصَى جَمَّ الوَعَى بِالِغِ الْعِدَى      يَصِمُ السَّمِيعُ رِزَّهُ وَهَمَاهِمُهُ

فالحاء" تكررت ثلاث مرات فى الشطر الثانى من البيت الأول ،بينما تكررت الشين ثلاث مرات فى البيت الثانى ،أماالمقطع الأول من البيت الثالث فقد تكرر فيه حرف المد " الألف " ثلاث مرات فى تناسب صوتى منتظم . ونلاحظ فى هذه الأبيات وغيرها من شعر الفرزدق - ناحية هامة لها دور بارز فى موسيقى الفرزدق الداخلية وهى أن الشاعر كثيرا ما تراه يتبع بعض قوافيه " بالهاء " الساكنة ، كما هو الحال فى الأبيات السابقة وهذه الهاء تساعد على انشاد الشعر والتداول فيه ، وهى ظاهرة تطالعنا كثيرا فى شعر الفرزدق .

ونراه يعبر بصيغ المبالغة كثيرا ، واسم الفاعل الجمعى ليصب المعنى فى أذن السامع صبا فى جرس موسيقى مؤثر ومعبر عن مقصوده أصدق تعبير .. كقوله يفتخر بأبيه (٣)

(١) ديوان الفرزدق : ١١٧/١ - ١١٨ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٠٨/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٢٩/١ .

إِذَا مَا رَأَوْا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا  
وَقَدْ أَخَصَرْتُ أَيْدِيَهُمْ نَارُ غَالِبٍ  
إِلَى نَارِ ضَرَابِ الْعَرَاقِيبِ لَمْ يَزَلْ  
لَهُ مِنْ ذُنَابِي سُنْفُ خَيْرٍ حَالِبٍ

وقوله مفتخرا بتميم وانتسابه إليها : (١)

أَنَا ابْنُ تَمِيمٍ وَالَّذِي لِي عِزُّهَا  
عَلَى النَّاسِ بِذَاخٍ مِنَ الْعِزِّ مُدْسَرُ  
وَإِنَّا لَضَرَابُونَ لِلْهَامِ فِي الْوَقَى  
إِذَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الْأَسِنَّةِ مَفْخَرُ

وقوله يمدح زياد بن الربيع : (٢)

فَتَى غَيْرُ مِفْرَاحٍ بِدُنْيَا يُصِيبُهَا  
وَمِنْ نَكَاتِ الدَّهْرِ غَيْرُ جَزُوعٍ

وقوله يفتخر بتميم كذلك : (٣)

الضَّارِبُونَ إِذَا الْكُتَيْبَةُ أَحْجَمَتْ  
وَالضَّامِنُونَ عَلَى الْمَنِيَةِ جَارَهُمْ  
وَالنَّارِلُونَ غَدَاةَ كُلِّ نِزَالٍ  
وَالْمُطْعِمُونَ غَدَاةَ كُلِّ شِمَالٍ

وقوله يمدح يزيد بن المهلب : (٤)

فَوَارِسُ ضَرَابُونَ وَالْخَيْلُ يَلْتَقَى  
عَلَيْهَا عَيْطُ النَّائِرِ الْمُتَلَهَّبِ

(١) المصدر السابق : ٣٠٢/١ .

(٢) زياد بن الربيع بن زياد بن كعب كان واليا على هجر . ديوان الفرزدق

: ٣٩٥/١ .

(٣) ديوان الفرزدق : ١٦١/٢ .

(٤) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي المشرق بعد أبيه ثم ولي البصرة

لسليمان بن عبد الملك ثم عزله عمر بن عبد العزيز ويشتهر بالسخاء

والشجاعة توفي قتيلا سنة (١٠٢ هـ) . انظر سير أعلام النبلاء : ٤ /

٥٠٣-٥٠٦ ، والأعلام : ١٨٩/٨ ، وديوان الفرزدق : ٤٣/١ .



وهذه الأساليب من صيغ المبالغة واسم الفاعل الجمعى كما نلاحظ فى هذه الأبيات كثيرا عند الفرزدق ، وكأنه يريد أن يؤكد معناه ويهول ما يريد ، وأحيانا تنبع الموسيقى الداخلية عند هذا الشاعر من استعماله لفظا بعينه فيوحى ذلك اللفظ بالمعنى المقصود كقوله يمدح الحجاج : (١)

لَقَدْ ضَرَبَ الْحَجَّاجُ غُرْبَةً حَازِمٍ      كَمَا جُنْدُ إِبْلِيسَ لَهَا وَتَضَعُّعُوا

فان التعبير بجملته " تضععوا " يوحى بالمعنى الذى يريد وهو الفرق الشديد من قبل المنافقين الذين كانوا فى العراق والذين وصفهم الشاعر " بجند ابليس " لما ضرب الحجاج ضربته تفرقوا شيما وأحزابا خوفا منه ، فاللفظ فى ذاته يوحى بهذا المعنى ولا يمكن أن يعبر عنه غيره بهذا الوضوح والدقة ، فانه بموسيقاه الصاخبة دل على هيبة الحجاج وضعف أعدائه أمام جبروته .

ولاشك أن الايقاع الموسيقى فيما تقدم من نصوص ناتج عن المطابقة الموحية والجناس السهل ، والتكرار المحمود ، وصيغ المبالغة التى جاءت بكثرة وفى بعض التقديم والتأخير ومطابقة اللفظ لمقتضى وغير هذا من مظاهر الأسلوب قد تعمقت أصدا ذلك أنفسنا لأنه ينبىء عن عاطفة متدفقة بالمعانى تدل دلالة قاطعة على امتلاء نفس الشاعر بالفكرة وتشبعه بالمعنى مما يثير الخيال ويضفى على شعره قوة وجزالة وبخاصة أن هذا التلاقى الصوتى بين

(١) ديوان الفرزدق : ٤١٧/١ .

الألفاظ يؤكد انسجام اللفظ والمعنى ويعطى لشعر الفرزدق رنة  
موسيقية غير تلك التى تكمن فى الأوزان والقوافى .

وهذه الموسيقى الداخلية التى كان حظ الفرزدق منها عظيما  
فيما رأينا من ألوان البديع واصطناعه طرائق جميلة فى التعبير  
وفى العلاقة بين الدال والمدلول قد أضفت على ألفاظه قوة  
وجمالا وعلى معانيه عذوبة وعمقا .

\*\*\*\*\*

# الفصل الثالث

دراسة الفن التعبيري  
عند  
جكريد

## " " الفصل الثالث " "

+++++

## \* \* دراسة الفن التعبيري عند جرير \* \*

لقد اعتمد جرير في مديحه وفخره على أساليب من الفن والبيان (١) لايضاح صوره وعرضها عرضا شيقا ، وكان يميل الى الطبع وعدم التكلف كما عرف عنه سرعة البديهة ، والركة والحلاوة والسهولة في أشعاره كلها ، سواء نقائضه مع الأخطل والفرزدق أو في أشعاره الأخرى التى انثالت منه فى أسلوب ميسور واضح المعانى متدفق الصور كالنهر السلسل الرقراق ، ولا يعنينا هنا من هذا النتاج الغزير الا مانحن بصدد دراسته ، وهو غرض المديح والفخر ومافيهما من سمات فنية تدل حقا على شاعرية قوية تنبع من نفسية ليست بالصلدة ولا بالمغرقة فى متهات الغرابة المتمردة على بعض قواعد اللغة العربية . فلقد ابتعد جرير فى مديحه وفخره عن الألفاظ الحوشية ، والمعانى المعقدة والعبارات المتعاطلة . ومن هنا

---

(١) لم أتعرض فى دراسة فن جرير التعبيري لمقدماته لأن تلك المقدمات لم تكن هى التى تميز أسلوب جرير ، ولأن الحديث سيأتى عنها فى موضع آخر من هذا البحث بخلاف الأخطل فقد كانت مقدماته من أهم الأمور المميّزة لفنه التعبيري ولذلك تحدثت عنها . أما الفرزدق فلم تكن مقدماته تستحق الوقوف عندها فكثيرا ما هجم على غرضه دون مقدمة .

كان اعجاب أهل البادية والشعراء بشعره (١) ، لأنه يخلو من  
التكلف سهل المعانى والأفكار فهو شاعر الطبع . ومن هنا قالوا  
: ان جريرا يغرف من بحر (٢) .

ولقد عاش حياة الدعة ، وألفت نفسه حب البادية وبساطتها  
فصيغت هذه النفس ببساطة أهلها وصنعت على عيناها . أما ما  
يلفها من حسب هين فكان يتوارى خلف تلك الثقة التي التحمت  
مع شاعريته فزادته صفاء وبعدا عن كل ماحوشى سواء من حيث اللفظ  
أو الخلق أو الأسلوب .

ولعلنا لا نغالى اذا زعمنا أنه كان يرتفع أحيانا الى مستوى  
خصمه فى المديح والفخر (٣) من حيث المعانى والأفكار ، أما التعبير  
عنهما فيقتضى جزالة لم تسنح الا للفرزدق والأخطل اذ كانت تسرى  
فى طبعهما وتتدفق فيه وهذا ما جعلهما يسموان عنه فى التعبير  
عن هذين الفرضين فى كثير من الأحيان .

ولقد نجد جريرا فى مدائحه ومفاخره ينحو نحو البساطة  
ويتصيد الألفاظ السهلة فلا يعتمد أسلوبه فى هذه المدائح والمفاخر  
على جلجلة الألفاظ وقوتها ولا يعمن فى المبالغات التى تعمده  
روح الشعر . (٤)

(١) انظر طبقات فحول الشعراء : ٣٧٥/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٥١/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٩/١ .

(٤) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨٠ .

وغاية ما هنالك أننا نجده يعتمد أساليب من البيان لا يوضح  
صوره وعرضها وإن لم يقصد إلى هذه الأساليب قصدا فلقد استمد  
من البيئة عناصر تشبيهاته ولم يخرج في هذه التشبيهات عن تقليد  
الشعراء الأقدمين ، فمن هذه التشبيهات مثلا قوله في مدح عمر  
ابن عبد العزيز - رضى الله عنه - مصورا له حال البائسين من  
النساء والرجال : (١)

|                                               |                                                       |
|-----------------------------------------------|-------------------------------------------------------|
| كَمْ بِالْمَوَاسِمِ مِنْ شَعَثَاءَ أَرْمَلَةٍ | وَمِنْ كَيْتِمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ         |
| يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كَأَنَّ بِهِ     | خَبَلًا مِنَ الْجَنِّ أَوْ خَبَلًا مِنَ النَّشْرِ (٢) |
| مَنْ يَعُدُّكَ تَكْفَى فَقْدَ وَالِدِهِ       | كَالْفَرْخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَدْرَجْ وَلَمْ يَطِرْ  |

وبهذا الأسلوب أثر جرير في نفس عمر بن عبد العزيز لأنه  
رسم له صورة واضحة للضعفاء والمساكين من النساء والرجال والأطفال  
ولعلل سماحه لجرير بالدخول عليه ومنعه جميع الشعراء (٣) كان  
نتيجة لصدق عواطف هذا الشاعر وبخاصة عندما يصور حال البائسين  
من الناس لأنه هو ذاته واحد منهم فهو يعانى نفس المعاناة التى  
يحسها الفقراء والمعوزون فى المجتمع . ومن هنا كان تأثر عمر -

(١) ديوان جرير : ٤١٥/١ .

(٢) النشر : الكلاؤ اليايس اذا أصابه مطر ينشر أى يحيا فيخرج منه  
شئ كهيئة الحلقة وذلك داء للغنم . وقال الجوهري : النشر  
الكلاؤ اذا يبس ثم أصابه مطر فى دبر الصيف فاخضر وهو ردئ للرعاية  
يهرب منه الناس بأموالهم / الصحاح ( نشر ) .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٢٦٣/٩ .

رضى الله عنه - بهذا الأسلوب بالاضافة الى الأسباب الأخرى . (١)  
وقد أكثر جرير من هذه التشبيهات فقد شبه الخليفة هشام  
ابن عبد الملك باليدّر بينما شبه من سواه بسائر الكواكب الأخرى  
فقال فى مدحه له (٢) :

إِلَى الْمَهْدَى نَفَزَ إِنْ فَزَعْنَا      وَنَسْتَقَى بِغُرْتِهِ الْغَمَامَا  
وَمَا جَعَلَ الْكَوَاكِبَ أَوْ سُهَيْلًا      كَضَوْءِ الْبَدْرِ يَجْتَابُ الظَّلَامَا

وقد شبه خيل قيس بهيئة الطير التى تبادر مسرعة الى أوكارها  
فيقول فى معرض فخره على الأخطل : (٣)

وَإِذَا الدَّعَاءُ عَلَا بِقَيْسٍ الْجَمَّوَا      شُعْتًا عَوَاسٍ كَالْقَنِيِّ ذُكُورَا  
عَايَنْتُ مَشْعِلَةَ الرَّعِيلِ كَأَنَّهَا      طَيْرٌ تَبَادَرُ فِي شَمَامٍ وَكُورَا

كما يشبه بنى رفاعه بالصقور فيقول مادحا لهم (٤) :

وَلَوْ أَنَّ بَنَى رِفَاعَةٍ مِنْ تَمِيمٍ      هُمُ اللَّجَأُ الْمُؤَمَّلُ وَالنَّصِيرُ  
هُمُ الْأَخْيَارُ مَسْكَةٌ وَهَدْيًا      وَفِي الْهَيْجَا كَأَنَّهُمُ الصَّقُورُ

ويفتخر بقومه فيشبههم بالليوث قائلا (٥) :

- 
- (١) المصدر السابق : ٢٦٣/٩ .  
(٢) ديوان جرير : ٢٢٥/١ .  
(٣) نقائض جرير والأخطل : ١٢٤ .  
(٤) مشعلة الرعيل : أى الخيل المتفرقات .  
(٥) ديوان جرير : ٤٦٢/١ . (٦) ديوان جرير : ٧٥٦/٢ .

وَالْعُرُّ مِنْ سَلَفِي سَعْدٍ وَإِخْوَتِهِمْ      عَمْرٌ كَهَوْلٍ وَشَبَّانٍ بِهَالِيهِمْ  
إِذَا دَعَا الصَّارِخُ الْمَلْهُوفَ هَجَتْ بِهِ      مِثْلَ اللَّيْثِ جَلًّا عَنْ غُلْبَتِهَا الْغَيْثُ

ويقول في مدح الوليد (١) :

وَبَنُو الْوَلِيدِ مِنَ الْوَلِيدِ بِمَنْزِلِ      كَالْبَدْرِ حَفَّ بِوَاضِحَاتِ الْأَنْجَمِ

فقد شبه كما نرى الوليد بالبدر وأبنائه بالنجوم وهكذا يكثر التشبيه المستمد عناصره من البيئة في شعر جرير ، ولكن هذه التشبيهات تختلف فيما بينها من حيث القوة والضعف تبعاً للممدوح فتشبيهات جرير في مدح الولاة أقوى منها في مدح الخلفاء إذ أننا لانجد لصور تشبيهاته في مدح الحجاج وغيره من الولاة مايمثلها في مدح الخلفاء . فأين قوة التشبيه حينما يقول في مدح عبد الملك : (٢)

أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينَ اللَّهِ لَا سَرْفَ      فِيمَا وَلَيْتَ وَلَا هَيَابَةَ وَرَعٍ  
مِثْلُ الْمَهْنَدِ لَمْ تُبْهَرْ ضَرِيئَتُهُ      لَمْ يَغْشَ غَرْبُهُ تَقْلِيلٌ وَلَا طَيْعَ

منها حينما يقول في مدح المهاجرين عبد الله الكلابي : (٣)

يُقَصِّرُ دُونَ بَاعِكَ كُلُّ بَاعٍ      وَيَحْصِرُ دُونَ خُطْبَتِكَ الْخُطِيبُ  
وَنَدَعُو أَنْ تُصَاحَبَ كُلُّ فَجْرٍ      وَنَفْرَحُ بِالْإِيَابِ إِذَا تَكَلَّفُوا (٤)  
كَأَنَّ الْبَدْرَ تَحْمِلُهُ الْمَهَارَى      غَوَارِبُهُنَّ وَالصَّفَحَاتُ شَيْبُ

- (١) ديوان جرير : ٧١/١ .  
(٢) ديوان جرير : ٢٩٥/١ ، والسرف : المخطيء ، والهيابة : الجبان  
(٣) ديوان جرير : ٤١١/١ .  
(٤) في بعض الروايات : " كل مجر " والمجر المراد به الجيش .



فعبد الملك أمين الله مثل السيف الذى تصيب ضرباته ولا تنبو  
ولكن المهاجر بن عبد الله فى نظر جرير أكرم الناس وأفصحهم فهو  
لايعيا وهو مصاحب للجيش فى كل معاركه يؤوب بالنصر دائما وهو  
كاليد حسنا وبهاء .

ونلاحظ على جرير أنه يعتمد الى أسلوب التفضيل كثيرا فيأتى  
بصيغ سهلة ميسورة يستطيع كل انسان أن يأتى بها فضلا عن

الشعراء وذلك كاستعماله اسم التفضيل كثيرا كقوله يفتخر : (١)  
أَلَسْنَا نَحْنُ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدُ  
عَدَاةَ الرَّوْعِ أَجْدُرُ أَنْ نَغَارَا  
وَأُضْرَبَ بِالسُّيُوفِ إِذَا تَلَاقَتُ  
هُوَادِى الْخَيْلِ صَادِيَةً حَرَارَا  
وَأَطْعَنَ حِينَ تَخْتَلِفُ الْعَوَالِى  
بِمَا زُولٍ إِذَا مَا لَنَقَعُ ثَارَا  
وَأَحْمَدُ فِي الْقُرَى وَأَعَزَّ نَصْرَا  
وَأَمْنَعُ جَانِبَا وَأَعَزَّ جَارَا

وكقوله يفتخر : (٢)

فَلَنَحْنُ أَكْرَمُ فِي الْمَنَازِلِ مَنْزِلَا  
مَنْكُمْ وَأَطْوَلُ فِي السَّمَاءِ جِبَالَا

ونلاحظ على جرير أنه يستخدم صيغ التفضيل فى معرض فخره غالبا  
كما رأينا فى الأبيات السابقة وكقوله أيضا يفتخر : (٣)

وَمَا وَجَدَ الْمُلُوكُ أَعَزَّ مِنَّْا  
وَأَسْرَعُ مِنْ فَوَارِسِنَا اسْتِلَابَا

والواقع أن هذا الفخر يخلو أحيانا من القيمة الفنية لأن المفاضلة  
بالعمل وبيض الفعال وليست بالكلام المصطنع فسهل على أى انسان

(١) ديوان جرير : ٨٨٨/٢ .

(٣) ديوان جرير : ٨١٥/٢ .

(٢) ديوان جرير : ٦٢/١ .

أن يقول : أنا أكرم الناس وأعزهم ولكنه من الصعب عليه أن يخترع لنفسه أفعالا وبطولات لم تكن من سجايه ولا من سجايا قبيلته وهذا في حقيقة الأمر مايفتقده جرير وعشيرته ، فيلجأ كما نرى الى المبالغات والمفاضلة التي لايسندها دليل من واقع الشاعر . ومن هنا جاء فخره باهتا يعتمد على قعقة الألفاظ أكرم مما يعتمد على المضمون التاريخي الحقيقي . ولذلك فلا يستغرب عليه أن يأتي بكثير من المؤكدات في مديحه وفخره كقولـــــــــــــــــه

يفتخر : (١)

مَصَالِيْتُ يَوْمِ الرُّوحِ تَلْقَى عَصِيْنَا      سُرِيْحِيَّةٌ يَخْلِيْنَ سَاقًا وَمَعْصَمَا (٢)  
وَأَنَا لَقَوَالُونَ لِلْخَيْلِ أَقْدَمِي      إِذَا لَمْ يَجِدْ وَغْلُ الْفَوَارِسِ قُدَمَا (٣)

فقد أكد هذا الفخر باسمية الجملة وصيغة المبالغة (قوالون )  
وإذا مامدح خليفة فانه في ضياع العاطفة الصادقة يعمد أحيانا الى المفعول المطلق فيؤكد به مديحه كقوله يمدح الوليد بن عبيد

الملك : (٤)

وَلَقَدْ سَمَوْتُ إِلَى النَّصَارَى سَمَوَةً      رَجَفَتْ لَوَقَعَتِهَا جِبَالُ الدَّلِيمِ

وإذا كان المجاز كما يقول الجاحظ (٥) مفخر العرب في لغتهم وبه

(١) ديوان جرير : ٩٨٢/٢

(٢) مصاليت : أى ماضون . والريحية : نسبها الى بنى سريح ، وكانوا قيونا

ويخلين : يقطعن .

(٣) الوغل : الضعيف . (٤) ديوان جرير : ٢١/١ .

(٥) انظر الحيوان - للجاحظ : ٤٢٥/٥ - ٤٢٦ ( مطبعة الحلبي - الطبعة

الثانية ) .

وبأسبابه اتسعت ، فان جريرا قد اعتمدت في مديحه وفخره وان لم يكن مكثرا من هذا الفن ولعل منه قوله في معرض حديثه عن نفسه : (١)

وَلَقَدْ عَجِبْتُ الدِّيارَ وَأَهْلَهَا      وَالذَّهْرَ كَيْفَ يُبَدِّلُ الْأَبْدَالَ  
وَرَأَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا قَدْ أَقْفَرَتْ      بَعْدَ الْوَجِيفِ وَمَلَّتِ التَّرْحَالَ

ويقول في معرض فخره على الأخطل : (٢)

نَحْنُ اجْتَبَيْنَا حِيَاضَ الْمَجْدِ مُتْرَعَةً      مِنْ حَوْمَةٍ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهَا كَدْرُ

وحياض (٣) المجد هنا انما يريد بها الأفعال والمواطن التي يبنى بها المجد وكان جريرا قد جرد الأخطل وقومه من هذه الصفات

وقد أتى على الاستعارات ولكنه لم يفرق فيها فجاءت قريبة حسنة لا يتعب القارئ في اجرائها وقد ساعدته هذه الاستعارات في

تحديد ملامحه الأسلوبية وقيمه التعبيرية التي ميزته عن غيره كما كانت عوناً له في توضيح صوره واخراجها في أسلوب سهل مقبول مع أنه لم يعتمد الاكثار منها ومن هذه الاستعارات قوله في مدح

الخليفة عبد الملك بن مروان : (٤)

(١) ديوان جرير : ٤٨/١ . (٢) ديوان جرير : ١٥٣/١ .

(٣) وفي نقائض جرير والأخطل : ١٦٩ ورد البيت بالرواية التالية : نحن احتضرنا حياض المجد قبلكم والمجد دون لثام الناس محتضر

(٤) ديوان جرير : ٩٤/١ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٨٣ .

(٥) ديوان جرير : ٧٥/٢ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٩٤ .

اللَّهُ طَوَّقَكَ الْخِلَافَةَ وَالْهُدَى وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ

وقوله فى معرض فخره بنفسه وانتسابه الى خندف : (١)

تَوَاضَعَتِ الْقُرُومُ (٢) لِخُنْدَفِيٍّ إِذَا شِئْنَا تَخَمَّطَ ثُمَّ صَالَا

وكقوله فى مدح الخليفة يزيد بن عبد الملك : (٣)

بَدْرٌ عَلَا فَأَنَارَ لَيْسَ بِأَفْرِيلٍ نُورُ الْبَرِيَّةِ مَالَهُ اسْتِسْرَارُ

وكقوله أيضا فى نفس الممدوح : (٤)

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ فَجَذَّ اللَّهُ دَابِرَهُمْ كَادُوا بِمَكْرِهِمْ فَارْتَدَّ فِي بُورٍ (٥)

وفى هذا البيت استعارة فى قوله " جذ " كما أن فى الشطر الثانى كناية عن فشلهم أى فشل أعداء يزيد وذلك فى قوله : ( فارتد فى بور ) وتعد الاستعارة والتشبيه من أكثر الكيفيات الفنية استعمالا عند جرير ومن هذه الاستعارات أيضا قوله فى مديح يزيد : (٦)

وَعُرُوقٌ نَبَعْتِكُمْ (٧) لَهَا طِيبُ الثَّرَى وَالْفَرْعُ لَا جَعْدٌ وَلَا خَسَّارٌ (٨)

(١) ديوان جرير : ٧٥٠/٢ ، نقائض جرير والأخطل : ١٩٤ .

(٢) القروم : جمع قرم وهو الفحل من الابل الذى لم يسه حمل ولا حمل عليه .

(٣) ديوان جرير : ٦٤٦/٢ .

(٤) ديوان جرير : ١٤٩/١ .

(٥) دابرهم : أى أفتاهم عن آخرهم . وجذ : أى قطع أى أنهم تأمروا على الخليفة فبأت مؤامرتهم بالفشل .

(٦) ديوان جرير : ٦٤٦/٢ . (٧) النبعة : المراد بها هنا الأصل

والجعد : القصير . (٨) الخوار : الضعيف .

ومن الفنون البلاغية التي اعتمدها جرير في مديحه وفخره

الكناية كقوله في مدح آل منظور : (١)

إِنَّ النَّدَى فِي بَنِي دُبْيَانَ قَدْ عَلِمُوا      وَالْمَجْدُ فِي آلِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ  
الْمَاطِرِينَ بِأَيْدِيهِمْ نَدَى دِيمَا      بِكُلِّ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ مِكَارِ

وكقوله يفتخر أيضا بمضريته : (٢)

إِنِّي أَمْرٌ مَضْرِيٌّ فِي أَرْوَمَتِهَا      مَشْهُورَةٌ عُرْتِي فِيهِمْ وَتَحْجِيلِي  
الْأَثْقَلُونَ حِصَاةً فِي نَدِيهِمْ      وَالْأَرْزُونُ إِذَا خَفَّ الْمَجَاهِيلُ

ففي البيت الأول استعارة في قوله ( أرومتها ) وأما الكناية فهي في البيت الثاني كناية عن علامات المجد الفارقة وكثرة عددهم ورجاحة عقولهم وورزانتها ، ومن هذه الكنايات قوله يمدح المهاجر بن عبيد الله الكلابي : (٣)

إِنَّ الْمُهَاجِرَ حِينَ يَبْسُطُ كَفَّهُ      سَبَطَ الْبَنَاتِ طَوِيلُ عَظْمِ السَّاعِدِ .

كناية عن الكرم وقد كان للطباق دور في مديح جرير وفخره ، ومن هذا الجنس البلاغي قوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (٤)

لِتَنْعَشَ الْيَوْمَ رِيشِي ثُمَّ تَنْهَضْنِي      وَتَنْزِلَ الْيُسْرَ مِنِّي مَوْضِعَ الْعُسْرِ

(١) ديوان جرير : ٧١٥/٢ .

(٢) ديوان جرير : ٧٥٧/٢ .

(٣) ديوان جرير : ٦٣٧/٢ .

(٤) ديوان جرير : ٤١٧/١ .

ولا أريد أن أتبع كل ماورد في مديح جرير وفخره من هذه  
 الفنن البلاغية سواء منها التشبيه والاستعارة أو الكناية والمجاز  
 والطباق أو غير هذا مما لم نأت عليه هنا ، وإنما قصدت التمثيل ليس  
 الا . ولقد جاءت هذه الأدوات التعبيرية سهلة واضحة ميسورة ، فلم  
 يكن يتكلفها ، وإنما تأتي عنده بين آونة وأخرى دون أن يقصدها  
 قصدا فجاءت عذبة رقيقة أضفت على شعره حلاوة وعذوبة ولم يخرج  
 عن مظاهر البيئة العربية ، فاستمد منها صوره وعناصر تشبيهاته  
 ومعانيه كلها مما اتصل به من مظاهر بيئته فسرت أشعاره في نفوس  
 الناس سريان الماء في الأحياء ، ولئن قصر مديحه وفخره عن أغراضه  
 الأخرى فإن هذين الغرضين لم يعدا الكثير من مظاهر التفنن  
 التعبيري عنده ، فلم يبعد بخیاله بعيدا ، بل سبح في رحاب الكون  
 الرحب فقدم هذه السمات الفنية بأسهل مايمكن من معنى وبأرق ما  
 تجيش به من مشاعر ، وليس غرضنا في دراسة فن جرير التعبيري تصيد  
 هذه الألوان البديعية والبيانية وماتضمنه فنه مما احتواه علم المعاني  
 بقدر ما نبحث عن الملامح التي ترقى بشعر هذا الشاعر الى درجة  
 الفحولة والقوة مع احتفاظه بطابع السهولة واللين والرقّة والعذوبة  
 فلقد كان جرير سريع الوصول الى المعاني ، يريد لها فتسرع اليه فلم  
 تمر عليه لحظة تعثرت فيها المعاني واستعصت عليه ، ولم يكن خلع  
 ضرس عنده أهون عليه من قول بيت شعر كما هو الحال بالنسبة  
 للفرزدق . لأن جريرا يجد المعاني سهلة منقاداة اليه ، ولأنه  
 ابتعد عما تعسر أو تقعر من الألفاظ (١)

(١) انظر رحلة الشعر د . مصطفى الشكعة : ٤٢ - ٤٨ (عالم الكتب بيروت )

ومن هنا سهل على الناس حفظ أشعاره وروايتها لأنه كان لسان المجتمع الناطق الذى يعبر عن السواد الأعظم من جمهورهم فينزل بأسلوبه اليهم مراعى افهامهم وقدراتهم ، ولا يعنينا هنا من نتاجه الا المديح والفخر ، فقد كان لهما نصيب وافر من السهولة والوضوح والقوة والضعف حسب ما يقتضى الحال من الشاعر ، وقد انعكست عاطفة جرير على مديحه وفخره فكانت صورة لخبايا نفسه تجاه من يمدح وتجاه من يفتخر بهم حتى ولو كان الذى يفخر به نفسه وشاعريته .

واذ قد عرفنا هذا فلا غرابة فى تميز أسلوب جرير بالسهولة والركة وحلاوة الشعر وسيرورته حتى غدا هذا من أبرز سمات فنسه التعبيرى . ولقد كانت صورته الفنية بسيطة فلم يعتمد فى مقاطعه الفنية على التصوير الحركى كما فعل الأخطل ، وانما كان يتصيّد الصور اليسيرة التى يعطى من خلالها للمدح وجها مشرقا لقضية من القضايا الاجتماعية . كتصويره نساء مجتمعه وضعفائهم لعمر بن عبد العزيز أو كتصوير نفسه للخليفة عبد الملك بن مروان حيث بدا فى صورة متناهية من الضعف والاستكانة :

سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَى رِيشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي  
ولم يقارن بمدوحه بالفرات أو النيل ، وانما اكتفى بتشبيهه بالحر فى بيت واحد :

سَأَمْتَحُ الْبُحُورَ فَجَنِينِي أذَاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظِرِي امْتِيَا حِي  
ولعل ما ثبت عنه من أنه كان يقصر المديح فلا يطيله قد حد من

اغراقه في كثير من الصور الفنية التي تعطى للمعنى قوة وجلالا ،  
ومن هنا قصر حقا عن الفرزدق والأخطل من هذه الناحية ، وغاية  
ما يمكننا قوله عن فن جرير التعبيري : أنه سهل المأثى غير ممعن  
في اصطياد الشوارد وما يترتب عليه من مظاهر الجمال الفني فى  
المضمون ، ومن هنا كانت التقدمة لصاحبيه فى هذين الغرضين .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx



أما فيما يتعلق بالموسيقى الخارجية والداخلية عند جرير فقد وجدت أثناء تتبعى لأوزانه أنه قد ولع بالطويل والوافر ، والكامل والبيط ، يلي هذه الأوزان الرجز والمقارب . (١) وإن لم ينظم على هذين الوزنين الأخيرين الا ثمانى مقطوعات قصار ، أما بقية الأوزان المتعارف عليها فى الشعر العربى المتمثلة فى بحور الخليل فلم نجد فى ديوانه المحقق أى أثر يذكر فى النظم عليها .

ولقد أشار بعض الباحثين المحدثين (٢) الى أن جريرا كان أكثر ولوفا فى نظمه على الوافر .

والواقع أنه قد نجح فى النظم على هذا الوزن نجاحا بهر النقاد إذ جاءت قصائده التى قالها على هذا البحر قوية مؤثرة . الا أنه من خلال استقراء قصائده وجدت أنه نظم على الطويل كثيرا وهو مما يلى الوافر كثرة ثم يعقبه الكامل والبيط . وقد استوفى جرير غرضه الذى يريد سواء أكان مديحا أم فخرا على أى وزن شاء من هذه الأوزان التى لم يخرج فى أشعاره كلها عنها ، ولقد تناغمت أوزانه مع عاطفته الصادقة فجاء شعره صورة حية لنفسيته ومايختلج فيها من عواطف وأحاسيس حتى غدا الشعر بالنسبة له كالسيل الجارف الذى لا يقف فى طريقه عائق إذ قد بلغ هذا الفن فى عصر جرير قمة

---

(١) الرجز ويتألف من تكرار ( مستفعلين ) ست مرات . وأما المقارب : فهو أحد البحور الثمانية التفاعيل . وتفاعيله من نوع واحد ( فعولن ) .

(٢) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨٦ .

النضج بعد أن التهبت العصبية القلبية ، واتخذت النقائص أسلوبا متميزا فى الشعر ، فكان جرير واحدا من فرسان هذه النقائص التى اقتضت منه أن ينظم شعره على هذه الأوزان القوية كما فعل الفرزدق والأخطل ليتسنى له نقض أشعارهما . هذا ما يختص بالوزن عند جرير . أما القافية التى ولع بها : فهى قافية ( الراء ، الميم اللام ، الدال ، الباء ) ولعل الراء كانت أكثر القوافى استهـواء لحاسته الفنية فكانت الأكثر استعمالا تليها الحروف الأخرى فكانت أكثر الحروف روى عند جرير يليها المجموعة الثانية وهى : ( النون ، العين ، القاف ، الحاء ) ثم تعقبها مجموعة ثالثة قل نظمه عليها وهى : ( الهمزة ، الكاف ، الجيم ، الضاد ، التاء الخاء ، الألف اللينة ، الصاد ، الطاء ، الهاء ، الفاء ، السين ، الثاء ) ولم يزد نظم جرير فيها على ست مقطوعات ، ثم هناك حروف لم ترد روى من خلال استقراءنا لديوانه المحقق وهذه المجموعة هى ( الذال ، الزاى ، الشين ، الظاء ، الغين ) (١) .

وجرير فى قوافيه يميل الى حركة الكسر كثيرا يلى ذلك الضم فالفتح ، ثم السكون نادرا . هذا من ناحية الوزن والقافية ، وهذا ما يعرف بالموسيقى الخارجية .

أما موسيقى جرير الداخلية فقد كرت فى شعره غير مستثنين مديحه وفخره ، اذ تميزا بموسيقية الألفاظ المتجاوبة مع بعضها والتى يحسبها القارئ وهى ترن فى أذنيه بجرسها الأخاذ وقد أعجب

---

(١) اعتمدت فى هذا الإحصاء على فهرس القصائد المرتبة وفق رويها فى

عبد الملك بن مروان بمدحته الحائية ( بطون راح ) عندما طرق  
أذنه مافيها من موسيقى رائعة حتى اذا ما وصل الى ذلك الاستفهام  
التقريرى الذى هز وجدان عبد الملك :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالِسِينَ بَطُونِ رَاحٍ

زالت موجدته وانحسر غضبه وبدأ يهش له .

وما من شك فى أن الاستفهام من أقوى الأساليب فى اللغة  
العربية ، وبخاصة عندما يخرج عن معناه الى معان بلاغية ثانوية  
كما هو الحال فى هذا البيت . ولقد كانت موهبة جرير الشعرية  
خير هاد له فى اختيار الألفاظ المناسبة وحسن تنسيقها ووضعها  
بازاء معانيها مما أتاح له فرصة التأثير فى نفوس سامعيه .  
وكما نلاحظ فى البيت السابق فان الاستفهام التقريرى قد زاد  
من حلاوة اللفظ وقوة تأثيره وتمكنه بمعناه فى الذهن فكان لهذا  
الأسلوب تأثير عظيم فى نفس الممدوح وقد يقف الانسان متأملا متعجبا  
لحلاوة ألفاظ جرير وجمال جرسها وعمق معانيها فى مثل قوله  
يفتخر: (١)

إِمَّا تَرِينِي وَهَذَا الدَّهْرُ ذَوِغِيرٍ      فَي مَنَكِيَّ وَفِي الْأَصْلَابِ تَحْنِيْبُ  
فَقَدْ أَمَدَّ نِجَادَ السَّيْفِ مُعْتَدِلًا      مِثْلَ الرَّدْيَيْنِي هَزَتْهُ الْأَنْبِيْبُ  
وَقَدْ أَكُونُ عَلَى الْحَاجَاتِ ذَالِبٌ      وَأَحْذِيَا إِذَا انْضَمَّ الذَّعَالِيْبُ

فهو يصور حاله بعد أن أصابته أحداث الدهر بويلاتها فأصبح

محدود بظهر الا أنه يفتخر بأنه والحالة هذه كان يشهر سيفه معتدل القائمة كالرمح اذا اهتز . وهو وان كان يقوى على التصبر عندما تتعذر عليه بعض الرغائب والحاجات الا أنه لا صبر له على التخلي عن النجدة فهو يسرع فيها ويشمر لها وسواء صدقت هذه المعاني على جرير أم لم تصدق فانها حقا تتميز بصدق العاطفة وجمال النغم مما أضفى على هذا الفخر جرسا موسيقيا عذبا أسهم في ايجاد تناغم صوتي مؤثر يتهادى المعنى بين ألفاظه فيطرب النفس وترجع الوجدان ، وكأن جريرا رسام موسيقى معا يجيد رسم الصورة البسيطة المعبرة التي لا تكلف فيها وقد سرت فيها موسيقاه التي تنعش بنغماتها الآذان بل الأبدان ، فهو يكيف تعابيره حسب ذوقه الخاص واحساسه المرفه .

وحينما نتبع مظاهر هذه الموسيقى في مديحه وفخره نجدها تنبع من أشياء عدة في تركيبة الجملة ، وأول ما نلاحظ موسيقية الألفاظ بوجه عام فهذه الموسيقى لا تظهر في حرف بعينه من أول وهلة بقدر ظهورها في الألفاظ بعمامة وتجاوب تلك الألفاظ مع بعضها فتحدث انسجاما صوتيا مؤثرا نشتم فيه عذوبة المعنى ودقته بعيدا عن التكلف والتعقيد ، وتتجلى هذه الرشاقة في اللفظ والمعنى واضحة في مثل قوله يمتدح الخليفة هشام بن عبد الملك ، ويسترفده مبينا أنه قد أنقذه وزوجته وأبناءه من ويلات الجوع والاملاق : (١)

---

(١) ديوان جرير : ٣٤٣/١ - ٣٤٤ .

لولا ابن عائشة المبارك سيبه  
 إن الرصافة منزل لخليفة  
 ما إن تركت من البلاد مضلة  
 أعطيت عافية ونصراً عاجلاً  
 الحمد لله الذي أعطاكم  
 أبكى بنى وأمه طول الطوى  
 جمع المكارم والعزائم والتقى  
 إلا رفعت بها مناراً للهدى  
 آمين ثم وقيت أسباب الردى  
 حسن الصنائع والدسائع<sup>(١)</sup> والعلی

ففى هذه الأبيات ألفاظ سهلة أجاد الشاعر بناءها بعضها  
 مع بعض فى جمل غاية فى السهولة فغدت متجاوبة بعضها مع بعض  
 أبلغ تجاوب وأصبح لها من الوقع الصوتى والتأثير المعنوى ما لا ينكره  
 ذوق . وان كانت كلها ألفاظاً سهلة ليس فيها تقعر ولا تعقيد ولا  
 غموض ، وليست غريبة أو حوشية ، ولكن عذوبتها تكمن فى قوة جرسها  
 وحلاوته وانسيابها دونما تعب أو كبير تأمل ولا شك فى أن هذا شأن  
 شعراء الطبع<sup>(٢)</sup> الذين ينادون بشعرهم عن التكلف والاغراق فى  
 الصنعة اللفظية التى قد تذهب بجمال المعنى وتفقده الكثير من  
 الجرس الموسيقى ومثل هذه المعانى والألفاظ فى السهولة والرقّة  
 والجمال الموسيقى قوله كذلك يمتدح الخليفة عبد الملك بن مروان<sup>(٣)</sup>

الله طوقك الخلافة والهدى  
 تغلو الرجال إذا النجى أضجهم  
 والى المكارم والخلافة أهلها  
 فالملك أفيح<sup>(٤)</sup> والعطاء جزيل  
 والله ليس لما قضى تبديل  
 أمر تضيق به الصدور جليل

(١) الدسائع : أى المكارم . (٢) انظر الأغاني : ٣٩٤/٢١ .

(٣) ديوان جرير : ٩٤/١ .

(٤) الأفح : مفرد فح وهو الواسع ، انظر المعجم الوسيط مادة ( فاح ) .

فانظر هنا الى وقع لفظة ( طوقك ) التى ترزع السامع  
أو القارئ بما تحويه من صورة رائعة استمدت روعتها من ذى الجلالة  
والاكرام - سبحانه وتعالى - ومن جمال جرس اللفظة ومن احاطتها  
أى الخلافة بعنقه فلعل هذه الصورة أقوى ماتوضع فيه الخلافة  
منسوبة الى بشر يحمل أثقالها والى الخالق العظيم يحمل البشر  
مستوليتهم .

وانظر الى حلاوة لفظ ( أفصح ) الذى يستمد حلاوته من  
اجتماع الفاء والحاء فى هذه الفظة ، والى مجيئها على صيغة  
" أفعل " التى هى من صيغ التهويل والتعظيم ، وأخيرا جمال  
الصورة التى تكمن فى جملة ( الملك أفصح ) ومثل هذا قوله كذلك  
فى معرض فخره : (١)

|                                                     |                                                    |
|-----------------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| مَاعِضَ نَابِيٍّ قَوْمًا أَوْ أَقُولُ لَهُمْ        | إِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاكُمْ           |
| إِنِّي أَمَرْتُ لَمْ أَرِدْ فِيمَنْ أَنَا وَئِثُّهُ | لِلنَّاسِ ظُلْمًا وَلَا لِلْحَرْبِ إِذْ هَانَا     |
| أَحْمِي حِمَايَ بِأَعْلَى الْمَجْدِ مَنَزَلَتِي     | مِنْ خَنْدِفٍ وَالذُّرَّانِ مِنْ قَيْسٍ عَيْلَانَا |

ولا يناع أحد فى سهولة هذه الألفاظ وحلاوة نغمها الموسيقى  
الناج من جمال المعنى وبعض التكرار وتنسيق الألفاظ مما أتاح  
جمال رنين لدى السامع ، وإن أردت مزيد تفصيل فاقرأ الشطر الثانى  
من البيت الأول وتأمله طويلا .

هذه هى الألفاظ مجتمعة وماتكونه من موسيقى داخلية عذبة

وهو الجانب الأكثر وضوحا في موسيقى جرير .

وقد نجد لهذه الموسيقى مظاهر أخرى غير اجتماع الألفاظ وذلك في التكرار<sup>(١)</sup> الذي يكسب المعنى قوة وجمالا . وهذا التكرار اما لحرف بعينه أو لفظ بعينه أو جملة تامة فتكرار الحرف الواحد قد يأتي في عدة أبيات متتابعة كقوله يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك (٢)

|                                                    |                                              |
|----------------------------------------------------|----------------------------------------------|
| بَعْدَ الْإِمَامِ وَلِيِّ الْعَهْدِ أَيُوبُ        | إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي تُرَجَى نَوَافِلُهُ |
| أَهْلُ الزُّبُورِ فِي التَّوَرَاةِ مَكْتُوبُ       | أَنْتَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّحْمَنِ يَعْرفُهُ   |
| وَأَسْتَعْرِفُوا قَالَ مَا فِي الْيَوْمِ تَثْرِيبُ | كُونُوا كَيُوسُفَ لَمَّا جَاءَ إِخْوَتُهُ    |
| تَوْفِيقَ يُوسُفَ إِذْ وَصَّاهُ يَعْتُوبُ          | اللَّهُ فَضَّلَهُ وَاللَّهُ وَفَّقَهُ        |

فقد كرر ( الهاء ) المضمومة في عروض كل بيت من هذه الأبيات ليعطى بذلك صوتا متميزا مع أن تكرار الحرف الواحد بعينه قد يأتي في البيت الواحد عدة مرات كقوله يفاخر بشاعريته :

|                                        |                                        |
|----------------------------------------|----------------------------------------|
| وَسَيَّرْنَا قَوَافِي أَبْدَاتِ        | غَلَبْنِ مَهْلِهْلًا وَأَبَا دُؤَادِ   |
| وَجَنَّ الْخَافِقِينَ يَسْرُنَ فِيهِمْ | سِرَاجَ السَّيْرِ نَازِحَةَ الْمَعَادِ |

فقد كرر حرف ( السين ) في البيت الثاني ثلاث مرات وهكذا .

وبقدر ما يكرر الحرف الواحد فقد يكرر كذلك اللفظ الواحد وماعهدنا (١) والتكرار قد يكون محضا ، وقد يكون لتقوية النغم ، وقد يأتي لتقوية المعاني الصورية . أنظر : المرشد الى فهم أشعار العرب ووصفها / عبد الله

الطبيب : ٤٩٥/٢ - ٥٢٠ :  
(١) ديوان جرير : ٣٤٨/١ - ٣٤٩ :

(٢) المصدر السابق : ٦٩٢/٢ .

بما أشرنا إليه من تكرار في قوله : ( ..... اياكم ثم اياكم وايانا )  
ببعيد ، وكذلك قوله يمدح عمر بن عبد العزيز : (١)

تَزَوَّدَ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا      فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادَا

فجاء في أول البيت بالفعل " تزود " ثم كرر لفظ " الزاد " أربع مرات كما نرى ، وكان هذه المادة تدور حول معنى التزود بالخير والعدل ، وقد أعطى هذا التكرار في البيت صفة صوتية متزامنة مع مقاطع الكلمات فزاد المعنى قوة وثباتا ، ومثل هذا قوله كذلك يفتخر بقومه الشجعان الذين دافعوا العدى وأنهم شعث الشعر : (٢)

مَنْعَنَاكُمْ حَتَّى ابْتَنَيْتُمْ بَيْوتَكُمْ      وَأَصْدَرَ رَاعِيَكُمْ بَفْلَجٍ وَأُورَدَا  
يُسْعَثُ عَلَى شُعْتٍ مَغَاوِرٍ بِالضُّحَى      إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ لِرَوْعٍ وَنَدَدَا

فقد كرر الصفة ( شعث ) مرتين في شطر واحد لتكثيف المعنى وزيادة تمكينه في النفس ، ولقد نجد جريرا يكرر الجملة الفعلية بعينها كقوله يمدح هلال بن أحوز المازني : (٣)

أَلَا رَبَّ سَامِي الطَّرَفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ      إِذَا شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمْرًا

فقد كرر الفعل الماضي ( شمر ) مرتين وكان لهذا التكرار أثر في توكيد المعنى ووصف مدوحه بالشجاعة المتناهية .

(١) ديوان جرير : ١١٨/١ .

(٢) المصدر السابق : ٨٥٢/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٤٧٠/١ .



وقد نحس هذه الموسيقى من التكرار بالتشديد لبعض الحروف

فى البيت الواحد كقوله يفخر : (١)

أَنَا ابْنُ الثَّرَى أَدْعُو قُضَاعَةَ نَاصِرِي      وَآلَ نِزَارٍ مَا أَعَدَّ وَأَكْثَرَ  
عَدِيدًا مَعْدِيًّا لَهُ ثَرْوَةُ الْحَصَى      وَعِزًّا قُضَاعِيًّا وَعِزًّا تَنْزَرًا

فقد كثرت الحروف المشددة فى هذا البيت كما نرى حتى بلغت  
حركات التشديد ست حركات ( معدّيّا ، عزّا ، قضاعيّا ، عزّا ، تنزّرّا )

وقد يكرر الاسم الواحد فى بيتين كقوله يفخر بقيس : (٢)

وَقَيْسٌ هُمُ الْكَهْفِ الَّذِى نَسْتَعْدُّهُ      لِدَفْعِ الْأَعَادِى أَوْ لِحَمْلِ الْعِظَامِ  
بَنُو الْمَجْدِ قَيْسٌ وَالْعَوَاتِكُ مِنْهُمْ      وَلَدَنْ بَحُورًا لِلْبُحُورِ الْخَضَارِمِ

ان هذا التكرار سواء أكان للحروف بعينها أو للأسماء  
والأفعال أو غير هذا مما ورد فى مديح وفخر جرير يوضح نتاجه  
بنغمات موسيقية متفاوتة من حيث الانفعال النفسى ، ويتفاوت هذا  
الانفعال تبعاً لتفاوت هذه الموسيقى الداخلية ومدى ارتباطها  
بالغرض الشعرى ، فتارة تأتى هذه الموسيقى عذبة تسرى فى النفس  
كما فى بعض مدائحه وفخره ، وبخاصة فى مديح الولاة وفخـره  
بشاعريته وأحياناً تأتى خافتة لا تأثير فيها ولا جدة . وليس ثمة  
شك فى أن موسيقى جرير الداخلية جاءت صورة معبرة عن نفسه وطباعه  
وقد أشار الى هذا الدكتور " نعمان طه " (٣) حيث يرى أن هذه

(١) ديوان جرير : ٤٧١/١ - ٤٧٢ - (٢) المصدر السابق : ١٠٣/٢

(٣) جرير حياته وشعره . د . نعمان طه : ١٠٤ - ٣٨٦ .

الموسيقى الداخلية الهادئة والألفاظ الرقيقة السهلة قد ناسبـت  
نفسه الهادئة اللينة ، وكذلك خياله الذى يرسم الصورة فى ألوان  
غير صارخة وكذلك شكل القصيدة الذى يتركب من الوزن الخارجى  
والقافية .

\*\*\*\*\*

# الباب الخامس

النقد حول الشعراء الثلاثة

وكفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

آراء النقاد القدامى في الشعراء الثلاثة

ومناقشتها .

الفصل الثاني :

دراسة المحدثين حول الشعراء الثلاثة

الفصل الثالث :

موازنة بين الشعراء الثلاثة في ضوء

النقد الحديث .

## " الباب الخامس "

+++++

## \* \* النقد حول الشعراء الثلاثة \* \*

ترجع الأخطل والفرزدق وجريز على قمة الشعر العربي في العصر  
الأموي ونشبت بينهم معارك هجائية كان فيها الأخطل والفرزدق خصمين  
لجريز ، واستمرت هذه الخصومة زهاء نصف قرن من الزمن . (١)

لقد ملأ هؤلاء الشعراء الثلاثة الدنيا وشغلوا الناس ، فكان من  
الطبيعى أن تكثر حولهم الآراء النقدية قديما ، وأن تتعدد الدراسات  
الأدبية حديثا ، وسنحاول عند تناولنا لهذا الباب أن نستعرض بقدر  
الامكان أهم هذه الآراء التى دارت حولهم قديما ثم نناقشها ، وبعد  
هذا نردف باستعراض لدراسات المحدثين (٢) ثم نوازن بين الشعراء  
الثلاثة فى ضوء النقد الحديث .

(١) لج الهجاء بين جريز والفرزدق ، فطلب بشر بن مروان من الأخطل  
وكانوا جميعا فى مجلسه أن يحكم بينهما فقال الأخطل : الفرزدق  
ينحت من صخر وجريز يغرف من بحر ، فلم يرض جريز بهذا  
الحكم فكان هذا سبب الهجاء بينهما بالإضافة الى الأسباب  
الأخرى . انظر : طبقات فحول الشعراء : ٤٧٤/١ ، ٤٥٢ .

(٢) أطلقت عليهم دارسين ولم أقل نقادا لأنهم فى الواقع قاموا بالنقد  
والدراسة فكانت هذه الصفة أشمل من كلمة " نقاد " .

# الفصل الأول

آراء النقاد القدامى في الشعراء  
الثلاثة ومناقشتها

## " الفصل الأول "

آراء النقاد القدامى فى الشعراء الثلاثة ومناقشتها

\*\*\*\*\*

\* آراء النقاد القدامى فى الأخطل \* \*

اختلف النقاد القدامى فى هذا الشاعر مابين متعصب لـه  
وعليه ، وتعددت الآراء حوله فوصل بعضها الى حد الغلو اذ جعلته  
أشعر شعراء العرب قاطبة (١) ، وكان بعض هذه الآراء أقرب الى  
الاعتدال ، وأبعد عن التطرف والغلو ، بينما وجدنا آراء أخرى  
للمتقدمين تجعله دون صاحبيه ، وأقل منهما شاعرية .

وسنرى فى هذا الفصل ماكان من هذه الآراء مفرطاً فى غلوئه  
وماكان منصفاً معتدلاً ثم تلك التى كانت على الأخطل لا له .  
محاولين فى هذا الاستقصاء قدر الامكان .

قال يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢هـ (٢) : الأخطل أشعر  
الثلاثة ، وقد روى هذا عن عيسى بن عمر (ت : ١٩٤ هـ) ، وأبى  
اسحاق الحضرمي (ت : ١١٧ هـ) ، وأبى عمرو بن العلاء (ت : ١٥٤ هـ)  
وعنبسة الفيل (ت : ١١٧ هـ) ، وميمون الأقرن (٣) .

(١) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) أمالى اليزيدى : ٨٠ ، والأغانى : ٢٨٣/٨ .

(٣) انظر تراجم هؤلاء الرواة فى كتاب نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة

للشيخ محمد الطنطاوى : ٥٧-٦٣ .

(٤) لم أعثر على تاريخ وفاته ، وانظر ترجمته فى أنباء الرواة على أنبأه

النحاة - للقطبي : ٣٣٧/٣ .

وسئل حماد الراوية (ت : ١٥٥ هـ) عن الأخطل فأجاب :

ماتسألوني عن رجل قد حبيب شعره الى النصرانية . (١)

وورد عن يونس قوله : اجمعت العلماء على الأخطل وفضلوه

بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياذ ليس فيها فحش ولا سقط (٢) .

وقال عيسى بن عمر في مجلس تذاكروا فيه الشعر والشعراء

وأيهم أفضل ؟ : أشعر الناس الأخطل حيث يقول :

ونجى ابن بدر ركضه من رماحنا ولينة الأعطاف ملهبة الخصر (٣)

ثم قال : لله دره كيف يتنخل شعره (٤) .

ولكننا نلاحظ أن هذا الحكم الجزئي ليس دليلا على تفوق

الأخطل تفوقا كليا في جميع ماقاله من شعر .

وكان أبو عمرو بن العلاء معجبا بشعر الأخطل ولا يرى له

مثيلا في الجودة والفحولة الا أن تأخره حال دون تفضيله على

الشعراء القدماء ولهذا قال : (٥)

" لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما فضلت عليه

أحدا " . (٦)

(١) الأغاني : ٢٨٥/٨ ، ٢٨٧ .

(٢) هذا الرأي مردود لأنني استقرأت شعر الفرزدق فوجدت له قصائد كثيرة طوال جياذ قد لا يجاريه فيها أحد .

(٣) لينة الأعطاف : أي الفرس .

(٤) جمهرة أشعار العرب : ١٠٢-١٠٣ ، ومعنى يتنخل شعره : أي

يختار كلماته اختيارا . (٥) الأغاني : ٢٨٥/٨ .

(٦) ولا شك أن في هذا تعصبا أعمى لهذا الشاعر .

وقد شبهوه من شعراء الجاهلية بالنايفة لصحة شعره . (١)

كما ورد عن أبي عبيدة ( ت : ٢٠٧ هـ ) قوله :

" شعراء الاسلام : الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق " (٢) .

وقد بلغ من اعتداد الأخطل بنفسه أنه اذا سئل عن أشعر

الناس أجاب : " أنا " . وسئل فيم فضل الشعراء ؟ فقال

: في المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بي فيه . (٣)

وفضله بعض النقاد بأنه كان أشدهم تهذيبا للشعر (٤) ، كما

تعصب بعض العلماء له فقدموه على صاحبيه .

قال الصولي : " وقدم الأخطل عليهما خلق من العلماء " (٥)

وهذا القول كما نرى غير محدد ولكن بعض الروايات ذكرت

أسماء من فضلوا الأخطل ، ومنهم حماد بن الزبرقان الذي قال : (٦)

" أشعر العرب شيخا وائل الأعشى في الجاهلية ، والأخطل

في الاسلام " .

(١) الشعر والشعراء : ٢٨٣/١ .

(٢) الأغاني : ٢٨٦/٨ .

(٣) الشعر والشعراء : ٤٦٧/١ ، ولا شك أن في هذه الاجابة كثيرا

من التجاوز اذ أن جريرا فاقه دون شك في النسيب كما نعلم .

(٤) الأغاني : ٢٨٣/٨ .

(٥) أخبار أبي تمام : ١٧٤ .

(٦) شعر الأخطل - صنعة السكرى : ١٣/١ .



وقال ابن سلام : سمعت سلمة بن عياش يقول : (١)  
 " تذاكرنا جريرا والفرزدق والأخطل فقال قائل : من مثل  
 الأخطل ان فى كل بيت له بيتين " .

وقد كان جرير الشاعر يقول : لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن  
 وما رأيت الا خشيت أن يبتلعنى ، وقال : ان الأخطل يجيد نعت  
 الملوك ويصيب صفة الخمر ، ثم قال أيضا : الأخطل أشدنا اجترأ  
 وأرمانا للفرائص . (٢)

وحينما سئل ابن سلام عن بيتي جرير والأخطل :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ  
 ، شُمُسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

أجاب : بيت جرير أحلى وأسير ، وبيت الأخطل أجزل وأونن  
 وهكذا كانا فى نفسيهما عند الخاصة والعامة . (٣)

وسئل جرير عنه مرة أخرى فقال : ( قاتل الله نصرانى بنى  
 تغلب فما أنقى شعره وأبين فضله ) .

وقيل لأبى العباس أسير المؤمنين : ( أن رجلا شاعرا قد  
 مدحك فتسمع منه ؟ ) قال : ( وماذا عساه أن يقول فى بعد قول

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٨٨/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٨٧/١ ، ٤٨٨ ، والأغاني : ٢٨٤/٨  
 ومعنى أرمانا للفرائص : أى للهدف فيصيب المقتل .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٤٩٤/١ - ٤٩٥ .

ابن النصرانية في بنى أمية ( ١ ) .

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

ولعل اعجاب أبي العباس يرجع الى ما في بيت الأخطل من  
تعبير عن السيطرة فهو يريد شاعر يعبر عن سيطرة الحاكم كما عبر  
الأخطل في هذا البيت عن سيطرة بنى أمية ( ٢ )

وحينما سئل عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - عن  
الأخطل وجريرو قال ( ٣ ) : ان الأخطل ضيق عليه كفره القول ، وأن  
جريرا أوسع عليه اسلامه قوله وقد بلغ منه الأخطل حيث رأيت ففضل  
الأخطل . وهذا يعيد قول جريرو بأنه أعين عليه بكفره وكبر سنه .

وقد سأل عبد الملك بن مروان الفرزدق عن أشعر الناس في  
الاسلام فأجابه ( ٤ ) : كهك بابن النصرانية اذا مدح ، وقال الفرزدق  
أيضا : الأخطل أمدح العرب .

وفضله اسحاق بن مرار الشيباني قائلا : ( ٥ ) الأخطل أشعر

الثلثة .

وجاء في كتاب الأغاني قول أبي الفرج : ( ومحل في الشعر  
أكبر من<sup>١</sup> يحتاج الى وصف ) ( ٦ ) .

( ١ ) الموشح : ٢٠٧ .

( ٢ ) الأغاني : ٣٠١ / ٨ .

( ٣ ) الأغاني : ٣٠٦ / ٨ .

( ٤ ) الأغاني : ٣٠٦ / ٨ .

( ٥ ) المصدر السابق : ٢٨٧ / ٨ . ( ٦ ) المصدر السابق : ٢٨٢ / ٨ .

هذه فى الواقع أهم الآراء النقدية التى دارت حول الأخطل قديما والتى كانت كما رأينا اما مفردة فى تفضيله مطلقا ، واما مفضلة له فى بعض شعره كالمديح والوصف والتشبيب . الا أن هناك آراء نوردها كانت مخالفة لما مضى حيث جعلته دون صاحبيه بما لا يلحقهما أبدا .

قال ابن سلام (١) : سألت بشارا العقيلي الأعمى ، فقلت : يا ابا معاذ أى الثلاثة أشعر جرير أو الفرزدق أو الأخطل ؟ ، وكان بشار عالما بصيرا فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولكن ربعة تعصبت له ، وأفرطت فيه .

وروى المرزبانى (٢) عن الأصمعى قوله : سألت بشار بن برد العقيلي . . أى الشعراء أشعر فى الاسلام ؟ قال : جرير والفرزدق قلت : فما بالهم جعلوا الأخطل ثالثا ؟ قال : تعصبت له ربعة فقالت لمضر : الحقوا لنا شاعرا فألحقوه وليس هناك .

وقال أبو الفرج الأصفهاني (٣) : فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل ، لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر ولا له مثل مالهما من فنونه ، ولا تصرف كتصرفهما فى سائره . وزعموا أن ربعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما .

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤٥٦/١ .

(٢) الموشح للمرزبانى : ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣) الأغاني : ٣٩٤/٢١ ، معجم الأدباء : ٣٠٠/١٩ .

وقال الأصفهاني كذلك (١) : وهو وإن كان له فضله وتقدمه

فليس نحوه من نجار هذين في شيء (٢).

على أن هناك آراء متفرقة في مصادر الأدب القديمة تشمل الشعراء الثلاثة معا سأعرض لها في حينها - إن شاء الله - لأن تلك الآراء لا تفرق بين الشعراء الثلاثة من حيث أيهم أفضل من صاحبه مطلقا ، بل كانت تبين مواطن المفاضلة بين بينهم في بعض الأغراض إلا أنها أيضا كانت أحكاما جزئية كما سنرى .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

---

(١) الأغاني : ٤/٨ .

(٢) والنجر : الأصل والحسب يريد أنه ليس من معدنهما .

\* \* آراء النقاد القدامى فى الفرزدق \* \*

---

الفرزدق شاعر فحل لولا شعره لضاع ثلث اللغة كما يقول : (١)  
يونس ابن حبيب ويكفيه قول الجاحظ : ( وان أحببت أن تروى من  
قصار القصائد شعرا لم يسمع بمثله فالتمس ذلك فى قصار قصائد  
الفرزدق فانك لم تر شاعرا قط يجمع التجويد فى القصار والطوال  
غيره ) (٢) .

وقال خصمه جرير الشاعر (٣) : ( نبعة الشعر الفرزدق ) (٤)  
وفضله على نفسه والأخطل ، وكان يونس يقدم الفرزدق بغير افراط  
وكان المفضل ( ت : ١٦٨ هـ ) يقدمه تقديما شديدة .

روى ابن سلام أن الحطيئة الشاعر فضل الفرزدق على نفسه  
وغيره من الشعراء عندما سمعه ينشده مدحته فى سعيد بن العاص

(١) الأغاني : ٣٩٥/٢١ ، البيان والتبيين : ٣٢١/١ .

(٢) الحيوان - للجاحظ : ٩٨/٣ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٢٩٩،٦٥/١ .

(٤) النبعة : وجمعها النبع : شجر ينبت فى قمة الجبل تتخذ من  
أعواده القسى ، وعودها أصفر رزين ثقيل فى اليد ، وإذا تقادم -  
احمر . وكل القسى اذا ضمت الى قوس النبع كرمتها قوس النبع  
وفضلتها لأنها أجمع القسى فى الشدة .

وجرير يعنى : أن فضل شعر الفرزدق على الشعر كقوس النبع  
فى فضلها على سائر القسى .

أنظر اللسان ( نبع ) وطبقات فحول الشعراء ٦٥/١ الحاشية .

فقال الحطيئة : ( هذا والله هو الشعر لا ماتعلل به منذ اليوم  
أيها الأمير ) (١) . فقال له كعب بن جعيل وكان حاضرا : ( فضله  
على نفسك ولا تفضله على غيرك ) ، فقال الحطيئة : ( بل والله  
أفضله على نفسي وعلى غيري ) (٢) .

وقيل للمفضل الضبي : الفرزدق أشعر أم جرير ؟ ...  
قال (٣) : الفرزدق لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين  
وأحسن في ذلك وهو قوله :

عَجِبْتُ لِعَجَلٍ إِذْ تَهَاجَى عبيدُهَا      كَمَا آلَ يَرْبُوعٌ هَجَا آلَ دَارِمٍ

وفضله سليمان بن عبد الملك على جرير ، وعدى بن الرقاع  
العاملى بأبياته التي يفتخر بها والتي منها قوله :

وَلَوْ رَفَعَ السَّحَابُ إِلَيْهِ قَوْمًا      عَلَوْنَا فِي السَّمَاءِ إِلَى السَّحَابِ

فقال سليمان : لا تنطقوا فوالله ماترك لكم مقالا (٤) .

(١) طبقات فحول الشعراء : ٣٢١/١ - ٣٢٢ ، الأغاني : ٢١ /

٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) جاء تفضيل الحطيئة للفرزدق بعد أن سمع القصيدة التي يقول فيها :

تَرَى الْعُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ      إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَسَالًا  
بَنِي عَمِّ الرُّسُولِ وَرَهْطُ عَمْرٍو      وَعُثْمَانُ الْأَلَى غَلَبُوا فِعَالًا  
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ      كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِرَالًا

(٣) الأغاني : ٢٨٤/٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٢١ / ٣٢٧ .

وقد امتعض جرير من صمود الفرزدق له وعبر عن هذا الامتعض بقوله (١) : مدهاني الا أننى هاجيت كذا وكذا شاعرا وأنه تفرد لى وحده .

وكان المبرد ( ت : ٢٨٥ هـ ) يفضل على جرير ، ويقول : (٢)  
الفرزدق يأتى بالبيت وأخيه وجرير يأتى بالبيت وابن عمه (٣)

وذكر ابن سلام أن الفرزدق كان أكثرهم بيتا مقلدا وأنه كان يداخل الكلام (٤) وكان ذلك يعجب أصحاب النحو .

وقال أبو الفرج : (٥)

( ) والفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل ومحل في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف ، لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علما يستغنى به عن الاطالة في الوصف ، وقد تكلم الناس في هذا قديما وحديثا وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيد فيه .

(١) الأغاني : ٢٨٦/٢١ .

(٢) الموشح : ١٩٢ .

(٣) أى أن شعر الفرزدق متساوى القيمة والصيغة الفنية أما أبيات جرير فتنتفى عنها هذه الناحية .

(٤) يقصد بالمداخلة هنا ماورد في شعر الفرزدق من التقديم والتأخير .

(٥) الأغاني : ٣٩٣/٢١ - ٣٩٤ .

قال ابن قتيبة (١) : ( وكان الفرزدق معنا مفنا (٢) يقول فى كل شيء وسريع الجواب ) .

يقول المرزبانى عن البحترى (٣) : ( لا أرى أن أكلّم من يفضل جريرا على الفرزدق ولا أعدّه من العلماء بالشعر ) فقل له : ( وكيف وكلامك أشد انتسابا لجرير منه الى الفرزدق ؟ ) قال : ( كذا يقول من لا يعرف الشعر . لعمري أن طبعى بطبع جرير أشبه ولكن من أين لجرير معانى الفرزدق ، وحسن اختراعه ؟ ، جرير يجيد النسيب ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : القين وقتل الزبير وجعثن والنوار ، والفرزدق يهجوّه بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها ) (٤) .

وقال أحمد بن عبيد الله بن عمار (٥) : كان الفرزدق وهو فحل شعراء الاسلام يأتى بالاحالة وينظم فى شعره أهجن كلام فمن ذلك قوله لابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومى ، خال هشام ابن عبد الملك :

(١) انظر الشعر والشعراء : ٤٧٣/١ - ٤٧٤ .

(٢) معن : ذوعنن واعتراض ، أى أنه فصيح يدخله فى كل شيء .  
مفن : يفتن فى الكلام أى يشتق فى فن بعد فن يأتى  
بالأفانين ، وكلاهما بكسر أوله وفتح ثانيهما وتشديد النون .

(٣) الموشح : ١٩٧ .

(٤) ولكن هذا الرأى فى نظرنا غير دقيق لأن البحترى لم يستطع أن يصل الى رقة جرير .

(٥) الموشح : ١٦٤ - ١٦٥ .



وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا      أَبُو أُمِّ حَيٍّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فأتعب أهل اللغة والنحو بشرحه .

وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه الفرزدق من شعراء الجاهلية

بزهير (١) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

---

(١) انظر الشعر والشعراء : ٤٧٦/١ .

\* \* آراء النقاد القدامى فى جرير (١) \* \*

---

قال ابن سلام : سألت الأسيدى - أخا بنى سلامة (٢) - عنهما فقال : بيوت الشعر أربعة فخر ، ومديح ، ونسيب ، وهجاء . وفى كلها غلب جرير .

وقد فضل بعض النقاد جريرا على الفرزدق وقال (٣) : كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق . ولما سمع الفرزدق قول جرير :

لَئِنْ عَمَرْتُ تَيْمَ زَمَانًا بِغَيْرَةٍ      لَقَدْ حَدِيثُ تَيْمٍ حَدَاءٌ عَصَبِيَا (٤)  
فَلَا يَضَعَنَّ اللَّيْثُ عُكْلًا بِغَيْرَةٍ      وَعُكْلٌ يَسْمُونُ الْفَرَسَ الْمُتَبَيَّا

قال : قاتله الله اذا أخـذ هـذا  
المـأخـذ لا يـقام لـه . (٥)

- 
- (١) يرى بعض المؤرخين القادى أن جريرا أشعر من الفرزدق والأخطل وأنه كان خيرا منهما . البداية والنهاية ( ٩ : ٢٦٠ ) .
- (٢) وهو من بنى سلامة بن غوى بن جودة بن أسيد بن عمرو بن تميم . انظر جمهرة الأنساب : ٢١٠ .
- (٣) طبقات فحول الشعراء : ٣٧٨/١ - ٣٧٩ .
- (٤) الحداء : زجر الابل من خلفها وسوقها والفناء لها لحنها على السير ، والعصيب : الشديد . يريد جرير هنا : أنهم سيقوا سوقا شديدا وعنف بهم .
- (٥) طبقات فحول الشعراء : ٣٧٦/١ - ٣٧٧ .

وقد استجاد الجاحظ في بيانه هذه الأبيات وقال : انها من  
جيد شعر جرير (١) .

وقال ابن قتيبة : كان جرير من فحول شعراء الاسلام ، ويشبه  
من شعراء الجاهلية بالأعشى (٢) .

وقال ابن سلام : وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجباً (٣) .  
وروى محمد بن زياد قال (٤) : كنت أختلف بينهما يومئذ فكأن  
جرير كان يومئذ أظفرهما .

وسئل أبو محجن من أشعر العرب فقال (٥) : أخو بني تميم  
يعني جريرا .

وقد سئل عبيدة بن هلال اليشكري عن جرير والفرزدق أيهما  
أشعر ؟ قال (٦) : من يقول :

وَطَوَى الْقِيَادُ مَعَ الطَّرَادِ بَطُونَهَا      طَيَّ التَّجَارِ بِحَضْرَمَوْتَ بَرُّودَا

قالوا : جرير قال : هو أشعرهما . وقال الأخطل عندما سئل  
عن جرير (٧) : دعوا جريرا أخزاه الله فانه كان بلاء على من صاب  
عليه ، ثم ذكر قوله يفتخر بشاعريته (٨) :

مَا قَاتَمْنِي عَرَبٌ إِلَّا تَرَكْتُ جَوَادَهُمْ مَحْسُورًا      أُبْقَتْ مَرَاكِضِي الرَّهَانِ مُجْرِبًا  
عِنْدَ الْمَوَاطِنِ يَرْزُقُ التَّيْسِيرَا

- (١) البيان والتبيين : ٢٢٢-٢٢٣ . (٢) الشعر والشعراء : ٤٦٥/١ .  
(٣) طبقات فحول الشعراء : ٣٧٥/١ . (٤) المصدر السابق : ٤٠٧/١ .  
(٥) المصدر السابق : ٤٠٨/١ . (٦) المصدر السابق : ٣٨٢/١ .  
الأغاني : ٤٣/٨ . (٧) المصدر السابق : ٣٧٥-٣٧٦ .  
(٨) ديوان جرير : ٢٢٨/١ .

ولما سمع عبد الملك بن مروان مدحة جرير الحائية ( بطون  
راح ) استجادها وطرب لها وأجازها عليها مائة من الابل وثمانية  
من الرعاء (١) .

وقال الراعي النعيرى (٢) لما سمع قول جرير :

وَعَاوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ      بِقَافِيَةِ أَسْبَابِهَا تَقْطُرُ الدَّمَا  
خُرُوجَ بِأَفْوَاهِ الرِّوَاةِ كَأَنَّهُمْ      قَرَاهِنْدُونَنِي إِذَا هَزَّ صَمَمًا

: ويحكم الام أن يغلبني مثل هذا ؟ .

وقال أبو عبيدة (٣) : ويحتج من يقدم جريرا بأنه كان أكثرهم  
فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا .

ويروى حماد الراوية عن بعض الرواة قوله (٤) : كان جرير  
ميدان الشعر ، ومن لم يجر فيه لم يرو شيئا . وكان من حاجي  
جريرا فغلبه جرير أرجح عندهم ممن حاجي شاعرا غير جرير فغلب .  
وقيل لبعض الشعراء من أشعر الناس ؟ قال (٥) : النابغة  
إذا رهب وزهير إذا رغب وجرير إذا غضب . وفي رواية أخرى وجرير  
إذا رغب .

(١) طبقات فحول الشعراء : ٤١٨/١ - ٤٢٠ ، الشعر والشعراء : ٤٦٨/١

العقد الفريد : ٢٧٨/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٤٣٨/١ .

(٣) انظر الأغاني : ٥/٨ .

(٤) المصدر السابق : ٩/٨ .

(٥) انظر العقد الفريد : ١٠٥/٦ - ١٥٢ .

وكان جرير يقول (١) : أنا مدينة الشعر والفرزدق نبعته .

وروى أن عبد الملك فضل جريرا عندما اجتمع الثلاثة في مجلسه وكان بين يديه كيس فيه خمسمائة دينار فقال لهم (٢) ليقل كل واحد منكم بيتا في مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس ، فبدر الفرزدق قائلا :

أَنَا الْقَطِرَانُ وَالشَّعْرَاءُ جَرَبَى      وَفِي الْقَطِرَانِ لِلْجَرَبَى شَفَاءُ

فقال الأخطل :

فَإِنْ تَكُنْ زَقًّا زَامِلَةً فَإِنِّي      أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ .

فقال جرير :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ      فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ .

فقال عبد الملك : خذ الكيس فلعمرى إن الموت يأتي على

كل شيء .

وقيل أن رجلا سأل جريرا : من أشعر الناس ؟ ، فأخذه بيده وجاء به الى أبيه عطية ، وكان دميما رث الهيئة بخيلا ثم قال للسائل أتعرف هذا ؟ انه أبى . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا ثمانين شاعرا وقارعهم به فغلبهم جميعا (٣) .

(١) المصدر السابق : ١٠٦/٦ .

(٢) انظر ذيل ديوان جرير المحقق : ١٠٢/٢ . ومجاني الأدب - لويس شيخو : ١٦٢/٣ ، ( مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت

١٩٣٦ م ) .

(٣) الأغاني : ٤٩/٨ .

هذه الآراء النقدية المتقدمة التي عرضنا لها في كل شاعر من الشعراء الثلاثة ليست كل ما قيل عنهم فهناك آراء أخرى تشملهم جميعا أو تختص بجرير والفرزدق . وقد أوردها النقاد على شكل موازنة ، ولعلها أقرب الى الاعتدال والدقة . اذ أنها لا تطلق الأحكام عامة ، وإنما تحصرها في فنون شعرية أو مقطوعات وقصائد تفاضل فيها بين الشعراء الثلاثة وسنعرض لهذه الآراء هنا تنمة لهذا المبحث .

لقد جعلهم ابن سلام مع الراعى النميرى أول طبقات الاسلاميين

وقال : (١)

فاختلف الناس فيهم أشد الاختلاف ، وأكثره وعامة الاختلاف أو كله في الثلاثة ومن خالف في الراعى قليل كأنه آخرهم عند العامة .

ثم قال : سمعت يونس بن حبيب يقول (٢) : ما شهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما . وقال بعض الرواة عن الثلاثة (٣) : هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن في رهان ، فأحدها سابق الدهر كله ، وأحدها مصل وأحدها يجى أحيانا سابق الريح وأحيانا سكيئا (٤) وأحيانا متخلفا فأما السابق في كل حالاته فالأخطل ، وأما المصلى (٥) في كل حالاته

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٩٩/١ .

(٢) المصدر السابق : : ٢٩٩/١ .

(٣) المصدر السابق : ٣٧٤-٣٧٥ ، الشعر والشعراء : ٤٨٣/١ .

(٤) السكييت : آخر الخيل في الرهان .

(٥) والمصلى : الذى يجىء بعد السابق وقبل السكييت .

فالفَرزدق ، وأما الذى يسبق الريح أحيانا ويتخلف أحيانا فجرير .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول (١) عن جرير والفَرزدق : هما بازيان يصيدان مايين العندليب الى الكركى .

وقال ابن سلام عنهما أيضا (٢) : ولج الهجاء نحوًا من أربعين سنة لم يغلب أحد منهما على صاحبه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : سئل الأخطل أيكم أشعر ؟ قال (٣) : أنا أمدحهم للملوك وأنعتهم للخمر والحر - يعنى النساء - وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا ، وأما الفَرزدق فأفخرنا .

وقال أبو عبيدة (٤) : كان الشعراء فى الجاهلية من قيس وليس فى الاسلام مثل حظ تميم فى الشعر ، وأشعر تميم جرير والفَرزدق ، ومن بنى تغلب الأخطل .

وقال ابن سلام : وسئل ابن دأب عنهما فقال (٥) : الفَرزدق أشعر عامة وجرير أشعر خاصة .

وقال حماد الراوية (٦) : أنشدنى الفَرزدق يوما شعرا له ثم

(١) الشعر والشعراء : ٤٦٥/١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣٨٩/١ .

(٣) الشعر والشعراء : ٤٦٧/١ .

(٤) الأغانى : ٢٨٤/٢١ .

(٥) طبقات فحول الشعراء : ٢٩٩/١ - ٣٠٠ .

(٦) الأغانى : ٢٨٥/٢١ - ٢٨٦ .

قال : أتيت الكلب ؟ يعنى جريرا ، قلت : نعم . قال : فأنسا  
أشعر أم هو ؟ قلت : أنت فى بعض وهو فى بعض . قال : لم  
تناصحنى . قال : قلت هو أشعر منك اذا أرخى خناقه ، وأنت  
أشعر منه اذا خفت أو رجوت . قال : قضيت لى والله عليه وهل  
الشعر الا فى الخير والشر ؟ .

قال أبو الفرج (١) : واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه  
الطبقة فى أيهم أحق بالتقدم على سائرهما . . . . أما من كان يميل  
الى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق ، وأما من كان  
يميل الى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السهل الفزل فيقدم  
جريرا .

وروى أبو عبيدة ومحمد بن سلام ، والأصمعى قول أحمد بن  
عبد العزيز عن عبد الرحمن بن شيبه قال (٢) : اتفقت العرب على  
أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل . واختلفوا  
فى تقديم بعضهم على بعض .

وقال أبو عبيدة (٣) : كان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى والفرزدق  
بزهير والأخطل بالنايعة .

وقال ابن خلكان (٤) : أجمعوا على أنه ليس فى شعراء الاسلام

(١) انظر الأغانى : ٣٩٣/٢١ - ٣٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ٥/٨ - ٥ .

(٣) المصدر السابق : ٥/٨ .

(٤) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلى : ١٤/١ .



مثلهما والأخطل ، وفضل جرير ببيوته الأربعة الفخر والمدح والهجاء والتشبيب .

وروى الجاحظ عن أبي عبيدة (١) : أن الشعراء الاسلاميين الذين هجوا فوضعوا من قدر من هجوه ، ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوا ، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم ، وسكت عنهم بعض من هجوه مخافة التعرض لهم ، وسكتوا عن بعض من هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد . هم جرير والفرزدق والأخطل .

وقال أبو عبيدة أيضا (٢) : أجمع الناس على أن أشعر الناس في الاسلام ثلاثة وهم : الفرزدق وجرير والأخطل وذلك أنهم أعطوا حظا في الشعر لم يعطه أحد في الاسلام .

وفضلهم ابن الأثير على شعراء العرب أولا وآخرا فقال : (٣)

(والمذهب عندي في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا ، ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ، علم ما أشرت اليه . . . . ) .  
ولعل خير ما انتهى به هذه الآراء قول خالد بن صفوان عندما

(١) البيان والتبيين : ٨٣/٤ .

(٢) جمهرة أشعار العرب : ٩٩ .

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير : ٢٧٤/٣ .

( مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى - ١٣٧٩ هـ ) .

طلب منه هشام بن عبد الملك أن يصف له جريرا والفرزدق والأخطل فقال (١) :

" يا أمير المؤمنين أما أعظمهم فخرا وأبعدهم ذكرا وأحسنهم عذرا وأسيرهم مثلا وأقلهم غزلا وأحلامهم عللا ، البحر الطامى اذا زخر والحامى اذا دعر والسامى اذا خطر ، الذى اذا هدر جال واذا خطر صال ، الفصيح اللسان الطويل العنان .. فالفرزدق .

وأما أحسنهم نعتا وأمدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى ان هجا وضع ، وان مدح رفع .. فالأخطل .

وأما أغزهم بحرا وأرقهم شعرا وأكثرهم ذكرا ، الأغر الأبلق الذى ان طلب لم يسبق وان طلب لم يلحق .. فجرير .  
وكلهم ذكى الفؤاد رفيع العماد وارى الزناد .. " .

وقد استجاد مسلمة بن عبد الملك هذه الموازنة اللطيفة التى تنم عن معرفة بأحوال الشعراء الثلاثة فأصدر هذا الناقد حكمه بحيث استطاع أن يبين فى شيء يسير من التفصيل بعض المزايا الفنية لكل شاعر .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

---

(١) انظر زهر الآداب : ٦٣٤/٢ .

\* \* مناقشة آراء النقاد القدامى فى الشعراء الثلاثة \* \*

---

لقد كانت آراء النقاد القدامى كما رأينا فى الشعراء الثلاثة متباينة ، فمثلا نجدها فى الأخطل : اما مفضلة له عن سواء من شعراء العرب قاطبة تفضيلا مطلقا ، أو فى بعض الأغراض ، أو تجعله أشعر طبقته أو مساويا لصاحبيه ، وتأتى أخبار أخرى تنقض السابقة فتجعله دون جرير والفرزدق (١) . وتضطرب هذه الأخبار أيضا بالنسبة للفرزدق وجرير فلا تجمع على أيهما أفضل أو دون صاحبيه ، أو تجعلهم مع الأخطل فى درجة واحدة .

وهذه الآراء التى أوردناها ليست كل ما قيل عن جرير والفرزدق والأخطل ، فهناك آراء مبثوثة فى كتب الأدب بلغت من الكثرة بحيث لا نستطيع أن نأتى عليها هنا ، وقد تجاوزنا ذكرها لأنها لاتخرج فى مضمونها عما ذكرنا باختلاف فى الرواية أحيانا من حيث اللفظ ، ولذلك آثرت إيراد أهم الآراء التى دارت قديما حولهم لاشك أن تقويم الشعراء والمفاضلة بينهم كل هذا يحتاج الى دراسة مستفيضة تشمل كل ما قالوه من شعر فى الأغراض المختلفة ، فلقد اختلف المتقدمون وتباينوا فى مسألة التقويم وجاءت فى هذا الموضوع

---

(١) انظر مثلا : جمهرة أشعار العرب : ١٠٢/١ - ١٠٣ ، والأغانى : ٢٩١/٨ ، والشعر والشعراء : ٢٨٣/١ ، طبقات فحول الشعراء : ٤٥٦ ، ٤٨٨/١ ، الموشح : ٢٠٧ ، معجم الأدباء : ٣٠٠/١٩ .

أحكام مختلفة متناقضة تجعل هذا الشاعر أو ذاك من الثلاثة أشعر العرب لا يدانيه أحد من الشعراء ولا يجاريه ، وحينما آخر تجعله دون الفحول من أقرانه ، وحينما تضعه فى الطبقة الأولى من شعراء عصره ، وهذا التضارب العجيب فى هذه الآراء يبين لنا حقيقة المسار النقدى اللماح آنذاك . وربما أن نقل هذه الأخبار بالمشافهة قبل تدوينها فى الكتب قد خضع فى الفهم والأداء للأهواء فنالها شيء من التحوير والتبديل (١) . وقد حس النقاد بهذا فرفض بعضهم أن يوازن بين الثلاثة بالنثر وإنما ضمن موازنته فى أبيات من الشعر لئلا تتعرض للتحوير والتصحيف فقال عندما طلب منه الحكم على الشعراء الثلاثة (٢) :

|                                           |                                               |
|-------------------------------------------|-----------------------------------------------|
| حُلُوا الْكَلَامَ وَمَرَّةً لِحَجْرٍ      | ذَهَبَ الْفَرْزَدَقُ بِالْفَخَّارِ وَلِئِمَّا |
| وَحَوَى اللَّهُمَّ بِمَدِيحِهِ الشُّهُورَ | وَلَقَدْ هَجَا نَافِضٌ أَخْطَلُ تَغْلِبَ      |
| وَهَجَاؤُهُ قَدْ سَارَ كُلُّ مَسِيرٍ      | كُلُّ الثَّلَاثَةِ قَدْ أَجَادَ فَمَدَحُهُ    |

وليس شمة من شك فى أن هذا التضارب والتباين فى الآراء النقدية القديمة يجعل الباحث المنصف يقف وقفة متأنية كي يدرس هذه الآراء فى محاولة لمناقشتها . لأن نقادنا القدامى تركوا لنا أرشاً نقدياً زاخراً بالأحكام المتباينة والمتناقضة (٣) والتي يصعب معها

(١) انظر الأخطل الكبير للدكتور فخر الدين قباوة : ٢٩١ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٣٧٨/١ ، صاحب هذه الموازنة هو : مروان بن أبى حنيفة .

(٣) لقد بلغ من تناقض هذه الآراء أننا نجد حمادا الراوية معجبا بالأخطل ومقدما له على صاحبيه فى مواضع ثم نجد رواية أخرى فيها حماد الراوية

الخروج بنتيجة مرضية . وهذه الآراء وإن كانت تضع لنا ملامح نقدية فنية يمكن من خلالها وضع الأسس الفنية للحكم على النتاج الشعري إلا أنها ملامح موجزة مختزلة لا تنظر للشاعر من حيث غزارة شعره وتدفق معانيه وتحسس مواطن الضعف والاجادة لإصدار الحكم ، ولذا كانت هذه الآراء في مجملها إلى العموم والسطحية أكبر منها إلى العمق والاستقصاء .

والنقاد القدامى كما رأينا أيضا لم يعنوا بدراسة الشعر كله وتتبعه واستقصائه ، ولم يعتقدوا الموازنات الشاملة التي يمكننا أن نتبين من خلالها صدق هذا الحكم أو ذاك على أيٍّ من شعرائنا الثلاثة .

ومن هنا كانت آراؤهم تحمل طابع النقد اللامح المركز الذي يكفي بالإشارة ويبتعد عن التفصيل (١)

ومع تقديرنا لهذه الآراء وأصحابها ، والاعتراف بجهودهم إذ من خلالها استطاع النقد فيما بعد أن يتوصل إلى نتائج جيدة في الحكم على الأثر ، وكانت هذه الآراء نواة للنقد الأدبي بمفهومه الواسع في العصور اللاحقة (٢) .

(=) تجعل الأخطل د.ون جرير والفرزدق .

انظر أمالي اليزيدي : ٨٠ ، الأغاني : ٢٨٣/٨ .

(١) الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازي : ٢١٢ .

(٢) كانت هناك عوامل كثيرة أثرت في النقد اللغوي وساعدت على ازدهاره لعل من أهمها الرواية والتعصب للقديم والتطور اللغوي ومن هنا ازدهر النقد في القرن الرابع الهجري وكان النقد اللغوي نواة لهذا الازدهار . انظر النظرية النقدية عند العرب د . هند حسين طه

نقول : ان نقادنا القدماء لم يفصلوا القول ، ولم يعمدوا الى تحليل النصوص تحليلاً أدبياً يمكننا من الوقوف على خصائصها الدقيقة وأسرارها الفنية . وما يمكن فيها من جمال فنى ، ولم يقابلوا النصوص بعضها ببعض بل اكتفوا بالاشارة الدالة والرأى الشخصى لكل ناقد فجاء نقدهم فى رأينا جزئيا فى أغلب حالاته مبنيًا على الفطرة والذوق لا على تحليل النصوص والوقوف على خصائصها (١) . وكان المسار اللغوى للنقد آنذاك سمة بارزة فعمد اللغويون الى تتبع سقطات الشعراء النحوية كما فعلوا مع الفرزدق ، ومن ثم كانت تبني بعض الأحكام فى المفاضلة بين أصحاب الفن مما أثار جدلا بين النحاة والشعراء (٢) وأصبحت مسألة التفاضل بين أرباب الشعر مسألة خاضعة للرأى الجزئى وإصدار الحكم من خلال بيت أو أبيات معدودة أعجب بها هذا الناقد من زاوية معينة حتى أن الشاعر نفسه أصبح لا يتردد اذا سئل من أشعر الناس أن يقول أنا (٣) .

فقد سئل الأخطل ذات مرة من أشعر الناس فأجاب أشعر الناس رجل فى قميصى (٤) .

ولقد كانت للنقاد القدامى لفتات جزئية فى النقد ، فقد سئل ابن سلام عن بيتى جرير والأخطل فى مدح عبد الملك كما رأينا

(١) انظر أسس النقد الأدبى عند العرب د . أحمد أحمد بدوى : ٥-٦ .

(٢) انظر نظرية اللغة فى النقد العربى د . عبد الحكيم راضى : ٩-٢٣ .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٢ ، ١٠٣ ، الأغانى : ٨ / ٢٩٣-٢٩٤ ، ٣٠٣ .

(٤) الأغانى : ٨ / ٢٨٧ .

فأشار الى حلاوة وسيرورة بيت جرير وورصانة وجزالة بيت الأخطل  
وسئل الفرزدق من أشعر الناس ؟ فقال : أنا وقال جرير أيضا  
أنا مدينة الشعر (١) ، وأخذوا على الأخطل بعض السقطات الفنية  
كقوله فى مدح سماك بن حمير الأسدى (٢) :

نعم المجير سماك من بنى أسد      بالطف اذ قتلت جيرانها مضر  
قد كنت أحسبه قينا وأنبيؤه      فالיום طير عن أثوابه الشرر

وكان يقال لرهطه القيون ، وهذا مدح كالهجاء . وقد حدث  
عكس هذا عندما أراد أن يهجو سويد بن منجوف فقال (٣) :

وما جذع سوء خرب السوسوسطه      لما حملته وائل بمطيق

فقال سويد : هجوتنى بزعمك فمدحتنى لأنك جعلت وائلا حملتنى  
أمرها ..

كما أخذوا على الفرزدق أنه يأتى بالاحالة فى شعره وينظم  
أهجن كلام ويتعب بذلك أهل النحو ومنهم سيبيويه شيخ النحاة (٤) .  
وأخذوا على جرير كذلك أن فى شعره كثيرا مما جاد لفظه  
وحسن فاذا فتشت عن المعنى لم تجد شيئا ذا فائدة (٥) .

(١) الأغاني : ٣٦٦/٢١ ، ٥٣/٨٠ .

(٢) الشعر والشعراء : ٤٨٧/١ - ٤٨٨ .

(٣) الشعر والشعراء : ٤٨٨/١ .

(٤) الموشح : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) الشعر والشعراء : ٦٦/١ - ٦٨ ولعل ابن قتيبة من أكثر النقاد القدامى

انصافا وعمقا وقد ألقت مواقفهم عن كاهل النقد بعض الأثقال التى لاصلة  
لها بالعمل الفنى وقيمته .

وهكذا كانت آراء القدامى فى مجملها تصل الى الاجتزاء ،  
 والتعميم والحكم من خلال أبيات معدودة لا ينبغي للناقد الحصيف  
 أن يحكم على شعراء لهم ثراء شعرى يتسم أغلبه بالقوة والجزالة من  
 خلال بيت واحد ، ويقارن مقارنة لا ترقى الى درجة النقد الواعى .  
 سواء كانت هذه المقارنة من حيث الجودة أم من حيث المآخذ وعدم  
 الاستحسان . وهذا ما وقع فيه النقاد القدامى اذ لم يفصلوا القول  
 فى مواطن هذه الاجادة أو تلك السقطات الفنية ولكنهم اكتفوا  
 بالبيت الواحد للشاعر أو الرأى الموجز للناقد يحكمون به على أن هذا  
 أشعر العرب أو أمدح العرب أو أشعر شعراء طبقة أو دونهما أو  
 يتهمون الشاعر بالسرقة وانتحال شعر غيره كما حدث للفرزدق حينما  
 اتهموه بأنه كان يغير على شعر غيره فينسيه لنفسه وهكذا . (١)

وخلاصة القول حول هذه الآراء النقدية للقديما أنها كانت  
 أحكاما جزئية قصيرة تعتمد الى التركيز الجزئى أكثر من التوسع فى  
 الاستقراء وإصدار الحكم ولم تكن صادرة نتيجة استقراء تام ولم يكشفوا  
 عن مواطن الجمال الفنى لدى الشاعر أو يبينوا الأثر الذى لا يرقى  
 الى درجة الجودة والاستحسان . وقد كان الجانب اللغوى مهيمناً  
 على اتجاه النقد فاهتموا بالجانب النحوى وتتبعوا سقطات الشعراء  
 النحوية (٢) وابتعدوا عن التحليل المفصل فلم يبينوا خصائص ومقومات

(١) انظر الموشح : ١٦٢ .

(٢) انظر الطراز الموشى فى صناعة الانشاء - محمد النجار : ٢-٣ .



كل شاعر ولم يتعرضوا للتيارات الاجتماعية التي أثرت في فـسـن الشعراء الثلاثة ، وقد أغفلوا الجوانب السياسية والظروف النفسية لكل شاعر والتي مامن شك في أن لها دورها في موهبة الشعراء كما رأينا من قبل (١) .

بقيت لنا ملحوظة هي أن بني أمية من أمثال عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وسليمان وغيرهم من الخلفاء والأمراء كانت آراؤهم في الشعراء الثلاثة تحمل شيئا من التأثير السياسي ففضلوا الأخطل بادئ الأمر ثم تجافى له الوليد وقرب ابن الرقاع كما قرب سليمان بن عبد الملك الفرزدق ، وهكذا . . . ومن هنا فان آراء هؤلاء يمكن أن يشوبها شيء من التعصب السياسي ، وبالتالي ينبغي للباحث المنصف أن يأخذ هذه الأقوال بحذر حين الاستعانة بها كما فعل بعض الدارسين المحدثين عندما تحدث عن الأخطل (٢)

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) انظر الباب الأول من هذا البحث .

(٢) انظر الأخطل الكبير د . فخر الدين قباوة : ٢٩١ ، والموازنة بين الشعراء د . زكي مبارك : ١٦ - ٢٠ ( مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة ١٣٩٣ هـ ) .

# الفصل الثاني

دراسات المحدثين  
حول الشعراء الثلاثة

## " الفصل الثانى "

+++++

### \* \* دراسات المحدثين حول الشعراء الثلاثة \* \*

لقد كان من الطبيعى أن تقوم فى العصر الحديث حول الشعراء الثلاثة دراسات متعددة نظرا لما يمثلونه فى الأدب العربى من قيم فنية ، وما خلفوه للدارسين من نتائج يحتاج الى البحث والاستقصاء ، وكان لابد لهذه الدراسات أن تتعمق ، وأن تكون أكثر تخصصا من دى قبل ، وأن تستفيد من آراء القدامى ودراساتهم فى عملية التقييم .

وقد تناول مؤرخوا الأدب فى العصر الحديث جريرا والفرزدق ، والأخطل بالدراسة ولكنهم كانوا يميلون فى دراساتهم هذه الى الاختصار لأنهم انما يؤرخون للأدب ورواده فلا يتقصون كل جوانب شخصية الشاعر أو الأديب ، وما يتعمق نفسه ، وانما يقومون بجمع النصوص وترتيبها وتوزيعها على عصور الأدب المختلفة ، ويقسمون الشعراء والأدباء والنصوص الى مدارس ومذاهب

- (١) انظر على سبيل المثال : تاريخ الأدب العربى " بروكلمان " ، تاريخ الأدب العربى - عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى - حنا الفاخورى ومن تاريخ الأدب العربى - د . طه حسين ، تاريخ الأدب العربى فى العصر الاسلامى - د . يوسف خليف ، تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان ، وتاريخ الأدب العربى - العصر الاسلامى د . شوقى ضيف ، موسوعة " فؤاد سزكين " ، تاريخ التراث العربى المجلد الثانى الجزء الثالث من الطبعة العربية ( جامعة الامام ) وكلهم مع غيرهم تحدثوا عن الشعراء الثلاثة باقتضاب .

وأغراض (١) إلا أنها ظهرت فى هذا العصر دراسات أكثر تخصصاً تناولت بالتفصيل كل شاعر على حدة وحلل هؤلاء الدارسون كثيراً من النصوص وأصدروا بذلك أحكامهم التى جاءت تتلاءم وطبيعة الدراسة المتأنية ولن أتناول هنا كتب تاريخ الأدب وما فى حكمها كدائـرة المعارف الإسلامية وبعض الكتب الأخرى التى تناولت الشعراء الثلاث ككتاب " الهجاء والهجاءون " للدكتور محمد محمد حسين ، و " دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى " للدكتور محمد عبد القادر أحمد ، و " أدب السياسة فى العصر الأموى " للدكتور أحمد الحوفى ودراسة " نقائض جرير والأخطل " للدكتور عبد المجيد المحتسب وغيرها من الكتب المؤلفة فى العصر الحديث .

وسأقتصر على الدراسات المتخصصة بشئ من البيان والايضاح - باذن الله - .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

---

(١) انظر تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها للدكتور عبد العزيز عرفة ص ( ١٣ ) ( دار الطباعة المحمدية بالأزهر - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ) .

لقد قامت حول الأخطل دراسات عديدة في العصر الحديث نظرا لما له من قيمة فنية في الشعر العربي ، وقد انبرى باديء ذي بدء الأب ( أنطون صالحاني اليسوعي )<sup>(١)</sup> فأكب على دراسة شعر الأخطل منذ عام ( ١٨٩١ م وحتى عام ١٩٣٨ م )<sup>(٢)</sup> . وبقيت آثار الأب صالحاني هذه عمدة الدارسين لهذا الشاعر فيما بعد ، وقد أصبح العثور عليها مع مرور الزمن من الصعوبة بمكان نظرا لنفاذها .

---

(١) أنطون بن عبد الله الصالحاني الدمشقي كاهن أديب من الآباء اليسوعيين سرياني كاثوليكي ولد بدمشق وتعلم في لبنان وهو من المؤلفين الذين اشتهروا بذلك . توفي حوالي سنة ( ١٣٦٠ هـ ) .  
انظر الاعلام : ٢٨/٢ .

(٢) حيث أصدر عام ( ١٨٩١ م ) شعر الأخطل عن نسخة بطرسبرج ، وفي العام ( ١٩٠٥ م ) أصدر شعر الأخطل عن نسخة بغداد ، واستمر في نشر نتاج هذا الشاعر فأصدر شعر الأخطل عن نسخة اليمن عام ( ١٩٠٧ م ) وملحق ديوان الأخطل في عام ( ١٩٠٩ م ) ، وتقااض جريب والأخطل عام ( ١٩٢٢ م ) وذيل ديوان الأخطل عام ( ١٩٢٥ م ) والشذر الذهبي في شعر الأخطل التغلبي عام ( ١٩٢٥ م ) والتكملة لشعر الأخطل عن نسخة طهران عام ( ١٩٣٨ م ) .  
وقد تخطل ذلك كله مقالات ودراسات نشرها في مجلة المشرق ، تحدث فيها عن كل ما يتعلق بالأخطل من حيث نشأته وشعره وحياته انظر مقدمة ديوان شعر الأخطل تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة : ٣/١ ومجلة المشرق الأعداد : ٦/٤٣٣ ، ٧/٤٧٥ ، ٨/٩٧ ، ١٤/٨٣٣ ، ٢١/٧٧ ، ٣٥/٢٣٩ . وكل إصدارات الصالحاني هذه كانت تصدر من بيروت .

انظر تاريخ الأدب العربي " بروكلمان " : ٢٠٨/٢ .

وفى عام ( ١٩٥٠م ) قام الدكتور " سيد غازى " بدراسة شاملة تحت عنوان ( الأخطل شاعر بنى أمية ) (١) اعتمد فيها على دراسة " صالحانى " فيما يتعلق بالنصوص الشعرية . وقد تناول فى هذه الدراسة حياة الشاعر الأولى قبل اتصاله بالأمويين اذ تحدث عن بيئة الأخطل ونشأته وركز على الجوانب التاريخية والسياسية ، وأشار الى اتصال الأخطل ببنى أمية أول مرة فى خلافة معاوية كما أشار الى تلك الأسباب التى خدمت هذا الشاعر حتى أوصلته الى قمة المجد الذى يتوق اليه ، وأخرجته من حيز القبيلة والبادية الى بلاط الخلفاء وعلية القوم (٢) .

وقد أحصى قصائد المديح عنده احصاء مجملا من خلال حديثه عن شعره فى بنى أمية وبين بعض القيم الفنية فى هذه المدائح ، ثم تحدث عن الأهاجى وركز على الجانب السياسى الذى كان من أدق العوامل فى اذكاء نارها ، وقد ذكر أقوال القدامى فى الأخطل ليخلص الى الحكم بأن السبق فى المديح للأخطل دون جريـر والفرزدق . وذلك من خلال موازنته بين الشعراء الثلاثة من حيث الخصائص الفنية .

---

(١) هذه الدراسة بحث نال به المؤلف درجة الماجستير فى الآداب من جامعة الاسكندرية وطبع بدار المعارف فى نفس العام فى كتاب يقع فى ( ٢٦٥ ) صفحة .

(٢) انظر هذه الدراسة : ١٤٧ - ١٤٩ .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة قد ألقت الضوء على جوانب كثيرة من شخصية الأخطل الفنية . . الا أن هناك بعض الجوانب الهامة قد أغفلها هذا الباحث لعل من أهمها أنه أخذ آراء - السابقين دون محاولة منه لمناقشتها اذ سلم بها وعليها بنى حكمه وكان الأولى به أن يتعرض لتلك الآراء بالمناقشة والدراسة فلعل فيها بعض المبالغة أو النقص ، كما أنه أغرق اغراقا في الجوانب التاريخية فأطال في دراسة هذه الناحية اطالة مفرطة حتى ليخيل للقارئ أن هذه الدراسة تاريخية وليست أدبية ، وإن كان المنهج التاريخي من أهم المناهج الأدبية ، الا أن الاغراق في دراسة الجوانب التاريخية وإهمال الجوانب الفنية قد ينأى بالباحث أحيانا عن إبراز الوجه الحقيقي للشخصية الأدبية . هذا مانظنه عيبا يؤخذ على الدكتور سيد غازي في دراسته عن الأخطل .

وفي عام ( ١٩٦٧ م ) قام الدكتور " فخر الدين قباوة " بإعادة تحقيق وطبع ديوان الأخطل ونشره في جزئين وأظهره في حلة قشبية ثم أتبع ذلك دراسة وإفية عن الأخطل بعنوان ( الأخطل الكبير ، حياته وشخصيته وقيمه الفنية (١) ) وتوضح أهمية هذه الدراسة من عنوانها حيث تعد أوفى وأشمل من دراسة الدكتور سيد غازي وبخاصة فيما يتعلق بعرض آراء القدامى فقد عرضها ثم ناقشها مناقشة علمية

---

(١) دراسة كاملة تقع في ( ٣٦٥ ) صفحة عن الأخطل بالإضافة الى تحقيق شعره في جزئين بلغ حجمها ( ٩٣٩ ) صفحة ، والدراسة والتحقيق من منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - عام

وبين ما فيها من تضارب في بعض الأحيان ومن تعصب أعمى في أحيان أخرى فجاءت هذه الدراسة أكثر تخصصاً إذ ترجم للشاعر ترجمة واقية تعرض فيها لاسمه وكنيته وأسرته وقبيلته ، وتاريخ مولده ، وكيف وصل الى مكانة سامية أصبح فيها شاعر بنى أمة بلا منازع ، ثم درس بشيء من التفصيل انحسار شاعريته عندما تقدمت به السن وداهمته الشيخوخة . كما تحدث عن سماته الخلقية والعقلية والسياسية والدينية على أن الجانب الأكثر أهمية في هذه الدراسة هو الجانب الفني المتمثل في القيمة الفنية لهذا الشاعر ، فقد أشار هذا الدارس أولاً الى ما يعترض الباحث في تقويم شعر الأخطل من مشكلات فسي دراسة العمل الفني وتقييمه لوجود آراء متباينة ومتضاربة للنقد القديم يصعب معها الخروج برأى فصل الا بعد تدقيق وتمحيص .

ومن هنا كانت دراسته لفن الأخطل الشعري وتقييمه حيث بدأ باستعراض لآراء النقاد القدامى حول هذا الشاعر سواء منها ما كان له أم عليه أم ما كان معتدلاً دون الإفراط والتفريط ، ومن ثم قسّم هذه الآراء وناقشها وخرج بنتيجة مؤداها أنه لم يبق للأخطل من الأغراض التي أجاد فيها سوى المديح ووصف الخمر . وقد بين بعض السمات الفنية لهذا الشاعر فأشار الى أنه من عبيد الشعر وناقد له وبالمقابل فقد أشار الى بعض السقطات الفنية التي أخذت عليه ، ثم ختم هذه الدراسة بالحديث عن تأثيره وتأثيره بالنسبة للشعراء السابقين والمعاصرين له (١) .

---

(١) انظر هذه الدراسة : ٢٦٥ - ٣٦٣ .



ولكن هذا الدارس لم يتوج دراسته هذه بعقد موازنة فنية بين الأخطل وصاحبيه فجاءت ناقصة من هذه الناحية حيث اكفى بايراد آراء النقاد القدامى فى الأخطل وبعض الآراء النقدية القديمة التى كانت تجمع الثلاثة فى موازنة مقتضبة ينقصها الاستقرار التام لكل شاعر (١) . فلو قام بها الدكتور " فخر الدين قباوة " لجاءت دراسته هذه من أوفى ماكتب عن الأخطل فى العصر الحديث . وعلى أى حال فإنها وفّت ببعض ماقتضت فيه دراسة السابقين عن هذا الشاعر .

وفى عام ( ١٩٧٩ م ) صدرت لايلى حاوى دراسة عن الأخطل بعنوان ( الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره ) (٢) ولكنها لم تكن فى مستوى دراسة الدكتور قباوة فهو وإن تحدث عن موطن الشاعر وقبيلته وأسرته ونشأته الى غير ذلك الا أنه أسرف فى التحليلات النفسية فى أثناء تناوله للنص ، وقد ينأى التحليل النفسى عن مفهوم النقد الأدبى السليم فى بعض الأحيان فلا يعتمد على منطلقات فنية ثابتة تتعلق بالأثر لا بالشاعر ، ولكن هذا الدارس اهتم فى دراسته هذه بظواهر الانفعال النفسى أكثر من اهتمامه بالقيم الفنية حتى اذا ما جاء ليدرس بعض النصوص دراسة فنية تخطيطية يمينا وشمالا لينفى العلاقة

---

(١) انظر الأخطل الكبير حياته وشخصيته وقيمه الفنية د . فخر الدين

قباوة - : ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ وغيرها .

(٢) تقع هذه الدراسة فى ( ٦٦٠ ) صفحة وهى مع ضخامتها تقل جودة عن

سابقتها للأسباب المشار إليها هنا . وقد صدر هذا الكتاب فى

بيروت فى طبعته الثانية عام ١٩٨١ م .

بين اليد والعطاء وهو ما يعرف في البلاغة العربية بالكناية فقد قال  
محللاً لقول الأخطل في مدح خالد بن أسيد :

أخالد مأواكم لمن حل واسع وكفاك غيث للصعاليك مرسل

فيقول معلقاً على هذا البيت (١) :

" ... ان نسبة الغيث الى اليد لا تستقيم اذ لا علاقة حسية  
ممكنة بينهما بالرغم من العلاقة الذهنية الافتراضية .. لكن نسبة اليد  
الى الغيث مباشرة جعلت للتشبيه مؤدى ذهنياً ينطوى على اختلال  
فعلى ، وتلبث له فضيلة التعبير الصورى الذى يكاد الأخطل  
لايكف عنه ... " .

ويمثل هذه التعابير الغامضة التى تنأى عن الذوق العربى  
والسليقة العربية يمضى " هذا الدارس " فى تحليل كثير من نصوص  
الأخطل الشعرية التى تناول من خلالها دراسة فن الأخطل ولكن  
قيمة هذه الدراسة تكمن فى الجزء التاريخى منها حينما تحدث عن  
تغلب قبيلة الشاعر ثم اسمه ونسبه وولادته وفتوته وديانته واتصاله  
بالخلفاء . أما الجانب الفنى فلم يوفق هذا الدارس فيه . فقد  
تحدث عن مدائح الأخطل باختصار ثم اكتفى بشرح وتحليل مدحة  
واحدة وهى رائيته ( خف القطين ) فى مديح عبد الملك ثم أردف  
بالحديث عن الأهاجى والمفاخر والوصف كما قام بجمع شعر الأخطل  
فى ديوان وشرح بعض مفرداته وأبياته شرحاً مقتضباً . ولم يقيم

---

(١) الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره - ايليا حاوى : ١٧٠ - ١٧١ .

بمعقد موازنة بين الأخطل وصاحبيه ، فلم يتعرض لجريير والفرزدق الا  
 فى صفحة واحدة عندما أراد أن يذكر أن الأخطل قد وضع معهما  
 فى طبقة واحدة وقد تعصب - لنصرانيته - للأخطل ففضله على جريير  
 والفرزدق فى حديث مقتضب لا يرقى الى درجة الموازنة الدقيقة (١) ،  
 حيث اعتمد على الآراء التى تفضل الأخطل على صاحبيه فأوردها  
 دون مناقشة ، ولعله مؤمن بها على عواهنها .

وفى سلسلة من الروائع قام " فؤاد البستاني " بانتخاب بعض  
 المدائح والخمريات والأوصاف وغيرها من الأغراض فى شعر الأخطل ،  
 وشرحها بايجاز ، ولكن هذا الشرح لم يصل الى درجة النقد الأدبى  
 الذى يبين من خلاله مواطن الجمال الفنى لـــــــ  
 الشاعـــــر ومـــــــواطنــــن الابداع الـــــــ  
 أجـــــد فـــــيها .

أما الفرزدق فلم يحظ بمثل ما حظى  
 بــــه الأخطل وجــــرــــرــــرــــرــــر  
 الاهتمام والدراسة فديوانه الضخم لم يحقق حتى الآن رغم قيمته  
 الفنية ومادته اللغوية الغزيرة . وانما صدر نى طبعات غير محققة  
 فيها كثير من النقص لشروط النشر السليم (٢) !

---

(١) انظر هذه الدراسة : ٥١ - ٥٥ .

(٢) باستعراض موجز لطبعات ديوان الفرزدق نجد المستشرق الفرنسى  
 " ريتشارد بوشيه " قد قام بطبع جزء منه وترجمه للفرنسية سنة  
 (١٨٧٠م) وفى عام (١٩٠٠م) قام المستشرق الألمانى " يوسف =

أما الدراسات المتخصصة التي قامت حول الفرزدق فكان من أهمها وأشملها دراسة الدكتور " شاكِر الفحام " في كتابه ( الفرزدق ) الذي أصدره سنة ( ١٣٩٧هـ ) في دمشق (١)، وقد تناول في هذه

(=) هل " بإصدار الجزء الثاني في " ميونخ " وبقي هذا العمل

مرجع الباحثين في شعر الفرزدق في العصر الحديث بالإضافة إلى ما قام به السيد " أمين بن عمر زيتونة " في مصر عام ( ١٨٧٦م ) حينما أصدر ديوان الفرزدق ضمن خمسة دواوين لشعراء مختلفين ، وفي مصر عام ( ١٩٣٦م ) أصدر الأستاذ عبد الله الصاوي ديوان الفرزدق في جزئين ، وظل مرجع للدارسين حتى الآن رغم ظهور آخر طبعة مصورة للديوان عن طبعة الصاوي في بيروت والتي أصدرتها دار صادر عام ( ١٩٦٠م ) وهي معتمدة على طبعة الصاوي بعد أن - اختصرت منها بعض المقدمات النثرية للقوائد .  
وصدرت طبعة أخرى عن دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٠ هـ . . .

كما قام كذلك " ايليا الحاوي " بشرح ديوان الفرزدق عام ( ١٩٨٣م ) ومع هذا كله فلم يحقق حتى الآن .  
انظر تاريخ التراث العربي د . فؤاد سزكين ( ٢٧٧/٣ - ٧٩ .  
( ترجمة د . محمود فهمي حجازي طبع جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية ١٤٠٣ هـ ) .

(١) طبع الكتاب في بيروت ويقع في ( ٥٣٠ ) صفحة من منشورات دار الفكر وهو رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة ( ١٩٦٣م ) .

الدراسة بيئة الشاعر وحياته فتحدث عن المظاهر السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية ثم تحدث عن قبيلته وأسرته ونشأته وشبابه ورحلته الى الحجاز فارا من " زياد " فى خلافة معاوية ، وصلاته بالولاة والخلفاء وأيام شيخوخته ، وقد خص شعر الفرزدق بجزء من هذه الدراسة فتحدث عن الديوان وتوثيقه ونقائض الفرزدق مع جرير صورتها وأغراضها وخصائصها الفنية كما تحدث عن الهجاء والفخر قبل الأغراض الأخرى التى تكلم عنها كذلك ، وهى الغزل والوصف والمدح والرثاء ، وختم هذه الدراسة بالحديث عن الظواهر اللغوية والنحوية وأخيرا خصائصه المعنوية واللفظية .

وتعد هذه الدراسة أشمل ماكتب عن الفرزدق فى العصر الحديث لأن الكاتب عاش مع شعر الفرزدق فترة من الزمن يستجلى روائعه ويحلل فنه ويدرس خصائصه المعنوية ، فأخرج لنا هذه الدراسة بعد أن رأى أن الفرزدق رأس الشعراء الاسلاميين (١) وأغزهم شعرا لم يحظ بنصيبه الذى يستحقه من الدراسات الناقدة . فجاءت هذه الدراسة شاملة ضافية فى كثير من الجوانب ، وليته أتبعها دراسة وتحقيق ديوانه كما فعل الدكتور " نعمان طه " فى دراسته عن جرير صنو الفرزدق والأخطل ، كما أنه لم يعقد موازنة مستقلة بين الشعراء الثلاثة مع أن الأمر يقتضى هذا وإن كان فى أثناء حديثه عن النقائض وخصائصها الفنية قد تعرض لجرير كثيرا ووازن بين بعض الصور عنده وعند الفرزدق ، إلا أن هذا لا يفي بالغرض

---

(١) انظر هذه الدراسة : ٠٦ .

المطلوب لأن النقائص في مجملها هجاء وفخر بين الفرزدق وجريـر فخرج الأخطل من هذه الموازنة ، وأيا كان الأمر فإن هذه الدراسة تعد أشمل ماكتب عن هذا الشاعر كما قلنا ، وهي شعبة تضيء الطريق لدراسة الفرزدق الذي لم يأخذ نصيبه في دراسات المحدثين وتحقيقاتهم للتراث العربي وهذا قصور يؤخذ عليه المثقفون والمهتمون بدراسة تراثنا العربي في العصر الحديث .

ولم يكن الدكتور " الفحام " وحده هو الذي درس الفرزدق ففي سلسلة نوايخ الفكر العربي أصدر الدكتور "مدوح حقي" دراسة موجزة عن الفرزدق (١) بدأها بالحديث عن الحركات السياسية وتعدد الأحزاب في العراق والشام في عصره ، ثم تناول بالحديث الموجز الشاعر من حيث اسمه ولقبه وكنيته ونسبه وطفولته وشبابه وزوجاته وأولاده وشيخوخته وقد تكلم عنه كشخصية سياسية وكشاعر فتحدث عن الهجاء والمدح والفخر والغزل والرثاء والوصف في شعره ولكنه كان موجزا في كل حديثه فجاءت هذه الدراسة مخلة بكثير من الجوانب الهامة لشخصية الفرزدق وقد أشار الى تأثيره وتأثيره وماغذ العلماء عليه ، كما أردف دراسته باختيار بعض المنتخبات من آثاره الشعرية وأثبت أنه انفرد بالفخر والاقذاع دون صاحبيه ، ولكن هذه الدراسة ينقصها الكثير مما لم يهتم به هذا الدارس كالموازنة بين الشعراء الثلاثة والخصائص الفنية وبعض الظواهر الأخرى في أسلوبه كالتقديم والتأخير والغرابـة

---

(١) تقع هذه الدراسة الموجزة في (٩٥) صفحة من مطبوعات دار المعارف بمصر .

والتعقيد ومن هنا كان قصور هذه الدراسة الموجزة .

هذه فى الواقع أهم الدراسات التى تناولت الفرزدق فى العصر الحديث بالإضافة الى ماكتب عنه فى كتب تاريخ الأدب الحديثة وغيرها من الكتب هنا وهناك وبعض المقالات التى نشرت فى بعض المجلات<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من أمر فسيظل العمل ناقصا مالم يحقق ديوانه الكبير الذى تفتقر اليه المكتبة الأدبية والتراث العربى الأصيل .

أما جريـر فقد نال عناية فائقة من الدارسين المحدثين فـ قد قامت حوله دراسات متعددة كان من أهمها وأشملها دراسة الدكتور " نعمان طه " فى كتابه " " جرير حياته وشعره " (٢) وتعد هذه الدراسة أوفى الدراسات الحديثة عن " جرير " تناول فيها المؤلف البيئة الجغرافية التى عاش فيها الشاعر كما

- 
- (١) انظر ثبنا باهم ماكتب عن الفرزدق فى الدراسة التى قام بها الدكتور شاكر الفحام : ٥١٩ ، وأشير هنا الى أن الدكتور " مصطفى عبد الواحد " قد قام بدراسة وافية لأثر الاسلام فى شعر الفرزدق وصدرت هذه الدراسة سنة ( ١٤٠٢ هـ ) فى طبعتها الأولى بـ دار الإصلاح فى الدمام .
- (٢) تقع هذه الدراسة فى ( ٤٠٠ ) صفحة من منشورات دار المعارف المصرية سنة ( ١٩٦٨ م ) .

تحدث عن البيئة السياسية والاجتماعية والنقدية في العصر الأموي ليجلّص من هذا كله الى الحديث عن بيئة الشاعر الخاصة حيث تكلم عن " تميم " في الجاهلية من حيث تاريخها ونسبها وقبائلها وحروبها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى كما تحدث عنها في الاسلام وبعد ذلك تحدث عن أسرة الشاعر وأجداده ، وأولاده ، وأحفاده ، ومتى بدأ يقول شعرا ، والتحامه مع الشعراء ثم حياته الاجتماعية الخاصة والعامة واتصاله بالولاة والخلفاء وتطوافه بالبلدان وموقفه من العصبية القبلية وأخلاقه وصفاته وملكته النقدية ثم أردف دراسته ببعض مآخذ النقاد عليه وتكلم عن المهاجاة بينه وبين صاحبيه وغيرهما من الشعراء الذين كانوا ينهشونه ، ثم تحدث عنه بين صاحبيه الأخطل والفرزدق فأورد آراء القدماء ثم ناقشها وبخاصة مايتعلق بجرير وأما الأخطل والفرزدق فقد رأى هذا الدارس أن يرجىء حكمه عليهما لأنه كما يقول : ( لا يمكن أن أبدى الرأي في الفرزدق والأخطل لأنى لم أدرسهما الدراسة التفصيلية ولم أحي مع شعرهما وأخبارهما حياة نفسية أستطيع بها فى النهاية الحكم عليهما ) (١) .

ومن هنا وما أوجت إلينا به عبارة الدكتور نعمان جاءت —  
دراستنا لهؤلاء الثلاثة — والا فان دراسة الدكتور " نعمان طه " وافية شاملة — علنا نكمل مابقى من خلال موازنتنا بين الشعراء الثلاثة فى الفصل الثالث من هذا الباب — باذن الله — .

ولقد تحدث هذا الدارس عن جرير شاعرا فتكلم عن أغراض

---

(١) جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٠٩ .



شعره مبتدئا بالمديح ففصل القول فيه وبين ميزاته وخصائصه الفنية كما تكلم عن الغزل ، والنسيب ، والهجاء ، ونقائضه مع الفرزدق والأخطل ، ثم تناول الفخر وبين ميزة هذا الغرض عند جرير وأنه لم يقصد اليه قصدا ، وإنما دفعه الى ذلك مارآه من فخر الفرزدق فأراد أن يصطنع له فخرا يطامن به من فخر الفرزدق القوى ، وأشار الى الطبيعة في شعر جرير فذكر وصفه للصحراء التي قطعها أثناء رحلاته ، كما وصف الابل والحصان وغير ذلك من مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة ، وذكر العتاب والرثاء عند جرير فتحدث عن ذلك مبينا الجانب الحزين في نفس هذا الشاعر فقد كان جرير رقيق القلب ومثل لهذا من شعره ، كما ذيل هذه الدراسة الوافية بتلخيص ضاف للسماة الفنية في شعر جرير تناول فيها صور هذا الشاعر الفنية من خلال أغراضه وصياغته لهذا الفن الشعري وأسلوبه وبين أن جريرا لم يعتمد في ذلك على جلجلة الألفاظ وقوتها أو المبالغات الخيالية وعرض لموسيقاه الشعرية ، فذكر تجاوب موسيقى اللفظة الواحدة مع موسيقى الألفاظ مجتمعة ، وقد راعى جرير الجرس الموسيقى الذى يعبر عن روح المعنى ، وهكذا تناول كل السماة الفنية التى تلوح للدارس فى شعر جرير فبسط الحديث عنها ووضح مواطن الجمال الفنى والضعف فى نتاج هذا الشاعر ولم يترك شيئا يستحق البحث ويتعلق بجرير الا وفاء حقه فى هذه الدراسة وقد زاد عمله اتقاناً أنه أردف بعد ذلك بتحقيق ديوان جرير فى جزئين بلغ حجمهما ( ١٢٦٦ ) صفحة (١) وقد سهل بذلك على



الدارسين لشعر جرير حيث استقصى كل نتاجه بالدراسة والبحث والتحقيق .

وان كانت قد قامت دراسات أخرى حول هذا الشاعر الا أنها ليست من العمق والاستقصاء الذى يكمن فى كتاب الدكتور "نعمان طه" .

ولعل من هذه الدراسات الحديثة أيضا ما قام به الأستاذ محمد ابراهيم جمعة فى دراسته الموجزة عن جرير ضمن سلسلة نوابغ الفكر العربى (٢) .

كما قام الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى بدراسة أخرى - بعنوان جرير ونقائضه مع شعراء عصره (٢) تحدث فيها عن بعض المظاهر الساييسية والقيم الفنية لشعر جرير وخصوماته مع الشعراء - وستبقى هذه الدراسات دون دراسة الدكتور نعمان طه من حيث الشمول والاستقصاء لجوانب شخصية جرير الفنية .

هذه فى الواقع أهم الدراسات التى تناولت الشعراء الثلاثة والتى خصصها دارسوها لتناول الشعراء كل على حده حسب ما رأينا هنا والحقيقة أننا لا ندعى الكمال فليست كل ما قيل عن هذا المثلث ولكنها قد تكون أهم ما قيل ، ومهما يكن فميدان البحث

- 
- (١) تقع هذه الدراسة الموجزة فى ( ١٣٠ ) صفحة من الحجم الصغير وقد طبعت بدار المعارف المصرية سنة ١٩٨٠ م .
- (٢) طبعت هذه الدراسة الموجزة بالقاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر وتقع فى ( ١٣٨ ) صفحة من الحجم الصغير ولم أقف على تاريخ نشرها .

والدراسة لهؤلاء الشعراء الفحول لا يزال واسعاً نأمل أن تتلوها  
دراسات أخرى تكشف عن المزيد عن الأسرار الجمالية لنتاجهم والقيمة  
الفنية فيه للموازنة بينهم موازنة استقرائية شاملة ، فبضدها تعرف  
الأشياء كما يقولون ، ولا بد أن يوضع الشعراء الثلاثة في لوحة واحدة  
وهذا ما سأحاول أن أفعله في الفصل التالي - باذن الله -  
للموازنة النقدية بينهم .

\*\*\*\*\*

# الفصل الثالث

موازنة بين الشعراء الثلاثة  
في ضوء النقد الحديث

## " الفصل الثالث "

+++++

\* موازنة بين الشعراء الثلاثة في \*

\* ضوء النقد الحديث \*

أجمع نقاد الشعر على أن لواءه في العصر الأموي عقد للشعراء الثلاثة جرير والفرزدق والأخطل ، ولكنهم اختلفوا في السابق منهم (!) ولقد تحامى كثير من الأدباء وأهل البصر بالشعر عن تقديم أحدهم على صاحبيه كما رأينا من قبل . ولعل الخصومة التي نشبت بينهم كانت من أقوى الأسباب الرئيسية التي أدت الى ظهور آراء متعددة حولهم لم تجمع على أيهم أفضل فقد وضعهم ابن سلام رأس طبقات الاسلاميين وبين اختلاف الناس فيهم (٢) ، وإذا كان النقد القديم الذي دار حول هؤلاء الشعراء لامحا موجزا يعتمد الى الجزئيات البسيطة فيحكم من خلالها مركزا على نقاط معينة أثارت الناقد استحسانا أو قبحا فان هذه النقاط لا ترقى الى مستوى النقد الواعي الذي يعتمد الى الموازنات الدقيقة بعد الاستقراء التام ، ومن هنا فان النقد الحديث لم يعد ينظر الى الشاعر نظرة جزئية من خلال البيت أو البيتين أو حتى القصيدة الواحدة فيحكم من

---

(١) انظر المنهل العذب في الأدب العربي وتاريخه . أحمد محمد الامام

: ٩٨ ( شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة ) .

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء : ٢٩٩/١ .

خلالها ، ولم تعد مسألة الموازنة بين الشعراء فى النقد الحديث  
تركز على أيهم أفضل بقدر ماهى محاولة جادة لتحسس مواطن  
الجمال الفنى والاجادة عند الشاعر (١) . اذ أن لكل منهجه وتجاربه  
فى الحياة . وقدراته الذاتية فى مجال الابداع . وقبل أن أدخل  
فى الموازنة التفصيلية بين الشعراء الثلاثة لابد من معرفة موقف كل  
منهم من أحداث عصره التى كان لها الأثر الكبير فى توائم الشعراء  
مع المجتمع بحسب ماتفرضه عليهم ظروفهم الاجتماعية والاتجاهات  
السياسية فى عصرهم . فالأخطل شاعر البلاط الأموى منذ اللحظة  
الأولى ، قربه الأمويون فأشاد بهم وتغنى بآثرهم ورمى غيرهم بأشد  
الهجاء حتى أنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يسلموا  
من اقتداعه ليرضى بذلك يزيد . فلا غرابة أن يأتى شعره منسجماً  
مع هذا التقريب وماتلميه عليه الحياة السياسية .

وأما الفرزدق فكان شامخ النفس متعال بنسبه يربأ بذاته أن  
يرتمى فى أحضان الخلفاء والأمراء والولاة لأنه سليل مجد تليد  
وربيب أسرة عريقة حظها من الشرف فى القمة فاستمد من واقعها  
مفاخر جمّة تطاول فيها على الخليفة معاوية وبعض الولاة (٢) .

وجريير من تميم زبيرية الهوى وهو يحطب فى حبال قيس  
أخلص فى مدائحه للحجاج فجاءت رائعة فاقت مامدح به الخلفاء

(١) انظر مقدمة فى النقد الأدبى د . محمد حسن عبد الله : ٣٦ -

( دار البحوث الكويت ) .

(٢) ديوان الفرزدق : ٥٢/١ - ٣٩٣٠٥٣ .

وتغنى كثيرا بمآثر قيس وبخاصة عندما يناقض الأخطل . ومع هذا فقد طرق الجميع فى النهاية أبواب الخلفاء ومدحوهم ، وكان هذا نتيجة لابد منها بعد أن استقرت الأمور لبني أمية وانتهت عواصف الفتن التى اشتعلت نارها حينذاك .

هذه فى الواقع صورة مبسطة لاتجاه كل منهم وتكيفه مع الوضع السياسى السائد فى المجتمع الذى عاش فيه شعراؤنا الثلاثة . وفى هذه الموازنة سنحاول جهدنا بيان موقف هؤلاء الشعراء فى مديحهم لبني أمية ومن عاش فى عصرهم من الفضلاء والسادات من حيث تتبعهم للقيم النبيلة والمثل الحية للانسانية ، وهل عبروا عن هذه المثل تعبيراً صادقاً وميزوا شخصيات ومدوحهم بسماتهم التى كانوا بها عظماء؟ ومدى توخيهم فى فخرهم للمعاني السامية أم أنهم ركزوا على النعرات القبلية ففاخروا بها واصطنعوا لأنفسهم سجايا لم تكن لهم ولم يتصفوا بها من قريب أو بعيد ، وسنحاول تناول الأغراض الأخرى علنا نكون منصفين أو قريبين من الانصاف فى هذه الموازنة وان كان البحث مقصوراً على المديح والفخر الا أن أمانة الحكم تقتضى منا أن ننظر الى الشعر كله من غير تفريق ولو بصورة موجزة بالنسبة للأغراض الأخرى غير المديح والفخر ، ولأن المنهج الذى اختطه فى هذه الرسالة يفضى بى الى هذا ، وسأبدأ فى هذه الموازنة بمنهج القصيدة عند كل منهم .

.....

عندما نستعرض قصائد الأخطل نجده يبدأ مقدماته (١) —  
 بالحديث عن الديار العافية والرسوم الدائرة ، وصرم الحبيب له الا  
 أنه كثيرا ما يذكر السرى وما فيه من العنت والمشقة ، ويذكر راحلته  
 ويصفها مصورا هزالها ، وتصيب عرقها من طول الرحلة ، ثم يستغرق  
 كثيرا من مطلقه في وصف الخمر والتغنى بها والتلذذ بمفاتنها  
 وكأنها معشوقته الوحيدة وهذا ما لم يفعله جرير أو الفرزدق ، وقد  
 يربط الأخطل بين أثر الخمر وبين حاله النفسى تقليدا لغيره من  
 شعراء الجاهلية ، وفي بعض الأحيان نجده يهجم على معناه هجوما  
 دون مقدمة لذلك كما حدث في بعض نقائضه مع جرير (٢) وان كان  
 هذا قليلا بخلاف جرير الذى يغلب على نقائضه الابتداء بالنسيب  
 على عادة الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، ولقد كانت مقدمات الأخطل  
 واضحة لا غموض فيها ولا التواء ، وأما الفرزدق فلم يلتزم الاستهلال  
 بالغزل فكثيرا ما هجم على معناه هجوما ، وان قدم لقصيدته أحيانا  
 فانما يمر به متعجلا وكأنه يحس شيئا من جسو يباعد بينه وبين هذا  
 الفن فلا يطرقه الا لماما (٣) ولهذا كان في غزله متكلفا فاتر

---

(١) ان أول ما يلاحظه الناقد على القصيدة في شكلها الخارجى هو المطلع  
 فقد عنى نقاد العرب بمطلع القصيدة عناية فائقة وطالبوا أن يكون بينا  
 واضحا لا غموض فيه ولا التواء سهل المأخذ لاتعقيد فيه ولا صعوبة في  
 فهم معناه / انظر أسس النقد الأدبى عند العرب - د . أحمد  
 أحمد بدوى : ٢٩٧ .

(٢) انظر نقائض جرير والأخطل : دراسة الدكتور عبد السلام المحتسب :  
 ٤٩٢ - ٤٩٤ .

(٣) انظر الفرزدق - د . شاکر الفحام : ٣١٥ .



الاحساس (١) لأن شخصيته من الشخصيات التي لا تلتين للمرأة وحسبنا  
في هذا الصدد قوله (٢) :

وأهون مفقود اذا الموت ناله      على المرء من أصحابه من تقنعا

ويكشف عن طبيعته قول المتنبي أيضا (٣) :

تذلل لها واخضع على القرب والنوى      فما عاشق من لا يذل ويخضع

ولكن الفرزدق لم يتذلل ولم يخضع لما يشعر به من العظمة  
والشرف وربما لأن جريرا قد سلب منه ومن الأخطل كل عاطفة رقيقة  
ولم يترك لهما مجالا في هذه الناحية لأنها الوحيدة التي بقيت  
لجرير كي يجيد فيها بعد ما ذهب الفرزدق بالفخار والأخطل بالمديح  
والهجاء على رأى بعض النقاد القدامى (٤) .

وأما جرير فنجدته في عامة قصائده يبدأ بالنسيب الذي تغلب  
عليه الرقة والعدوية والعفة فكثيرا ما تغزل بأحدى زوجاته ، وكان من  
هذه الناحية مع عفته محافظا على نسق القصيدة الجاهلي .

ويدور مطلع جرير في أغلب حالاته حول ذكر صاحبه وحواره -  
معها وابداء رأيه فيها وذكر الوصال والفراق والشاة والأعداء

(١) انظر الوقوف على الأطلال د . مصطفى عبد الواحد : ٨٤ ( مطبوعات

نادى مكة الثقافى ) .

(٢) ديوان الفرزدق : ٤٢٢/١ .

(٣) ديوان المتنبي بشرح البرقوقى : ٤١٢/١ .

(٤) الشعر والشعراء : ٤٦٧/١ .

ووصف المطايا وتحية المنازل وهكذا . ثم يخلص الى الغرض الذى يريد أن يبنى عليه القصيدة سواء أكان مدحا أم هجاء أو غير ذلك من أغراض الشعر .

ويلاحظ على جرير فى مقدماته أنه لا يمعن كثيرا فى وصف الرحلة وطولها ولكنه يركز على النسيب الجميل وهذا ما ميز أسلوبه الفنى وطبعه بطابع الحلاوة والعذوبة والوضوح وعدم الغموض . هذا ما يتعلق بالمقدمات عند الشعراء الثلاثة . . .

أما ما يتعلق بتخلصات الشعراء من هذه المقدمات الى الغرض فقد أحسنوا فيها وقد أشار بعض النقاد المحدثين الى حسن تخلصات الفرزدق (١) وإن كان أصحابه لا يقلان عنه حسنا . أما الغرض ذاته فما من شك فى أن الأخطل فى مدائحه لبنى أمية يعد أكثر تنقيحا وتهذيبا فى عرف النقاد القدامى ، فلم يكن يرضى بالمدحة التى تكون وليدة الوقت القصير بل لابد من أن يجود وينقح ولو أخذ منه هذا مدة أطول . ومن هنا كان ممن يطلق عليهم " أصحاب الحوليات " إذ أنه ينظم القصيدة فى تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين بيتا فيطيرها (٢) . وقد يبدو فى مدائحه لبنى أمية مهتما بالنواحي السياسية أكثر من مدائحه فى غيرهم وبالأخص عندما يمدح بنى مروان نظرا لأن شخصية عبد الملك ومن

(١) انظر أسس النقد الأدبى عند العرب د . أحمد أحمد بدوى : ٣٠٩ .

(٢) انظر الأغاني : ٢٨٤/٨ .

جاء بعده من الخلفاء قد فرضت على الأخطل أن يتأنى فى اختيار معانى وصور مدحه لهم ويدقق فيها ، فعبد الملك بن مروان غير يزيد بن معاوية ، والوليد أشد من أبيه فى تعامله مع النصارى وهكذا ولذلك جاءت مدائحه فى بنى مروان تتسم بطابع السياسة اذ رسم لهم صوراً قوية عرض فيها لمعانى البطولة ليؤكد أنه لازال موالياً لهم وأنه شاعرهم الأول . بخلاف مدائحه ليزيد بن معاوية الذى لم يدخل الى روعه مدخل البطل الفاتح وإنما الشاب النزق الذى يتلذذ ويلهو . ونتيجة لتروى الأخطل فى قصائده نجده يرتب عناصراً لمدحة وفق ما يريد فينتقل بين أجزائها بروية وتمهل .

ولعل أول ما يصادف القارئ لمدح عناية الفائقة بشخصية الممدوح وتتعاظم هذه العناية عندما يكون خليفة (١) أو من أبناء البيت الأموى . اذ يتناول هذه الشخصية بكل مقوماتها السياسية والاجتماعية وماتتصف به من سجايا نبيلة وخلال حميدة . ويفرد للجانب البطولى جزءاً كبيراً فى المدحة فيشيد بدور الممدوح فى المعارك وانتصاره فيها مصوراً بلأه وشدة بطشه بالأعداء . وبالمقابل يذكر حلم الممدوح وكرمه وأياديه البيضاء واصلاحاته الداخلية التى تخدم المجتمع .

---

(١) انظر على سبيل المثال مدائحه فى عبد الملك بن مروان ويزيد ابن معاوية / شعر الأخطل : ١/ ٣٩، ٩٣، ١٦١، ١٧٩، ١٩٢، ٢٩٢، ٣٠٢، ٤١٠ / ٤٣٣ . وستجد فرقاً فى تعاطيهم الشخصيتين عند الشاعر . والنواحي التى اعنى فيها بشخصية كل منهم فى المدحة الواحدة .

وإذا كان المدوح فرعا من دوحة عظيمة وجدنا الأخطل يشيد  
بمآثر قومه وكرمهم وشجاعتهم وفي نشوة الابداع وغمرة المدحة لا يتناسى  
نفسه وأطماعه فيفتخر تارة ويذكر مآثر تغلب أخرى ويندد بأعدائه  
وأعداء قبيلته ، وقد ظهرت هذه الناحية في مدائحه ليزيد بن معاوية  
وعبد الملك بن مروان وأخيه بشر لما يشعر به من الحظوة والتمكّن  
عندهم ، بينما خفت هذه الناحية أثناء مديحه للوليد وأخيه سليمان  
وغيرهم . ومن هنا جاءت مدائحه لبنى أمية أكثر جودة وأقوى  
معانى وأطول نفسا ، فإذا مدح غيرهم من شخصيات وفضلاء عصره  
كان غرضه محدود المعانى قليل العناصر يتركز في المديح الخالص  
وبعض الصفات الشخصية كالكرم والشجاعة وعراقة المنبت لا يتعمد  
المدوح وقبيلته وينأى به عن النواحي السياسية وإذا أخذنا مثلا  
مدائحه في جرير بن عبد الله البجلي ، أو سماك بن مخزوم الأسدي  
أو غيرهما نجدها أقصر نفسا من مدائحه في عبد الملك بن مروان  
والوليد ويزيد وبشر وغيرهم من بنى أمية حيث جاءت صوره مقاربة  
متابعة وخفت منها الصور الدينية التي لا تظهر الا في مديحه  
للخلفاء والأمراء من بنى أمية .

ان الأخطل يتكلف في شعره عناء شديدا ويجهد نفسه في  
انتقاء الفاظه ورسم صوره وبخاصة عندما يمدح الخلفاء (١) . فلقد

---

(١) ومن هنا كان مقلا في المديح مع أنه لازم بنى أمية وقتا من الزمن ووصل  
حباله بحبالهم وقتا طويلا ولكن مدائحه فيهم كانت أقل نسبة من مدائح  
جرير والفرزدق .

انظر الجداول الملحقة بهذا البحث من ١-٧ للمقارنة .

دامت صلته بعبد الملك خمسة عشر عاما ولم يمتدحه الا بثلاث قصائد حفظها لنا ديوانه الموجود بين أيدينا . ونتيجة لهذا التكلف وهذا التنقيح والتعذيب جاءت مدائحه قليلة اذا ماقيست بمدائح الفرزدق وجريير فلم يكن الأخطل من الشعراء المطبوعين الذين ينظمون أشعارهم عفوا والخاطر (١) وانما كان يتعب نفسه ويجهدا طلبا للاتقان والجودة . وكانت البيئة التي عاش فيها في ظل الأمويين تفرض عليه هذا لأنه يخاطب بهذه المدائح خلفاء وأمراء فيهم الشاعر والناقد والمتذوق للشعر ومن هنا كان حتما على الأخطل هذا التنقيح والتجويد في فنه فقد انطلق من منطلقات فنية معينة تفرض عليه الاحتفال بشعره والتروى في اختيار ألفاظه ، فيزيد بن معاوية شاعر مبدع قليل فيه وفي امرئ القيس لقد بدى الشعر بملك وختم بملك (٢) .

وكان أبوه من قبله يقول : " اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكبر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم (٣) " . وقال : " يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب (٤) " .

وعبد الملك بن مروان كان أدبيا يجمع بين الرواية والنقد حتى قال فيه الشعبي : " ما جالست أحدا الا وجدت لي الفضل عليه

(١) انظر الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازي : ٢٣٣ .

(٢) انظر الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقي : ١١٣ .

(٣) الكامل للمبرد : ١٢٣٢/٣ .

(٤) العمدة لابن رشيق : ٢٩/١ .

الا عبد الملك بن مروان فأننى ما ذاكرته حديثا الا زادنى فيه  
ولا شعرا الا زادنى فيه" (١) .

وكان مجلس بشر بن مروان حلقة أدبية ويحب الايقاع بين  
الشعراء (٢) .

وكان الوليد بن عبد الملك وأخوه هشام يرويان الأشعار ويفاضلان  
بين الشعراء .

ولقد قدر للأخطل أن يبدأ صلته ويعقد أسبابه بهؤلاء القوم  
بادىء ذى بدء فكان لزاما عليه أن يجود فنه ويحفل بشعره لأن من  
يخاطبهم ليسوا من عامة الناس ولكنهم من علية القوم أدبا وجـلـلا  
فكان أن انتهج مدرسة أصحاب الحوليات فى الشعر وكان من عبيده .  
ومن هنا كان اعجاب الرواة بشعره لأنه امتداد للشعر الجاهل  
الجاهليين فى التهذيب والتجويد ، وقويت ملكة الخيال عنده فبرع  
فى التصوير الذى غدا الطابع العام لشعره وليس معنى هذا أن كل  
مدائح الأخطل ذات صور قوية ولكننا نجد صورته تجود كثيرا وتقتصر  
فى بعض الأحيان قليلا ، وانما جاء هذا القصور بعد أن شعر  
الأخطل بضعف مكانته عند الوليد فاستعاض عن الصور بالمبالغات والقسم  
فى أغلب مدائحه للوليد مما يدل على ضعف نفسه (٣) . وكان هذا

(١) البداية والنهاية : ٦٣/٩ .

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء : ٤٧٤/١ .

(٣) انظر شعر الأخطل : ٢٧٠٠ ، ٢٤٤٠ ، ٢٢٢/١ .

نتيجة طبيعية بعد أن فقد مكانته فجاء متوسلا متشفعا طالبا  
لقومه السلام ورفع الضرائب .

وخلاصة القول :

أن مدائح الأخطل في ظل بنى أمية وبخاصة عبد الملك بن مروان ، وأخيه بشر ومن قبله يزيد بن معاوية وأخيه وابنه وبعض القادة والولاة في عصرهم تمثل أروع ما فتحت به قريحة الأخطل الشعرية في هذا الغرض من حيث طول النفس وتماشك البناء وقسوة التصوير وفخامة المعنى . وكان هذا الاتقان في مدائحه تلك نتيجة لعدة عوامل من أهمها حرصه الشديد على كسب ودهم وهم سُلادة المجتمع ومعرفتهم بالشعر ونقده فلا يغفرون له أى سقطات أو زلل ثم عطاؤهم الوفير الذى يناله الشعراء بغير حساب ، وبعد هذا كله وقوفه أن الأخطل نصرانى في وسط مسلم لا يرضى ولاية الأمر فيه أن تخدش عظمة الاسلام ، ومن هنا تمهل هذا الشاعر في القصيد وأجاد وعاد ونقح حتى غدا هذا سمة بارزة فيه ، ومن ثم كان سر اعجاب العلماء بشعره .

أما غرض الفخر عند الأخطل فاننا نجد معانيه صورة لمعاني القدماء ، فالشجاعة والكرم وقتل الملوك والأبطال ليست معاني جديدة ابتكرها الأخطل وافتخر بها ، وإنما هي معان مطروقة في الشعر الجاهلى جاء بها هذا الشاعر وجعلها منطلقا له في فخره وبخاصة عندما يناقض خصمه جريرا .

ولقد حال الاسلام دون الكثير من المعانى التى كانت تدور

فى رأسه ويود أن يفتخر بها ولذلك وجدناه يركز على الافتخار  
برجال قومه كعمرو بن كلثوم ، والسفاح التغلبى ، والهديل بن هبيسة  
ويردد دائما انتصارات قومه فى الجاهلية والاسلام ويفتخر بذلك  
وبخاصة ماكان بينهم وبين قيس عيلان من أيام وحروب ولا يذكر  
عظما قومه الا فى فخره على جرير .

ولو قدر للأخطل وقبيلته الدخول فى الاسلام لأبدع فخرا  
عظيما ، فلقد نجده يسامى أحيانا الفرزدق فى فخره القبلى لأنه  
يعتمد على مجد مؤثل لتغلب (١) قديم ولكن هذا المجد ينحسر  
فى الاسلام لأن موضوع الفخر الحقيقى ما تلاءم وطبيعة الدين الاسلامى  
الذى يسود المجتمع والذى يسعى الخلفاء جاهدين لاعلائه ، ولذا  
جاء فخره من هذه الناحية خافت الصوت تغلب عليه الشكوى من  
القيسية والتضرع الى الخلفاء ومنهم عبد الملك والوليد أن ينصرا  
قومه الذين يوالون الخلافة ضد هؤلاء الذين يتربصون بها للقضاء  
عليها . ولم يعد فخره فى معرض مديحه لعبد الملك وابنه الوليد  
كما كان فى عهد معاوية ويزيد بن معاوية اذ أن نغمة الفخر فى  
معرض مديحه أخذت تخف وتتلاشى حتى اختفت ولم يبق له الا أن

---

(١) تغلب قبيلة عظيمة لها أيامها فى الجاهلية وقد نبع منها  
فرسان وشعراء ، ومن هنا فاخر الأخطل كثيرا بها وردد  
أسماء فرسانها مفاخرا جريرا .



يذكرهم بموقف قومه معهم ليعيد في أذهانهم ما يجب أن يحظى به الشاعر وقبيلته . وكأنه يمتن عليهم ما عمله معهم .

بنى أمة قد ناضلت دوتكم أبناء قوم هموا آووا وهم نصروا (١)

ومن هنا خلا فخره بمآثر قومه النصارى في الوسط الاسلامى من الصور النافذة التى تبلغ الذروة فى العرض والتصوير وكثر عنده السرد الذى وان كان فى الفخر مقبولا الا أنه قد يكون فى غيره ضئيل المكانة الأدبية ، وإذا قدر له أن يفتخر فى رحاب الخلفاء فليس له أن يرفع صوته فوق أصواتهم ويتعالى بانتماؤه القبلى فى رحابهم اذ سرعان ما يصطدم بعقيدته النصرانية التى تكبله وتكبل معه قومه وقد رأينا هذا عندما قال الأخطل لجبرير فى مجلس عبد الملك : " أنا الذى منعت نومك وتهضمت قومك " . فرد عليه جبرير قائلا : " أما منعك نومى فلو نمت عنك لكان خيرا لك ، وأما تهضمك قومى فكيف تهضم وأنت ممن ضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وكيف تهضم لا أم لك قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور محكوم عليه لا حاكم " (٢) .

فأنى للأخطل أن يفتخر بعد هذا ؟ لم يبق له الا الضيافة التغلبية والأمجاد السالفة والخيال النجبية التى كانت عنوان شجاعتهم أما المثل العليا التى أضفاها الاسلام على الناس فليس للأخطل

(١) شعر الأخطل : ٢٠٢/١ .

(٢) الأغاني : ٦٣، ٦٢/٨ .

ولا لقومه رصيد منها . وليست له مزايا ذاتية يفتخر بها فجاء فخره الشخصي قليلا جدا اذا ما قيس بفخره بقومه وكانت معاني فخره الشخصي باهتة ليس فيها ما يثير الوجدان ويستفز الشعور فهو من علياء تغلب كريم مضياف حامى الذمار يدافع عن قبيلته ويرفع من شأنها وهى معان يستطيع كل شاعر أن يقولها ويصطنعها لنفسه ، وقد تحاشى كما رأينا الفخر بديانته فلم يذكرها الا فى بيت أو بيتين اثنين فقط (١) . ولذلك كان فخره القبلى أقوى من فخره النفسى لأنه ركز فيه على الانتصارات الحربية والضيافة التغلبيه ، والأمجاد السالفة لقبيلته ونتيجة لتمجيده للقوة والفخر بها كثيرا فقد تضاءلت قيمة هذا الفخر الفنية وأصبحت النعرة الجاهلية من أهم ميزات وأصبح همه فى فخره أن يقول أن تغلب تحتل مساحات شاسعة من الأرض حموها ومنعوها ، وأن الأعداء عجزوا عن منازعة التغلبين وأن خيلهم نجية متمرسه فى القتال . وهكذا تتوالى معان ليست من ابتكار الأخطل وحده وليست تغلب القبيلة الوحيدة التى تتصف بهذه الصفات دون سواها —

ان الأخطل كان يشعر فى فخره بضالة نفسه وبكبت مشاعره اذا ما أراد أن يطلق لها العنان فيصطدم بشخصيات الخلفاء التى تحد من انفعاله وترده الى حجمه الحقيقى فلا غرابة فى الا يكون من فضل فى فخره الا قوة الصياغة دون الفكرة الجديدة أو الذاتية المبتكرة .

---

(١) شعر الأخطل : ٧٤٤/٢ - ٧٤٥ .

وأما من حيث الرثاء والهجاء والغزل فإن ما عاناه الأخطل في بداية حياته من كبت واضطهاد من قبل زوجة أبيه التي كانت تضطهده وتهينه وتكلفه رعى الغنم وتفضل عليه أولادها كل هذا بالإضافة الى جفاء طبعه ونزوعه الى المراجعة في النظم قد أثرت هذه العوامل في نفسيته فتأخر في الغزل والرثاء . حتى أننا لم نجد له في الرثاء في حياته الطويلة الحافلة غير أربعة أبيات رثى بها يزيد (١) . وكأنه لم يهتز لموت أحد من ولده وأسرته وأصدقائه كما هزه موت يزيد فجادت قريحته بأربعة أبيات .

وأما غزله فليس فيه الا موسيقية اللفظ أما دققـة الشعور وقوة الاحساس فلا نجدها عند الأخطل . ومن هنا خلا غزله من رقـة الاحساس وحلاوة المعنى . وفي الهجاء نجده يعتنى بالألفاظ ويدقق في اختيار عباراته دون أن يندفع اندفاع جرير ولذا رأيناه يتأنى في عرض صوره فجاء لفظه في الهجاء جزلاً رصيناً ومعناه بارعاً طريفاً ، ولم يكن في هجائه يميل الى السخرية والنكسة كما عند جرير فقد كان الأخطل يصنع الهجاء كالغزل والرثاء . (٢)

وأما الفرزدق فقد يستحوذ الغرض عنده على معظم القصيدة وبذلك أصبح طول النفس عنده في معظم قصائده ميزة له يتميز بها في أغلب شعره ، ونستخلص من هذا النفس الطويل قدرة الشاعر

(١) شعر الأخطل : ٥٣٣/٢ .

(٢) انظر الأخطل شاعر بني أمية د . سيد غازي : ٢٣٦ -

الفنية واستطراده في المعنى وتمكنه من اللغة التي تمدّه بسبب غزير من الألفاظ والمعاني والصور الفنية ولا يستغرب هذا على الفرزدق فان كثرة الألفاظ التي تعيها ذاكرته المميزة عن ذاكرتي جريـر والأخطل دفعت به الى الابداع والخوض في اعماق اللغة ولهذا قالوا : " لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة " (١) .

وعلاوة على هذا التمكن والاقتدار من ناحية اللغة فان هذا الشاعر كان ينطلق في مديحه وفخره بنفس حرة لا تعرف التوسل والاستجداء على الأقل في بداية حياته وشبابه ، وهذا الانطلاق يتمثل في شعره عندما يقوله وهو واثق من نفسه ، ولذلك نجده يقول القصيدة في الغرض الذي يريد ، ولا ينهي قصيدته حتى يستوفي غرضه ولو تطلب منه ذلك جهدا ، فمثلا قصيدته " الرائية " في مدح سليمان ابن عبد الملك والتي مطلعها (٢) :

طرقت نوار دون مطرقها — جذب البرى لنواحل صعر

بلغت تسعة وتسعين بيتا متماسكة البناء محكمة المعاني تكتظ بالصور الفنية التي لم نجد لها مثيلا عند الأخطل أو جرير من حيث عمق الفكرة وبلاغة التشبيهات ، واستقصاء المعاني وعمقها حتى أن المتأمل فيها يقف طويلا أمام أبياتها لكي يفهم ما يقصده الشاعر من وراء عباراته في هذه المدحة ، وليس هذا الوقوف نتيجة لاغراب الشاعر

(١) انظر الأغاني : ٣٩٥/٢١ .

(٢) ديوان الفرزدق : ٢٦١/١ - ٢٦٨ .

أو تعقيد معناه ، وإنما لقوة معانيه وكثرة ألفاظه وعمق أفكاره .  
ونجد له قصائد أخرى تربو أبيات القصيدة الواحدة على السبعين بيتا وقد تتجاوز المائة (١) .

ولقد جاء شعر الفرزدق صورة صادقة لشخصيته فكان ممثلاً لهذه الشخصية المتمردة أصدق تمثيل ، وانعكست طباعه الخشنة العنيفة على نتاجه . فظهرت سمة البداوة واضحة في ألفاظه وعباراته ، وقد استمد الكثير من تشبيهاته من البيئة البدوية التي عاش فيها فظهرت في قصائده ملامح كثيرة لهذه الطبيعة الصلدة وتردد على لسانه الكثير من الأسماء الفوجودة في حياة البدو: كالحبل والدلو ، والمطايا ، وغير ذلك .

وكثر في شعره التقديم والتأخير الذي لم يدفع إليه ضحالة فكر أو ضعف شاعرية وإنما تراحم معان وامتلاء نفسه بالفكرة . فالفرزدق من الشعراء الذين يكدون ذهنهم في القصيدة ، ويتعبون في التنقيح والتهديب ومن هنا كان شعره رائجا في بيئة اللغويين والنحاة فكان من هذه الناحية أشعر خاصة وجريئ أشعر عامة (٢) .

(١) انظر بعض هذه القصائد مثلاً في ديوانه : ٣٦٢ ، ٢٦١ ، ٩٩ / ١ .

٣٧٦ ، ٢٣ / ٢ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ٣٠٧ . وهي مزيج بين

المديح والفخر والهجاء وهناك قصائد أخرى عديدة في الديوان لا

تقل القصيدة الواحدة عن خمسين بيتا .

(٢) انظر الأغاني : ٣٩٤ / ٢١ .

والفرزدق فى مدائحه للخلفاء وبالأخص عبد الملك بن مروان ،  
وسليمان ، والوليد لم يكن ليطلب شيئا لنفسه بل كان يصور لهؤلاء  
الخلفاء مجتمعه وما يحيط به من ظلم الولاة أو الجباة ، ويصل الى  
أسماع المدوحين وكأنه شاعر معارضة يحق له أن يبدى عيوب وظلم  
الولاة ويبسط هذه العيوب أمام الخليفة . وهى صور لم نجدها  
فى مدائح الأخطل وجريز ونجده يطيل فى مدائحه اطالة مفرطة  
فيرسم للممدوح أبعادا جديدة لما فى نفسه من تطلعات وما يريده  
لمجتمعه من خير على يد هذا الخليفة .

وقد تجلت عظمة الفرزدق وظهرت شخصيته القوية فى أثناء  
مدائحه لعبد الملك وابنيه الوليد وسليمان . ولم يتخلص الفرزدق  
من عقدة السياسة فانساق وراء تيارها ولم يرتم فى أحضان الأميين  
فى بداية الأمر وإنما كان ضالعا فى هواه مع بنى هاشم ، ولكنــه  
عاد بعد أن استقر الأمر لبنى أمية يزجيهم مديحه ويشيد بهم وهو  
الذى افتخر من قبل على معاوية ومدح بعض بنى هاشم فهو يبسو  
متأرجح المواقف فلا مديحه يدل على حبه الدائم ولا هجاءه يدل  
على بغضه الدائم فقد هجا هشام بن عبد الملك ومدحه ، وهجا  
الحجاج معرضا به عند سليمان بعد موته وكان قد مدحه فى حياته  
ومدح ابن هبيرة مرة وهجاه أخرى (١) .

ولقد جادت صور الفرزدق كثيرا فى مديحه لسليمان بن عبد

(١) انظر الأغاني : ٣١٣/٢١ .

الملك تلك المدائح التى كان منبعها عاطفة متأججة نحو الممدوح .  
 وأن المتتبع لمدائح الفرزدق جميعها تتراءى له تلك الكثرة الكاثرة  
 من الممدوحين خلفاء وأمراء وولاة وقادة وفضلاء وقبائل مما يدل على  
 علو مكانة الشاعر وسعة معرفته بالناس على مختلف مستوياتهم ولأن  
 تتأتى هذه المعرفة إلا لمن كانت له علاقة حسنة بجميع الناس وكان  
 مقصودا لعلو كعبه ورفعته شأنه .

#### وخلاصة القول :

أن الفرزدق فى مديحه يتأنى فى عرض صوره وألفاظه كما يتأنى فى  
 تناول غرضه ويحتفل به فيجود صوره وينتقى ألفاظه ونجده يمزج فى  
 كل مدحه بين الدين والسياسة ويتخذ من البيئة البدوية — مـادة  
 يستقى منها صوره وتشبيهاته . ولذلك جاءت ألفاظه منتقاة مختارة  
 وتعبيراته ضخمة القسما ت فظهرت عنده الصور الفنية واضحة وكثرت فى  
 شعره حتى أصبحت كثرة الصور الفنية ميزة لمدائحه ، ولقد جاءت عنده  
 ملامح للتعقيد والغموض ولكنها كانت قليلة اذا ماقيست بشعره كله  
 الذى لا يدانيه نتاج شاعر معاصر له أو لاحق فيما نرى . ثم  
 أن هذه الملامح لم تكن فى شعر الفرزدق الذى قاله فى شبابه  
 ونضجه ، وإنما جاءت نتيجة لكبر سنه وضعف قواه وفراغ يده من المال  
 بعد أن تغيرت حاله وتقدمت به السن فرأيناه يطلب ويستجدى من  
 هشام ويزيد حينما اتصل بهما بعد عمر طويل حافل بالقوة الجسمية  
 والعقلية والفنية فلا يستغرب اذا أن تظهر فى شعره ملامح التعقيد  
 والغموض نتيجة لما حصل فيه من كثرة التقديم والتأخير . ونتيجة

لازدحام المعاني التي لم تعد تعيها ذاكرته .

أما الفخر عنده فقد ملك عليه نفسه وظهر منه الأول الذي  
بز فيه أقرانه (١)، لأنه ينطلق فيه من واقع عظيم يعضده مألشاعر  
وقومه من أمجاد فقد انطلق في فخره من عاطفة صادقة وخيال متوثب  
فان افتخر بتميم فهي من أعظم القبائل شأنا في الجاهلية والاسلام  
وان قصر فخره على مجاشع ودارم فقد حلوا من تميم ذؤابتها واقتعدوا  
سنام مجدها ، وان افتخر بمضر كلها فمضها الرسول والخلفاء . وان  
قصر فخره على نفسه فهو ابن حمال الديات صاحب المعاقرة المشهورة  
مع " سحيم بن وثيل الرياحي " ، وان كان فخره بجده فهو محيى  
الموءودات في الجاهلية ، وأخواله من بني ضبة ورث منهم كريم الخلال  
وعظيم السجايا ومنها شاعريته (٢) .

ومن هذا المنطلق العظيم كان الفرزدق كالآتي (٣) في مفاخره  
ففاق غيره من الشعراء وعد فارس حلبة الفخر . وليس معنى هذا  
أن أغراضه الأخرى كانت قاصرة ولكن الفخر استحوذ على جانب كبير  
من أشعاره فعرف به من خلاله تغليباً له على غيره من الأغراض .  
والا فان مدائحه تعد نموذجاً رائعاً في فن المديح وقد نجد له  
أثناء مدائحه للخلفاء وغيرهم بعض الجوانب من الفخر فمثلاً في مديحه

(١) وقد فضله عبد الملك بن مروان على غيره من الشعراء في هذا الغرض

انظر الأغاني : ٣٢٧/٢١ .

(٢) انظر الشعر والشعراء : ٤٧٨/١ .

(٣) الآتي : أى السيل .



لعمر بن عبد العزيز لا يدخل الى غرضه الا بعد أن يروض نفسه  
بشيء من الفخر كقوله فى قصيدته التى يمتدح بها عمر بن عبد  
العزيز والتى مطلعها (١) :

لاسماء اذا هلى لأهلك جيرة      واذ كل موعود له أنت آمله

يقول مفتخرا فى معرض هذا المديح :

ومجد أذود الناس أن يلحقوا به      وما أحد أو يبلغ الشمس نائله

ويقول فى معرض مديحه لعبد الرحمن ابن أم الحكم والى الكوفة  
سنة ٥٨ هـ :

وما ساقها من حاجة اجحفت بها      اليك ولا من قلة فى مجاشع

وبهذا نجد الفرزدق فى فخره المتناثر فى مدائحه وأهاجيه  
وقصائده التى يبدعها فى هذا الغرض يشيد بنفسه ويقومه ويحلىق  
بهذا فى عوالم رحبة ، ولقد نجد له نهجا فريدا فى الفخر بكرم  
قومه اذ يأتى بتصوير رائع عندما صور عجوزا فقيرة قد تعلق بها  
أولادها من شدة المسغبة تسأل عن بنى دارم بعد أن حل الجذب  
بالأرض وخلت أيدى الناس من الأموال فتجد عندهم بغيتها وينتقل  
من هذه الصورة الى الحديث عن كرم قومهم وشجاعتهم وسيادتهم  
مباشرة بعد أن يمهّد بعرض صورة فنية تشد الانتباه وتستهمى  
القارئ ، ومثل هذه المظاهر والصور كثير فى فخر الفرزدق حيث

(١) ديوان الفرزدق : ٨٠/٢ - ٨١ .

تترى صوره المعبرة واحدة بعد الأخرى وبهذا يدل على ما فى نفسه من معان سامية وهى معان تنبض بها عاطفة الشاعر المتدفقة .

#### وخلص القول :

أن الفرزدق قد تغنى فى قصائد الفخر بما فى نفسه من مشاعر الزهو والعظمة حيث ظل وفيا لفنه طوال حياته لا يمل ولا يسأم وبذلك كان الفخر فن الفرزدق الأول ومن الطبيعى بعد هذا أن يقصر غزله ورثاءه عن هذا الغرض ، فإذا تغزل لم يسرف فى الوصف ولم يطل وإنما يظهر فى القصيدة جفاء الشاعر وغلظة حسه متمزجا ذلك بزهوہ بنفسه وتعالیه ومهما يكن فقد قصر عن جرير فى هذين الغرضين حتى أن النائحات ندبن النوار زوجه عندما توفيت بشعر جرير إذ لم يجدن فى شعر الفرزدق ما يتناسب وحجم الموقف لأن عنجهيته قد نحت به منحى القوة الذاتية والمعنوية والشعرية أيضا وطبعت نفسه بطابع البداوة والجلافة ، بخلاف جرير صاحب العاطفة الرقيقة والاحساس المرفه السريع التأثير .

ولم يستطع الفرزدق أن يتخلص من نبرة الفخر حتى فى رثائه لأبيه غالب عندما داهمته المنية وقد رأى فيه جماع مكارم الأخلاق ومن هنا جاء ليرثيه فافتخر بأنه سيرثه فى محامده وأخلاقه :

ورث أبى أخلاقه عاجل القرى      وضرب المتالى كومها وشبوبها

ومهما يكن من أمر الفرزدق فى تأثره بفقد الأحبة سواء من أسرته الدنيا أو من قبيلته فقد وجدناه متخلفا فى هذا الفن ريمما

لأن قوة شخصيته وعدم تأثره بالأحداث قد حدثت من سرعة انفعاله  
لما يفقد من الأهل والولد وقد وجه همه وعنايته صوب المجد والعلو  
واكتساب الشرف أنى كان فلا تهزه أحداث الدنيا ولا تأخذ منه  
وبالتالى جاء رثاؤه بين بين .

نخلص من هذا العرض الموجز لشخصية الفرزدق الفنية من خلال  
أغراضه التى عرضنا لها الى صاحبه وصنوه جرير الذى وقف فى  
وجه الفرزدق ينقض قصائده الواحدة تلو الأخرى كما فعل مع الأخطل  
ومن كان ينهشه من شعراء عصره .

فأما جرير فيختلف عن الفرزدق والأخطل فى معدن الشعر  
فهو من الشعراء المطبوعين الذين ينظمون أشعارهم عفو الخاطر  
ولا يضيع وقته وجهده فى التنقيح والتهديب كما يفعل الأخطل  
والفرزدق وإنما يترك نفسه لرياح الطبع تدفعه الى حيث تشاء ولا يهتم  
أن يطيل المدحة بقدر ما يهتم أن ينجزها فى وقت قصير ، ومن هنا  
اتسمت مدائحه بالقصر (١) فقد أكمل مدحته فى عبد الملك ( بطون راح  
... ) فى ثلاثة أيام بينما مكث الأخطل فى رائيته " خف القطين "  
سنة فلم يبلغ ما أراد . ولقد أجاد فى مدائحه للولاء فصورهم أبرع  
تصوير واعتنى بهم وبخاصة الحجاج الذى نال غرر مدائح جرير  
حتى أن عبد الملك رفض أن يستمع لمديحه وقال له : أنشدنا فى  
الحجاج إنما أنت للحجاج (٢) .

(١) وقد ورد عنه قوله : يا بنى إذا مدحتهم فلا تطيلوا الممادحة فانه ينسى أولها  
ولا يحفظ آخرها . وهذا المنهج يحظى باهتمام النقاد لما فيه من مراعاة  
مقتضى الحال . انظر العمدة : ١٢٨/٢ . (٢) انظر الأغاني : ٦٧/٨ .

ومن هنا جاءت مدائحه للولاة نابعة من عاطفة صادقة فيها جودة ودقة تصوير وعمق في المعاني وتفاوتت مدائحه في بنى أمية فجاء بعضها لامعا فيه جودة وعذوبة وتصوير فني وبعضها قل حظ من سمات الابداع وملاح الجودة ، ولم يعتن جرير بتصوير مدوحيه من الخلفاء بخلاف الحجاج وغيره من الولاة الذين صورهم تصويرا رائعا (١) نعدمه في مدائحه للخلفاء والأمراء من بنى أمية وقد اهتم بتصوير الممدوح وقوة بأسه ثم ذكر أعماله العظيمة التي يستحق بها المدح والثناء .

وأما فخره فقد اصطنعه اصطناعا حيث طامن به من فخر خصمه الفرزدق ولم يتورع أن يفتخر على الأخطل بالاسلام وأن قومه يملكون المشاعر كلها بخلاف قوم الأخطل الذين قل نصيبهم من هذا الارث ونتيجة لضياع المعاني من جرير في فخره أمام الفرزدق والأخطل أخذ يسمو الى الانتساب الى تميم كلها بل ومضر والخلافة ولم يتردد في أن ينسب نفسه الى الخليفة عندما افتخر على الأخطل قائلا (٢) :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة      لوشت ساقكم الى قطينا

وقد تحاشى أن يفتخر بآبائه وأجداده نظرا لوضاعتهم وقلبة مجدهم فاصطنع لنفسه مجالا يبرز فيه وهو المجال الذاتي حيث جعل

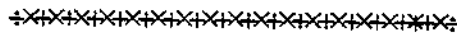
(١) ومن هؤلاء الولاة خالد بن عبد الله القسري ، وهلال بن أموز المازني

وغيرهما . انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٢٢٦-٢٢٨ .

(٢) انظر ديوان جرير : ٣٨٨/١ .

من شاعريته منطلقا لهذا الفخر وهذا التناول . ومن هنا استطاع أن يقف أمام خصمه ويستند على هذا الفخر فى نقائضه معهما . على أن الغرض الذى ميز الشاعر عن غيره هو الرثاء والنسيب اللذان حلقا بالشاعر فى عوالم رحية لم يلحقه غيره فيهما ، فنفسه شفافـة وطباعه سهلة يتأثر بأبسط الأشياء فينوح ويبكى ، وقد امتزجت هذه العاطفة بدين وتعفف فجاء شعره فى الرثاء والنسيب مميـزا من هذه الناحية . وأما الهجاء فقد كان فارس حليته انتصر على ثمانين شاعرا أو مايزيد وصمد له الفرزدق ولكنه لم يتغلب عليه . وتوفى الأخطل قبل أن يشفى منه ولكنه كان ندا عنيدا له .

هذه فى الواقع صورة مبسطة للأغراض الشعرية عند كل منهم لنخلص منها الى مقابلة نهائية بين الشعراء على ضوء ما رأينا هنا عليها تتضح السمات الفنية لكل منهم وهذا حسبنا فى هذا البحث.



فأما من حيث معدن الشعر والطبع فيتشابه الأخطل والفرزدق بينما يختلف عنهما جرير فالأخطل حولى يتكلف عناء ومشقة فى النظم ، والفرزدق صلد جافى المعانى كأنه يقدر من صخر ، وجرير سهل المأثى ينساق وطبعه السمع المتدفق وكأنه يغرف من بحر . والأخطل والفرزدق عاطفتهم قوية لا تتأثر ولا تهزهما الأحداث كثيرا . وأما جرير فهو رقيق العاطفة قوى الشعور وهو سريع التأثر

يتمتع باحساس مرهف وتظهر عليه صفات الأبوة والزوجية وتحكم علاقاته بالناس روابط انسانية تحترم الناس وتقدر الأحياء . ولقد انعكست هذه السمات على شعره فسرى بين العامة والخاصة سريان الماء في النبات وانطبع شعر الأخطل والفرزدق بطابع الخشونة والقوة فراج عند الخاصة (!)

وأما الصور الفنية فلقد جادت عند الأخطل والفرزدق ففى المديح والفخر وقصر فيهما جرير ولكنه فاقهما فى الرثاء والنسيب والهجاء (٢)، ولقد خدمت السياسة الأخطل ففضلوه على خصمه جرير وصديقه الفرزدق ، وعد شاعر المديح فى العصر الأموى ولكن هذا الحكم ينقصه الكثير من الأدلة والبراهين .

فمثلا رأيته (٣) التى مدح فيها عبد الملك بن مروان والتى تعد قمة المدائح عنده نجد للفرزدق رائة (٤) فى سليمان بن عبد الملك تفوقها فى التصوير الفنى وقوة المعانى وبراعة الاستهلال

(١) ولهذا قالوا جريرا أشعر عامة والفرزدق أشعر خاصة .

انظر الأغاني : ٣٩٤/٢١ .

(٢) تقدم فى النسيب والرثاء لأنه يمتلك عاطفة رقيقة وشاعر فياضة يلفها الحزن تارة وتسبح بها تباريح الهوى ولواعج الشوق أخرى . وأما فى الهجاء فقد بزهما بتصويره الساخر اللاذع الذى يرى من خلاله شعره بين الناس فيرونه على اختلاف طبقاتهم .

(٣) وهى قصيدته المشهورة ( خف القطين ) : ١٩٢/١ .

(٤) وهى قصيدته القوية ( طرقت نوار . . . ) : ٢٦١/١ .

وطول النفس ومن هنا لم يعد الأخطل شاعر المدح وحده في العصر  
الأموي لأن الفرزدق مدائح تفوق مدائح الأخطل في أكثر من عنصر  
فني ولكن لم يقدر له أن تخدمه السياسة كما قدر للأخطل . أما  
جرير فما من شك في أن حائته ( بطون راح ) (١) من غرر المدائح  
في بني أمية لكنها دون رائيتي الأخطل والفرزدق جزالة وإن كان  
في مدائحه للولاء لا يقل شأنا عنهما بل ربما فاقهما في بعض  
أبيات مدائحه للحجاج بن يوسف . ولقد استمد الشعراء الثلاثة  
صورهم من البيئة البدوية التي يعيشون فيها ، ونجد عند الأخطل  
والفرزدق صورا متشابهة من حيث التركيب والاستطراد وعناصر  
التشبيه وما إلى ذلك بينما نجد جريرا قديرا في تصوير نفسه  
وتشبيهه بالطائر الذي فقد ريشه ، وقد ركز على هذه الناحية مما  
يدل على ضعف نفسه وتهافته طلبا للرفد والعطاء . بخلاف الفرزدق  
الذي جنح كثيرا عن الاستجداء ، وأما الأخطل فقد كان شاعر بلاط  
يأتيه رزقه دونما الحاف وبخاصة في عهد عبد الملك ومن قبله .

ولا يناعز منازع في تفوق الفرزدق في الفخر لأنه مؤمن بما  
يقول ولأنه يصدر في فخره عن حقائق ثابتة ولو قدر للأخطل أن  
يخرج ما في قلبه قبل أن يموت لأفصح عن أشياء كثيرة كان يريد  
الافتخار بها ولكن ديانته كانت ساجا يمنعه من ذلك ، وأما  
جرير فقد اصطنع فخره اصطناعا ولم يصدق إلا في فخره بشاعريته .

---

(١) ديوان جرير : ٨٧/١ .

فقد بز الشعراء وأوقعهم جميعا باستثناء خصميه الأخطل والفرزدق وذلك بسخريته المبررة التي تميز بها دونهما . ولقد تأثر الجميع بالدين الاسلامي ، فالأخطل مع أنه نصراني الا أن ملاح الاسلام تبدو واضحة عندما يمتدح الخلفاء ، وأما الفرزدق فقد تسربت الى شعره عناصر اسلامية كثيرة سواء في المعاني والأفكار أو في الالفاظ والأساليب أو في الصور الفنية والخيال وهي عناصر كانت تعمل على التقريب بينه وبين طبيعة العصر الذي يعيش فيه وتباعد نسبيا بينه وبين مزاجه الجاهلي الموروث ، وأما جرير فلا شك أنه كان دينيا عفيفا كما أشار الى ذلك بعض النقاد القدامى (١) وقد أثبت البحث هذا الجانب بما لزيادة فيه هنا .

وأما في الأساليب والموسيقى فالأخطل قد اتخذ نهجا من الفن والبيان عرفا في الشعر الجاهلي وبخاصة عند عبيد الشعر وأصحاب الحوليات ، ومن هنا ظهر واضحا تأثره بالجاهليين في أساليبهم وبيانهم وقد استمد من البيئة البدوية بصحرائها وجبالها وأوديتها وما فيها من بهائم وسباع وطيور عناصر أسلوبه واصطنع فيه الحركة وحاكى في صوره كثيرا من صور الجاهليين ، ومن هنا أطلق عليه حوليا لأنه نهج مدرسة النابغة والأعشى وزهير وغيرهم من أصحاب الحوليات (٢) . ولقد جاءت موسيقاه في بعض الأحيان صاخبة لاتخرج

(١) انظر الأغاني : ٥/٨ .

(٢) انظر الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري

للدكتور علي البطل : ٢٠٤ ( دار الأندلس - بيروت ) .



من دائرة الرتبة ، ولذلك لم يجد شعره من السيورة ما وجد شعر جريز ، ولقد أثرت عبوديته الشعرية فى موسيقاه فجف من شعره بعض ماء الطلاوة وبهاء الرونق ، وإن كنا لا نعم هذا الحكم على شعره كله فإن له قصائد ومقاطع تثير العاطفة بموسيقاها العذبة كما رأينا من قبل . وأما أسلوب الفرزدق فإنه يعتبر صورة حية لشخصيته ولقد تميز بميزات كثيرة منها كثرة التقديم والتأخير ، ووجود التعقيد اللفظى والمعنوى والغموض أحيانا إلا أن هذه المآخذ لا تسم أسلوب الشاعر كله ولا يمكن تعميمها على شعره الذى يدل على موهبة عظيمة وإحساس مبدع وقدرة على انتقاء اللفظ المصور ، ولقد جاء أسلوب هذا الشاعر صورة لأساليب الفصحاء من شعراء الجاهلية فى فصاحته وجزالته وغرابة ألفاظه فى بعض الأحيان وسعة مفرداته ولا ننكر أن هذا الأسلوب كان فى بعض الأحيان كذلك معقدا ملتويا يصور أغوار تلك النفس الجامحة المتباهية المطلعة الى مجدها السالف الذى تغنى به كثيرا . وتعد موسيقى الفرزدق جزءا من مكونات اللغة الشعرية عنده ، وقد تميزت بحدتها وصخبها نظرا لصلابة ألفاظه وأغراقها أحيانا فى البداوة إلا أنها جاءت تتلاءم وطبيعة ألفاظه وعمق معانيه .

وأما الرقة والسهولة والعذوبة فهذا ما امتاز به أسلوب جريز الذى استهوى الناس عامة فى عصره فتغنوا بأشعاره وسهل عليهم حفظها ، وقد استخدم ألوانا كثيرة من الكيفيات البلاغية فى أشعاره وجاء بها فى أبسط صورها وأرقها فجاءت سهلة كسهولة شعره ونفسه وأما موسيقاه فقد تجلت فى شعره كله وعدوه من الشعراء

المطبوعين الذين تميز شعرهم بموسيقية الألفاظ المتجاوبة بعضها مع بعض ولقد يحس القارئ موسيقى جرير وهى ترن فى أذنيه بجرسها الأخاذ ومقاطعها المتميزة لكنها قد تصل أحيانا الى حد التهافت الذى لا تحسد عليه ، والتي تصل بالشعر أحيانا الى درجة بعيدة عن معانى القوة وكأنه شعر قيل بلسان أنثى (١) .

ولكن السمة الغالبة لموسيقاه الجمال والتأثير فى النفوس . بقيت نقطة لابد من الإشارة اليها وهى أن الشعراء الثلاثة كانوا جميعا مولعين بالنظم على الطويل والكامل والوافر والبسيط .

وبعد هذا العرض لأهم الملامح الفنية عند الشعراء الثلاثة فى هذه الموازنة يتبقى الاجابة عن السؤال الحائر المحير من أشعر الثلاثة ؟ ومن هنا نقول أن النقاد القدامى لم يجمعوا على أحدهم ، كما أن دراسات المحدثين لا تفضل واحدا على صاحبيه وعلى الرغم من أن موضوع هذه الرسالة لا يحتمل الاجابة على هذا السؤال لأن عنوان رسالتى لم يترك لنا المجال لدراسة الشعراء الثلاثة وأغراضهم كلها بل كانت هذه الدراسة مقصورة على غرضين هما المديح والفخر مما حرم الشاعر جرير من دراسة أغراض عرف تفوقه فيها على خصمه وهى الرثاء والغزل والهجاء ، وكذلك فأغلب الظن أننا لسنا فى معرض المفاضلة بين الشعراء الثلاثة لأن النقـد الحديث يرى أن لكل انسان ذوقه الخاص ، وأن وجهات النظر قد

---

(١) انظر جرير حياته وشعره د . نعمان طه : ٣٨١ .

تفاوت من شخص لآخر حول الموضوع الواحد لأن الناقد الأدبي قد يكون وقع النص على نفسه من زاوية مغايرة لما يقصده المسدع فتأخذ القضية بعدا آخر تتعدد فيه الآراء وتكثر المناقشات ، وليست القضايا الأدبية نصوصا شرعية لا يجوز تفسيرها بغير ماتحتله ممن معان تتفق مع الحكم حسب المنطق والمعلوم ، وإنما هي اجتهادات وأذواق بشرية تشكل في النهاية تراثنا الأدبي والنقدى على السواء .

ولعل خير ما أختتم به هذه الموازنة مقاله بعض النقاد القدامى في معرض موازنته بين جرير والفرزدق : ( أما من كان يميل الى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السهل الغزل فيقدم جريرا ) (١) .

وخير لنا أن نضيف هنا :

أن من كان يميل الى التهذيب والتنقيح والتأنى - صنع أصحاب الحوليات - فانه يقدم الأخطل .

\*\*\*\*\*

# الحائِمة والنساج

\* \* خاتمة البحث ونتائجه \* \*

~~~~~

بعد الانتهاء من هذا البحث بتوفيق الله وعونه ، وبعد دراسة شاملة لفرضي المديح والفخر عند الشعراء الثلاثة . . .
بان لى أن هذا السراب الخادع الذى مازال بعض الباحثين يجرون وراءه وهو الزعم بضعف أثر الاسلام فى شعراء العصر الأموى وغلبة الجاهلية عليهم لا يعتمد على شىء من الحقيقة والدقة والفهم السليم لمقومات الشعر العربى فى العصر الأموى . فقد ظهر لى من الدراسة المستفيضة لبعض الباحثين المحدثين والتي أدليت بدلوى فيها . . خطأ هذا الزعم وبطلانه وافكه . فقد كانت المعركة بين المبالغين فى جاهلية العصر الأموى واسلامه معركة ينقصها الاستقراء التام للتثبت من صحة هذه القضية التى انتهت فيها الى أن الشعراء الثلاثة قد أخذوا بحظ وافر من التأثير بالاسلام من ناحية أغلب الأفكار والمعانى ، ويحظ وافر كذلك من الصياغة التقليدية الجاهلية التى يسرى فيها نفحة طيبة من تيار قرآنى رائع تتهادى سماتها فى أغلب أشعارهم .

كما بان لى أن عاطفة الأخطل نحو بنى أمية لم تكن صادقة فقد تملقهم كثيرا خوفا وطمعا ، وان وردت نفحات قليلة من تأثير الاسلام فى شعره فانها غطاء لكسب ود الخلفاء ، وليس صدورا عن عقيدة صادقة ، ومن هنا لم تكن اشاداته بانتصار خلفاء بنى أمية على الروم نابعة من قلب مفعم بحبه للاسلام والمسلمين وانما كان سببه تلك البغضاء التى كانت بين نصارى العرب والروم فى الجاهلية .

وقد ظهر لى أن احدى سمات الفرزدق الأسلوبية وهى ظاهرة التقديم والتأخير انما هى احدى خلجاته النفسية فى طور من أطوار حياته وأعنى به الطور الذى أودى فيه شبابه وقارعه المشيب فقد كان فيه ملحفا فى السؤال كثيرا من المبالغات ومن تلك الظاهرة المشار إليها آنفا .

ولقد تبينت أن الصور الفنية الرائعة عند الفرزدق أقوى وأظهر منها عند صاحبيه وكذلك كان أطول نفسا فى مدائحه وأكثر منهما عدد قصائد وعلو كعب فيه مما يزيل المقولة المشهورة بأن الأخطل أعلى هؤلاء الشعراء الثلاثة كعبا فى هذا الغرض ، ولقد دار فخر الأخطل بتغلب فى الجاهلية والاسلام ، وخاصة ماكان بينها وبين قيس من أيام ومناصرتها للخلافة فجاء فخرا سياسيا . وأما فخر الفرزدق فقد دار حول أصله ومحتده وطيب منبته ، وقد أحس جرير ضعفه فى هذه الناحية فاستبدله فخرا بشعره وهو مما لم يطرقه الفرزدق أو الأخطل ومن هنا كان فخر الفرزدق عصيا . أما جرير فكان فخره شخصا بفسنه ولكنه التقى مع الفرزدق فى الفخر بتسيم التى ينحدران منها الا أن فخر الفرزدق كان مدويا بينما كان فخر جرير محاطا بهالة من الاستكانة والضعف النفسى .

وأما من ناحية العبارة فيلتقى الأخطل والفرزدق فى الجزالة وبهذا علا فخر الفرزدق الذى برز فيه على صاحبيه وكذلك مديح الأخطل الذى جاء فى تعدد معانيه تاليا لمديح الفرزدق الذى تكلم بلسان المجتمع فرفع صيحة الشكوى الى الخلفاء والأمراء مما يرفع من قيمة الفرزدق وشعره الاجتماعى الذى يكاد يظهر لأول مرة فى

الشعر العربى بينما لم يطرق هذا الباب الأخطل الا بما يمت بصلة الى قبيلته فحسب . وبهذا جاء - على استحياء - تاليا للفرزدق فى هذه الناحية ، ونرى أن تفضيل الأخطل فى المديح كان تفضيلاً سياسياً من جهة ، ويتأثير بعض الرواة الذين استهواهم شعره من جهة أخرى كحماد الراوية . ولم يكن يستحق التفضيل فى المديح على جرير أو الفرزدق ، وقد اتخذ جرير من دين الأخطل مغمزا وبهذا استطاع أن يدحره فى الهجاء والسخرية اللاذعة دون الفخر ، ولم يجرؤ على ذلك الأخطل إذ ألجمه الاسلام دون ذلك . وفيما يتعلق بتصوير الشعراء الثلاثة للفتوحات الاسلامية التى تمت فى عصرهم على أيدى الخلفاء من بنى أمية فلم يوفقوا فى الاشادة بهذه الناحية إذ لم نجد أحدا منهم يطرق هذا الباب فلم يمتدح الوليد مثلاً بفتحه للأندلس ، وهذا الحدث العظيم فى تاريخ الأمة الاسلامية الذى مر دون أن يكون له نصيب من عطاء الشعراء الثلاثة الفنى . ولعل الخصومة التى نشبت بينهم متجلية فى النقائض ، ولكون كل منهم يحطب فى حبل قبيلته كالأخطل ، أو ينشغل بطموحه الشخصى كالفرزدق ، أو يتقوقع فى باديته كجرير ، كل ذلك كان سبباً فى بعدهم عن الاهتمام بقضايا الأمة الاسلامية وفتوحها . وكان الأولى أن يشيدوا بهذه الفتوح ويصوروا عظمة مدوحهم من هذه الناحية بدلا من الانشغال بالهجاء الذى ملأوا به الساحة الأدبية أو المدح التقليدى الجاهلى الصور - فى أغلبه ، وقد وجدنا شعراء العصر العباسى فيما بعد يعظمون من فتح الخلفاء ، والانتصار على الروم لأبى تمام الذى أشاد

بفتح عمورية أو المتنبي الذي عظم من حروب سيف الدولة
ولعل هذه الأحداث لا ترقى في خطرها الى فتح الأندلس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ...

*

جدول
إحصائية عن المديح

وعدد القصائد والمقطوعات التي قال فيها

٢	اسم الشخص	عدد القصائد والمقطوعات		مكان هذه القصائد والمقطوعات في ديوان شعر الأخطل	عدد أبيات الجميع	عدد أبيات المدح في الجميع	إحصاء
		القصائد	المقطوعات				
١	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	٤	٢	٥٣٣/٢ - ٣٠٢٠٢٩٢٠١٦١٠٩٣/١ ٥٩٢	١٨٢	٣٦	بلغ مجموع
٢	عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان	٢	-	٤١٠ - ٤٣٣/٢	٩٩	٤٦	أبيات القصائد
٣	خالد بن يزيد بن معاوية	١	-	٦٤/١	٢٤	١١	والمقطوعات
٤	عبد الملك بن مسهر	٣	-	١٩٢٠١٧٩٠٣٩/١	٢٠٥	٧٠	السجدة هنا
٥	بشر بن مروان بن الحكم	٥	-	٣٧١٠٢٥٦٠٢٣٨٠٢١٣٠٨٤/١	١٦٧	٦٨	١٣١١
٦	الوليد بن عبد الملك بن مسهر	٤	١	٧ - ٢٨٤٠٢٦٢٠٢٣٩٠٢٣/١ ٠٦٢٩	١٦٧	٨٢	بيتا من الشعر
٧	سلم بن زياد بن أبيه	١	-	٦٠٢/٢	٤١	٦	وبلغت أبيات
٨	عماد بن زياد بن أبيه	١	-	٢٦٠/١	٢٦	١٣	الديج فيها
٩	الحجاج بن يوسف الثقفي	١	-	٤٠٣/١	٢٦	١٠	٤٥٤ بيتا
١٠	عمر وأبي بكر أبناء عبد العزيز بن مروان	-	١	٥٠٧/٢	٠٨	٠٥	كما بلغت
١١	مكرمة الفيساض	٢	-	٠٤٤٩/٢ - ١٣٦/١	٩٤	٢٩	القصائد
١٢	خالد بن أسيد	٢	١	٥٦٩٠٤٩١/٢ - ٥٦٩/٢	٨٢	١٥	٣٢ قصيدة
١٣	عبد الله بن سعيد بن العباس	١	-	٣٢٥/١	٣٧	٠٧	والمقطوعات
١٤	العباس بن عبد الله بن العباس	١	-	٨٨/١	١٦	٠٦	٩ مقطوعات
١٥	جبريل بن عبد الله الجاني	١	-	٧٢٧/٢	١٣	١١	
١٦	زكريا بن الحارث	-	١	٢٣٧/١	٠٧	٠٧	
١٧	سالك بن حمزة	١	-	٦٧٢/٢	١١	٠٥	
١٨	مصلحة بن حمزة الشيباني	١	-	١٤٨/١	٥٤	١٣	
١٩	طريف وربيعة أبناء عبد الله بن أبي الحصين	-	١	٥٣٠/٢	٠٣	٠٣	
٢٠	سويد بن منجوف ويكر بن وائل	-	١	٥٧٥/٢	٠٢	٠٢	
٢١	همام بن مطهر التغلبي	١	-	٦١٢/٢	٤٠	٢٢	
٢٢	في بنى عوف بن زيد مناة بن تميم	-	١	٧٤٧/٢	٠٢	٠٢	

م	(١) في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	مكانها في الديوان
١-	أَلَا يَا اسْلَمًا عَلَى التَّغَادُمِ وَالْيَلَى	٢٩٢/١
٢-	تَغْيِيرُ الرُّسْمِ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارٍ	١٦١/١
٣-	صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ ظِلْعَائِنِ فَاتْنِي	٣٠٢/١
٤-	بَانَتْ سَعَادُ نَفَى الْعَيْنَيْنِ تَسْهِيْدُ	٩٣/١
=====		
(٢) في عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان		
١-	صَدَعَ الْخَلِيْطُ فَشَاقَنِي أَجْوَارِي	٤١٠/٢
٢-	خَلَّتْ صَبِيْرَةُ أَمْوَاءِ الْعِدَادِ وَقَدْ	٤٣٣/٢
=====		
(٣) في مدح خالد بن يزيد بن معاوية		
١-	رَأَيْتُ قُرَيْشًا حِينَ مَيَزَ بَيْنَهُمَا	٦٤/١
=====		
(٤) في مدح عبد الملك بن مروان		
١-	أَلَا يَا اسْلَمَى يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِي بَدْرِ	١٧٩/١
٢-	خَفَّ الْقَطِيبُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا	١٩٢/١
٣-	لَعْمَرِي لَقَدْ أُسْرِيتُ لِأَلِيلٍ عَاجِيزِ	٠٣٩/١
=====		
(٥) في مدح بشر بن مروان		
١-	أَقْفَرْتُ الْبُلْخُ مِنْ عِيْلَانٍ فَالرَّحَبِ	٨٤/١
٢-	قَدْ كَشَفَ الْحِلْمُ عَنِّي الْجَهْلُ فَاثْقَعْتُ	٣٥٦/١
٣-	عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الدَّخُولُ	٣٧١/١
٤-	صَحَا الْقَلْبُ عَنْ أَرْوَى وَأَقْصَرَ بِاطِلُةَ	٣٣٨/١
٥-	عَفَا الْجَوْنُ سَلَمَى فَبَادَتْ رُسُومُهَا	٣١٣/١
=====		
(٦) في مدح الوليد بن عبد الملك بن مروان		
١-	حَسَى الْمَنَازِلَ بَيْنَ السَّجْعِ وَالرَّحَبِ	٢٣٩/١
٢-	عَفَا وَاسِطٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمَذَابِغُهُ	٢٨٤/١
٣-	وَحَاجِلَةُ الْعُيُونِ طَوَى مُوَاهَا	٦٢٩/٢
٤-	عَفَا مَنَ عَهْدَتَ بِهِ حَفِيْرُ	٢٦٧/١
٥-	أَشْتَكِرُ الدَّارَ أُمَّ عُرْفَانَ مَنَزِلُهُ	٢٢١/١
=====		

(٧ - ٨) في مدح سلم بن زياد بن أبيه وصاد بن زياد بن أبيه

- ١- يَا مَيَّ هَلَّا يَجَازِي بَعْضُ وَدَّكُمْ أَمْ لَا يَفَادِي أَسِيرَ عِنْدَكُمْ غُلِيْقِي
٢- خَلِيلِي قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَأَتَانِي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(٩) في مدح الحجاج بن يوسف الثقفي

- ١- صَرَمْتُ حِمَالَكَ زَيْنَبُ وَقَسَدُورُ وَحِبَالُهَا إِذَا عُقْدَنَ غُرُورُ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١٠) في مدح عمرو أبي بكر أبناء عبد العزيز بن مروان

- ١- إِنِّي أَيْبُ وَهَمِّ الْمَرْءِ يَعْرِدُهُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتَّى يَبِيحَ السَّفَرُ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١١) في مدح عكرمة الفياض

- ١- أَلَا يَا اسْلَمِي يَا أُمَّ يَشْرِ عَلَى الْهَجْرِ وَعَنْ عَهْدِكَ الْمَاضِي لَهُ قَدَمُ الدَّهْرِ
٢- لِعَيْنِ الدِّيَارِ يَحَائِلُ فَوْعَالِ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا سِنُونُ خَسَوَالِ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١٢) في مدح خالد بن أسيد

- ١- لَمْ يَبْقَ مِنْ يَتَى اللَّهِ خَالِيًّا وَيُطْعِمُ إِلَّا خَالِدُ بْنُ أَسِيدِ
٢- عَفَا وَاسِطٌ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبَشَلُ فَمَجْتَمَعُ الْحَرَيْنِ فَالْصَّبْرُ أَجْمَلُ
٣- أَلَا حَيًّا دَارًا لَأُمِّ هَشَامِ وَكَيْفَ تَنَادَى دِمْنَةُ بِكَلامِ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١٣) في مدح عبد الله بن سعيد بن العباس

- ١- أَلَمْ تَعْرِضْ فَتَسْأَلِ آلَ لَهْـوٍ وَأَرَوَى وَالْعُدْلَةَ وَالرَّكَابَا

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١٤) في مدح العباس بن عبد الله بن العباس

- ١- بَانَ الثَّيَابُ وَرَبَّكَ عَلَّلْتُهُ بِالْفَانِيَاتِ وَبِالشَّرَابِ الْأَمْهَبِ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١٥) في مدح جريز بن عبد الله الجليسي

- ١- حَلَّتْ سُلَيْمَى يَدَ وَضَانٍ وَشَطَّ رِبَا فَرَبُّ النَّوَى وَتَرَى فِي خُلُقِهَا أَوْدَا

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

(١٦) في مدح زفر بن الحارث

- ١- إِنِّي أَظُنُّ نِزَارًا سَوْفَ يَجْمَعُهَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ حَرْبٌ شَبَّهَا زُفَرُ

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

تابع للجدول رقم (٢)

٦٧٣/٢	(١٧) فدى مدح سماك بن مخزومة . نِعْمَ الْحَجِيرُ سِمَاكَ مِنْ بَنِي أُسْدٍ بِالْمَجِجِ إِذْ تَلَّتْ حَيْرَانَهَا مَضَرَّ	-١
١٤٨/١	(١٨) فدى مدح بن هيرة الشيباناني هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ مِنْ مَأْوِيَةِ الطَّلَاحِ تَحَمَّلَتْ إِنْشَهُ عَنْهُ وَمَا احْتَمَلَ	-١
٥٣٠/٢	(١٩) بمدح ابني عبد الله بن أبي الحصين وهما طريف وربيعة وَلَمْ تَطْلُعَا أَنْ تَكْفِيَا الْحَيَّ ضَيْفَهُمْ وَأَنْ تَقْيَا سُقْيَا السَّرَاةِ الْكَارِمِ	-١
٥٧٥/٢	(٢٠) بمدح سويد بن منجوف ويكر بن وائل أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ بِلَادُ تَنَكَّسَتْ سُوَيْدُ بْنُ مَنْجُوفٍ وَيَكْرُ بْنُ وَائِلِ	-١
٦١٢/٢	(٢١) بمدح همام بن مطرف التغلبي أَلَا طَرَقَتْ أَرْوَى الرِّجَالِ وَصَحْبَتِي بِأَرْضِ كِنَانِي الْحَزَنِ مِنْهَا هَوْلُهَا	-١
٧٤٧/٢	(٢٢) بمدح بني عوف بن زيد مناة بن تميم أَبْلَغَ بَنِي عَوْفٍ بِأَنْ جَنَابَهُمْ عَلَى كُلِّ آلاءِ الزَّمَانِ مَرِيعُ	-١

** جدول رقم (٣) يبين عدد الأشخاص من بني أمة الذين **

** مدحهم الفرزدق وعدد القوائد والمقطوعات **
التي تسال فيهم

م	اسم الممدوح	عدد القوائد والمقطوعات		مكان هذه القوائد والمقطوعات في ديوان الفرزدق	عدد أبيات الجمع	عدد أبيات المدح في الجمع	إحصاء
		القوائد	المقطوعات				
١	عبد الملك بن مروان بن الحكم	١	١	٠٢٢ / ٢٣ / ١	٤٩	٣٦	بلغت قوائد
٢	الوليد بن عبد الملك بن مروان	٦	١	٠٢٤٨ / ٢٨٣ / ٧٩ / ١	١٥٦	١٣٠	المدح هنا
				١٢٦ / ٢٠٩ / ١٤٩ / ١٤٣			٤١ قصيدة
٣	سليمان بن عبد الملك بن مروان	٧	٣	٠٢٩١ / ٠٢٦١ / ٠١٩٦ / ٠١٩ / ١	٤٤٧	٢١١	والمقطوعات
				٠٢٣٣ - ٠٩٩ / ٨٢ / ٧١ / ٢			٧ مقطوعات
				٠٢٧٣ / ٢٠٧			بلغت أبيات
٤	عمر بن عبد العزيز	٢	-	٨٠ / ٢ - ١٨٢ / ١	٧٦	٤٠	الجميع ١٥٥٨
٥	يزيد بن عبد الملك	٧	-	- ٣٤٤ / ٢١٣ / ١٤٣ / ١	٢١٢	١٢٦	منها ٩١٨
				٣٥١ / ٢٨١ / ١٢٤ / ١٦ / ٢			في المديح
٦	هشام بن عبد الملك	٨	-	- ١٤٠ / ٨٧ / ٥٩ / ١	٢٩٦	١٥٨	يضاف إليها
				٣٠١ / ٢٩٠ / ٢٢٨ / ١٨٨			٧ سبعة أبيات
٧	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	٤	١	٤١١ / ٣٣٥ / ٧٧ / ١٢ / ١	٩٣	٦٥	بصبح مجموع
				٩٢ / ٢ -			أبيات المديح
٨	شربل بن مروان	١	١	١٧٩ / ٢٣١ / ١	٤٧	٣٩	٩٢٥ بيتا
٩	أبوب بن سليمان بن عبد الملك	١	-	٢٤٤ / ١	٤١	١٦	
١٠	العباس بن الوليد بن عبد الملك	٢	-	١٢ / ٢ - ٣٤١ / ١	٩٧	٥٨	
١١	عمر بن الوليد بن عبد الملك	١	-	٤٨ / ١	٢٤	٢٤	
١٢	معاوية بن هشام بن عبد الملك	١	-	٢٨٣ / ٢	٢٠	١٥	
	هناك أبيات متفرقات في ديوانه			٢٧٧ / ١٣٥ / ١			
	مدح بها بني مروان وعدد لها			٢٥٥ / ٢٦ / ٢			
	سبعة أبيات.						

لم أذكر الأشخاص الذين امتدحهم الفرزدق من غير بني أمة نتيجة لكثرتهم وهذه الحقيقة تؤكد عسكرة

شعر هذا الشاعر الكبير .

في مدح وحيه من بني أمية

م	اسم المدح ومطلع القصيدة أو المقطوعة	مكانها في ديوان الفرزدق
(١) يمدح عبد الملك بن مروان بن الحكم		
١	تَضَاكَكَ أَنْ رَأَتْ شَيْئًا تَفَرَّعَنِي	٢٣ / ١
٢	إِذَا لَأَقَى بَنُو مَرْوَانَ سَلَّوَا	٢٢ / ١
~~~~~		
( ٢ ) يمدح الوليد بن عبد الملك بن مروان		
١	أَلَمْ يَكُ جَهْلًا بَعْدَ سِتِّينَ حِجَّةً	٧٩ / ١
٢	إِذَا عَرَضَ السَّامُ لَنَا بِسُلْمِي	٢٨٣ / ١
٣	كَمْ مِنْ مُنَادٍ وَالشَّرِيفَانِ دُونَهُ	٢٤٨ / ١
٤	دَعَى الْعُطْفَ وَالشُّكُورَ إِلَى قَاتِلَيْهَا	١٤٩ / ٢
٥	سَلَوْتُ عَنِ الذَّهْرِ الَّذِي كَانَ مُعْجِبًا	١٤٣ / ٢
٦	إِشَى لَيْفَعَتِي بِأَيْسَى فَيَضْرِبُنِي	٢٠٩ / ٢
٧	شَكُونَا إِلَيْكَ الْجَهْدَ فِي السَّنَةِ الَّتِي	١٢٦ / ٢
~~~~~		
(٣) يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان		
١	لَعَمْرِي لَقَدْ آوَيْتُ وَزَادَ وَفَاسَاؤُهُ	١٩ / ١
٢	لَوَى ابْنُ أَبِي السَّرَّاقِ عَيْنَهُ بَعْدَ مَا	١٩٦ / ١
٣	طَرَفَتْ نَوَارُ وَدُونَ مَطَرِ قِيَامِهَا	٢٦١ / ١
٤	وَكَيْفَ بِنَفْسٍ كَلِمًا قُلْتُ أَتُكْرِمُكَ	٧١ / ٢
٥	تَرَى كُلَّ مُشَقِّ الْقَيْسِ كَأَنَّمَا	٨٢ / ٢
٦	أُحِبُّ مِنَ النِّسَاءِ وَهِيَ شَيْئِي	٩٩ / ٢
٧	تَحِينَ بَرْوَاءَ الْمَدِينَةِ نَاقَتِي	٣٠٧ / ٢
٨	إِنَّ أَمَامِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْعَصِي	٢٧٣ / ٢
٩	أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَصْحَكَتُ خَيْرَهُمْ	٢٩١ / ١
١٠	لَقَدْ أَمِنْتُ وَحْشَ الْبِلَادِ بِجَامِعِ	٣٣٣ / ١
~~~~~		
( ٤ ) يمدح عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -		
١	زَارَتْ سَكِينَةُ أَطْلَاحًا أَنَاخَ بِهِمْ	١٨٢ / ١
٢	لَأَسْمَاءُ إِذْ أَهْلَى لِأَهْلِكَ جِيرَةٌ	٨٠ / ٢

## (٥) يمدح يزيد بن عبد الملك

- ١- تَزُودَ بِمِثْهَا نَظْرَةً لَمْ تَسُدَّعْ لَهُ      فَوَدَّ أَنْ وَلَمْ تَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزُودَا
- ٢- كَذَبَ بِبَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْكَ مَطْلَبُكُمْ      فِي ذَلِكَ مِنْكَ كُنَائِي الدَّارِ مَهْجُورِ
- ٣- وَالْفَقْدُ بَرْدُ الْحِجَالِ اخْتَوَيْتُمْ بَا      وَقَدْ نَامَ مَنْ يَخْشَى عَلَيْهَا وَأَسْحَرَا
- ٤- وَخَرَفَ كَجَفْنِ السَّيْفِ أَذْرَكَ نَقِيهَا      وَرَاءَ الَّذِي يَخْشَى وَجِيفُ التَّنَائِفِ
- ٥- مَا إِنْ أَبْوَيْشِرٍ وَلَا أَبَوَاهُمَا      مِثْلَ الَّذِينَ إِلَى الْبِنَاءِ الْأَطْوَلِ
- ٦- إِلَيْكَ تَبَنَّتْ ابْنِي فَزَارَةً بَعْدَ مَا      أَرَادَ تَوَايَ فِي جِلَاقِ الْأَدَاهِمِ
- ٧- لَعَمْرِي لَقَدْ تَبَنَّتْ يَا هِنْدُ مِثْلًا      قَتِيلَ كَرَى مِنْ حَبْثٍ أَصْحَتْ نَائِمًا

## (٦) في مدح هشام بن عبد الملك

- ١- رَأَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ يَتَرَفَّعُ مُلُوكُهُمْ      مُلُوكُ شَبَابٍ كَالْأَسُودِ وَنُحُومُهُمْ
- ٢- إِلَيْكَ مِنَ الصَّمَانِ وَالرَّمْلِ أَقْبَلْتُ      تَحَبَّ وَتَخَدَّى مِنْ بَعِيدِ سَبَابَةِ
- ٣- إِنْ أَسْتَطِيعَ مِنْكَ الدُّنُوقَانِ نَسِي      سَادَ نُوُيُوسُ الْأَسِيرِ الْمُقِيدِ
- ٤- أَلَمْ تَذْكُرُوا يَا آلَ مَرْوَانَ نِعْمَةً      لِمَرْوَانَ عِنْدِي مِثْلَهَا يَحْقُقُ الدِّمَامَا
- ٥- أَفَاطِلُ مَا أَتَى نَعَاسًا وَلَا سُورَى      عَقَابِيلُ يَلْقَانَا وَرَارًا غَرَامُهُمَا
- ٦- أَلَسْتُمْ عَاجِزِينَ مِنَّا لَعَنَسًا      نَرَى الْعُرْصَاتِ أَوْ أَشْرَ الْخِيَامِ
- ٧- رَأَيْتُ سَمَاءَ اللَّهِ وَالْأَرْضَ انْقَسَا      بِأَيْدِيهِمَا لِابْنِ الْمُلُوكِ الْقَتَامِ

## (٧) يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك

- ١- أَيْبَتْ أُمِّي النَّفْسَ أَنْ تَوَفَّ تَلْتَقِي      وَهَلْ هُوَ مَعْدُورٌ لِنَفْسٍ لِقَاؤُهَا
- ٢- إِلَيْكَ يَنْفِي حِينَ بَعْدَ حُشَاةٍ      رِكَابَ طَرِيدٍ لَا يَزَالُ عَلَى نَحْبِ
- ٣- إِنْ الَّتِي نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَغَادِرُ      نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي جُودِ
- ٤- إِنِّي إِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا      رَحِلْتُ وَمَا ضَاقَتْ عَلَيَّ الْعَطَامِ
- ٥- وَرِثْتُ أَبَا سُفْيَانَ وَابْنَهُ وَالسُّدْرَى      بِهِ الْحَرْبُ شَالَتْ عَنْ لِقَاحِ حِيَالِهَا

## (٨) يمدح بشر بن مروان بن الحكم

- ١- لِبُشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ      بِنَ الدَّهْرِ فَضْلٌ فِي الرِّخَاءِ وَفِي الْجَبْرِ
- ٢- مَا عَجَبًا لِلْعَدَاوَى يَوْمَ مَعْقَلَةٍ      عَمِرْنِي تَحْتَ ظِلِّ السِّدْرَةِ الْكَبِيرِ

## (٩) يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك

- ١- أَتَصْرِفُ عَنْ لَيْلَى بِنَا أَمْ تَزُورُهَا      وَنَا صَرْمٌ لَيْلَى بَعْدَ مَا مَاتَ زَيْرُهَا



( ١٠ ) يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك		
٣٤١/١	إِنْ تُذْعِرِ الْوَحْشَ مِنْ رَأْسِي وَلَمَّتْ بِهِ	فَقَدْ أَصِيدُ بِهَا الْعُزْلَانُ وَالْبَقَرَا
١٢/٢	لَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا صَبُورًا فَهَاجَسَنِي	مَشَاعِفُ بِالدَّيْرَيْنِ رَجُحُ السَّرَوَادِفِ
=====		
( ١١ ) يمدح عمر بن الوليد بن عبد الملك		
١٤٨/١	إِلَيْكَ سَمْتُ يَا أَمِنْ الْوَلِيدِ رَكَابُنَا	وَرَكَابُنَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ
=====		
( ١٢ ) يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك		
٢٨٣/٢	أَبْلَغَ مُعَاوِيَةَ السَّيِّدِ بِمَعْنِيهِ	أَمْرُ الْعِرَاقِ وَأَمْرُ كُلِّ شَكَّامٍ
*****		

( ٤٥٥ )

"" جدول رقم ( ٥ ) يبين عدد الأشخاص من بنى أمية الذين مدحهم جرير وعدد القوائد ""

والمقطوعات التي قالها فيهم وأبياتها وأبيات المدح فيها

م	اسم الممدوح	عدد القوائد والمقطوعات		مكان هذه القوائد والمقطوعات في ديوان جرير	عدد أبيات الجميع	عدد أبيات المدح في الجميع	إحصاء
		القوائد	المقطوعات				
١-	عبد الملك بن مروان	٤	-	١/٨٧، ٢٩٣، ٩١ - ٢/٢	١٥١	٤٣	بلغ عدد قوائد جرير التي مدح بها بنى أمية ٦٦٠
٢-	الوليد بن عبد الملك	٢	-	١/٦٧ - ٢/٦٨٤	٧١	٢٣	بها بنى أمية ٣١ قصيدة
٣-	سليمان بن عبد الملك	١	-	٢/٧١٦	٣٠	١٨	كما بلغ عدد المقطوعات ٧٣٧/٢
٤-	عمر بن عبد العزيز	٢	-	١/٤١٢، ٢٧٤، ١١٧ - ٢/٧٣٧	٩٠	٥٨	مقطوعة واحدة
٥-	يزيد بن عبد الملك	٣	-	١/١٤٤، ١٦٨ - ٢/٦٤٠	١٤٤	٤٧	أبياتها ٥
٦-	هشام بن عبد الملك	٤	-	١/٣٤٣، ٢٨٧، ٢٢١، ١٢٧	١٦١	١٠٠	أبيات وبلغ أبيات الجميع ٣٧
٧-	عبد العزيز بن مروان	٢	-	١/٢٦٥ - ٢/٦٧	٦١	٢٣	١٠٤٥ بيتا
٨-	عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك	٦	-	١/٥٠٧ - ٢/٦٦٧، ٦٨٨	١٢١	٣٧	كما بلغت أبيات المدح في الجميع ٤١
٩-	العباس بن الوليد بن عبد الملك	٢	-	١/٣٩٢ - ٢/٦٢٢	٤٥	١٧	٠٤٣٧
١٠-	أيوب بن سليمان بن عبد الملك	١	-	١/٣٤٧	٤٢	١٥	
١١-	معاوية بن هشام بن عبد الملك	٢	-	١/٣٧٥ - ٢/٧٤٢	٨٨	٤١	
١٢-	سلمة بن هشام بن عبد الملك	١	-	٢/٦٥٣	٤١	١٥	

م	اسم المدح ومطلع كل قصيدة أو مقطوعة	مكانها في الديوان
(١) في مدح عبد الملك بن مروان		
١-	أَتَصَحَّوْ بَلْ فَوَّادَكَ غَيْرَ صَاحٍ	عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبِكَ وَالسَّحْرَاجِ ٨٧/١
٢-	أَوَاصِلُ أَنْتَ أُمُّ الْعَنْزِ أَمْ تَسْدَعُ	أَمْ تَقْطَعُ الْحَبْلَ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا قَطَعُوا ٢٩٣/١
٣-	وَدَّعْ أَمَامَةَ حَانَ مِنْكَ رَحِيْلُ	إِنَّ الْوَدَاعَ إِلَى الْحَبِيبِ قَلِيْلُ ٩١/١
٤-	أَكَلَفْتَ تَصْعِيدَ الْحُدُوجِ السَّرَوَاعِ	كَأَنَّ خَبَالِي بَعْدَ بُرْءٍ مَرَّاجِنِي ٦٦٠/٢
(٢) في مدح الوليد بن عبد الملك		
١-	طَرِبْتُ وَمَا هَذَا الصَّامِتُ وَالتَّكَلُّفُ	وَهَلْ لِلْهَوَى إِذْ رَاعَهُ الْبَيْتُ صَارِفُ ٦٨٤/٢
٢-	حَيَّ الدِّيَارَ يَمَاقِيلَ فَلَا نَعَمَ	كَالْوَحْيِ فِي رَقِّ التَّزْجِيرِ الْمُعْجَمِ ٦٧/١
(٣) في مدح سليمان بن عبد الملك		
١-	عَلَامَ تَلُومٍ عَازِلَةٍ جَهْلُولِ	وَقَدْ بَلَّسَى رَوَاجِلَنَا الرَّحِيْلُ ٧١٦/٢
(٤) يمدح عمر بن عبد العزيز		
١-	أَبَتْ عَيْنَاكَ بِالْحَسَنِ الرَّقَّادَا	وَأَنْكَرْتَ الْأَصَادِقَ وَالْبِيسْلَادَا ١١٢/١
٢-	هَلْ زَامَ أَمْ لَمْ يَرَمْ ذُو السَّدْرِ فَالْثَلَمُ	ذَاكَ الْهَوَى مِنْكَ لَا دَانَ وَلَا أَمَمُ ٢٧٤/١
٣-	لَجَّتْ أَمَامَةً فِي لَوْحِي وَمَا عَلِمْتُ	عَرَضَ السَّمَاءِ وَرَوْحَانِي وَلَا يَكْزُرِي ٤١٢/١
٤-	إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا	جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ ٧٣٧/٢
(٥) يمدح يزيد بن عبد الملك		
١-	أَرْقِ الْعِيُونَ فَنُومَهُنَّ غَرَارُ	إِذْ لَا يَسَاعَفُ مِنْ هَوَاكِ مُسَرَّارُ ٦٤٠/٢
٢-	حَيَّ الدِّيَارَ عَلَى سَفْيَى الْأَعَاصِيرِ	أُسْتَنْكَرْتَنِي أَمْ ضَنْتَ بِخَيْبِيرِي ١٤٤/١
٣-	انْظُرْ خَلِيلِي بِأَعْلَى ثَرَمَدَاءَ ضَحَى	وَالْبَيْسَ جَائِلَةً أَفْرَاضَهَا خُفُفُ ١٦٨/١
(٦) يمدح هشام بن عبد الملك		
١-	حَبُّوا أَمَامَةً وَأَذْكُرُوا عَهْدَ مَضَى	قَبْلَ التَّصَدُّعِ مِنْ شَالِيلِ النَّكْوَى ٣٤٣/١
٢-	عَفَا النَّهْرَانِ بَعْدَكَ وَالسُّوْحَيْدُ	وَلَا يَنْقَى لِحْدَتِهِ جَدِيدُ ٢٨٧/١
٣-	أَأَصْبَحَ وَنَلَّ حَلَكُمُ رِمَا مَا	وَمَا عَهْدُ كَعْبُودِكَ يَا أَمَامَا ٢٢١/١

٢١٢/١	أَلَمْتُ وَمَا رَفَقْتُ بِأَنْ تَلُمِي وَقُلْتُ مَقَالَةَ الْخَطِلِ الظُّلُومِ	-٤
(٧) يمدح عبد العزيز بن مروان		
٢٦٥/١	أَرَبْتُ بِعَيْنِكَ الدَّمْعَ التَّوْفِيقَ فَلَا الْعَهْدُ مَسِيٍّ وَلَا الرَّبْعُ بَارِحٌ	-١
٧٠٧/٢	أَلَمْ خَيَالٌ هَاجَ مِنْ حَاجَةٍ وَقَسَرَا عَلَيْكَ السَّلَامَ مَا زِيَارَتِكَ النَّفَرَا	-٢
(٨) يمدح عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك		
٦٦٧/٢	عَفَا نَهْيًا حَمَامَةً فَالْحِجَاوَاءُ لَطُولُ تَبَايُنِ جَسَرَتِ الظُّبَاءِ	-١
٧٢٩/٢	بَكَرَ الْأَمِيرُ لِعُزْبَةٍ وَتَنَائِي فَلَقَدْ نَسِيتُ بِرَأْسَيْنِ عَزَائِي	-٢
٦٨٨/٢	أَرَاكَ الْحَيَّ مِنْ إِرَامِ الظُّرَادِ كَمَا أَتَقَوَّا لِعَيْنِكَ مِنْ كَوَادِ	-٣
٥٠٧/١	بَانَ الْخَلِيطُ فَوَدَعُوا بِكَوَادِ وَقَدْ أَلْخَلِيطُ وَرَافِعُ الْأَصَادِ	-٤
٧٠٢/٢	إِلَيْكَ كَلَفْنَا كُلَّ يَوْمٍ هَجِيرَةً صَدَّ مَعْمَانِي تَلَطَّى أَعَابِلُهُ	-٥
٦٦٩/٢	أَوَاصِلُ أَنْتَ سَلِمَى بَعْدَ مَعْتَبَرَةٍ أَمْ صَارَ الْحَيْلُ مِنْ سَلِمَى نَصْرُومِ	-٦
(٩) يمدح العباس بن الوليد بن عبد الملك		
٣٩٢/١	حَيَّ الْهَذْلَةَ وَالْأَنْثَاءَ وَالْجَرَدَا وَالْمَنْزِلَ الْفَقْرَ مَا تَلْقَى بِهِ أَحَدَا	-١
٦٢٢/٢	أَهَاجَ الشُّوقَ مَعْرِفَةَ الدِّيَارِ بِرَهْبَى الصُّلْبِ أَوْ يَلْوَى مَطَّيَارِ	-٢
(١٠) يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك		
٣٤٧/١	هَلْ يَنْفَعُكَ إِنْ جَرَيْتَ تَجْرِيْبُ أَمْ هَلْ شَبَابُكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مَطْلُوبُ	-١
(١١) في معاوية بن هشام بن عبد الملك		
٧٤٢/٢	قَدْ قَرَّبَ الْحَيَّ إِذْ هَاجُوا لِإِصْعَادِ بُرْزُلًا مُخَيَّبَةً أَرْمَامَ أَقْبَادِ	-١
٣٧٥/١	أَسَى قُوَادِكَ ذَا شُجُونًا قَصْدَا لَوْ أَنَّ قَلْبَكَ يَسْتَطِيعُ تَجَلُّدَا	-٢
(١٢) يمدح مسلمة بن هشام بن عبد الملك		
٦٥٣/٢	كَاهَاجَ شَوْقَكَ مِنْ عَهْدٍ رُسُومِ بَادَتْ مَعَارِفُهَا بِذِي الْقَيْصُومِ	-١
*****		

جداول رقم (٧) يبين عدد القصائد والمقطوعات التي قالها **

جريس في غير بنى أمية وأسماء المدح وحسين

٢	اسم الممدوح ومطالع القصائد والمقطوعات	مكانها في الديوان
	(١) يمدح الحجاج بن يوسف الثقفي	
-١	بَانَ الْخَلِيطُ قَمَالَهُ مِنْ مَطْلَاطٍ	٢٤٦/١
-٢	هَاجَ الْهَوَى لِفَوَادِكِ الْمُهْتَاجِ	١٣٦/١
-٣	تُعِيفَتْ بِعَهْدٍ ذَكَرَتْهُ الْمَنَازِلُ	٣٩٩/١
-٤	عَدَا بِاجْتِمَاعِ الْحَيِّ نَقْضَى لُبَانَةً	٨٤٨/٢
-٥	مَتَى كَانَ الْمَنَازِلُ بِالْوَحِيدِ	٧٢٧/٢
	(٢) في مدح المهاجر بن عبد الله الكلابي	
-١	أَقَادَكَ بِالْقَادِرِ هَوَى عَجِيبٍ	٤١٠/١
-٢	إِنَّ الْمُهَاجِرَ حِينَ يَسُطُّ كَفَّهُ	٦٣٧/٢
	(٣) في مدح هلال بن أحوز المازني وهرم بن طحمة المجاشعي	
-١	لِمَنْ رَسَمَ دَارِ كَادَ أَنْ يَتَغَيَّرَا	٤٦٨/١
-٢	أَلَا حَيَّ الْمَنَازِلُ وَالْخِيَامَا	٧٧١/٢
	(٤) في مدح خالد بن عبد الله القسري	
-١	كَعَلَّ فِرَاقَ الْحَيِّ لِلْبَيْنِ عَامِدِي	٦٠٢/٢
	(٥) محمد بن هبيرة الفزاري	
-١	إِذَا أَوْلَى النُّجُومُ بَدَتْ مَقَارَتُ	٧٩٩/٢
	(٦) سودة بن كلاب	
-١	مَنْ ذَا نَحَلَّ حَاجَةً نَزَلْتُ بِنَا	٤٥٢/١
	(٧) في مدح يحيى بن أبي حفصة جد مروان	
-١	أَزَادَ أَسْوَى يَحْيَى تُرِيدُ وَحَاجِبَا	٤٥١/١
	(٨) في مدح عباد بن عباد	
-١	عَيْتَ تَسِيمٍ بِأَمْرِ كَانَ أَظْمَعَهَا	٤٨٩/١

( ٩ ) يمدح رجلا من بنى عدى بن عبد مناة بن أد		
٤٥٤/١	لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْكُتَيْبَةَ كَثُمَ كَا يَحْجُرُ إِذَا لَأَقَى الْكَيْسَى ابْنَ مَالِكٍ	-١
( ١٠ ) يمدح مخزق السدوسي وشيبان السحيمي		
٧٥٢/٢	أَقُولُ لِأَصْحَابِي أَرْفَعُوا مِنِّي مَطِيحَكُمْ فَيَوْمَ لَنَا بِالْقُرَيْشِيِّينَ ظَلِيلٌ	-١
( ١١ ) يمدح بعض وجوه قبيل وطى وبنى سعد بن ضبة وبنى رفاعه		
٨٠٦/١	نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقُصُومِ زَيْنُوا حَسَبِي وَلِإِنَّ مَرِضَتْ فَهَمَّ أَهْلِي وَمُسَوَادِي	-١
٤٦٥/١	جديلة والغوث الذين تعيبتهم كرام وما من عابهم بكرمهم	-٢
٤٦٧/١	فِدَايَ لِبَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ خَالَتِي إِذَا أَفْرَعَ الرِّزْقُ السَّكَنَامَ الْمَفْكَرَا	-٣
٤٦٢/١	كَأَنِّي بِالْعَدِيِّ بَيْنَ زَكَا وَبَيْنَ قُرَى أَبِي صُفْرَى أَيْبَرُ	-٤
( ١٢ ) يمدح بنى مازن وآل منظور وبنى نمر وبنى الأزد		
٧٢٥/٢	حَتَّى الْمَنَازِلِ بِالْأَجْزَاعِ غَيْرَهَا مَرَّ السَّيِّئِينَ وَأَبَادَ وَأَبَا	-١
١٠٣٦/٢	فَلَا خَوْفَ عَلَيْكَ وَلَكِنْ تَرَامِي بِعَقْوَةِ سَاوَنَ وَبَنِي هِسَالِ	-٢
٢٥٦/١	أَرَسَمَ الْحَيَّ إِذْ تَزَلُّوا الْأَيْسَادَا تَجَرَّ الرَّاسِيَاتُ بِهِ فَيَسَادَا	-٣
٧١٥/٢	إِنَّ النَّدَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ قَدْ عَلِمُوا وَالْمَجْدُ فِي آلِ مَنْظُورِ بْنِ سَيْسَارِ	-٤
٤٩٠/١	جَاءَتْ بَنُو نَيْسَرٍ كَأَنَّ عِيونَهُمْ جَمْرُ الْقَصَا بَسْدَرِي وَظُلَامِ	-٥
( ١٣ ) يمدح بنى نهشل وبنى رفاعه بن زيد بن كليب		
٨٨٤/٢	لَقَدْ سَرَّنِي أَنْ لَا تَعُدَّ مَحَاشِيْعُ مِنَ الْفَخْرِ إِلَّا عَقْرَ نَسَابٍ بِصَوَارِ	-١
٤٥٣/١	سَقَى الْأَجْزَاعَ فَوْقَ بَنِي شَيْبَلِ سَاجِحُ كُلِّ مُرْتَجِرٍ هَزِيمِ	-٢
( ١٤ ) بعض قصائد هجاء فيها مدح للقيسين ويظهر الفخر فيها أكثر		
١٣٤/١	أَتَذَكَّرُهُمْ وَحَاجَتُكَ أَذْكَارُ وَقَلْبُكَ فِي الطَّعَائِنِ مُتَعَارُ	-١
١٥٠/١	قُلْ لِلذَّيَارِ سَقَى أَطْلَالِكَ الْمَطَرِ قَدْ هَجَتْ شَوْقًا فَاذَا تَرَجَّعَ الذَّكْرُ	-٢
١٧٩/٢	أَزْرَتْ دِيَارَ الْحَيِّ أَمْ لَا تَزُورُهَا وَأُنَى مِنَ الْحَيِّ الْجَعَادِ وَدُورُهَا	-٣
*****		

الفزائرسى

"" "" فهرس المصادر والمراجع ""

---

( ١ ) القرآن الكريم .

( أ )

- ١- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ / للدكتور ابراهيم شعوط - دار الشروق  
الطبعة السادسة ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢- أثر الاسلام فى شعرالفرزدق / للدكتور مصطفى عبد الواحد - دار الاصلاح  
الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .
- ٣- أخبار أبى تمام / للصولى / تحقيق خليل عساكر وغيره - المكتب التجارى  
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون تاريخ .
- ٤- الأخطل شاعربنى أمية / للدكتور سيد غازى - دار المعارف ، الطبعة الثانية .
- ٥- الأخطل فى سيرته ونفسيته وشعره / لايلىا الحاوى - دار الثقافة ، بيروت ،  
الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
- ٦- الأخطل الكبير - حياته وشخصيته وقيمه الفنية / للدكتور فخر الدين قباوة  
دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .
- ٧- أدب السياسة فى العصر الأموى / للدكتور أحمد الحوفي - دار نهضة مصر  
للطبوع والنشر ، الطبعة الخامسة .
- ٨- أدب العرب / مارون عبود - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٠ م .
- ٩- الأدب العربى فى الجاهلية والاسلام / عمر رضا كحالة - المطبعة التعاونية  
دمشق ، ١٣٩٢ هـ .



- ١٠- أدب ما قبل الاسلام دراسة وصفية تحليلية / محمد عثمان عيسى ،  
المؤسسة العالمية للدراسات والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
- ١١- أساس البلاغة / للزمخشري - دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ .
- ١٢- أسس النقد الأدبي عند العرب / للدكتور أحمد أحمد بدوي - دار  
نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩ م .
- ١٣- الاسلام والجاهلية في شعر بني أمية / للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة  
مطبعة السعادة ١٤٠٢ هـ .
- ١٤- الاشتقاق / لابن دريد / تحقيق عبد السلام هارون مطبعة عيسى  
الحلبي ، ١٣٧٩ هـ .
- ١٥- الاصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر العسقلاني / تحقيق علي محمد  
الجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٠ م .
- ١٦- أصول النقد الأدبي / أحمد الشايب - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة  
الثامنة ، ١٩٧٣ م .
- ١٧- الأعلام / لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة  
الخامسة - ١٩٨٠ م .
- ١٨- الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني - مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت -  
مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية .
- ١٩- الافصاح في فقه اللغة / تأليف حسين يوسف وعبد الفتاح الصعيدى - دار  
الفكر العربى - الطبعة الثانية .
- ٢٠- الأمالي / لأبي علي القالي - دار الكتاب العربى - بيروت - بدون تاريخ .

- ٢١- أمالي المرتضى / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى الحلبي ،  
الطبعة الأولى ، ١٣٣٣ هـ .
- ٢٢- أمالي اليربزي / لأبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي ، مكتبة  
المتنبي ، القاهرة ، مصورة عن طبعة حيدر أباد ( الهند ) ، عام ١٣٦٩ هـ .
- ٢٣- إنباء الرواه علي أنباه النحاه / جمال الدين القفطي / تحقيق محمد أبر  
الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ هـ .
- ٢٤- أيام العرب في الجاه / تأليف محمد أبو الفضل ابراهيم وغيره ،  
مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٢ م .

## ( ب )

- ٢٥- البخلاء / لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحقيق د . طه الحاجري ،  
دار المعارف ، الطبعة السادسة ،
- ٢٦- البداية والنهاية / للحافظ بن كثير ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ .
- ٢٧- البستان ( معجم لغوي ) / تأليف عبد الله البستاني ، المطبعة الأمريكية ،  
بيروت ، ١٩٢٧ م .
- ٢٨- بناء القصيدة العربية / للدكتور يوسف حسين بكار ، دار الاصلاح ، المملكة  
العربية السعودية ، الدمام ، بدون تاريخ .
- ٢٩- البيان والتبيين / للجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ،

## ( ت )

- ٣٠- تاج العروس / للزبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ .

- ٣١- تاريخ آداب اللغة العربية / جرجى زيدان . مكتبة الحياة، ١٩٨٣م .
- ٣٢- تاريخ الأدب العربى / لأحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الخامسة والعشرون .
- ٣٣- تاريخ الأدب العربى / لحنا الفاخورى ، المطبعة البوليسية، بيروت، الطبعة السادسة .
- ٣٤- تاريخ الأدب العربى : ١- العصر الجاهلى / للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
- ٢- العصر الاسلامى / للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف ، الطبعة السابعة .
- ٣٥- تاريخ الأدب العربى / للدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .
- ٣٦- تاريخ الأدب العربى / كارل بروكلمان / ترجمة / ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .
- ٣٧- تاريخ التراث الاسلامى / لفؤاد سزكين / ترجمة د . محمد فهمى ، طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣هـ .
- ٣٨- تاريخ الخلفاء / للسيوطى ، دار الفكر ، ١٣٩٤هـ .
- ٣٩- تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى / للدكتور حسن ابراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .
- ٤٠- تاريخ الاسلام / للذهبي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ .
- ٤١- تاريخ دمشق / لابن عساكر ، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ .

- ٤٢- تاريخ الطبرى / لابن جرير الطبرى / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،  
دار المعارف ، الطبعة الثالثة .
- ٤٣- تاريخ نشأة علوم البلاغة وأطوارها / للدكتور عبد العزيز عرفة دار الطباعة  
المحمدية ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .
- ٤٤- تاريخ النقائض فى الشعر العربى / لأحمد الشايب ، مكتبة النهضة  
المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ م .
- ٤٥- التصوير البيانى دراسة تحليلية لمسائل البيان / للدكتور محمد أبو موسى ،  
مكتبة وهبه ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ .
- ٤٦- التطور والتجديد فى الشعر الأموى / للدكتور شوقى ضيف ، دارالمعارف ،  
الطبعة السادسة .
- ٤٧- التعريفات / لمحمد بن على الجرجانى ، دار الكتب العلمية الطبعة  
الاولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٤٨- التفسير النفسى للأدب / للدكتور عز الدين اسماعيل ، دار العودة ،  
بيروت ( دون تاريخ ) .

## ( ج )

- ٤٩- جرير . . حياته وشعره / للدكتور نعمان محمد أمين طه ، دارالمعارف
- ٥٠- جرير ونقائضه مع شعراء عصره / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى ،  
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الأولى .
- ٥١- جرير ( من نوابع الفكر العربى ) لمحمد ابراهيم جمعة ، دارالمعارف ،  
الطبعة الخامسة .

٥٢- جمهرة أشعار العرب / لأبى زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى /  
تحقيق على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر ، الطبعة الثانية .

٥٣- جمهرة أنساب العرب / لابن حزم الأندلسى / تحقيق عبد السلام هارون ،  
دار المعارف ، الطبعة الرابعة ،

## ( ح )

٥٤- الحماسة / لأبى تمام / تحقيق الدكتور عبد الله العسيلان ، طبعة جامعة  
الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠١ هـ .

٥٥- الحماسة البصرية / لأبى الفرج بن الحسن البصرى / تحقيق الدكتور  
عادل جمال سليمان ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة .

٥٦- الحور العين / لنشوان الحميرى / تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجى ،  
القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧ هـ .

## ( خ )

٥٧- خزانة الأدب / للبغدادى ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .

٥٨- الخلاصة الموافية فى علمي العروض والقافية / تأليف حامد سليمان عباس ،  
مطبوعات الرئاسة العامة للكتليات والمعاهد العلمية ، الرياض ، ١٣٩٠ هـ .

## ( د )

٥٩- دائرة المعارف الاسلامية ( الطبعة العربية ) .

٦٠- دائرة معارف القرن العشرين ( لفريد وجدى ) .

٦١- دراسات فى أدب الدعوة الاسلامية / للدكتور محمود زينى ، نادى مكة  
الثقافى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

٦٢- دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى / للدكتور محمد عبد القادر أحمد  
مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .

٦٣- دراسات فى حضارة الاسلام / تأليف " هاملتون جب " ترجمة الدكتور  
احسان عباس وغيره ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية  
١٩٧٤ م .

٦٤- دراسات فى نقد الأدب العربى / للدكتور بدوى طبانه ، مكتبة الأنجلو  
المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ .

٦٥- ديوان الأدب / للفارابى - الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية ، تحقيق  
أحمد مختار عمر ١٣٩٤ هـ .

٦٦- دفاع عن البلاغة العربية / محمد حسن الزيات ، عالم الكتب ، الطبعة  
الثانية .

٦٧- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس / تحقيق الدكتور محمد محمد حسين  
مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٣ هـ .

٦٨- ديوان ابن قيس الرقيات / تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار بيروت ،  
للطباعة والنشر ، ١٣٧٨ هـ .

٦٩- ديوان جرير / تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف  
الطبعة الأولى .

٧٠- ديوان جرير / شرح ايليا الحاوى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الأولى ،  
١٩٨٢ م .

٧١- ديوان جميل بثينه / تقديم بطرس البستاني ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ .

- ٧٢- ديوان الحطيئة / تحقيق الدكتور نعمان طه ، طبعة الحلبي ، ١٩٥٨ م .
- ٧٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،  
مطبعة المدني ، الطبعة الثالثة ١٣٨٤ هـ .
- ٧٤- ديوان الفرزدق / دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠ هـ .
- ٧٥- ديوان كثير عزة / شرح الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،  
١٣٩١ هـ .
- ٧٦- ديوان المتنبي / شرح البرقوقي ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨ هـ .
- ٧٧- ديوان المعاني / لأبي هلال العسكري ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، طبعة  
سنة ١٣٥٢ هـ .
- ٧٨- ديوان النابغة الذبياني / المكتبة الثقافية ، بيروت . بدون تاريخ .
- ( ر )
- ٧٩- الراعي النميري عصره حياته ، شعره / للدكتور محمد نبيه حجاب ، مكتبة  
نهضة مصر - الطبعة الأولى ، ١٣٨٢ هـ .
- ٨٠- رحلة الشعر / للدكتور مصطفى الشكعة - عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة  
الثالثة ، ١٣٩٩ هـ .
- ٨١- رحلة مع النقد الأدبي / فخرى الخضراوى ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ م .
- ٨٢- رسائل الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ١٣٨٤ هـ .
- ٨٣- الروائع ( عن جرير والأخطل ) / بقلم فؤاد أفرام البستاني ، دار الشرق ،  
بيروت الطبعة الخامسة .

( ز )

٨٤- زهر الآداب / لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني / تحقيق  
علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية

( س )

٨٥- شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبو الفضل  
ابراهيم ، مطبعة المدني ، ١٣٨٣ هـ .

٨٦- سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي / للبكري / تحقيق عبد العزيز  
الميمني ، دار الحديث للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .

٨٧- سير أعلام النبلاء / للذهبي / تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة  
الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

٨٨- السيرة النبوية / لابن هشام / تحقيق مصطفى السقا وغيره ، طبعة  
مصطفى الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥ هـ .

( ش )

٨٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب / لابن العماد الحنبلي ، دار  
الآفاق الجديدة ، بيروت ، دون تاريخ .

٩٠- شرح شواهد الكافية / للإمام محمود العيني ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة  
الأولى .

٩١- شرح شواهد المفني / للسيوطي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت . دون تاريخ .

٩٢- شرح قصيدة كعب بن زهير / لابن هشام الأنصاري / تحقيق الدكتور  
محمود أبو ناجي ، طبع الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق ( بدون تاريخ ) .



٩٣- شرح مقامات الحريري / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٩ هـ .

٩٤- شرح نهج البلاغة / مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى .

٩٥- شعر الأخطل / بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق ، الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

٩٦- الشعر الاسلامي في صدر الاسلام / للدكتور عبد الله الحامد مطابع الاشعاع التجارية / الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ .

٩٧- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه / للدكتور يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ هـ .

٩٨- شعر زهير بن أبي سلمى / بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ م .

٩٩- الشعر العربي بين الجمود والتطور / للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية .

١٠٠- الشعر في الأدب العربي على ضوء التصور الاسلامي / للدكتور شوقي عبد الحليم حمادة ، مطبعة السعادة ، ١٤٠٢ هـ .

١٠١- شعراء النصرانية / الأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجواميز طبعة جديدة ١٩٢٦ م .

١٠٢- الشعر والشعراء / لابن قتيبة / تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٧ هـ .

(ص)

١٠٣- الصحاح / للجوهري / بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

- ١٠٤- الصراع بين القديم والجديد فى الأدب العربى الحديث / للدكتور محمد الكتاني ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، مطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٠٥- صفة جزيرة العرب / للهمداني ، منشورات ، دار اليمامة ، بالرياض بدون تاريخ .

- ١٠٦- (كتاب) الصناعتين لأبي هلال العسكري / تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الثانية .
- ١٠٧- الصورة الفنية فى الشعر الجاهلى فى ضوء النقد الحديث / للدكتور نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان الأردن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .
- ١٠٨- الصورة فى الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى / للدكتور على البطل ، دار الأندلس ، بيروت ( دون تاريخ ) .

( ط )

- ١٠٩- طبقات فحول الشعراء / لابن سلام / تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، ١٣٩٤ هـ .

- ١١٠- الطرائف الأدبية / تصحيح عبد العزيز الميمنى ، دار الكتب العلمية بيروت ، دون تاريخ .

- ١١١- الطراز الموشى فى صناعة الانشاء / تأليف محمد النجار ، المطبعة العمومية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٨٦٩ م .
- ( ظ )

- ١١٢- ظاهرة التكسب وأثرها فى الشعر العربى ونقده / للدكتور درويش الجندى دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٠ .

( ع )

- ١١٣- العروض تهذيبه واعادة تدوينه / صنعة الشيخ جلال الحنفى ، مطبعة  
العانى ، بغداد ، ١٩٧٨ م .
- ١١٤- العصبية القلبية وأثرها فى الشعر الأموى / للدكتور احسان النص ،  
دار الفكر الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ م .
- ١١٥- العقد الفريد / لابن عبد ربه / تحقيق محمد سعيد العريان ، دار  
الفكر الطبعة الثانية .
- ١١٦- علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية / للدكتور مصطفى فهمى ، مكتبة  
الخانجى ، ١٣٩٥ هـ .
- ١١٧- العمدة / لابن رشيق القيروانى / تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،  
دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠١ هـ .
- ١١٨- عيون الأخبار / لابن قتيبة ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، مصورة  
عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٣٤٣ هـ .

( ف )

- ١١٩- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية / لمحمد بن على  
بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ .
- ١٢٠- الفرزدق / للدكتور شاكر الفحام ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى  
١٣٩٧ هـ .
- ٢١- الفرزدق / للدكتور ممدوح حقى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة .
- ١٢٢- الفرق الاسلامية فى الشعر الأموى / للدكتور نعمان القاضى ، دار المعارف  
١٩٧٠ م .

١٢٣- الفصول والغايات / لأبى العلاء المعزى / تحقيق محمود حسن

زناتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م .

١٢٤- فى الشعر / لأرسطو / ترجمة الدكتور شكرى محمد عياد ، دارالكتاب

العربى للطباعة والنشر ، ١٣٨٦هـ .

١٢٥- فى قضايا الأدب واللغة / للدكتور عبده بدوى ، مؤسسة الصباح ،

الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ .

( ق )

١٢٦- القاموس المحيط / للفيروز ابادى ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية ،

١٣٧١هـ .

( ك )

١٢٧- الكامل فى التاريخ / لابن الأثير ، طبعة القاهرة .

١٢٨- الكامل فى اللغة والأدب / للإمام أبى العباس المبرد / تحقيق أحمد

محمد شاكر ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الأولى : ١٣٥٦ هـ -

١٩٣٧م .

١٢٩- الكتاب / لسيبويه - طبعة ( بولاق ) القاهرة ، ١٣١٦هـ .

١٣٠- لسان العرب / لابن منظور ، طبعة دار المعارف ( ل ) طبعة جديدة

محققة .

( م )

١٣١- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر / لضياء الدين ابن الأثير ،

تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوى طبانة ، مكتبة النهضة

المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ .

- ١٣٢- مجاني الآدب / لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ،  
١٩٣٦ م .
- ١٣٣- مجلة كلية الآداب / جامعة بغداد العدد الخامس لسنة ١٩٦٢ م .
- ١٣٤- مجلة المشرق / الأعداد ( ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٥ ) .
- ١٣٥- المحبر / لابن حبيب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ( دون تاريخ ) .
- ١٣٦- المخصص / لابن سيده ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع  
بيروت .
- ١٣٧- المدخل الى علم النفس / للأستاذ عبد الله عبد الحى موسى ، الطبعة  
الثانية ، ١٩٧٩ م .
- ١٣٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان /  
لليافعى أبو محمد عبد الله بن سعد ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات  
بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ .
- ١٣٩- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها / عبد الله الطيب ، الدار  
السودانية للطباعة الثانية ، ١٩٧٠ م .
- ١٤٠- مروج الذهب / للمسعودى / تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد /  
دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٤١- المصباح المنير / تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف ،  
١٣٩٧ هـ .

١٤٢- المعارف / لابن قتيبه / تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ، دار المعارف ،  
الطبعة الرابعة .

١٤٣- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص / للعباسي / تحقيق محمد  
محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ١٣٦٧ هـ .

١٤٤- معجم الأدباء / لياقوت ، طبعة الرفاعي ، بالقاهرة .

١٤٥- معجم الشعراء / للمرزباني / تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة  
عيسى الحلبي ، ١٣٩٧ هـ .

١٤٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / للبكري / تحقيق مصطفى  
السقا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٤ هـ .

١٤٧- معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب / مجدى وهبه ، وكامل  
المهندس ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .

٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ،  
المكتبة الاسلامية ، استانبول ، ١٩٨٤ م .

١٤٩- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف / د . أ . ي . ونسك ، مكتبة  
برلين ، ليدن ، ١٩٣٦ م .

١٥٠- المعجم الوسيط ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .

١٥١- مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي / للدكتور جابر أحمد عصفور  
دار الاصلاح للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الدمام

١٩٧٧ م .

١٥٢- مقدمة في النقد الأدبي / محمد حسن عبد الله ، دار البحوث الاسلامية ، الكويت  
الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ هـ .

- ١٥٣- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، للدكتور حسين عطوان ،  
دار المعارف ، ١٩٧٤م .
- ١٥٤- مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي / للدكتور شكرى فيصل .  
دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٨م .
- ١٥٥- من تاريخ الأدب العربي / للدكتور طه حسين ، دار العلم للملايين  
الطبعة الرابعة .
- ١٥٦- المنجد في اللغة والأعلام / دار الشرق ، بيروت ، الطبعة السادسة ،  
والعشرون .
- ١٥٧- المنهل العذب في الأدب العربي وتاريخه / أحمد محمد الامام ومحمد  
الجنيدى جمعة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٣٩٠هـ .
- ١٥٨- المؤلف والمختلف / للأمدى / تحقيق عبد الستار فراج - عيسى الحلبي  
١٣٨٠هـ .
- ١٥٩- الموازنة بين الشعراء / زكى مبارك ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة  
الثانية ، ١٣٩٣هـ .
- ١٦٠- مواسم الأدب وآثار العجم والعرب / للعلوى ، مطبعة السعادة بمصر  
الطبعة الأولى ، ١٣٢٦هـ .
- ١٦١- موسيقى الشعر / للدكتور ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية  
الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .
- ١٦٢- الموشح / للمرزبانى / تحقيق على محمد البجاوى / دار النهضة  
المصرية للطبع والنشر ، ١٩٦٥م .

١٦٣- ميزان الاعتدال / للذهبي / تحقيق على محمد البجاوي ، القسم الثاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢ هـ .

( ن )

١٦٤- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة / محمد الطنطاوي ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ .

١٦٥- نظرات في الشعر الاسلامي والأموي / لظافر القاسمي / ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨ هـ .

١٦٦- نظرية اللغة في النقد العربي / للدكتور عبد الحكيم راضي ، مكتبة الخانجي ، ( دون طبعة وتاريخ ) .

١٦٧- النظرية النقدية عند العرب / للدكتورة هند حسين طه ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، ( ١٩٨١ م ) .

١٦٨- نقائص جرير والأخطل / لأبي تمام / تعليق انطون صالحاني اليسوعي دار المشرق ، بيروت ، ١٩٢٢ م .

١٦٩- نقائص جرير والأخطل / للدكتور عبد المجيد المحتسب ، مكتبة المحتسب ، طبعة دار الفكر ، ١٩٧٢ م .

١٧٠- نقائص جرير والفرزدق . ( طبعة الصاوي )

نقائص جرير والفرزدق - طبعة مكتبة المتنبي بغداد .

١٧١- النقد الأدبي الحديث / محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة الثانية

١٧٢- نقد الشعر / لقدامة بن جعفر / تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .



١٧٣- نهاية الأرب في فنون الأدب / للنويرى - المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة - مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ) ،  
دون تاريخ .

١٧٤- نوادر المخطوطات / تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى  
الحلبى ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

( هـ )

١٧٥- الهجاء والهجاءون فى عصر صدر الاسلام / للدكتور محمد محمد  
حسين ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة  
الثانية ، ١٣٩١ هـ .

( و )

١٧٦- وفيات الأعيان / لابن خلكان / تحقيق محمد محيى الدين عبد  
الحميد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ .

١٧٧- الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والاسلام حتى الخامس  
الهجرى / للدكتور مصطفى عبد الواحد - مطبوعات نادى مكتبة  
الثقافى - الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ .



# فہرستی الموضوعات

"" "" فهرس الموضوعات "" ""

---

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - خ
التمهيد	

المديح والفخر في اللغة والعصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام ٢٠ - ١

"" الباب الأول ""

---

الدوافع النفسية والاجتماعية التي أدت الى ظهور

الفرضين عند الشعراء الثلاثة . ٤٧ - ٢١

مدخل : ٢٥ - ٢١

الفصل الأول : الأخطل ٣٣ - ٢٦

الفصل الثاني : الفرزدق ٣٩ - ٣٤

الفصل الثالث : جرير ٤٧ - ٤٠

"" الباب الثاني ""

---

دراسة تاريخية موضوعية للفرضين عند الشعراء الثلاثة ٢٢٥ - ٤٨

الفصل الأول : الغرضان لدى الأخطل ١٠١ - ٤٨

الفصل الثاني : الغرضان لدى الفرزدق ١٧٥ - ١٠٢

الفصل الثالث : الغرضان لدى جرير ٢٢٥ - ١٧٦

"" الباب الثالث ""

---

أثر الاسلام في الشعراء الثلاثة ٢٧٢ - ٢٢٦

مدخل : الحياة الاسلامية وأثرها في الشعر الأموي ٢٤٦ - ٢٣٥

- ٢٤٦ - ٢٣٥ الفصل الأول : مدى تأثير الأخطل بالبيئة الاسلامية  
 ٢٥٦ - ٢٤٧ الفصل الثانى : أثر الاسلام فى مديح وفخر الفرزدق  
 ٢٧٢ - ٢٥٧ الفصل الثالث : أثر الاسلام فى مديح وفخر جرير

### " الباب الرابع "

- ٣٦٥ - ٢٧٣ دراسة فنية للغرضين عند الشعراء الثلاثة  
 ٣٠٧ - ٢٧٣ الفصل الأول : دراسة الفن التعبيرى عند الأخطل  
 ٣٤٢ - ٣٠٨ الفصل الثانى : دراسة الفن التعبيرى عند الفرزدق  
 ٣٦٥ - ٣٤٣ الفصل الثالث : دراسة الفن التعبيرى عند جرير

### " الباب الخامس "

- ٤٤٣ - ٣٦٦ النقد حول الشعراء الثلاثة  
 الفصل الأول : آراء النقاد القدامى فى الشعراء الثلاثة  
 ٣٩٥ - ٣٦٧ ومناقشتها .  
 ٤١٢ - ٣٩٦ الفصل الثانى : دراسات المحدثين حول الشعراء الثلاثة  
 ٤٤٣ - ٤١٣ الفصل الثالث : موازنة بين الشعراء الثلاثة فى ضوء النقد الحديث  
 ٤٤٦ - ٤٤٤ خاتمة البحث ونتائجه  
 ٤٥٩ - ٤٤٧ جداول احصائية عن غرض المديح عند الشعراء الثلاثة  
 ٤٧٧ - ٤٦٠ المصادر والمراجع .  
 ٤٧٩ - ٤٧٨ فهرس الموضوعات .